

وفيات الاعيان

٧

وَفِيَايَا الْعِجَانِ

وَأَنْبَاءِ ابْنَاءِ السَّمَانِ

لِأَبِي الْعَبَّاسِ شَيْخِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ زَيْنِ خَلِيلِكُمَا
(٦٠٨ - ٥٦٨ هـ)

حققه

الدكتور احسان عباس

المجلد السابع

دار صادر
بيروت

مصادر ترجمته وأخباره^(١)

- كمال الدين ابن الشعار (- ٦٥٤) عقود الجمان في شعراء هذا الزمان (١) :
(٤٥٤) مخطوطة أسعد أفندي رقم ٢٣٢٣ .
شهاب الدين أبو شامة (- ٦٦٥) ذيل الروضتين (ط . القاهرة ١٩٤٧) .
شمس الدين ابن خلكان (- ٦٨١) وفيات الأعيان (في مواضع متفرقة) .
كمال الدين أبو الفتح موسى بن أحمد ابن خلكان (- ٧١٧) : نخائمه المختار
من وفيات الأعيان ، مخطوطة مكتبة وزارة شؤون الهند Loth : 705
انظر مقدمة الجزء الرابع من الوفيات : (ط) .
قطب الدين اليونيني (- ٧٢٦) ذيل مرآة الزمان (صفحات متفرقة في ج ١ ،
٢) (ط . حيدر آباد ١٩٥٥) .
أبو الفدا اسماعيل بن علي (- ٧٣٢) : المختصر في أخبار البشر ٤ : ١٧
(ط . القاهرة ١٣٢٥) .

١ ذكرت المصادر أن له ترجمة في تاريخ الخافظ قطب الدين (لعله اليونيني) وترجمة في معجم البرزالي وثالثة في تاريخ الشهاب محمود ورابعة في تاريخ الشيخ تاج الدين الفزاري ؛ كذلك لم أجد له ترجمة في ابن العديم رغم إشارة المصادر إلى أنه مذكور في تاريخ ابن العديم ولم أستطع الحصول على ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ، وقد وردت له ترجمة باللغة الانجليزية في أول الجزء الرابع من طبعة دي سلان ، تعتمد في الأكثر على ما جاء في وفيات الأعيان .

ابن أبيك الدواداري (بعد ٧٣٦) كثر الدرر ج ٨ ؛ تحقيق أولرخ هارمان
(ط . القاهرة ١٩٧١) .

شمس الدين الذهبي (٧٤٨ -) العبر في خبر من خبر ٥ : ٣٣٤ (ط . الكويت)
صلاح الدين الصفدي (٧٦٤ -) الوافي بالوفيات ٧ : ٣٠٨ تحقيق احسان
عباس (١٩٦٩) .

ابن شاكر الكتبي (٧٦٤ -) فوات الوفيات ١ : ١٠٠ تحقيق محيي الدين
عبد الحميد .

ابن شاكر الكتبي (٧٦٤ -) عيون التواريخ ، مخطوطة طوبقوسراي رقم
2922 / 21 ومخطوطة كوبريللي رقم ١١٢١ .

عبد الله بن أسعد اليافعي (٧٦٨ -) مرآة الجنان ٤ : ١٩٣ (ط . حيدر
آباد ١٣٣٩) .

تاج الدين السبكي (٧٧١ -) طبقات الشافعية ٥ : ١٤ (ط . الحسينية) .
جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي (٧٧٢ -) طبقات الشافعية ١ : ٤٩٦
تحقيق عبد الله الجبوري (بغداد ، ١٩٧٠) .

الحافظ ابن كثير (٧٧٤ -) : البداية والنهاية ١٣ : ٣٠١ (الطبعة الأولى ١٩٦٦)
الزركشي (٧٩٤ -) : عقود الجمان ، مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٣٤ .

ابن العماد (٨٠٨ -) شذرات الذهب ٥ : ٣٧١ .

ابن قاضي شهبة (٨٥١ -) طبقات الشافعية : ٢١٠ (نسخة الجامعة الاميركية
بيروت) .

بدر الدين العيني (٨٥٥ -) عقد الجمان ، مخطوطة جاز الله رقم ١٥٩١ .
ابن تغري بردي (٨٧٤ -) المنهل الصافي (مضمنة في الجزء الأول من
الترجمة الانجليزية لدي سلان) .

ابن تغري بردي (٨٧٤ -) النجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٣ .

جلال الدين السيوطي (٩١١ -) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
١ : ٥٥٥ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم (القاهرة ١٩٦٨) .

عبد القادر النعيمي (٩٢٧ -) الدارس في تاريخ المدارس ١ : ١٩١ تحقيق

جعفر الحسني (دمشق ١٩٤٨) .

ابن طولون (٩٥٣ -) : رسالة إنباء الأمراء بأنباء الوزراء . مخطوطة برلين

Ldg. 704

ابن طولون (٩٥٣ -) قضاة دمشق ص : ٧٦ تحقيق صلاح الدين المنجد
(دمشق ١٩٥٦) .

ابن القاضي (١٠٢٥ -) درة الحجال ١ : ٧ تحقيق محمد الأحمد أبو النور
(القاهرة ١٩٧٠) .

مرتضى الزبيدي (١٢٠٥ -) تاج العروس (مادة : بوك ، خلك) .

الخوانساري (١٣١٣ -) روضات الجنات : ٨٧ (ط . ايران ١٣٦٧) .

مخطوطة برلين رقم 9449 Spr. 61 (والراجح أنها نسخة من تاريخ ابن كثير) .

مقدمته في المؤلف وكتابه

١ - موطنه

حين سمى ابن المستوفي كتابه في تاريخ إربل : « نباهة البلد الخامل ومن ورد عليه من الأمائل » كان يعني بدقة ما يقول ، فان إربل - حيث ولد ابن خلكان - ظلت بلداً خاملاً لا يأخذ بأسباب النباهة إلا قبيل منتصف القرن السادس الهجري : وكان ابتداء نباهتها حين أصبحت ملكاً لرجل تركماني شديد القصر حتى عرف لشدة قصره بلقب كجك ، ذلك هو زين الدين علي بن بكتكين أحد رجال عماد الدين زنكي ، وقد أعطاه عماد الدين عدة مدن سوى إربل منها سنجار وحرّان وقلاع الهكارية^١ ، وكان زين الدين خبيراً عادلاً مفرط الذكاء والشجاعة ، وفياً بالوعد ، كثير السخاء والانعام ، وكان يبعث إلى البلاد التابعة له نواباً عنه ، فكان أول نائب له باربل مملوكه المعتق سرفتكين الارمني (- ٥٥٩) وقد بنى باربل وقراها مساجد كثيرة ، كما بنى مدرسة القلعة^٢ . وخلفه في النيابة باربل مملوك آخر لزين الدين هو أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني ، وكان رجلاً عادلاً كثير الخير والصلاح بنى باربل مدرسة وخانقاه وجعل لهما أحباساً كثيرة ؛ وهكذا أخذت إربل في ظلّ هذين الحاكمين العادلين تحرز شيئاً من التقدم والعمران .

ثم إن زين الدين تخلّى عن جميع ما كان بيده من البلاد وأعطاه لقطب الدين أتابك . ولم يستبق لنفسه سوى إربل ، وذهب إليها فتوفي فيها سنة

١ الباهر : ١٣٥ .

٢ الوفيات ٢ : ٢٣٩ ، ٢٣٧ .

٦٦٣ . وخلفه ابنه مظفر الدين كوكبوري وكان يومذاك في الرابعة عشرة من عمره ، وأتابكه مجاهد الدين قايماز ، ثم اختلف مجاهد الدين معه فنحاه عن الولاية ونصب بدله أخاه يوسف ، وخرج كوكبوري منها ، واستقر بحران ، ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين فزوجه أخته السب ربيعة خاتون ، وكان لكوكبوري مواقف كثيرة في حروب صلاح الدين ، فلما توفي أخوه يوسف (٥٨٦) عرض كوكبوري على صلاح الدين أن يتزل عما كان بيده من البلاد (الرها وحران وسميساط) ويأخذ بدلها لإربل ، فأجابه صلاح الدين إلى ذلك فعاد إليها في ذلك العام .

بدأ كوكبوري يبذل جهده في إصلاح البلد ومرافقه ، فبنى في إربل أربع خانقاهات للزمنى والعميان ، وخانقاهين للصوفية ، وثلاث دور : واحدة للأرامل وثانية للأيتام وثالثة للملاقيط ، وأنشأ بيمارستاناً وداراً للضيافة ومدرسة سميت باسمه (أي المدرسة المظفرية) لفقهاء الشافعية والحنفية وداراً للحديث ، هذا إلى سخائه بتوزن الخبز والمال على المحتاجين ، وتفقدته لهذه المرافق ورعايته لمن يحلّ فيها . ثم أراد بعد هذه الإصلاحات العمرانية أن يجعل لإربل قبلة للأنظار يقصدها الناس من جميع الطبقات ، فجعل مولد الرسول (ص) موسداً تمتد فيه الحفلات اثني عشر يوماً ، وقد وصف ابن خلكان طريقة احتفاله بذلك العيد وصفاً مسهباً ممتعاً لا حاجة بنا إلى إيراده في هذا المقام . وقد استطاعت هذه الجهود أن ترفع المستوى الثقافي بين أهل إربل وأن تجذب إليها العلماء والأدباء من مختلف النواحي .

كانت إربل في عهد كوكبوري قسمين : المدينة نفسها وقلعتها الحصينة ؛ وتقع المدينة في فضاء من الأرض واسع بسيط ، كما تقع القلعة في طرف منها ، وسور المدينة منقطع في نصفها . وكان في القلعة أسواق ومنازل للناس وجامع للصلاة ، وفي ربض القلعة مدينة عريضة بنى سورها وعمر أسواقها

١ الوفيات ٤ : ١١٤ - ١١٥ .

٢ الوفيات ٤ : ١١٧ - ١١٩ .

وقيساريته كوكبوري ؛ ويقول ياقوت الذي نقلت عنه هذا الوصف — وقد زارها في أيام كوكبوري — إن بنائها وطباعها بالقرى أشبه منها بالمدن ، وأكثر زروعها على القنيّ المستنبطة تحت الأرض وشربهم من آبارهم العذبة الطيبة المريثة ^١ .

وقد لاحظ الذين زاروا إربل أن كوكبوري رغم سخائه الكثير وصدقاته الغامرة وأعمال البرّ التي كان يقوم بها في إربل وغيرها ، كان عسوفاً كثير المصادرات ، يأخذ الأموال من غير حقّ له فيها ^٢ ، وذلك جانب لم يحاول ابن خلكان إبرازه في ترجمة كوكبوري ، لأنه كان مأخوذاً بما أفضله هذا الحاكم على بني خلكان وبما كان بينه وبين والد المؤلف من علاقة طيبة .

وقد توفرت لاربل في عهد كوكبوري جميع الخطط والدواوين والمصالح التي تتطلبها دولة مستقلة ، من ذلك :

١ — خطة الوزارة : وليها ولي الدين أبو الشاء محمود بن محمد الحرّاني ، ثم قبض عليه كوكبوري فخلفه فيها علي بن شماس منتقلاً إليها من ديوان الانشاء ، ثم حبسه مظفر الدين ومات في حبسه سنة ٦٢٢ ، وجاء بعده إبراهيم ابن علي بن أبي حرب الموصلّي ، ودام في هذا المنصب حتى سنة ٦٢٨ حين قبض عليه وعلى أولاده وسجنهم ، ولم يفرج عنهم إلا بعد وفاة المعظم ^٣ ؛ وكان آخر من تولّاها له أبو البركات ابن المستوفي ، أوائل سنة ٦٢٩ فاستبشر الناس بيمين طلعته ، ولكن عهده فيها لم يطل إذ توفي المعظم في السنة التالية .

٢ — خطة الحجابة : ومن أشهر من تولّاها أحمد بن عبد السيد بن شعبان الاربلي ثم تغير عليه الملك المعظم واعتقله مدة ، فلما أفرج عنه هاجر من اربل إلى بلاد الشام سنة ٦٠٣ (أو السنة التي تليها) ^٤ .

١ معجم البلدان (إربل) .

٢ انظر عقود الجمان ٦ : ٣٤ (في ترجمة ابن المستوفي) ٩ : ١٨٦ ومعجم البلدان (إربل) .

٣ عقود الجمان ٤ : ١ .

٤ الوفيات ١ : ١٨٤ وعقود الجمان ١ : ١٧٤ .

٣ - ديوان الانشاء : عمل فيه علي بن شماس ثم ابن المستوفي ، ثم أسعد بن ابراهيم النشابى ، وقد أصبح هذا الأخير ذا أمر ونهي كبير المتزلة بسيط الجاه نافذ القول وانتهى به الحال إلى أن قبض عليه مظفر الدين (٦٢٩) ١ .

٤ - ديوان الوقوف والاستيفاء : من أشهر من تولاه أبو البركات ابن المستوفي ، ولم يكن يأخذ أجراً ومع ذلك لم يسلم من المصادرة ، فان كوكبوري اعتقله في السجن وقيد به بغير ثقل وأخذ منه سبعة آلاف دينار مصادرة استدان بعضها ، والباقي حصله من مغلّ أملاكه ٢ .

٥ - ديوان المظالم : تولاه محمد بن الوزير محمود بن أبي الثناء وكان جريئاً مهيباً قبض عليه كوكبوري حين قبض على أبيه وأخوته (توفي ٦١٢) ٣ .

٦ - ديوان الارتفاع الخاص : وليه أبو البركات هبة الله بن أبي الحسن النصراني ، وكان ماهراً في الحسابات الديوانية والأحكام الخراجية (توفي ٦٢١) ٤ .

٧ - الاهراء والتصرف : وليها اسحاق بن معالي بن شماس ابن أخي الوزير علي بن شماس ، ثم رفع عليه مال جليل عجز عن أدائه فاعتقله السلطان وقيد ومات في سجنه (٦١٧) ٥ . ومن ولي التصرف يوسف بن ضوء ٦ ، وعبد الله بن عمر الاريلي وكان ماهراً في صناعة التصرف والحساب والمساحة ٧ .

٨ - دار الضرب : وليها عثمان بن ابراهيم الرصاصي ، وكان ينقش فيها سكك الدنانير وبقي على وظيفته حتى توفي الملك المعظم ٨ .

١ عقود الجمان ١ : ٥٢١ وله ترجمة في الجزء التاسع من الوافي .

٢ عقود الجمان ٦ : ٣٤ وما بعدها .

٣ عقود الجمان ٦ : ٣٧٤ .

٤ عقود الجمان ٩ : ٢٤٤ .

٥ عقود الجمان ١ : ٤٧٧ .

٦ عقود الجمان ١٠ : ٤٤٠ .

٧ عقود الجمان ٣ : ٣٠٥ .

٨ عقود الجمان : (ترجمة : عثمان بن ابراهيم الرصاصي)

٩ - كتابة الطغرة : تولاها هاشم بن عبد السلام بن يوسف الاربلي ،
ونال في وظيفته تمكناً ووجاهة وكثرت أمواله ^١ .

١٠ - خزانة السلاح : كان يتولاها أسعد بن أحمد أبوالمحاسن الاربلي ^٢ .

وليست هذه الخطط والوظائف إلا نماذج لما كان عليه تنظيم الدولة في عهد كوكبوري ، ولكن مما يلفت النظر أن الذين سلموا من عقابه ، ممن عملوا معه ، كانوا قليلي العدد ، وإن أكثرهم صودروا وعذبوا واعتقلوا ، فمنهم من مات في سجنه ، ومنهم من آثر الرحيل عن تلك المدينة عندما أطلق سراحه .

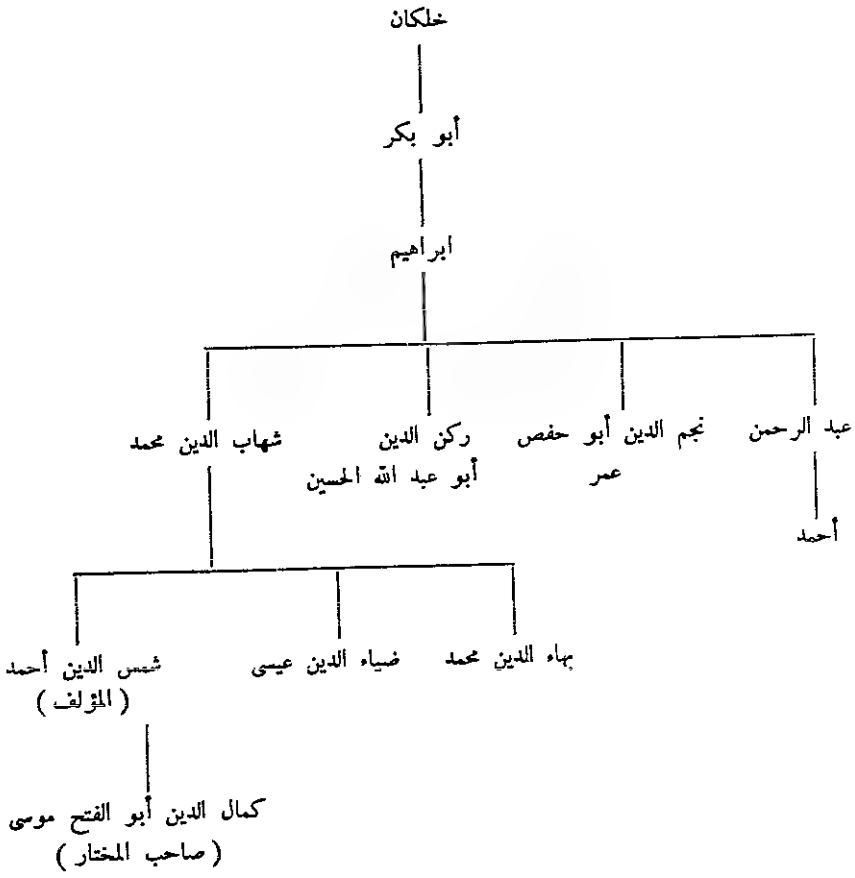
إلى هذه المدينة التي كان صاحبها لا يعظم أحداً تعظيمه للفقهاء والمحدثين والصوفية ، جاء الفقيه محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان ونزل في المدرسة المظفرية ، ووجد رعاية ومودة من مظفر الدين ، وفي تلك المدرسة ولد ابنه أحمد . موضوع هذه الدراسة . فشهد ذلك الابن جانباً من ذلك العهد الزاهر باربل ، وهاجر منها وهي لا تزال تعجّ بطلاب العلم والعلماء والتجار وطلاب العطاء . وبعد وفاة كوكبوري (سنة ٦٣٠) استولت عليها عساكر الخليفة المستنصر ^٣ ، ثم اجتاحتها التتر (٦٣٤) فخرّبوها وقتلوا أكثر أهلها ، ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى القلعة ^٤ ، وهكذا خفت ذلك اللأواء الذي لاح فترة من الزمن ؛ وعادت المدينة إلى سابق خمولها .

١ عقود الجمان ٩ : ١٨٦ .

٢ عقود الجمان ١ : ٤٩٨ .

٣ انظر التفصيل في ذلك في الحوادث الجامعة : ٤٤ - ٥٠ ، وقد تولى أمرها الأمير باتكين ، وقد نزل في دار الامارة التي كان يسكنها مظفر الدين ، وجعل المشرف فيها ابن المصطنع ، والكاتب ابن عبدان النصراني ، وعارض الجيش ابن عسكر الأنباري .

٤ الحوادث الجامعة : ٩٨ ، ١٠٩ .



٢ - أسركه

هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان بن باوك بن عبد الله ابن شاكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك .

وقد ضبط « شاكل » في نسبه بفتح الكاف^١ ، كما ضبط « باوك » بفتح الواو^٢ ، غير أن الزبيدي قال في التاج^٣ : « وبائك جد القاضي شمس الدين ابن خلكان ، ضبطه منصور بن مسلم هكذا » . وذكر الزبيدي ضبط « خلكان » بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة^٤ ، وقال النعيمي انه بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام ، معتمداً في ذلك على أنه رأى الاسم مضبوطاً كذلك بخط صاحب الوفيات نفسه^٥ وهذا هو المشهور في ضبط هذه اللفظة . غير أن الخوانساري أضاف إلى الضبطين السابقين ثالثاً فزعم أن الاسم بضم الخاء وفتح اللام المشددة « خَلْكَان » — كما أسند إلى المشهور^٦ — وقيل إن « خلكان » اسم قرية من عمل إربل^٧ ، وقد قطع ابن المستوفي الشك حين ذكر أن القرية انما سميت كذلك باسم جد الأسرة ، ونسبت إليه على طريق النسبة الكردية^٨ ، وثمة تعليل واه لاطلاق هذا الاسم عليه — على حسب الضبط الثاني « خَلْكَان » — فقد قيل « انه افتخر يوماً في مجلس كان له على بعض قرنائه بمفاخر آبائه الذين هم آل البرامكة الوزراء المشهورون فقيل له في ذلك خلّ كان ، بمعنى دع كان أبي كذا وجدتي كذا ونسبي كذا وحدثنا عما يكون في نفسك الآن »^٩ ، وهو تعليل واضح الافتعال وان

- ١ ابن طولون ، ٣٥ / أ والمنهل الصافي ؛ وجاء بخط ابن المؤلف « شاكِر » .
- ٢ ابن طولون والمنهل الصافي وهو بالواو بخط ابنه ، ووقع « بائك » خطأ في مقدمة الجزء الرابع .
- ٣ التاج (بوك) وانظر أيضاً (خلك) .
- ٤ التاج (خلك) .
- ٥ الدارس ١ : ١٩١ .
- ٦ روضات الجنات : ٨٧ .
- ٧ الاسنوي ١ : ٤٩٥ وخطأه ابن قاضي شهبة الورقة ٢١١ ، وانظر الشذرات ٥ : ٣٧٢ مع أن الاسنوي على صواب .
- ٨ تاريخ اربل : ٢٧٣ .
- ٩ روضات الجنات : ٨٧ ، ومختصر الوفيات لوجدي ابراهيم ، الورقة : ٦٤ .

كتّا لا نملك ما يوضح حقيقة هذه التسمية .

وقد أضاف صاحب روضات الجنات في نسبته لفظة « الهكاري » أي المنسوب إلى الهكارية ، وهي بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابني عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية^١ ؛ وهذه نسبة لم يذكرها أحد سواه فيما أعلم ، وقد قصد بها النسبة إلى المكان ، ولكن من الثابت أنّ المؤلف اربلي المولد ، ولم تكن لاربيل تعد واحدة من بلدان منطقة الهكارية ، وقد ترجم المؤلف في كتابه لعدد من الهكاريين فلم يشر أدنى إشارة إلى علاقة أسرهم بتلك المنطقة .

أما الذين قالوا إنه بلخي الأصل^٢ فقد قرنوا بين انتسابه إلى البرامكة وأن مدينة بلخ هي الموطن الذي كان يعيش فيه جدّهم برمك ، وكان يخدم النوبهار وهو معبد كان للمجوس بتلك المدينة^٣ ؛ وقد كانت النسبة إلى البرامكة قضية لا إشكال فيها في نظر المؤلف ، ولكنها لم تكن كذلك في نظر بعض معاصريه ، إذ يقال إنه سأل مرة بعض أصحابه عما يقوله فيه أهل دمشق ، فأخبره أنهم ينسبونه إلى الكذب في نسبه ، فكان جوابه على ذلك قوله « أما النسب والكذب فيه فاذا كان ولا بدّ منه فكنت أنسب إلى العباس أو إلى علي بن أبي طالب أو إلى أحد الصحابة ، وأما النسب إلى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم فرس مجوس فما فيه فائدة »^٤ . وقد كانت مشكلة النسب هذه ما تزال حية لدى من ترجموا له من مؤرخي القرن الثامن كالقبط اليوناني والصلاح الصفدي وابن شاكر والزركشي ، حتّى قال اليوناني : سمعت من يذكر إنما خرج له النسب إلى البرامكة أبو شامة^٥ . وحاول بعض هؤلاء المؤرخين أن يقوّي من هذه النسبة بالاعتماد على ما كتبه معاصرو

١ ياقوت : (الهكارية) .

٢ انظر مثلا ابن طولون : ٣٥ / أ .

٣ الوفيات ٦ : ٢١٩ .

٤ الصفدي ٧ : ٣١٣ وابن شاكر ، الفوات ١ : ١٠٢ والزركشي ١ : ٥٣ / أ .

٥ الصفدي ٧ : ٣١٣ .

المؤلف عنه أو عن أحد من أفراد أسرته ، فالصاحب شرف الدين ابن المستوفي صاحب تاريخ اربل ترجم لابن عم المؤلف ونسبه إلى البرامكة^١ ، وهذا لا يقوّي القول بهذه النسبة وحسب بل ينفي زعم من زعم أن أبا شامة هو الذي خرّج له هذا النسب ، ذلك لأن صلة ابن خلكان بأبي شامة ربما لم يكن لها وجود قبل عام ٦٥٩ (عام توليه القضاء بدمشق) وابن المستوفي توفي سنة ٦٣٧^٢ وألف كتابه قبل وفاته بعدة أعوام . كذلك فإن صاحب كمال الدين ابن العديم ذكر المؤلف في «تاريخ حلب»^٣ ونسبه إلى البرامكة^٤ .

وإذا صحّ أن ابن المستوفي نسب أسرة المؤلف إلى البرامكة فمعنى ذلك أنه كان نسباً معروفاً لهم في إربل وقراها ، قبل عهد المؤلف ، ولكن لدى مراجعة القطعة المتبقية من «تاريخ اربل» نجد ترجمة^٥ للفقير أبي حفص عمر ابن ابراهيم بن أبي بكر ابن خلكان^٦ . ولم يرفع في نسبه أكثر مما ذكرناه هنا ، ولم يتجاوز «خلكان» في ترجمة آخر^٧ ، ومن أقدم التراجم التي كتبها أحد معاصري المؤلف ، ترجمته في عقود الجمان لابن الشعار^٨ ، وقد رفع في نسبه إلى «مالك» ولم يزد ، كما أن هذا المؤلف نفسه ترجم لخلكاني آخر وقال فيه «من أبناء الأكراد»^٩ ، فقلوله «من أبناء الأكراد» قد يوحي بالسبب الذي جعله يتوقف في نسب ابن خلكان صاحب الوفيات عند جده «مالك» ، ولعلّ ابن الشعار لم يغيب عنه ما كان يقوله بنو خلكان

١ الصفدي ٧ : ٣١٣ ومعلوم أن تاريخ اربل لم يصلنا ، وكل ما لدينا فانه قطعة منه ، ولهذا لم نستطع أن نتثبت يقيناً مما قاله الصفدي .

٢ انظر الوفيات ٤ : ١٤٧ .

٣ راجعت نسخة طويقوسراي من بغية الطلب فلم أعثّر فيه على ترجمة لابن خلكان .

٤ الصفدي ٧ : ٣١٣ .

٥ تاريخ اربل : ٢٧٣ .

٦ تاريخ اربل : ٣٢٥ .

٧ ابن الشعار ١ : ٤٥٤ .

٨ ابن الشعار ١ : ٤٤٧ .

في نسبهم فقد عاش في إربل فترة من الزمن ، وانعقدت بينه وبين صاحب الوفيات من بعد صلة^١ حين التقيا في حلب ، لهذا فان سكوته عن ذكر النسب البرمكي مسألة تستدعي التأمل . أما ذكر ابن العديم لهذه النسبة فلعله إنما كان بتأثير المؤلف نفسه ، إذ يبدو أنه كان أيضاً على صلة بابن العديم ، أو لعلها ترديد^٢ لما كان شائعاً بين الناس عن هذه النسبة ، دون توقف أو محاسبة ؛ أياً كان الأمر فان الشك^٣ في نسبته لم يعد له وجود في المصادر التي جاءت بعد القرن الثامن ؛ فقد غطت شهرة كتابه على تلك المسألة الصغيرة .

غير أن قضية الانتساب إلى البرامكة تعدّ مسألة اعتبارية محضاً ، إذ صرح المؤلف لابنه موسى من بعد ، أن قبيلته التي ينتسب إليها من الأكراد هي القبيلة المعروفة بالزرزارية ، وجمع بين النسبة إلى الكرد والنسبة إلى البرامكة دون تردد^٤ ؛ ومن المشهور أن البرامكة فارسيون ، فهل معنى ذلك أن الكرد - في رأي المؤلف - يرجعون إلى أصول فارسية ؟ . والجواب على هذا السؤال يكمن في اضطراب الانساب الكردية ، وانتماء كثير من القبائل الكردية إلى أصول متباعدة لا رابطة بينها^٥ . وعندما يزيد قليلاً على نصف قرن من وفاة المؤلف كان العمري يقول في أكراد زمانه « إن الأكراد وإن دخل في نوعهم كل جنس ... فإنهم جنس خاص من نوع عام^٦ » فاذا تحدث عن الزرزارية أعاد إلى الذهن ذلك الربط بينهم وبين الفرس فقال : « الزرزارية : هي كلمة عجمية معناها ولد الدئب ويقال أنهم ممن تكرّد من العجم المنسوين إلى ملوكهم^٧ » .

وتجمع المصادر التي نوهت بذكر الأسرة تعميماً على أن بيت بني خلكان كان مشهوراً بالفقه والعلم عامة ، وربما كان تميز أفراد تلك الأسرة بالفقه

١ انظر مقدمة الجزء الرابع من الوفيات : ط .

٢ انظر في ذلك صفحات متفرقة في شرفنامه للبديهي .

٣ المسالك ٢ : ٣٠٠ .

٤ المسالك ٢ : ٣٠٥ - ٣٠٦ وصبح الأعشى ٤ : ٣٧٦ .

خاصة أوضح من أي شيء آخر ، ويروي المؤلف أن جده أبا بكر ابن خلكان كان من تلامذة أبي اسحاق الشيرازي في الفقه ، وأنه أول شخص من الأسرة ذهب في هذا الاتجاه وتوفي سنة ٥٢٥ وقد ناهز التسعين من عمره^١ . ومع ذلك فإن المصادر لم تذكر شيئاً عن ما أحرزه أبناء تلك الأسرة من شهرة علمية قبل ظهور أبناء « ابراهيم بن أبي بكر » وهو الجلد المباشر للمؤلف ، أي أن تلك الشهرة العلمية لا ترتفع إلى ما قبل القرن السادس الهجري ، على أي حال .

وقد عرفنا من أبناء ابراهيم أربعة هم : عبد الرحمن ونجم الدين أبو حفص عمر وأبو عبد الله أو أبو يحيى الحسين ركن الدين ، وشهاب الدين محمد . أما عبد الرحمن فلم تترجم له المصادر وإنما ورد اسمه في ترجمة ابنه أحمد^٢ .

وأما الفقيه نجم الدين أبو حفص عمر بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان فإنه كان مدرساً بالمدرسة المجاهدية باربل ، وكان مظفر الدين صاحب اربل ينفذه إلى مكة لتوزيع الصدقات ، والاتفاق على قنوات أنشأها هنالك تحت جبل عرفات ليشرب منها الحجاج ، وغير ذلك من أمور البر ، ومن أساتذته ابن أبي الضيف التميمي ، وله اجازة من أبي أحمد عبد الوهاب بن علي وأبي الفرج ابن كليب الحراني وابن أبي الكرم البغدادي ، توفي باربل سنة ٦٠٩ ودفن بمقبرتها العامة^٣ .

وأما الحسين بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان^٤ فكان فقيهاً عالماً عارفاً

١ مقدمة الجزء الرابع : ط .

٢ ابن شمار ١ : ٤٤٧ أحمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان بن باوك ابن عبد الله بن شاكل ، الاربلي الأصل ، من أبناء الأكراد ، ومن بيت فقه وعلم ، شاب قصير يتزيا بزي الأجناد . أخبرني أنه ولد بالجزيرة العمرية يوم الخميس آخر النهار ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ولم يكن عنده ما عند أهله من الفقه (ثم أورد له نموذجين من شعره) .

٣ تاريخ اربل : ٢٧٣ وانظر الاسنوي ١ : ٤٩٥ والسبكي ٥ : ١٣٠ .

٤ تاريخ اربل : ٣٢٥ والاسنوي ١ : ٤٩٥ وذكر أن وفاته كانت سنة ٦٢٣ .

بمذهب الشافعي كثير تلاوة القرآن ، له سمت حسن ووقار ، سمع من يحيى ابن محمود بن سعد المكي كتاب الحجة في بيان المحجة ؛ وكتاب « شرح مذهب السلف » جمع أبي القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل ، وكان به مرض بقي عدة سنين ثم برأ منه ، وتوفي بإربل سنة ٦٢٢ ودفن بالمقبرة العامة شرقي البلد .

ورابع الاخوة شهاب الدين محمد هو والد أحمد الذي عرف من بعد بكتابه وفيات الأعيان ؛ ولد محمد في حدود سنة ٥٥٧ ورحل في طلب الحديث إلى الشام ومصر والحجاز والعراق ، وتفقه بالموصل ، وكان من أساتذته فيها عماد الدين ابن يونس بن منعة ، قرأ عليه - فيما قرأ - كتاب الوسيط للغزالي ، ويذكر حفيده موسى أنه رأى نسخة من هذا الكتاب عند والده أحمد وعليها خط ابن منعة بأن (شهاب الدين) قرأه عليه قراءة اتقان ومعرفة^١ وتفقه أيضاً ببغداد على ابن فضلان وعيّن معيداً بالمدرسة النظامية بعد مدة من تعيين ابن منعة في ذلك المنصب ، ثم عاد إلى الموصل وأقام فيها أربع عشرة سنة ، وفي خلال تجوّله في الطلب والاشتغال بالعلم كوّن صداقات كثيرة ، فكان من أصدقائه ابن الأثير المؤرخ وأخوه ضياء الدين وبهاء الدين المعروف بابن شدّاد وغيرهم ، وقد كانت هذه الصداقات مفيدة لابنائه من بعد وخاصة لابنه أحمد . وبعد الإقامة الطويلة بالموصل انتقل إلى إربل وأحرز مكانة عند صاحبها مظفر الدين كوكبوري وصار مشاراً إليه في الفتوى ومدرساً بالمدرسة المظفرية ، وفيها أدركته وفاته في ٢٢ شعبان سنة ٦١٠ هـ^٢ .

وقد تزوج شهاب الدين امرأة من الموصل تدعى آمنة كان أبوها شيخاً للطائفة الحنفية بالموصل ولقبه شمس الدين^٣ ، وهي ترجع في نسبها إلى خلف بن أيوب صاحب الإمام أبي حنيفة^٤ . وقد رزق شهاب الدين من

١ الوفيات ج ٤ : الحاشية رقم : ١

٢ الاسنوي ١ : ٤٩٦ .

٣ مقدمة الجزء الرابع : ط ، وقد ترك موسى بياضاً بعد لفظة شمس الدين لذكر الاسم .

٤ مقدمة الجزء الرابع : ط والمنهل الصافي ؛ وخلف بن أيوب بلخي أيضاً ؛ قيل أنه توفي سنة ٢١٥ وقيل سنة ٢٢٠ (انظر الجواهر المضية ١ : ٢٣١ - ٢٣٢) .

زوجته آمنة ثلاثة أولاد^١ وهم : محمد الملقب ببهاء الدين ، وعيسى ضياء الدين ، وأحمد شمس الدين .

أما محمد فقد ولد سنة ٦٠٣ وتوفي في ١٤ رجب سنة ٦٨٣ ببعلبك وهو يتولى قضاءها ، ودفن بتربة الشيخ الكبير عبد الله اليوناني^٢ .

وقد ذكر المؤلف أخاه ضياء الدين عيسى في معرض حديثه عن الحاجري الشاعر ، وذكر أنه كانت بين الاثنين صداقة متينة ، ومن إشارته هذا عرفنا أيضاً أن ضياء الدين كان ما يزال باربل سنة ٦١٩^٣ . ويشير المؤلف أيضاً إلى أن أحد هذين الأخوين كان قد سبقه إلى الهجرة من اربل ونزل حلب . ليدرس فيها على علمائها ، ومنهم بهاء الدين المعروف بابن شداد^٤ ، ولكنه لم يبين أي الأخوين يعني ، ومن العسير الترجيح في ذلك .

٣ - سيرة حياته

وكان أحمد أصغر الاخوة الثلاثة - على الأرجح - إذ أنه ولد بالمدرسة المظفرية التي كان أبوه يدرس فيها - بمدينة اربل - يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٨^٥ ولم يكن قد أكمل السنة الثانية من عمره حين فقد أباه ، ولكن ذلك الوالد كان حريصاً على أن يتجه ابنه في الطريق العلمية ، ولذلك استدعى له الاجازات من العلماء المشهورين في عصره - حسبما كان العرف جارياً يومئذ - فنال الطفل اجازة من زينب بنت الشعري كتبها في بعض شهور سنة ٦١٠^٦ ، وكانت هي قد تلقت العلم عن جماعة من أعيان العلماء رواية واجازة ، ومنهم عبد الغافر الفارسي

١ هؤلاء هم الذين ورد لهم ذكر في المصادر .

٢ عيون التواريخ (الورقة : ١٢٩) حوادث سنة ٦٨٣ ، نسخة طوبقوسراي .

٣ الوفيات ٣ : ٥٠٢ .

٤ الوفيات ٧ : ٩٠ .

٥ الوفيات ٢ : ٣٤٤ مقدمة الجزء الرابع : ط وفيها « وقت أذان العصر » والمنهل الصافي .

٦ الوفيات ٢ : ٣٤٤ .

صاحب السياق والزنجشري ، وغيرهما ، فكان لأحمد من بعد حقّ الرواية لما روته عن أولئك الأعلام أو أجازوه لها . واستدعى له والده أيضاً اجازة أخرى من أبي الحسن المؤيد بن محمد رضي الدين التيسابوري فكتب إليه بالاجازة من خراسان في جمادى الآخرة سنة ٦١٠ أيضاً ^١ .

ولقد كان من السهل أن تختلّ كل تلك الترتيبات التي اتخذها الوالد ، إذ يترك أولاداً صغاراً عاجزين لا عن متابعة العلم وحسب ، بل عن السعي في طلب الرزق ، لولا تلك الصداقة المتينة التي كانت تربط بين شهاب الدين وكوكبوري صاحب إربل ، فقد تولى رعاية أبناء صديقه بعد وفاته ، وإلى هذه الرعاية أشار المؤلف - من بعد - بقوله في ترجمة مظفر الدين : « وليعذر الواقف على هذه الترجمة ففيها تطويل ، ولم يكن سببه إلا ما له علينا من الحقوق التي لا نقدر على القيام بشكر بعضها ولو عملنا مهما عملناه ، وشكر المنعم واجب ، فجزاه الله أحسن الجزاء ، فكم له علينا من الأيادي ولاسلافه على أسلافنا من الأنعام ، والإنسان صنّيعه الاحسان » ^٢ . ولهذا استطاع أحمد أن ينصرف إلى طلب العلم في إربل ، وكان أحمد بن كمال الدين بن منعة قد خلف والده شهاب الدين في التدريس بالمظفرية سنة ٦١٠ (وصل إليها في أوائل شوال من ذلك العام) ، وكان شرف الدين ابن منعة من أوائل الأساتذة الذين تلقى أحمد العلم منهم ، إذ كان يحضر دروسه وهو صغير ، فما سمع أحداً يلقي الدروس مثله ، وكان لهذا الأستاذ أثر بالغ في نفس ذلك الفتى حينئذ ، ولشدة تأثيره به قال : « ولقد كان من محاسن الوجود ، وما أذكره إلا وتصغر الدنيا في عيني » ^٣ ؛ ومع ذلك فإنه لم ينس أن هذا الأستاذ العظيم في نفسه استعار من أسرته (بني خلكان) كتاب التنبيه ليشرحه ، فوجد على حواشي النسخة التي استعارها تعليقات كثيرة بخط الشيخ رضي

١ الوفيات ٥ : ٣٤٥ .

٢ الوفيات ٤ : ١٢٠ .

٣ الوفيات ١ : ١٠٩ .

الدين الجيلي الشافعي : فلم يتورع عن نقل تلك الحواشي وإدراجها في شرحه و اضافتها إلى نفسه ^١ .

وكان أكبر مجال ثقافي لأحمد بمدينة اربل — بعد المدرسة المظفرية — هو مجلس أبي البركات شرف الدين ابن المستوفي الذي لم يكن يدع أحداً من الفضلاء يصل اربل إلا ويبادر إلى اكرامه ، ولهذا كان منزله مألفاً لجميع الغرباء الذين يقصدون تلك المدينة . وقد شهد ياقوت بذلك حين قال وهو أحد من قصدها — « ودخلتها فلم أر فيها من ينسب إلى فضل غير أبي البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب ، يعرف بابن المستوفي ، فانه متحقق بالأدب ، محب لأهله مفضل عليهم ... » ^٢ ووصفه ابن الشعار أحد من امتاحوا فضله بقوله : « شمس اربل وبدرها وعالمها البارع وصدرها وفخر أمائلها وجمال فضائلها ... ربه مقصد الوافدين وخبأؤه كعبة القاصدين . فهو من إسداء المعروف وسعة الانفاق ما سارت به الأمثال في أقطار الآفاق ... ولم يزل في منزله ملازماً مطالعة الكتب والنسخ والتأليف إلى أن هجم التار الملاعين على اربل » ^٣ ، فلا عجب إذا اتخذ أحمد دار ابن المستوفي محجته لطلب العلم ، فسمع منه كثيراً ، وسمع بسماعه على المشايخ الواردين على تلك المدينة . فانه كان يعتمد القراءة بنفسه ^٤ ولم ينس وهو في حدود الحادية عشرة من عمره (٦١٨) حادثة الاعتداء على ذلك الرجل العالم ، ووثوب شخص عليه وطعنه بسكين قاصداً قتله ^٥ .

وقد اخترنت ذاكرته من تلك الفترة باربل ذكريات مختلفة . منها حادثة رجل حضر سماعاً قبل سنة ٦٢٠ والمغني فيه الشجاع بن جبريل ، فغنى الشجاع قصيدة لسبط ابن التعاويذي مطلعها :

١ الوفيات ١ : ١٠٩ .

٢ معجم البلدان : (اربل) .

٣ عقود الجمان ٦ : ٣٥ - ٣٧ .

٤ الوفيات ٤ : ١٤٧ .

٥ المصدر السابق : ١٤٩ .

سقاك سار من الوسمي هتان ولا رقت للغواي فيك أجفان
وكيف أن أحد الحاضرين وقع عندما سمع الغناء ، فظنه الناس مغنىً عليه ، وإذا هو قد فارق الحياة ^١ ، وتلك كانت بداية تعرفه إلى شعر سبط ابن التعاويذي الذي أصبح فيما بعد نموذجاً للشعر الرائع في نظره ، وكذلك ظلّ يذكر ما كان يردده الناس من أن ابن عم لابن المستوفي نقل كتاب « نصيحة الملوك » للغزالي من الفارسية إلى العربية ^٢ ؛ وربما كان اهتمامه بذلك لأهمية المؤلف من ناحية وبلحالة ما أقدم عليه المترجم من ناحية أخرى . وهو يحدثنا أنه سمع في بعض شهور سنة ٦٢١ صحيح البخاري على أبي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم الصوفي البغدادي بحق سماعه من أبي الوقت السجزي ^٣ فابن المكرم الصوفي على هذا الاعتبار واحد من أساتذته في هذا الدور المبكر ، ولكنه يذكر أن ابن المكرم توفي في شهر المحرم من تلك السنة (أي في أوائل العام المذكور) ولعلّه سها هنا عن تدوين التاريخ بدقة ، وربما كان سماعه منه في شهور السنة السابقة (٦٢٠) . وفي سنة ٦٢٣ ورد ابن عنين الشاعر الدمشقي إلى مدينة اربل رسولاً من الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق ، وراه أحمد ، ولكنه لم يأخذ عنه شيئاً ، وربما كان سبب ذلك قصر المدة التي قضاها ابن عنين بتلك المدينة ^٤ ؛ وكان أحمد في هذه الأثناء كثير التردد من اربل إلى الموصل ، حتى انه زار هذه المدينة الثانية أكثر من عشر مرات ، وكان نصر الله ابن الأثير مقيماً بالموصل ، وكان أحمد يعرف ما بينه وبين والده من صداقة ويجب لو يتاح له الاجتماع به في بعض سفراته ليأخذ عنه ، ولكن التوفيق لم يحالفه في ذلك ^٥ ولعله حمد - في سره - ما قدرته الظروف ، إذ لا ريب أنه كان يسمع عن ما يتمتع به ضياء الدين من خيلاء شديدة ، تحول دون أن يلقاه فتى ناشئ ولو كان من أبناء أصدقائه .

١ الوفیات ١ : ٣١٧ - ٣١٨ .

٢ الوفیات ٤ : ١٥١ .

٣ الوفیات ٣ : ٢٢٦ .

٤ الوفیات ٥ : ١٥ .

٥ الوفیات ٥ : ٣٩١ .

وكان أحمد في تعطشه إلى العلم - في هذه الفترة الاربلية - لا يستطيع أن يعتمد كثيراً على ما تهيشه اربل وبيتها المحلية من فرص ، ولذلك كان أكبر همه أن يلقي الوافدين إليها ويأخذ عنهم ، وقد أتيح له أن يلقي الشيخ جمال الدين ابن السنينيرة الشاعر ، فانه نزل عندهم بالمدرسة المظفرية ، وكان مجلسه مجعماً لمحبي الأدب ، حيث تجري بينهم محاضرات ومذاكرات لطيفة^١ ، كان من أثرها أن قوّت الميل إلى الاتجاه الأدبي لدى الفتى أحمد ، وكان من الوافدين على اربل عام ٦٢٥ (واستمرّ في العام الذي يليه) الشيخ أثير الدين المفضل بن عمر الابهري صاحب التعليقة في الخلاف والزيج ، قادماً إليها من الموصل ، فنزل بدار الحديث ، فانتهر أحمد هذه الفرصة ، وأخذ يدرس عليه الخلاف . وذات يوم كان في حضرة أستاذه إذ دخل عليه بعض فقهاء بغداد ، وأخذوا يتحدثان في شئون مختلفة ، ووصل الحديث بهما إلى كمال الدين ابن يونس فقال الأثير لمحدثه : لما حجج الشيخ كمال الدين ودخل بغداد كنت هناك ؟ فقال نعم ، فقال : كيف كان اقبال الديوان العزيز عليه ؟ فقال ذلك الفقيه : ما أنصفوه على قدر استحقاقه ؛ فأبدى الأثير تعجبه من ذلك وقال : والله ما دخل إلى بغداد مثل الشيخ ، ودهش الفتى ابن خلكان لهذا القول وظن أستاذه يغالي في الثناء على كمال الدين فقال له : يا سيدنا كيف تقول هذا ؟ فأجابه أستاذه مطمئناً بقوله : يا ولدي ، ما دخل إلى بغداد مثل أبي حامد الغزالي والله ما بينه وبين الشيخ (كمال الدين) نسبة^٢ .

وكان من أبرز الوافدين إلى اربل أبو الخطاب ابن دحية ، ولما رأى هذا المحدث الأندلسي اهتمام مظفر الدين كوكبوري بالاحتفالات التي تقام كل عام بمناسبة المولد النبوي ، ألف له كتاباً سمّاه « التنوير في مولد السراج المنير » ؛ وقد سرّ مظفر الدين بالكتاب ، وأخذ يقرؤه على الناس ، ليرووه عنه . وقد قرأه ابن خلكان على مظفر الدين في شهر شعبان سنة ٦٢٦^٣ .

١ الوفيات ١ : ٣١٥ .

٢ الوفيات ٥ : ٣١٣ .

٣ الوفيات ١ : ٢١١ - ٢١٢ .

ولكن لا نظن أن ابن خلكان أكن احتراماً كبيراً لابن دحية ، فقد كان في آخر كتابه قصيدة مطلعها :

لولا الوشاة وهمُّ أعداؤنا ما وهموا

وقد «أوهم» ابن دحية أهل اربل أنها من نظمه ، ولكن حين اتسع اطلاع الفتى ابن خلكان وجدها في ديوان الأسعد ابن مماتي ، فصحّ لديه ما كان ينسب لابن دحية من الكذب ، وان كان تخرجه المتأدب يمنعه من التصريح بالسافر بذلك^١ .

كان أحمد قد تجاوز الثامنة عشرة بقليل حين عقد النية على أن يغادر اربل طلباً للعلم ، ولم يكن يقدّر وهو يرتحل عنها أنه لن يعود إليها من بعد ، وكان أحد أخويه في صحبته في تلك الرحلة ؛ وكان اعتماده — بعد التعاون المشترك بينه وبين أخيه في مواجهة ظروف الحياة — على شيئين : كتب توصية حملها من صديق الأسرة ، حاكم اربل ، مظفر الدين كوكبوري ، ووفرة أصدقاء والدهما في المدن التي سيحلان فيها ؛ وتلقتهما الموصل ، وأخذ أحمد يتردد إلى خدمة كمال الدين موسى بن يونس بن منعة لما كان بينه وبين والده من الموانسة والمودة الأكيدة^٢ ، وقد تردد إليه عدة مرات في شهر رمضان سنة ٦٢٦ ، بينا سبقه أخوه في طريقه إلى حلب ، ولكنه لم يستطع أن يتتلمذ عليه ، رغم إعجابه الشديد به ، إذ كانت حلب لا الموصل حيثئذ هي مطمح أنظاره ، ولكنه أضمر في نفسه انه إن قدّر له أن يتزوج وأن يرزق ولداً ، فانه سيسمي ذلك الولد «موسى» ، تيمناً باسم ذلك الأستاذ العظيم ، ذي المكانة الكبيرة في نفسه^٣ . ورغم أن إقامته في الموصل لم تطل فانه اجتمع فيها إلى بعض الأدباء ، وبدلّ تسجيله لبعض ما سمعه منهم في

١ الوفيات ١ : ٢١١ - ٢١٢ وقد تعقبه من بعد على نحو مباشر لأنه أخطأ فعد الوزير يحيى بن هبيرة من نسل الوالي الأموي عمر بن هبيرة « ومثل ابن دحية لا يعدر فقد كان حافظاً ومظلاً على أمور الناس » (٦ : ٢٤٣) .

٢ الوفيات ٥ : ٣١١ .

٣ الوفيات ٥ : ٣١٧ .

تلك الرحلة السريعة على شغفه - في دور مبكر - بتقييد كل ما يعتقد فيه فائدة علمية^١ ، وواصل سفره إلى حلب فمرّ في طريقه إليها بمدينة حرّان (في شوال سنة ٦٢٦) وكان الملك الكامل الأيوبي هنالك ومعه العساكر المصرية وهو يكشف أحوال المدينة ويرتب أمورها^٢؛ وفي مستهل ذي القعدة من ذلك العام (٦٢٦) دخل مدينة حلب^٣ ، ومنذ حلوله في تلك المدينة تبدأ أخصب فترة في حياته من حيث تلقي العلم على الشيوخ المشهورين ، فقد كانت حلب بفضل القاضي بهاء الدين ابن شداد تشهد نشاطاً تعليمياً كبيراً ، ذلك أن هذا القاضي الذي كان صديقاً لصلاح الدين ، كان قد أصبح منذ سنة ٥٩١ قاضياً ومستشاراً للملك الظاهر ابن صلاح الدين ، فبدأ بفتح المدارس وتحبّس الوقوف عليها ، فعمر مدرسة قبالة المدرسة النورية (٦٠١) وبني داراً للحديث ، وأصبحت المدينة بفضل جهوده مقصداً للفقهاء وطلاب العلم الذين كانوا يجدون المأوى والنفقة الجارية^٤ .

وكان من حسن حظ أحمد وأخيه أن كان ابن شداد صديقاً لوالدهما منذ عهد الاشتغال بمدينة الموصل ، وكانا يحملان إليه كتاب توصية من كوكبوري جاء فيه « أنت تعلم ما يلزم من أمر هذين الولدين ، وأنهما ولدا أخي وولدا أخيك ، ولا حاجة مع هذا إلى تأكيد وصية »^٥ . ورعاية لحق الصداقة ومكانة الموصي ، تلقاهما ابن شداد بكل ترحيب وأنزلهما في مدرسته ، وقرّر لكل منهما مرتباً عالياً يساوي مرتب الطلبة الكبار ، رغم حداثة سنيهما .

ولم يكن ابن شداد يقوم بمهمة التدريس في ذلك الوقت لكبر سنه ، وإنما كان قد رتب في مدرسته أربعة معيدين يشغل الطلاب عليهم . فبدأ أحمد وأخوه يقرءان على بلديتهما ورفيق والدهما أيضاً الشيخ جمال الدين أبي بكر

١ انظر مثلاً الوفيات ٧ : ٩٨ ، ٤ : ١٦١ .

٢ الوفيات ٥ : ٨١ ، ٣٣٢ .

٣ الوفيات ٦ : ١٣٩ ، ٧ : ٤٨ .

٤ الوفيات ٧ : ٨٩ - ٩٠ .

٥ الوفيات ٧ : ٩٠ .

الماهاني ، ولكن هذا الشيخ توفي بعد سنة من اقامتهما بحلب ، فأخذ أحمد يردد إلى الشيخ أبي عبد الله ابن الحجاز الموصلّي الفقيه ، وهو إذ ذاك يدرّس بالمدرسة السيفية ، فقرأ عليه كتاب « الوجيز » للغزالي وبلغ فيه حتى « باب الاقرار »^١ ، وبالحملة قرأ عليه صدرأ صالحاً من فقه الامام الشافعي وتميز فيما قرأ عليه^٢ .

وفي أثناء ذلك كان ابن شداد يعقد مجالس الحديث في داره ، وخاصة تلك المجالس التي كان يعقدها عقب صلاة الجمعة ، وكان رجلاً حسن المحاضرة ، تجري في مجالسه الفوائد الكثيرة ، إلا أن الكبر كان قد أوهنه بحيث أصبح « كفرخ الطائر من الضعف » وأخذ جسمه يعجز عن تحمل البرد ، فكان دائماً يجعل في غرفته منقلاً كبيراً تؤجج فيه النار ، وقد تدثر بالثياب الثقيلة ، والطلاب من حوله في كرب وضيق لشدة الحر^٣ ؛ وإذا كان أحمد لم يدرك ابن شداد في السن التي يمكنه فيها أن يفيد منه فائدة كبيرة ، فانه أفاد كثيراً من مجلسه الحافل بشتى أنواع الفوائد ، وفي ذلك المجلس تعرّف إلى عدد كبير من علماء المدينة وأدبائها ، وتعرف إلى عدد آخر من طلاب العلم ، وانعقدت بينه وبين بعضهم صداقات متينة .

وكان الأساتذة المذكورون قادرين على تخريج الطلاب في علوم الفقه والحديث ، ولكن حرص ابن خلكان على دراسة اللغة والنحو جعله يتجه إلى أستاذ آخر ، كان يعد في عصره شيخ الجماعة في الأدب ، وذلك هو موفق الدين ابن يعيش ، وكان يقرىء بعد العصر بجامع حلب في المقصورة الشمالية منه ، وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية ، وكان قد التف حوله جماعة من الطلبة المتميزين لا يفارقون دروسه ، فأخذ أحمد في القراءة عليه ، وابتدأ بكتاب اللمع لابن جني ، وأواخر سنة ٦٢٧ ، ولكنه أكمل الكتاب على غيره لأسباب اقتضت ذلك . وفي الوقت نفسه كان يستمع لدروس من يحضر

١ المصدر السابق .

٢ عقود الجمان ١ : ٤٥٥ .

٣ الوفيات ٧ : ٩١ .

عنده ، وقد أعجبت في ذلك الأستاذ خفة روحه ، وصبره الطويل في التفهم ،
للمبتدئين والمنتهين على السواء ، وسجل من نوادره وظرفه صوراً حية عندما
ترجم له ^١ .

ومنذ أن حلّ ابن خلكان مدينة حلب ، جعل همه أن يلقي المؤرخ
عز الدين ابن الأثير ، وكان حينئذ يقيم في تلك المدينة في صورة الضيف عند
الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم أتابك الملك العزيز صاحب حلب ،
وجعل يتردد إليه طوال إقامته في تلك المدينة ، وابن الأثير يرعاه رعاية
خاصة ، لعلاقة وثيقة كانت بينه وبين والده ، وانقطع تردده إليه حين
سافر ابن الأثير إلى دمشق سنة ٦٢٨ ، فلما عاد إليها ، عاد ابن خلكان يلزمه
غير أنه لم يقيم طويلاً وسافر إلى الموصل ^٢ ، ومن هذه العلاقة على قصرها
نجد أنه يتحدث عن ابن الأثير بكثير من الاجلال ، ويعده أحد شيوخه . كذلك
فانه يعد عبد اللطيف موفق الدين البغدادي من شيوخه ، ولا بد أن نفترض
أنه لقيه بحلب ، إذ نزلها عبد اللطيف في أواخر رمضان سنة ٦٢٦ - أي قبل
مقدم ابن خلكان بقليل ، وأقام بها مدة والناس يشتغلون عليه ، وشهاب الدين
طغريل الأتابك يرعى جانبه ، وكان يتردد إلى جامع حلب ويسمع الحديث
ويقرئ العربية ^٣ .

وكان هناك أستاذ آخر يعقد حلقة التدريس بجامع حلب في المقصورة
الشرقية المشرفة على صحن الجامع قبالة المقصورة التي يصلي فيها قضاة حلب
يوم الجمعة ، ذلك هو الأستاذ ابن الجبرائي ، وكان استاذاً متضلعا من علم
اللغة ، ولكن ابن خلكان لم يدرس عليه وإنما اتبع له أن يتسقط بعض حديثه
وهو جالس في قبالة تلك المقصورة ، إلا أنه صادف من بعد عودته من دمشق
أحد تلامذة الجبرائي وهو أبو المحاسن الشواء ؛ أقول : بعد عودته من دمشق ،

١ ترجمته في ج ٧ : ٤٦ وانظر بخاصة : ٤٨ .

٢ الوفيات ٣ : ٣٤٩ .

٣ ابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٠٧ - ٢٠٨ وانظر الوفيات ٦ : ٧٦ حيث يقول المؤلف عند ذكر
عبد اللطيف « شيخنا » .

لأن فتر دراسته في حلب لم تستمر مطردة ، بل ارتحل منها ، وربما كان لوفاة ابن شداد (١٤ صفر ٦٣٢) أثر مباشر في ازمائه الانتقال منها . وتوجه إلى دمشق ، فأقام فيها عاماً كاملاً ، دخلها في شوال سنة ٦٣٢ للاستغال على الشيخ ابن الصلاح ، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه ، وكان يدرس بالمدرسة الرواحية ودار الحديث بدمشق ومدرسة ست الشام ، ويقوم بوظائف الجهات الثلاث من غير اخلال بشيء منها ^١ . ولا يحدثنا ابن خلكان عن المواد التي درسها على ابن الصلاح ، وان كنا نستطيع أن نقدر أن الحديث كان أهمها ، إلا أنه يقرّ بأنه كان أحد أشيائه الذين انتفع بهم .

وقد اتيح لابن خلكان أن يرى الملك الكامل والملك الأشرف في دمشق (٦٣٣) وهما يركبان معاً ويلعبان معاً بالكرة في الميدان الأخضر الكبير في شهر رمضان من ذلك العام ، ويرى تأدب كل واحد منهما مع الآخر ^٢ ، ولعله في هذه الفترة رفع قصيدة إلى الملك الكامل يمدحه بها ، ومطلعها :

هوى بين أحناء الضلوع مخامر وفرط غرام أضمرته السرائر
وفيها يقول في مدحه :

لقد خذل الباغين منصور جيشه ولكنه للدين في الله ناصر
فردّ وجوه الروم سوداً ببيضه فعاد بأحزاب الصغار الأكابر
وفي سمره حممر المنايا فمن سطا ثعالبها تخشى الليوث الخوادر

ولست هذه أولى محاولاته الشعرية ، بل كان كثيراً ما يجرب قريحته بنظم الشعر ، مثلما كان يعود ذاكرته — إلى جانب دراسة الأصول الفقهية وغيرها — حفظ الأشعار الرقيقة ^٣ . وقد لقي وهو بدمشق عدداً من طلاب العلم والعلماء . كان من بينهم رجل فاضل في علوم الرياضة أشكلت عليه

١ الوفیات ٣ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

٢ الوفیات ٥ : ٣٣٣ .

٣ عقود الجمان ١ : ٤٥٥ .

بعض المسائل الرياضية فكتب جميعها في درج وأرسلها إلى ابن منعة بالموصل ليحلّها له، فأجابه بجواب غاية في التواضع بعد أن حلها جميعاً، مما جعل الرجل يقول لابن خلكان « ما سمعت مثل هذا الكلام إلا للأوائل المتقنين لهذه العلوم، ما هذا من كلام أبناء هذا الزمان »^١. ومن أولئك محمود الحصري الذي اجتمع به عدة مرات، إذ كان يدرس بالمدرسة النورية بدمشق، وكان من أبرز فقهاء الحنفية، ومن أشد الناس ذكاءً، ولكنه لم يذكر أنه أخذ عنه شيئاً من العلم^٢.

وبعد اكتمال عام قضاه في دمشق، عاد إلى مدينة حلب يحدد العهد بالمدرسة البهائية القاضوية (نسبة للقاضي بهاء الدين ابن شداد) ويلقي رفاق الطلب، ومنهم عون الدين ابن العجمي الحلبي^٣، ومنهم صديقه كمال الدين ابن الشعار الذي كانت فاتته فرصة لقائه بارييل. فقد التقى به بحلب، وأنشده شيئاً من شعره، وكان فيما أنشده القصيدة التي قالها بدمشق في مدح الكامل، وكان انشاده لها في جمادى الآخرة من سنة ٦٣٤ هـ؛ ومنذ أواخر العام السابق انعقدت أواصر الصداقة بينه وبين أبي المحاسن الشوّاء، أحد المتحقيقين بعلم العروض والقوافي، وكان يعجبه أن يسمع شعره وأكثره مقطوعات يتلاعب فيها بالمصطلحات النحوية واللغوية، ويقيد منها ما يسمع، وقد بقيا صديقين إلى أن توفي الشوّاء (١٩ محرم سنة ٦٣٥ هـ)^٤.

وأكبر الظن أنه تعرّف بحلب لا بغيرها إلى الشاعر الماجن المدعو شيطان الشام واسمه أبو العز يوسف بن النفيس الاربلي، فهو يدعوه «صاحبنا»^٥.

١ الوفيات ٥ : ٣١٥ .

٢ الوفيات ٤ : ٢٥٩ .

٣ الوفيات ٦ : ٢٥١ .

٤ عقود الجمان ١ : ٤٥٦ .

٥ الوفيات ٧ : ٢٣٦ .

٦ الوفيات ٤ : ١٥١ .

وكان شيطان الشام يسلك في الشعر طريقة ابن حجاج وينظم الركاالش العامية ، وقد رحل إلى البلاد من إربل وامتدح الملوك ، ثم أقام في كنف بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ^١ .

لقد عرف ابن خلكان كثيراً من شئون مدينة حلب وضواحيها ، وأحداثها ، ومعالمها البارزة ، وتوفي الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر وهو فيها (سنة ٦٣٤) فنظم في رثائه قصيدة مطلعها :

هوى من نظام الملك واسطة العقد ولم يك من صرف المنية من بد ^٢

وكثيراً ما كان يعود بذكرته - وهو يؤلف كتابه - إلى ما رأى وسمع ، من ذلك مثلاً وقفته عند مقتل السهروردي فانه قد تصدّى لتلك الحادثة بقوله : « وقد أقيمت بحلب سنين للاشتغال بالعلم الشريف ، ورأيت أهلها مختلفين في أمره ، وكل واحد يتكلم على قدر هواه ، فمنهم من ينسب إلى الزندقة والاحاد ، ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وأنه من أهل الكرامات ... » ^٣ ؛ وكان لقاءه للناس لا يقل فائدة عما أفاده في مجالس الشيوخ ، إذ كان قلمه سريعاً إلى التقييد ، وحسبنا أن نعلم أن ما رواه من شعر ابن باجه إنما أخذه عن بعض شيوخ المغاربة ^٤ .

وبعد أن أقام في ديار الشام ما يقرب من عشر سنوات أزمع الرحلة إلى مصر . متى رحل ولماذا؟ لقد أثبت المؤلف بخطه نفسه في ترجمة شيخه ابن شداد أنه غادر حلب في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٣٥ هـ ، ولكنه في موضع آخر من كتابه يقول انه سافر إلى الديار المصرية سنة ٦٣٦ هـ ،

١ عقود الجمان ١٠ : ٥٢٥ وما بعدها .

٢ عقود الجمان ١ : ٤٥٩ .

٣ الوفيات ٦ : ٢٧٣ .

٤ الوفيات ٤ : ٤٣٠ .

٥ الوفيات ٧ : ١٠٠ .

٦ وقع في ٥ : ٣١٧ في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وصوابه في سنة ست وثلاثين .

والظاهر أن المؤلف تجوَّز في هذا الموضع وجعل التاريخ تقريبياً ، أو أنه تجوَّل قليلاً في جنوب الشام وأنه وصل الديار المصرية في أوائل سنة ٦٣٦ . أما ارتحاله من حلب فربما كانت وراءه أسباب عدة منها : يأسه من العودة إلى إربل بعد إذ اجتاحتها التتر وخربوها سنة ٦٣٤ ؛ ومنها — فيما أفدّر — عدم الاطمئنان إلى الأوضاع السياسية في ديار الشام ، بعد إذ أصبحت مهددة بالغزو التتري ، وعدم نجاح ابن خلكان في الاتجاه الشعري والاتصال بملوك آل أيوب ، ولعل أهمها ارتياد دار جديدة من دور العلم ، فانه كان ما يزال يرى نفسه في دور الطلب ، فلعلّ مصر أن تكون هي البيئة العلمية التي توفر له أعلاماً آخرين من الأساتذة ، بعدما تتلمذ على أشهر الأساتذة في ديار الشام . ومع ذلك فانا لا نجد له شيخاً متميزاً في مصر سوى عبد العظيم المنذري ، صاحب التكملة^١ ؛ صحيح ان إقامته بمصر جمعت بتلامذة ابن فيره الشاطبي^٢ وأنه لقي كثيراً من أصحاب ابن بري وأخذ عنهم رواية وإجازة^٣ كما لقي أصحاب الخشوعي وسمع عليهم وأجازوه ، ولقي ابن الخشوعي وإجازته جميع مسموعاته وإجازاته من أبيه^٤ وتعرف إلى ابن الحاجب من بعد وألقى عليه بعض الأسئلة وأفاد من علمه^٥ ؛ ولكن الصداقات التي كوَّنها مع جماعة من الأدباء بمصر ، كانت أقوى بكثير من العلاقات التي ربطته بالشيوخ . هل وجد ابن خلكان أن ما طلبه من العلم في ديار الشام قد كان زاداً كافياً له في الديار المصرية ؟ أتراه كان ما يزال يعتقد أنه سيكون ابن خلكان « الأديب الشاعر » لا الفقيه ابن العائلة التي لم يمكنها أصلها الكردي من اجادة مرموقة في البلاغة العربية ؟ أم أن أعباء الحياة ربطته — في دور مبكر — بالوظيفة ، فانصرف إليها عن الطلب المنظم ولقاء الشيوخ ؟ أسئلة

١ انظر مقدمة المحقق لهذا الكتاب .

٢ الوفيات ٤ : ٧٢ .

٣ الوفيات ٣ : ١٠٩ .

٤ الوفيات ١ : ٢٧٠ .

٥ الوفيات ٣ : ٢٥٠ .

ليس من المهم أن نجيب عنها بيقين قاطع . إذ من ذا الذي يستطيع أن يقطع بالحسم في مثل هذه الشئون ؟

اتجه ابن خلكان إلى الاسكندرية ، وقضى في تلك المدينة خمسة أشهر (من عام ٦٣٦) ^١ ، وفيها لقي أحد الحساب فشرح له قضية الشطرنج إذا ضوعف العدد في كل بيت ^٢ منه . وبدلاً من أن يلقى الأساتذة الأحياء أخذ يلقى الأموات منهم في منامات عجيبة ، فرأى المبرد وحاكمه على خطأ وقع فيه في شعر أبي نواس في كتابه «الروضة» ^٣ . والحقيقة أن منامات ابن خلكان — سواء هذا الذي رآه في الاسكندرية أو المنام الذي رأى فيه أبا علي الفارسي ^٤ أو ذلك الذي رأى فيه ابن عنين بعد سنوات (٦٤٩) ^٥ — تلفت الانتباه بوضوحها وحدتها ودلالاتها على انشغال نفسه بالقضايا اللغوية والأدبية .

وفي ٢٧ ذي القعدة سنة ٦٣٧ نجد ابن خلكان في القاهرة حين وصل إليها الملك الصالح ومعه الملك الناصر صاحب الكرك ^٦ ، ونراه لا يستشرف إلى شيء استشرافه إلى لقاء بهاء الدين زهير ، وقد استطاع أن يحقق هذه الأمنية في أواخر ذلك العام (٦٣٧) ، وكان ذلك اللقاء فاتحة صداقة امتدت حتى وفاة البهاء (٦٥٦) ؛ وكان إعجاب ابن خلكان بشعره أحد العوامل التي قوت تلك الصداقة ، وأجازه البهاء رواية ديوانه ^٧ . ويجب أن نذكر أن البهاء كان ذا مقام مرموق في الدولة الايوبية، وان ابن خلكان الذي لم يعد له سند من مستقر أو مرتب جار كان بحاجة إلى من يوصله بذوي السلطان . وجرت صداقته للبهاء إلى صداقة أخرى مع ابن مطروح ، فقد كان البهاء

١ الوفيات ٤ : ٣١٨ .

٢ الوفيات ٤ : ٣٥٨ .

٣ الوفيات ٤ : ٣١٨ .

٤ الوفيات ٢ : ٨١ .

٥ الوفيات ٥ : ١٨ .

٦ الوفيات ٥ : ٨٥ .

٧ الوفيات ٢ : ٣٣٢ ، ٣٣٦ .

وابن مطروح كالأخوين ، ولكن ابن مطروح كان في خدمة الملك الصالح ، ولم يرجع إلى مصر إلا في سنة ٦٣٩ وظلّ فيها حتى سنة ٦٤٣ ، وفي هذه الفترة تأكدت الصلة بين ابن مطروح وابن خلكان ، وكانا يكثران اللقاء ، وكان ابن مطروح ينشده شعره حتى انه أنشده أكثر ديوانه ، وبعد سنة ٦٤٧ انقطع ابن مطروح في داره . فكان ابن خلكان يجتمع به في كل وقت . وقبل هذا الانقطاع (٦٤٣ — ٦٤٧) كانت المكاتبات تجري بينهما باستمرار . ومرة تأخر ابن خلكان عن زيارة صديقه وهو يشكو ألماً في عينيه انتهى به إلى مقاربة العمى ، فكتب إليه ابن مطروح :

يا من إذا استوحش طرفي له لم يخل قلبي منه من أنس
والطرف والقلب على ما هما عليه ، مأوى البدر والشمس^١

ولم تقف هذه العلاقات الأدبية عند البها زهير وابن مطروح ، بل تجاوزتهما إلى آخرين ممن كانوا بمصر وفي مقدمتهم ابن الخيمي^٢ وأبو الحسين الجزار^٣ .

ولعلّ ثلاثة عوامل عملت في إيجاد منصب لابن خلكان ، أولها وأهمها : شخصيته المحبة وعلمه ، وثانيهما صداقته لاثنتين من كبار المسئولين في الدولة وهما البها زهير وابن مطروح ، وثالثهما النسب الزراري الذي كان يجمع بينه وبين قاضي القضاة بمصر : بدر الدين السنجاري المعروف بقاضي سنجار (— ٦٦٣)^٤ . فوّلي نيابة القضاء بمصر ، ولا ندري متى تولى هذا المنصب ، ولكننا نجده يحتله سنة ٦٤٥^٥ حين يحكي قصة صاحبه جمال الدين بن عبد الاربلي وقد جاءه في مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة ، والناس يزدهمون لكثرة اشغالهم حينئذ ، وكيف فقد ابن عبد مداسه ، وشكا إلى النائب ابن خلكان ما جرى له في أبيات شعرية . ولم يكن « مجلس

١ الوفيات ٦ : ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، وفي الشمس اشارة إلى لقب ابن خلكان « شمس الدين » .

٢ الوفيات ٢ : ١٠٦ ، ٣٤٢ .

٣ الوفيات ٦ : ٢٦٥ .

٤ الوفيات ٦ : ٢٦٢ ، ٢٦٦ .

٥ الوفيات ٢ : ٩٨ — ٩٩ .

الحكم العزيز « قاصراً على استماع الشكاوى والفصل في القضايا ، فكثيراً ما كان معرضاً لشئون أخرى : فهو يسأل ابن الحاجب عن بعض شئون النحو حين يحضر لأداء الشهادة ، وأحياناً يجتمع عنده بعض الأدباء والشعراء فيتحول المجلس إلى مطارحات وأنشادات ؛ دخل عليه مرة فخر الدين الشاطبي ، وهو ينوب في الحكم بالقاهرة ، فأنشده فخر الدين قصيدة منها :

وإذا الرقيب درى به فلأنه أخفى لديه من النسيم والطف

فانتقده القاضي لأنه بالغ في وصف نحول المحب وقال له : يا شيخ فخر الدين . لطفته لطفته إلى أن عاد لا شي . فالتفت فخر الدين إلى جاري له وقال بلهجته الأندلسية : القاضي حمار ما له دوك شي (أي ماله ذوق) ^١ .

وفي بعض التعليقات أنه ولي قضاء المحلة ، مترقياً إلى تلك الوظيفة من النيابة عن قاضي سنجار ، ولكن ليس ثمة في المصادر التي حصلتها ما يؤيد هذه الرواية ^٢ . وفي سنة ٦٤٩ فقد صديقه ابن مطروح الذي دفن بسفح المقطم وحضر الصلاة عليه ودفنه ^٣ . وفي القاهرة تم لابن خلكان التأهل « بعد قلب الأحوال » ورزق بابن سمّاه موسى — حسبما كان قد أوقع الله في نفسه حين أعجب بالشيخ موسى ابن منعة — وكان مولد موسى وقت طلوع الشمس حادي عشر صفر سنة ٦٥١ بالقاهرة ^٤ ، وهو يقول ان موسى

١ الفوات ٤ : ٣٢٢ .

٢ أشار إليها دي سلان في الوفيات (مقدمة الترجمة الانجليزية) .

٣ الوفيات ٦ : ٢٦٦ .

٤ انظر الوفيات ٥ : ٣١٧ ؛ وكان عمر موسى تسع سنوات حين انتقل أبوه قاضياً إلى دمشق وأخذ معه ، وقد كان ذا ذكاء ، واتجه نحو الاشتغال بالعلم ، فأجاز له السبط وسمع من النجيب وحدث ، وفي سنة ٦٧٧ نراه يحضر الدرس بالمدرسة الظاهرية ، وكان مدرس الشافعية رشيد الدين اسماعيل المعروف بالفارقي أحد أصحاب والده ، وقرأ عليه مختصراً في علم البيان للرماني وآخر في العلم المذكور للقيرواني ، وأجازاه صدر الدين سليمان الحنفي مدرس الحنفية بمصنفاته ومسموعاته وكذلك أجازاه مجد الدين ابن الصاحب كمال الدين ابن العديم . وقد درس بالمدرسة النجيبية في حياة أبيه وبعد وفاته وولي الدواوين الحكمية ، ونراه سنة ٧٠٢ في بعلبك ثم ينتقل إلى دمشق حيث توفي سنة ٧١٧ . ويقال أنه لم يكن حسن =

ولده « الأكبر » مما يدل على أنه رزق أولاداً آخرين ولكننا لا نعرف شيئاً عنهم ؛ ومن اشارة لابن المؤلف نعلم أن والده كان يقطن حينئذ بحارة الباطلية بخطط الجامع الأزهر ^١ .

وتحتجب عنا أخباره بعد ذلك بضع سنوات ، حتى ٢٤ شوال سنة ٦٥٦ عندما عمّ القاهرة مرض لم يكده يسلم منه أحد ؛ ولم يكن هذا المرض قاصراً على القاهرة ، فانه كان أيضاً قد انتشر في ديار الشام ومات بسببه خلق كثير ^٢ ، وبسببه لزم ابن خلكان الفراش . وبعد حوالي عشرة أيام من بدء انتشاره وصلته الأخبار بأنه فقد صديقاً من أقرب أصدقائه إلى نفسه وهو البها زهير . فلما أبلّ من مرضه مضى إلى تربته وقرأ عنده شيئاً من القرآن الكريم وترحم عليه ^٣ ؛ وفي العام نفسه ، بل وفي اليوم الذي قضى البها زهير فيه نجه ، توفي شخص آخر ، كان يحظى من ابن خلكان بكل تقدير واحترام وذلك هو شيخه عبد العظيم المنذري . وقبل انتشار المرض ، ومن بعد انزياح ظله ، كان ابن خلكان قد أخذ يشغل نفسه بتأليف كتاب في التراجم ، وهو ما سأحدث عنه في موضع آخر .

وجاء الانتصار في عين جالوت ، ثم مقتل قطز . بطل تلك المعركة ، محققاً الفرصة لتولي الظاهر بيبرس الحكم ؛ وبمجيئه يدخل ابن خلكان في دور جديد ، إذ وقع عليه اختيار الظاهر ليكون قاضياً للقضاة في ديار الشام ، ولا بد من أن يكون ابن خلكان النائب قد لفت إليه انتباه رجال الدولة بكفائته ومزاياه حتى يرشح لمثل هذا المنصب ؛ كان القاضي بالشام هو نجم

= السيرة وأنه كان ذا تأثير على أبيه ؛ وكنيته أبو الفتح ، ولقبه كمال الدين (الدرر الكامنة ١٤٣ : ٤ والوفيات ٤ : ١٥٧ الحاشية) .

١ الوفيات ٤ : ٢٥٨ (الحاشية) وانظر الخطط ٢ : ٨ حيث يقول أن حارة الباطلية احترقت سنة ٦٦٣ ؛ وفي هذا التاريخ كان ابن خلكان بدمشق ، وهذا يعني شيئاً : أنه فقد داره إن كان له ثمة دار يمتلكها ، وأنه حين عاد إلى القاهرة بعد عزله وجد لنفسه سكناً جديداً في حارة أخرى .

٢ السلوك ٢/١ : ٤١٠ .

٣ الوفيات ٢ : ٣٣٨ .

الدين ابن السني ، وقد تحدث الناس فيه بأمر بلغت الظاهر ، فقرر أن يعزله ، واستشار الأمير جمال الدين ايدغددي العزيزي في من يوليه مكانه ، فأشار عليه بابن خلكان^١ . وصدر الأمر إلى ابن خلكان بأن يتأهب للسفر في صحبة الملك الظاهر ، فطوى أوراقه وجمع مسوداته ، وخرج في « الركاب العالي المولوي السلطاني المجاهدي المرابطي » من القاهرة يوم الاحد ٧ شوال سنة ٦٥٩ ، ووصل الركب دمشق يوم الاثنين ٧ ذي القعدة ، أي أن المسافة استغرقت شهرًا كاملاً^٢ . وفي يوم الخميس ٨ ذي الحجة (بعد الاستقرار بدمشق شهرًا آخر) عزل النجم ابن سني الدولة عن القضاء ، وتولى القضاء ابن خلكان ، وأمر النجم بالسفر إلى الديار المصرية وكان حاكماً جائراً فاجراً ظالماً متعدياً فاستراح منه العباد والبلاد^٣ ؛ وفي يوم الجمعة بعده قرىء بالشباك الكمالى بجامع دمشق تقليد القضاء لابن خلكان « ويتضمن أنه فوض إليه الحكم في جميع بلاد الشام من العريش إلى سلمية ، يستنيب فيها من يريده وفوض إليه النظر في أوقاف الجامع والمصالح والبيمارستان والمدارس وغيرها مما كان تحت يد الحاكم المعزول ، وفوض إليه تدريس سبع مدارس كانت تحت يد المعزول وهي : العنزاوية والعادلية والناصرية والفلكية والركنية والاقبالية والبهنسية^٤ » ، وكان أبو شامة ممن حضر قراءة هذا التقليد .

وبدأ ابن خلكان بممارسة هذه المهام الكثيرة من تعيين نواب له في البلاد^٥ ، وضبط لما تحت يده من أوقاف ، وتنصيب معيدين في المدارس ، ومراجعة للأحكام وفصل في القضايا ، ولم ينس ما يفرضه عليه منصبه الجديد

١ ذيل مرآة الزمان ٢ : ١٢٤ .

٢ الوفيات ٧ : ٢٥٧ ؛ وقد وقع في المنهل الصافي خطأ في تاريخ توليه القضاء إذ كتب ٦٦٦ .

٣ ذيل الروضتين : ٢١٤ وعقد الجمان الورقة : ١٣٤ والنقل فيه عن أبي شامة وعن تاريخ النويري .

٤ ذيل الروضتين : ٢١٥ وعقد الجمان (نقلاً عن أبي شامة) : ١٣٤ وابن كثير ١٣ : ٢٣٩ ومخطوطة برلين 9449 Spr. 61 والدارس ١ : ١٩٢ ، وانظر الحديث عن هذه المدارس في الكتاب الأخير في صفحات متفرقة .

٥ نعرف من نوابه على القضاء علي بن محمود الشهرزوري الكردي (الدارس ١ : ٤٤١) وقد توفي سنة ٦٧٥ .

من تعرف إلى العلماء والأعيان ، وإنشاء علاقات ودية في بيئة ما تزال جديدة عليه . وكان من أولى المحاولات التي قام بها ، زيارته للعز الاربلي ، أحد أبناء بلده ، واسمه الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الغنوي ، وشعر بالخرج من هذه الزيارة ، فان العز كان ما يزال يعدّه ذلك الفتى الناشئ الذي لم يحرز تقدماً في العلم والمعرفة ، بينما كان ابن خلكان ، قاضي قضاة الديار الشامية ، يرى نفسه في غير تلك المرأة ، ولهذا كانت هي الزيارة الوحيدة ، ولم يعد بعدها للقاءه إباء وصوناً للنفس عما يخذشها ^١ .

ولم يكن من الممكن لابن خلكان أن يقوم بالتدريس في جميع المدارس التي وكل أمرها إليه ، فتزل عن بعضها لبعض العلماء ، واعتمد في بعضها الآخر على المعيدين ؛ وأول مدرسة تخلى عنها هي الركنية الملاصقة للفلكية ، فقد نزل عنها لأبي شامة ، وفي ١٢ محرم ٦٦٠ ابتداءً أبو شامة بذكر الدرس فيها من مختصر المزني ، وكان ابن خلكان من المستمعين إلى درسه ^٢ . ويبدو أن العلاقة بين أبي شامة وقاضي القضاة ظلت طيبة ، وأن قاضي القضاة استطاع أن يكسب ثقة المؤرخ ، ولذلك نجد أبا شامة يلجأ إليه في شرح حادثة الكمال خضر ابن أبي بكر الكردي بمصر ، وهي حادثة أدت إلى شنقه ^٣ ، كما أنه لم يحاول أن يغمز منه في تاريخه على عادته في حال الآخرين . كذلك عين ابن خلكان بدر الدين المراغي المعروف بالطويل شارح طريقة العميدي معيداً عنده في المدرسة العادلية السيفية ، وكفل له الإقامة بها ، ولكن مدته فيها لم تطل إذ توفي سنة ٦٦٠ ^٤ وفيه يقول أبو شامة : « كان قليل الدين تاركاً

١ ذيل مرآة الزمان ٢ : ١٦٥ ؛ وقد توفي العز الاربلي سنة ٦٦٠ (ذيل الروضتين : ٢١٦).

٢ ذيل الروضتين : ٢١٦ ، وعقد الجمان ، الورقة : ١٣٧ وابن كثير ١٣ : ٢٣٥ ومخطوطة برلين المذكورة والركنية نسبة إلى ركن الدين منكورس (انظر الدارس ١ : ٢٥٣).

٣ ذيل الروضتين : ٢١٧ - ٢١٨ وخلاصة الحادثة أن الشهرزورية التفت على المذكور ، وحاولت مبايعة خليفة من بني العباس كان مع خضر في السجن ، ثم توفي العباسي وخرج خضر من السجن فسعى لاتمام الأمر لابنه .

٤ الوفيات ٤ : ٢٥٧ - ٢٥٨ (الحاشية) .

للصلاة مغتبطاً بما كان فيه من معرفة الجدل والخلاف على اصطلاح المتأخرين^١.
وجعل محيي الديوان النواوي نائباً عنه في المدرسة الناصرية فظل في وظيفته
حتى سنة ٦٦٩ هـ .

ويهمنا من أحداث سنة ٦٦٠ حادثان متصلان اتصالاً جانبياً بابن خلكان :
أولاهما : عودة العساكر المصرية مع ما صاحبها من عسكر الشام من غزوة
إلى انطاكية ، ودخولهم دمشق في شعبان من ذلك العام^٢ واحضارهم — مما
صادوه — أذن حمار وحش عرضوها على ابن خلكان فقرأ عليها رسم « بهرام »
واستمدّ من ذلك فكرته — التي ربما كانت ممعنة في الخطأ — عن أن عمر
حمار الوحش قد يبلغ مقدار ثمانمائة سنة^٣ . والحادثة الثانية هي وصول
العسكر المصري مرة أخرى من مصر في ذي القعدة وعلى مقدمة عز الدين
الدمياطي ، وقبضهم على نائب السلطنة بدمشق الحاج علاء الدين طيبرس الوزيري ،
لأنه كان عسوقاً يمكن البدو من شراء الغلال فترتفع أسعارها محلياً ، ويخوف
الناس بهجوم التتر . فيهربون من مواطنهم ، وتولية الأمير جمال الدين
أقوش المعروف بالنجيب^٤ الذي أسس مدرسة عرفت بالنجيبية لصق المدرسة
النورية ، ووقف عليها أوقافاً دارة ، وسيكون لهذه المدرسة علاقة بابن خلكان
في مرحلة تالية .

وفي السنة التالية (٦٦١) كان الظاهر في الكرك ، لأنه علم أن صاحبها
المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل كان يرأسل هولاءكو ويحثه على
القدوم إلى دمشق مرة أخرى ، وقد أفتى الفقهاء بقتله ، واستدعى الظاهر
ابن خلكان وعرض عليه تلك الفتاوى^٥ .

١ ذيل الروضتين : ٢١٧ .

٢ الدارس ١ : ١٦١ .

٣ ذيل الروضتين : ٢١٩ .

٤ الوفيات ٦ : ٣٥٤ — ٣٥٥ .

٥ ذيل الروضتين : ٢٢٠ — ٢٢١ ؛ وقد توفي النجيب سنة ٦٧٧ وكان كثير الصدقة محباً
للعلماء (ابن كثير ١٣ : ٢٨١ والدارس ١ : ٤٦٨) .

٦ ابن كثير ١٣ : ٢٣٨ ومخطوطة برلين .

وخلا منصب التدريس بدار الحديث في أواخر جمادى الآخرة (٦٦٢) اذ توفي المدرس بها جمال الدين ابن الحرستاني ، وصلى عليه قاضي القضاة بجامع دمشق ، ثم عين أبو شامة خلفاً له ، وحين بدأ بذكر الدرس فيها من تصنيفه خطبة كتاب المبعث ، والحديث والكلام على سنده وفنّه ، كان لابن خلكان أحد حضور ذلك الدرس^١ .

وفي سنة ٦٦٣ كانت إحدى غزوات الظاهر الكثيرة ضد قلاع الصليبيين في بلاد الشام ، وقد وجه همّة في ذلك العام للاستيلاء على قيسارية ، فاستولى عليها في جمادى الأولى ، ثم استولى على أرسوف في رجب ، وكانت القاعدة المتبعة لإرسال كتب البشائر لئلا يثر كل فتح ، وقد ورد عليه كتاب البشارة بفتح أرسوف من إنشاء فتح الدين عبد الله بن القيسراني مفتحه كآلاتي : « جدد الله البشائر الواردة على المجلس السامي القضائي وسرّه بما أسمعته ، وأبطل ببركته كيد العدو ودفعه ، وجاء بها سبب الخير وجمعه ، ولا زالت التهاني إليه واردة ، والمسرات عليه وافدة ، ونعم الله وبركاته لديه متزايدة » ثم وصف للفتح ، وتوجيه لابن خلكان كي يحدث بهذا النصر الفقهاء والعدول ، ويكتب نوابه بخبره ، وينشره بين الناس ، ويدعو للملك باطراد النصر^٢ .

وبعد الانتصار في أرسوف استدعى الملك الظاهر قاضي القضاة وجماعة العدول ووكيل بيت المال وجماعة من الفقهاء والأئمة ، لكي يشهدوا تملك الأمراء ما وزعه عليهم من الاقطاعات ؛ وحضر ابن خلكان إلى غزة وكتب مكتوباً خاصاً بالتمليك ، وهذا بعض نصه ليكون فيه دلالة على أسلوب ابن خلكان الانشائي : « أما بعد ... فان خير النعمة نعمة وردت بعد الياس ، وجاءت بعد توحشها وهي حسنة اليناس ، وأقبلت على فترة من تخاذل الملوك وتهاون الناس ، وقرعت أبواب الجهاد وقد غلقت في الوجوه ، وأنطقت ألسنة المناير وشفاه المحابر بالبشائر التي ما اعتقد أحد أن بها تفوه ، فأكرم بها نعمة على الإسلام وصلت للملة المحمدية أسباباً ، وفتحت للفتوحات أبواباً ،

١ ذيل الروضتين : ٢٢٩ وابن كثير ١٣ : ٢٤٢ والدارس ١ : ٢٣ .

٢ ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣١٩ - ٣٢٠ .

وهزمت من التتار والفرنجة العدوين ، ورابطت من الملح الأجاج والعذب
القرات بالبرين والبحرين ... » وهي رسالة طويلة ، لا يختلف أسلوبها
المسجوع عما درج عليه كتاب ذلك العصر . وبعد أن قرىء هذا الكتاب
على السلطان . كتب أيضاً كتاب التمليك الشرعي لكل أمير ، وفرقت النسخ
على الأمراء ، وأحسن الظاهر إلى ابن خلكان وخلع عليه^١ .

وأجرى الملك الظاهر في هذه السنة بعد عودته إلى القاهرة أول تغيير
جنري في نظام قضاء القضاة . فقد كان قاضي القضاة بمصر — كما كان
في ديار الشام حتى ذي الحجة من هذا العام — شافعي المذهب ، وصادف أن
كان صاحب هذا المنصب بمصر وهو ابن بنت الأعز يتوقف كثيراً في أمور
تخالف مذهب الشافعي^٢ ، فأصدر الملك الظاهر أمراً بتعيين ثلاثة قضاة آخرين
مستقلين في الحكم ، يمثلون المذاهب السنية الثلاثة الأخرى^٣ : ولكن هذا
القرار لم يجر تنفيذه في ديار الشام إلا في السنة التالية (٦٦٤) . ففي شهر جمادى
منها وصل المرسوم الشريف الظاهري بأن يكون في دمشق أربعة قضاة ،
ووصلت ثلاثة تقاليد لشمس الدين محمد بن عطاء الحنفي والزين عبد السلام
الزواوي المالكي وشمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر الحنبلي ،
ولكل واحد منهم الحق في تعيين نائب أو عدد من النواب . فأبى المالكي
أن يقبل ، ووافق الحنبلي إلا أنه اعتذر بالعجز ، وقبل الحنفي ، إذ كان
في حقيقة الحال نائباً لابن خلكان . غير أن الظاهر عاد يؤكد على المالكي
والحنبلي بضرورة القبول ، وإلا انتزع ما بأيديهما من الأوقاف ، فأجابا .
وفي اليوم التالي أشهد المالكي على نفسه بأنه عزل نفسه عن القضاء والأوقاف ،
وتجدد الأمر بالزامه ، فقبل أخيراً إلا أنه ظلّ هو والحنبلي ممتنعين من أخذ

١ كنز الدرر ٨ : ١٠٨ - ١١٤ .

٢ ابن كثير ١٣ : ٢٤٥ وذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٢٤ وهو يعلل ذلك بأن ابن بنت الأعز
توقف في تنفيذ الأحكام وكثرت الشكاوى منه ، وكان جبال الدين أيدي يكرهه ، فأشار
بإستحداث ثلاثة مناصب أخرى ، وهذا أيدي هو الذي أشار من قبل بتولية ابن خلكان .

الجامكية (أي المرتب) وقالوا : نحن في كفاية ، فأعفيا منها ^١ .

وهكذا اجتمع في دمشق على القضاء « ثلاثة » شمس : شمس الدين عبد الرحمن الحنبلي وشمس الدين محمد بن عطاء الحنفي وشمس الدين ابن خلكان ، وحدث أن عين ابن خلكان له نائباً لقبه شمس الدين أيضاً ، فأثار ذلك بعض الظرفاء إلى التهكم من كثرة تلك الشموس ، بينما يعيش الناس في ظلام :

أهل دمشق استرابوا من كثرة الحكام
إذ هم جميعاً شمسٌ وحالهم في ظلام

وقيل غير ذلك أيضاً ^٢ ؛ ويبدو أن روح الفكاهة هنا قد جارت على الحقيقة ، على الأقل بالنسبة إلى ابن خلكان ، فلم يذكر أحدٌ أنه كان سبياً في ظلم أو ظلام طوال توليه القضاء بدمشق . ولا ندري كيف استقبل ابن خلكان هذا التنظيم الجديد الذي قلّص من ظلال وظيفته وأنقص من أطرافها كثيراً ، ولعله ارتاح إلى الوضع الجديد الذي كفّل له إزاحة مسؤوليات كثيرة كانت تثقل كاهله ، وتجعل نشاطه موزعاً في مجالات مختلفة .

وفي عام ٦٦٤ حقق الظاهر انتصارات كثيرة وخاصة أخذه لصفد، فوصل إلى ابن خلكان كتاب من إنشاء كمال الدين أحمد بن العجمي يتحدث عن تلك الانتصارات : وستوالى هذه الانتصارات سنة ٦٦٦ ثم سنة ٦٦٩ وفي كل مرة كان ابن خلكان يتلقى كتاب بشارة بما تمّ من إنجازات ^٣ ، الغرض

١ ذيل الروضتين : ٢٣٥ - ٢٣٦ وعقد الجمان (نقلا عنه) : ١٤٩ وابن كثير : ١٣ : ٢٤٦ ومخطوطة برلين المذكورة والدارس ٢ : ١١ (نقلا عن ابن كثير) : والمنهل الصافي ، والصفدي ٧ : ٣٠٩ .

٢ ذيل الروضتين : ٢٣٦ وانظر الصفدي ٧ : ٣٠٩ .

٣ ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٣٨ ، ٣٤٣ ؛ ٣٧٥ بعد أخذ يافا والرسالة من انشاء القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر ؛ ٣٧٧ على أثر فتح الشقيف من انشاء ابن العجمي ؛ ٣٨٢ إثر فتح انطاكية من انشاء ابن عبد الظاهر ، وهذه كلها سنة ٦٦٦ ؛ أما أحداث ٦٦٩ فهي الاستيلاء على حصن الأكراد ٢ : ٤٤٥ وحصن عكار ٢ : ٤٤٨ .

منه تعميم النبأ بين الناس .

ومن الصعب أن نحصر نواحي النشاط الذي كان يقوم به ابن خلّكان أثناء هذه الفترة الشامية التي امتدت عشر سنوات كاملة : ولكن لا ريب في أن منصبه قد وصله بفئات متنوعة من الناس ، فيهم العالم والأديب وفيهم — إلى جانب النواب والعدول — كثير من أبناء الفئات الشعبية . وكان حسن المؤرخ لديه يدفعه إلى توثيق علاقته بأناس يستطيع أن يجد لديهم الأخبار والتجارب ، وذلك كان شأنه منذ أن كان نائباً في القضاء بالقاهرة ، فهو لأنه كانوا يمثلون لديه مصادره السماعية أو الشفوية . فمن معارفه من هذا القبيل محاسن بن الصوري (— ٦٦٣) عريف سوق الكتب بالقاهرة (ولا ريب في أن ابن خلّكان كان ذا علاقة وثيقة بالوراقين ودلالي الكتب) ؛ ولقد لقيه مرة في الايوان الكبير بدار الوزارة عند البادرائي رسول الديوان فأخبره أنه دخل تلك الدار (دار الوزارة) في أيام شاور ورأى شاور جالساً في صدر ذلك الايوان^١ . وفي دمشق كان ابن خلّكان يقبل على مجلس ابن اسفنديار الواعظ (— ٦٧٦) وكان يحكي له الحكاية ثم يعيدها فيتمنى ابن خلّكان أن لا يفرغ من حكايته وتنميته^٢ . وكان كثيراً ما يجلس إلى أكبر تجار دمشق الوجيه ابن سويد التكريتي (— ٦٣٠) ويسمع إلى أقاصيصه — فقد كان من المعمرين — ؛ وقد بلغ من منزلة الوجيه هذا أن متاجره لم يكن يتعرض لها متعرض وان كتبه كانت نافذة عند ملوك الأطراف وملوك الفرنج بالساحل ، وكان أثيراً لدى الملك الظاهر ، كما كان كثير المكارمة للأمراء والوزراء وأرباب الدولة يهاديهم ويقضي حوائجهم^٣ وقد كان ابن سويد صديقاً لابن خلّكان ، وكان يعتمد على هذه الصداقة في قضاء بعض أعماله ، ومرة رأى ابن خلّكان فيما يريده صديقه تجاوزاً لمبدأ العدالة لديه فاعتذر ، فقال له

١ ذيل الروضتين : ٢٣٤ .

٢ الدارس ٢ : ١٦٩ .

٣ انظر تفصيلات أخرى عن ابن سويد في ذيل مرآة الزمان ٢ : ٤٨٧ — ٤٨٩ ، والمؤلف يقص عنه حكاية في الوفيات ٦ : ٢٤٧ .

ابن سويد : ما يكون الصاحب صاحباً حتى يعرق جبينه مع صاحبه في جهنم فأجابه ابن خلكان : بلى يا وجيه الدين صرنا معك قشلمشاً وما ترضى^١ .

وكان شمس الدين قزاً أوغلي من معارفه بدمشق ، وقد حدثه عن الاختلاف في تاريخ ولادته بين ما ذكرته أمه وما ذكره خاله ، وهذه الصلة كانت فاتحة لإفادته من كتابه «مرآة الزمان»^٢ .

ولم تلهه مهماته الكثيرة عن ممارسة بعض أنواع «الرياضة الأدبية» ، فقد كان ابن خلكان — خضوعاً للروح السائدة في عصره — مغرمًا بالألغاز ، ولهذا نجد الرسائل تدور بينه وبين صديقه ابن عدلان الموصللي (٦٦٦) القاطن بالقاهرة في هذا الأمر^٣ . شيء واحد فقط حالت المهمات دون انجازه . وذلك هو تكملة التاريخ الذي بدأه ، ولكنه مع ذلك لم يكف عن اقتناء الكتب والاطلاع على ما يجده منها في ديار الشام ، واستخراج المادة التي تنفعه من بعد إذا سمحت الظروف بانجاز مشروعاته التأليفية . ولهذا فإنه حين عزل عن القضاء سنة ٦٦٩ وجد الفرصة سانحة لاستئناف العمل في التأليف .

لماذا عزل ابن خلكان عن القضاء ؟ في ١٥ شوال سنة ٦٦٩ دخل الظاهر بيبرس إلى دمشق وعزل القاضي ابن خلكان ، فسافر ابن خلكان إلى الديار المصرية في شهر ذي القعدة^٤ . وليس في المصادر أية إشارة إلى أن هذا العزل كان ناجماً عن أية تهمة واضحة وجهت إليه ، مما يمس عدالته أو دقته في أداء واجبه . كل ما تذكره المصادر أن بهاء الدين ابن حنا وزير الظاهر هو الذي سعى في أن يولّي عز الدين ابن الصائغ القضاء ، وأقنع الظاهر بذلك ، فكتب تقليده وهو بظاهر طرابلس قبل أن يصل إلى دمشق^٥ . ويبدو أن

١ الصفدي ٧ : ٣١٠ - ٣١١ .

٢ ذيل مرآة الزمان ١ : ٤٢ .

٣ انظر صورة من هذه المراسلة في ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٩٢ . ٢٩٣ .

٤ عقود الجمان : ١٦١ (ومخطوطة برلين المذكورة) وابن كثير ١٣ : ٢٥٩ وذيل مرآة

الزمان ٢ : ٤٥٢ .

٥ المصادر السابقة .

بهاء الدين لم يكن يرتاح كثيراً لابن خلكان ويعزى ذلك إلى صلة ابن خلكان بالأمير أحمد بن حجي ، فقد كان هذا الأمير ينتسب إلى البرامكة وإذا حضر إلى دمشق ذهب لزيارة ابن خلكان وقال له أنت ابن عمي ، فيضيفه ابن خلكان ويكرمه ، وكان ابن حجي يثني عليه عند الظاهر ، فاغتاط من ذلك الصاحب بهاء الدين وعمل على عزله وذمه عند الظاهر^١ . وسرى من بعد كيف تعمد اذلاله وإهماله . وقد ذكر ابن حجر أن موسى بن أحمد ابن خلكان كان فيما يقال سيء السيرة وأن والده كان يطيعه وأنه كان السبب لذلك في عزل أبيه ، حتى قال فيه ابن ظهيرة :

وكيف يؤتى رشده حاكم حكّم في لحيته موسى^٢

ولكن إن كان شيء من ذلك صحيحاً فإنه يتصل بالعزل الثاني لا بهذا العزل الذي وقع سنة ٦٦٩ ، ذلك لأن موسى في هذه الحادثة لم يكن يتجاوز الثامنة عشرة ، ولم يكن قد طمح بعد إلى منافسة الآخرين في بعض المناصب ، بحيث تثور بسبب تصرفاته الحفاظ وينسب إليه سوء السلوك .

وحين عاد ابن خلكان إلى القاهرة معزولاً ، أخذ يبحث عن مصدر للرزق ، فيقال أنه وجد منصباً تدريسياً في المدرسة الفخرية^٣ ، ولكن ربما لم يستطع الحصول على هذا المنصب في أول عودته ، أو أنه كان منصباً قليل العائدة، إذ نجده في القاهرة يعاني ضائقة مادية شديدة ، وهو صابر ، وحين عرف بدر الدين بيلىك الخازن دار بما يعانيه أمر له بألفي درهم ومائة إردب قمح فأبى من قبولها ، وزاد جفاء الصاحب بهاء الدين ابن حنا له في تلك الأيام ، وسبب ذلك فيما يقال أن ابن خلكان عمل للملك الظاهر نسباً ألحقه فيه بجنكرخان ،

١ عيون التواريخ ، الورقة : ١٢٧ .

٢ الدرر الكامنة ٥ : ١٤٣ .

٣ الوفيات ، مقدمة الترجمة الانجليزية ٤ : xiii وهذه المدرسة كانت فيما بين سوقة الصاحب ودرب العداس ، عمرها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومي أستاذار الملك الكامل محمد بن العادل (الخطط ٢ : ٣٦٧) .

٤ الصفدي ٧ : ٣١١ والمنهل الصافي .

فلما وقف عليه الظاهر قال : هذا يصلح أن يكون وزيراً ، اطلبوه . فخشي
 صاحب على نفسه ، وسعى إلى أن أبطل القضية وجعل السلطان يتناساها^١ ؛
 وتريد هذه الرواية شيئاً ربما لم يتفق مع خلق ابن خلكان ونفسيته إذ تنسب
 إليه أنه كان كل يوم يركب ويقف بباب القرافة ، ويمشي قدام صاحب
 إلى أن يوصله إلى بيته^٢ ؛ وتصور مقدار ما بلغت حاله من الفقر بأنه لم يبق
 له غير البغلة يركبها وأن عبداً له كان يعمل ويطعمه من كسب يده^٣ .
 ولكن ابن خلكان قضى في القاهرة - بعد الغزل - ما لا يقل عن سبع سنوات ،
 وربما كانت هذه الرواية إنما تصور حاله في آخر تلك الفترة ، إذ تجعل هذا
 الفقر سبباً في إعادته إلى القضاء مرة أخرى ، وعاملاً في إثارة عطف صاحب
 بهاء الدين عليه ؛ ورغم ما قاساه ابن خلكان في هذه الفترة من ضائقة مادية
 مضى في اكمال كتابه ، وقراءة كتب جديدة يستمد منها المعلومات والفوائد .
 ولما عاد إلى القضاء بدمشق سنة ٦٧٧ كان قد انتهى من تدوين أكثر ما كان
 قد أرجأه بسبب زحمة العمل في شئون القضاء .

كتب تقليد لابن خلكان بقضاء دمشق وأعمالها من العريش إلى سلمية ،
 على مثل حاله السابق ، في ذي الحجة سنة ٦٧٦ ، وحضر عند السلطان الملك
 السعيد (إذ كان الظاهر والده قد توفي) لابساً للخلعة . وفي السابع والعشرين
 من الشهر المذكور توجه إلى دمشق ، فدخلها في ٢٣ محرم سنة ٦٧٧ ؛ وكانت
 الأخبار بتوليه القضاء قد وصلت إلى دمشق فامتنع ابن الصائغ عن مباشرة
 أعماله ؛ ولم تستطع السنوات السبع أن تنسي أهلها قاضيهم المحبوب ، فخرج
 الناس لتلقيه ، حتى وصل بعضهم إلى غزة وبعضهم إلى الرملة ، وآخرون
 إلى قطيا ، وكان يوم دخوله مشهوداً ، لم ير ما يشبهه في الاحتفال والزحمة ،
 وركب نائب السلطنة عز الدين أيدير بجميع العسكر لتلقيه ، وتوجه حال
 دخوله إلى المدرسة العادلية ، فجلس فيها ، وتوافد الشعراء يهنتونه ، وتبارى
 القراء في القراءة ، وألح كثير من الشعراء إلى أن السنوات السبع كانت

١ الصفدي ٧ : ٣١١ .

٢ المصدر نفسه .

٣ المصدر نفسه .

مثل سني يوسف ، عجافاً ، وأن بعد السبع يجيء عام الغوث الذي حلّ عليهم
بقدم ابن خلكان^١ .

وفي سابع عشر صفر افتتحت المدرسة الظاهرية التي أنشأها الملك السعيد
باسم أبيه ، في موضع دار العقيلي ، ولم تكن المدرسة قد كملت بعد ،
وحضر الدرس نائب السلطنة عز الدين ايدمر وبقية القضاة والأعيان ، وكانت
المدرسة وقفاً على أصحاب الشافعية والحنفية ، وكان مدرس الشافعية رشيد
الدين اسماعيل الفارقي صديق المؤلف وذو المدائح الكثيرة فيه ، وقد حضر
قاضي القضاة درسه ومعه ابنه موسى ، أما مدرس الحنفية فكان صدر الدين
سليمان الحنفي بعد استعفائه من قضاء القضاة بمصر^٢ ، وفي ذي القعدة فتحت
المدرسة النجيبية ، ودرس فيها ابن خلكان أيضاً ثم نزل عنها لابنه كمال الدين
موسى ، وفتحت الخانقاه النجيبية ، وكان صاحب المدرسة والخانقاه ، قد
جعل النظر في أوقافهما إلى ابن خلكان^٣ ، وكذلك فعل في سائر ما أوقفه^٤ .

وكانت أول رسالة وردت عليه من مصر بعد توليه القضاء هذه المرة ،
رسالة بانشاء تاج الدين ابن الأثير الحلبي تبشر بوفاء النيل (سنة ٦٧٧) وفيها
يقول : لا زالت أيامه مستفتحة بالهناء وسعادة الآناء وإشادة الثناء ، إذ كان
أمل غيره من دهره إشادة البناء . وكلمة « غيره » هنا تشير فيما يبدو إلى القاضي
الذي كان قبله ، وهو ابن الصائغ ، إذ كان يكثر من القول في مجالسه

١ عيون التواريخ ، الورقة ٤٦ ، ٦٠ ومخطوطة كوبريللي (رقم ١١٢١) الورقة : ٨٤ والصفدي
٧ : ٣٠٩ - ٣١٠ ، وإنباء الأمراء ، الورقة : ٣٥ والمنهل الصافي ؛ وعقود الجمان
الورقة : ١٧٧ ومخطوطة برلين المذكورة ، الورقة : ٤٤٦ وابن كثير ١٣ : ٢٧٩ -
٢٨٠ .

٢ عقد الجمان ، الورقة : ١٧٧ ومخطوطة برلين الورقة ٤٤٦ وابن كثير ١٣ : ٢٨٠
والوفيات ٤ : ١٥٦ - ١٥٧ (المتن والهامية) ؛ وقد انفرد المؤلف بقوله ان افتتاحها
كان في ١٧ صفر أما المصادر الأخرى فذكرت أن ذلك كان في ثالث صفر ، والمؤلف
أدرى بذلك لأنه شهد افتتاحها بنفسه .

٣ المصادر السابقة نفسها .

٤ مخطوطة برلين ، الورقة : ٤٤٧ .

« عمرت في الأوقاف كذا وبنيت للأيتام كذا » ؛ وقد أشار إلى هذا التعريض ابنه موسى^١ .

وقضى ابن خلكان في منصبه الجديد قرابة ثلاث سنوات وهو يصرف الأمور دون منغصات ، إلى أن حدثت فتنة سنقر الأشقر ، وخلاصتها أن سنقر الأشقر تولى نيابة السلطنة بدمشق بعد عزالدين أيدمر الظاهري ، ثم ادعى لنفسه الاستقلال بالسلطنة ، وتلقب بالملك الكامل وحلف له القضاة والأعيان ، وكان الذي شجعه على ذلك اضطراب الأمور في مصر حول الملك السعيد وخلعه من السلطنة وتولية أخيه الملك العادل سلامش ، وعمره يومئذ سبع سنوات ، ثم عزله ومبايعه المنصور قلاوون الصالحى ، فلم يرض ذلك سنقر الأشقر وأراد الاستقلال بالسلطنة ، وأرسل إليه المنصور قلاوون يقبح فعله وأن ذلك يفرق الكلمة ويوهن الأمة ، فلم يصغ له . وعندئذ أرسل إليه المنصور جيشاً بقيادة علم الدين سنجر الحلبي ، فكانت الهزيمة على سنقر الأشقر^٢ .

ويبدو أن ابن خلكان كان في من بايع سنقر الأشقر^٣ ، ولذلك فانه ما كاد يدخل على سنجر الحلبي ليسلم عليه - حين استقر ركابه بدمشق - حتى قبض عليه واعتقله في علو الخانقاه النجيبية (٢٠ صفر ٦٧٩) واستدعى القاضي السابق ابن سني الدولة من حلب وعهد إليه بالقضاء بدلاً عنه^٤ . وألح سنجر الحلبي على ابن خلكان بأن يخلي المدرسة العادلية ، كي يسكنها ابن سني الدولة ، فاستدعى ابن خلكان جملاً لينقل امتعته إلى جبل الصالحية ، وبينما كان نقل الأمتعة يجري ، وصلت رسالة من الملك المنصور قلاوون تتضمن عفواً عن كل من اشترك في فتنة سنقر الأشقر . وجلس سنجر الحلبي

١ الوفيات ج ٥ : ٣٩٥ - ٣٩٦ (الحاشية) .

٢ ابن كثير ١٣ : ٢٨٨ - ٢٩١ وعقد الجمان ، الورقة ١٧٨ وما بعدها ، وعيون التواريخ الورقة ٨٩ .

٣ في كنز الدرر ٨ : ٢٣٨ أنه اتفق بقتال العساكر المصرية .

٤ ابن كثير ١٣ : ٢٩١ وعقد الجمان ، الورقة : ١٨٤ .

في دهليز بالميدان الأخضر وحضر عنده الأمراء والأعيان من عسكر مصر والشام وأعيان الناس ، وأخذ يقرأ عليهم كتاب المنصور ، وبعد التهئة بالظفر والعتب على من اشترك في تلك الحادثة ورد ذكر الغفو العام وفيه مما يخص ابن خلكان : « وغير خاف ما يتعين من حق المجلس السامي القضائي شمس الدين أحمد ابن خلكان ، أعزه الله تعالى ، وقديم صحبته بنا وخدمته علينا وأنه من بقايا الدولة الصالحية ، سقى الله عهدا ، وقد رسمنا باعادته إلى ما كان عليه من قضاء القضاة بالشام ، وبسطنا يديه في النقض والابرام »^١ . ومع الرسالة خلعة سنية لابن خلكان ، فركب القاضي من ساعته إلى حيث كان الأمراء مجتمعين وسلم عليهم ، ثم نزل وياشر الأحكام ، وأحضرت له خلعة التشريف فلبسها وصلى بها الجمعة ، وكتب إلى الملك المنصور رسالة يدعو له فيها ويتنصل مما نسب إليه ويعتذر ، فجاءه جواب الملك المنصور بالشكر وقبول العذر ، وبعد مدة أضيف له قضاء منطقة حلب وأعمالها وأذن له أن يستنيب فيها من يختاره^٢ ؛ ولا ريب في أن الناس ابتهجوا بالغفو العام الذي شمل كثيراً منهم ، ولكن الكثيرين ابتهجوا أيضاً لأن قاضيهـم المحبـوب كان ممن شملهم ذلك الغفو^٣ .

ولكن يبدو أن تصرف الملك المنصور لم يكن إلا تهدة للحال ، واسترضاء للخواطر ، وإلا فانه لم يمر أكثر من شهر ونصف على إضافة منطقة حلب إلى ابن خلكان حتى جاءه كتاب العزل عن القضاء (٢٨ محرم سنة ٦٨٠) وتولية عز الدين ابن الصائغ^٤ ؛ ولا تذكر المصادر شيئاً عن سبب هذا العزل ، سوى ما يمكن أن يقال عن تأثير ابنه موسى عليه ، مما ألمعت إليه من قبل ؛

١ عيون التواريخ ، الورقة ٨٩ - ٩٠ (ونسخة كوبريللي ، الورقة : ١٢٢) وباختصار في ابن كثير ١٣ : ٢٩١ وعقد الجمان : ١٨٥ .

٢ عيون التواريخ : ٩٠ ، ٩٢ (ونسخة كوبريللي ، الورقة : ١٢٥) وانظر عقد الجمان : ١٨٦ ومخطوطة برلين : ٤٤٩ .

٣ ابن كثير ١٣ : ٢٩١ .

٤ عيون التواريخ : ١٠١ وعقد الجمان : ١٨٧ ومخطوطة برلين : ٤٤٩ وابن كثير ١٣ : ٢٩٣ .

وكان معنى هذا العزل أنه أيضاً ينحى عن التدريس في المدارس التي كان يتسلمها في العادة ، وانقطع بالمدرسة النجيبية التي كان يدرس فيها ابنه موسى ، وبقي له مرتب مقداره ثلاثمائة درهم في الشهر ، ثم أضيفت إليه المدرسة الأمينية خلفاً لعلاء الدين ابن الزملاكاني^١ ، وكان ذلك في العاشر من صفر سنة ٦٨١^٢ ، واستمر على ذكر الدرس بالأمينية والعود إلى مسكنه بالنجيبية ، والاجتماع بمن يتردد إليه من العلماء والفضلاء والأدباء ، والبحث معهم والمذاكرة لهم وبث العلوم والفوائد، حتى ابتداء به المرض يوم ٢٢ رجب ثم وافته منيته وقت أذان العصر من يوم السبت ٢٦ رجب سنة ٦٨١ بالمدرسة الجمالية النجيبية ، ودفن يوم الأحد التالي له ، صلي عليه بجامع دمشق ثم دفن بسفح جبل قاسيون في الصحراء ، شرقي التربة الصوابية الواقعة بسفح الجبل من جانبه الغربي^٣ .

٤ - ثقافته - مذهبه - شخصيته .

قد مرّ بنا في الفقرة السابقة ذكر بعض ما درسه ابن خلكان في مراحل حياته التعليمية ، ومنه يتبين لنا أن المصادر قد أبرزت اهتمامه بدراسة الفقه وأصوله - وخاصة على مذهب الشافعي - ودراسة اللغة والنحو ، وإتقانه لهذه العلوم ، التي لا نعرف له فيها مؤلفاً خاصاً ، ولكنها واضحة في كتابه كلما عرّج على بعض القضايا الفقهية واللغوية والنحوية ، مؤكدة بشهادة معاصريه والآخذين عنه ، فقد شهدوا له بالبراعة في الفقه والأصول والعربية وبالمعرفة بالمذهب (أي مذهب الشافعي) وبحسن ما صدر عنه من الفتاوى^٤ :

- ١ انظر الدارس ١ : ١٩١ ، والمدرسة الأمينية قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي المسمى قديماً باب الساعات ، وبانيها هو أمين الدولة كشتكين بن عبد الله (الدارس ١ : ١٧٧).
- ٢ مقدمة الوفيات ٤ : الصفحة (ي) وعيون التواريخ : ١١٣ (ونسخة كوبريلي : ١٢٥).
- ٣ مقدمة الجزء الرابع من الوفيات : (ي ، ط) وانظر مخطوطة برلين : ٤٥١ وابن كثير ١٣ : ٣٠١ ، والدارس ١ : ١٩٣ .
- ٤ الدارس ١ : ١٦٣ نقلاً عن تاج الدين الفزاري ، وانظر كذلك : المنهل الصافي .

وتلك المعارف - بالإضافة إلى عناصر أخرى في شخصيته - هي التي أهله
لمنصب القضاء، وكفلت له التوفيق في ذلك المنصب. مدة طويلة من الزمن ،
كما كفلت له القيام بأعباء التدريس فيما وكل إليه من مدارس .

غير أن الأخبار التي استطعت جمعها عن تحصيله العلمي لا تصوّر إلا
جانباً يسيراً من ثقافته ، فقد كان الرجل دائماً الاطلاع ، محباً للكتب ينفق
على اقتنائها ، أو يعتمد الاطلاع عليها في المكتبات الموقوفة على المدارس ،
ويكاد كتابه أن يكون مرآة تصوّر تدرّج اطلاعه على تلك الكتب ^١ .

وفصح كتابه عن ميل شديد إلى الشعر وأيام الناس ^٢ ، ويغلبه حبه للشعر
أحياناً ويزاحم لديه الحقيقة التاريخية ؛ وقد عرفنا أن ابن خلكان كان يطمح
في أوائل عهده بطلب العلم أن يكون شاعراً ، وقد نظم كثيراً من الشعر
- سيأتي الحديث عنه في موضعه - وربما انتسب إلى جمهرة الشعراء من
أصدقائه أمثال ابن مطروح وابن الخيمي والجزار والبها زهير ، لولا أن
انتسابه إلى القضاء كفّل له رزقاً مقررّاً ومكانة اجتماعية . وبعد العمل في
القضاء لم تفرّ صلته بالشعر والاهتمام به . وتغذية الذوق الأدبي لديه باستمرار .
وقد قيل فيه إنه كان أعرف الناس بديوان المتنبي في وقته ^٣ ، وهذا واضح
في كتابه نفسه . لا من كثرة إحالاته على ديوان المتنبي وحسب ، بل لأنه
عقد بعض التراجم في كتابه (مثل ترجمة فائق وكافور) باعتماد كثير على
الديوان . ونقل عن الشيخ تاج الدين الفزاري وغيره أنه كان يحفظ سبعة
عشر ديواناً من الشعر ^٤ ؛ ولهذا يمكن أن يقال إن الموجه الأول في ثقافته
كان هو نزعة الأدبية التاريخية ، وأن من مكملات تلك الصورة الثقافية
اهتمامه بالفقه والنحو واللغة .

١ انظر فهرست « مصادر المؤلف » في الجزء الخاص بالفهارس العامة ، وانظر فيما يلي الحديث
عن تأليفه لكتابه « وفيات الأعيان » .

٢ انظر أيضاً الدارس ١ : ١٩٣ نقلاً عن الفزاري .

٣ المنهل الصافي ، وابن قاضي شعبة : ٣١١ (نقلاً عن البرزالي) وابن طولون : ٣٥ .

٤ ابن قاضي شعبة : ٢١٠ .

ويكاد يكون من القول المعاد الوقوفُ عند مذهبه ، فقد تقدّم القول أنه كان شافعيّاً ، كما كان سائر أفراد أسرته ، وأنه ولي قضاء القضاة بالشام منفرداً يوم لم يكن يعين في هذا المنصب إلا شافعي . ثم ظلّ يلي هذا المنصب حين عين قضاء لسائر المذاهب السنية ، فلا جدال في أن الرجل كان سنياً (وهو كرديّ الأصل) شافعيّاً . ولكن الذي حداني إلى الوقوف عند قضية المذهب اتهم أحد المتأخرين له بأنه كان شيعياً يكيد للسنة . ذلك هو غلام محمد بن الشيخ محيي الدين بن الشيخ عمر المدعو بالاسلمي صاحب الترجمة العبقريّة^١ وهو يستشهد على اثبات اتهمه باقتباس ابن خلكان للمصادر الشيعية ، ولعله يومئ إلى اهتمام المؤلف بالترجمة للأئمة الاثني عشر ثم بالترجمة لجميع الخلفاء العبيديين ، ولكن التهمة بالانكفاء على المصادر باطلة ، وسيثبت فهرست مصادر المؤلف الذي أفردها في الجزء الخاص بالفهارس أن أكثر مصادر ابن خلكان إنما هي المصادر المعتمدة عند أهل السنة . ولو شئنا أن نقوي دعوى صاحب الترجمة العبقريّة لقلنا : ومما يدلّ على الميل الشيعي لدى المؤلف أن كثيراً من أصدقائه كانوا من الشيعة بل من غلاتهم مثل أبي المحاسن الشوّا . والشاعر الملقب بشيطان الشام ؛ وأنه كان يرى في مدح الفرزدق لزين العابدين - محض مدح - « مكرمة ترجى له بها الجنة »^٢ ؛ وأنه إذا ذكر معاوية في كتابه لا يترضى عنه^٣ ؛ ولكنّ كل ذلك لا يدلّ على تشيع أو كيد للسنة . فنحن نستطيع أن نحمل اهتمامه بالأئمة الاثني عشر وبالخلفاء الفاطميين على محمل النظرة التاريخية الخالصة ، وصداقته للشيعة وغلاتهم على روح الانصاف والتسامح في قيام العلاقات الودية بين طرفين مختلفين في الانتماء المذهبي ؛ وإذا كان ابن خلكان لا يترضى عن معاوية فقد ورد بخطه الترضي عن عائشة

١ انظر الترجمة العبقريّة والصولة الحيدرية للتحفة الاثنا عشرية (طوبقبوسراي رقم : ٣٨٦ الورقة ٤٨ / أ) ، والفضل في لفت نظري إلى هذا الكتاب يعود إلى الأتسة وداد القاضي .
٢ الوفيات ٦ : ٩٥ .

٣ وردت « رضي الله عنه » مرة واحدة عند ذكر معاوية ٥ : ٣٥٣ والنص غير منقول عن خط المؤلف ، وإما كذلك ورد في المختار لابنه ، مما يدل على أن ابنه كان لا يتفق تماماً مع أبيه في هذا الموقف من الصحابة .

وعن طلحة والزبير ، وهم ممن خاصموا علياً وثاروا عليه ، أما انحرافه بعض الشيء عن معاوية وعمرو بن العاص وقبوله فيهما بعض الروايات الضعيفة ، فهو موقف لكثير ممن ينتمون إلى المذهب السني ؛ ويكفي أن أشير هنا إلى إنصافه - في موقف المؤرخ - حين أورد فتوى الكيا الهراسي في حال يزيد ابن معاوية فانه شفعها بفتوى الغزالي المناقضة لها^١ . بل انه - على المستوى الأدبي - كان شديد الغرام بديوان يزيد حتى حفظه جميعه سنة ٦٣٣ بدمشق ، وعرف صحيحه من منحوله ، وتتبع المنحول حتى رد كل أبيات لمصاحبها ، وأثنى على شعر يزيد وقال انه في نهاية الحسن^٢ ؛ وخلاصة القول انه ربما كان ابن خلكان ميالاً إلى علي وآله ، في بعض المواقف ، ولكنه لا يحسب في الشيعة أو في من يكيدون للسنة ، كما أن ميله ذلك لم يبعده عن منزلة الانصاف وتحري العدالة .

وإذ بلغنا الانصاف والعدالة في مناقبه فحري بنا أن نتحدث عن أهم العناصر التي تميزت بها شخصيته . لقد وصفته المصادر بأنه كان حسن الصورة فصيح المنطق^٣ ؛ كما وصفته بأنه كان جواداً كريماً لا يدخر شيئاً^٤ ، وقد جعلته هذه الصفة مع المنصب القضائي ، قبلة للمدح ، فكان مداحه من الشعراء كثيرين . مثل سعد الدين الفارقي ونور الدين ابن مصعب ورشيد الدين الفارقي ونجم الدين أبي المعالي ابن اسرائيل الشيباني ، ومما مدحه به هذا الأخير ، رجاء أن يمنحه بيتاً في مدرسته قوله^٥ :

أبوابه تتوجه الرغبات	قاضي قضاة المسلمين ومن إلى
بسناه زال الظلم والظلمات	شمس المعاني والمعالي والذي
أبدأ له بفوائد عادات	بحر المعارف والعوارف من جرت

١ الوفيات ٣ : ٢٨٧ - ٢٨٨ .

٢ الوفيات ٤ : ٣٥٤ .

٣ الدارس ١ : ١٩٣ وابن قاضي شهبة : ٢١٠ نقلا عن تاج الدين الفزاري .

٤ عيون التواريخ : ١١٥/أ .

٥ عيون التواريخ ، الورقة : ٧٥ ب .

وكان يميزهم الجوائز السنية على مدحهم^١ .

كذلك وصف بالتزاهة وكمال العقل وثبات الجأش ، وهي خصائص هامة للقاضي ، مثلما هي هامة في معاملة الناس جملة ، ومن الطبيعي أن يكون الجدلّ هو الصفة الغالبة عليه مع الوقار ، فهما من متطلبات القضاء أيضاً ، وهذا هو الذي جعل مجلسه حافلاً بالبحث والتحقيق والفوائد العلمية والأدبية^٢ وكان أصحابه يحبون هذا المجلس للاقتباس من فوائده ، على أن ذلك لا ينفي أنه كان يميل إلى الدعابة المهدّبة في الأغلب . وكان شديد المسارعة إلى خدمة الآخرين إلاّ أن تودّي الخدمة إلى ما يمس روح العدالة لديه ، كذلك تحدث فيما سبق عن عفة يده عن قبول المساعدات المادية وهو في أشد حالات الضيق ؛ وكل هذه الصفات مع ما عرف به من الرفق ولين الجانب جعلته محبباً إلى من عرفوه^٣ ، وكان شديد التحرج من أن تجري في مجالسه الغيبة ، ويكره نقل الأخبار بالنسيئة ، وله في هذا الباب حكاية عميقة الدلالة ، ربما ظنناها اليوم تتعارض مع منصبه القضائي ، فقد حضر إليه ذات يوم رجل يخبره أن اثنين من الشهود العدول لديه كانا عاكفين على الخمر في مكان ما ، فأرسل أحد النقباء يأمرهما باصلاح حالهما وتغيير هيئة المجلس ، ثم توجه إلى بيته ، حتى إذا عرف أن النقيب قد وصل وبلغهما ما أمره به ، استدعى الرجل الذي أفضى إليه بالسّر وقال له : أنا أبعث معك النقيب (ثاني التقيين) فان كان حديثك صحيحاً فعلت بهما ما ينبغي وإلاّ أشهرتك في البلد وقطعت لسانك؛ فوافق الرجل لتأكده مما رآه ، فأخذه النقيب وذهب به إلى ذلك المكان فلم يجد أثراً لمجلس شراب ، وأسقط في يد الرجل ، واعيد إلى ابن خلكان ، فأخذه في دهليز ومعه الدرة ، وأخذ يهدده ، فشفع فيه النقيب ، فقبل شفاعته ، ثم أحضر المصحف وجعله يحلف عليه بالألا يعود يقذف عرض مسلم^٤ ؛

١ المنهل الصافي ؛ وابن طولون : ٣٥ .

٢ ابن قاضي شعبة : ٢١١ والمنهل الصافي ؛ وابن طولون : ٣٥ .

٣ عيون التواريخ : ١/١١٥ .

٤ عيون التواريخ : ١١٥/أ-ب ، وشذرات الذهب : ٣٧١ - ٣٧٢ .

وربما كان بعض الناس لا يقبل مثل هذا التصرف ويعده غمزاً في عدالة الرجل وميله إلى التحريّ الدقيق عن أمانة شهوده ، ولكن القصة من ناحية أخرى تدلّ على مبلغ حرصه على ألا يكشف عورة أحد ، وعلى صدّه لترصدي المزائق في الآخرين .

وقد أثار بعض معاصريه زاويتين أخلاقيتين للطعن في سلوكه الشخصي — بالإضافة إلى كذبه في نسبه — وهما تعاطيه الحشيشة وميله إلى الغلمان ، وقد أجاب عن الأولى بأنّه لو كان يريد مثل تلك اللذة ، لشرب الخمر ، وأنّه يرى في كل ما كان من قبيل الخمر والحشيشة أمراً محرماً ، وتوقف عن الاجابة على التهمة الثانية . وذهب بعضهم إلى تعيين محبوه ، وإلى أنّه كان يتصرف في بعض حالاته في حضور من يطمئنّ إليه تصرف المتيمّ الوهان^١ ؛ ومن الصعب أن يقول الباحث الحديث شيئاً في هذه القضية ، فان أكثر أشعار ابن خلكان التي وصلتنا غزلية ، ولعلّ الذين نسبوا إليه ذلك إنما كانوا متأثرين بما يسمعون من شعره ودوبيّاته ؛ على أن التعبير عن أحاسيس النفس شيء لا تقف دونه روح التدين التي كانت تغلب على سلوكه العام ، وربما كانت هذه العاطفة ناجمة عن زمام شديد من الورع . وليس لنا أن نقول إنه إن كان هناك مثل ذلك الميل لديه ، فانه كان مواكباً لعهد الصبا، ذلك لأن الحديث عن هذا الميل إنما كان في دمشق ، بعد أن عين قاضياً للقضاة ، وكان قد بلغ الخمسين أو تجاوزها . أياً كان الأمر فان صورة ابن خلكان التي يمكن رسمها من المصادر تدلّ على الاعتدال والتحرّج ، ومثل هاتين الصفتين تنبعان عن قوة في الارادة ، وهي صفة تحول دون الاستسلام للتيارات العاطفية أو الشهوانية .

وقد تجلّت روح التدين لديه في كثير من الصفات التي مرت الاشارة إليها : كالنزاهة والعدالة وكراهية الغيبة ... الخ ؛ وربما اقترنت أيضاً باكثره من زيارة القبور . وذلك أمر كان يفعله منذ أن كان في اربل^٢ ؛ ولكنا

١ انظر الصفدي ٧ : ٣١٢ والفوات ١ : ١٠٢ .

٢ انظر الوفيات ٢ : ٢٣٨ .

يجب ألا ننسى روح المؤرخ هنا ، فإن زيارته للقبور كانت جزءاً من تعرفه إلى أماكن الوفاة . وتدقيق ما يتصل بالتأريخ جملة ^١ .

٥ - ابن خلكان الناقد الأدبي والشاعر :

نثر ابن خلكان أحكاماً نقدية كثيرة في مواضع من كتابه تدل كلاًها على النموذج الشعري الرفيع في نظره ؛ ويؤخذ من تلك الأحكام أنه كان يعتبر شعر البحري وصرّدر وسبط ابن التعاويذي وابن عنين نموذجاً لما يراه قمة الشعر العربي (دون أن ينقص ذلك من إعجابه العام بالمتنبي) فهو يقول في التعليق على بعض شعر البحري : « هذا هو السحر الحلال على الحقيقة والسهل الممتنع ، فله دره ! ما أسلس قياده وأعذب ألفاظه وأحسن سبكه وألطف مقاصده ، وليس فيه من الحشو شيء بل جميعه نخب »^٢ ويقول في سبط ابن التعاويذي : « جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها ، وهو في غاية الحسن والحلاوة ، وفيما أعتقده لم يكن قبله بمائتي سنة من يضاهيه ، ولا يؤاخذني من يقف على هذا الفصل ، فان ذلك يختلف بميل الطباع »^٣. ويقول في ابن عنين : « كان خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ، ولا كان في أواخر عصره من يقاس به »^٤. ولا يقارب هؤلاء بل ربما تفوق عليهم في بعض شعره سوى مروان بن أبي حفصة في مثل قصيدته اللامية التي منها :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لهم في بطون خفان أشبل

فقد قال في التعليق عليها : « هذا لعمرى هو السحر الحلال المنقح لفظاً

١ راجع أمثلة ذلك في الوفيات ١ : ١٧١ ، ٢ : ٥٠٩ ، ٣ : ١٢٩ ، ١٣٥ ، ١٦٢

٢٢٢ ، ٤ : ١٩٢ ، ٤٦٢ ، ٥ : ١٨ ، ١٩٧ .

٢ الوفيات ٦ : ٢٦ .

٣ الوفيات ٤ : ٤٦٦ .

٤ الوفيات ٥ : ١٤ .

ومعنى وحته أن يفضل على جميع شعراء عصره وغيرهم^١ . وكل هذا يدلّ على أن الشعر المحدث — في الأغلب — هو محط إعجابه . وأنه يميل إلى حلاوة السبك الموسيقي المتلائم مع المعنى دون أن يكون الشعر معتمداً على حشو^٢ ؛ ويتميز هذا اللون من الشعر بسهولة الجريان مثلما يتميز بالاستواء العام في المعنى ، وربما ارتفع إلى مستوى الجزالة المحكمة — دون نظر إلى ما تحتها من معنى ، ولهذا نجده يرد انتقاد المعري لابن هانيء حين وصف شعره بأنه يشبه رحي تطحن قروناً فيقول : « ولعمري ما أنصفه في هذا المقال . وما حمّله على هذا إلا فرط تعصبه للمتنبّي »^٣ . هذا هو رأيه العام في الشعر فإذا جاء إلى التخصيص وجدناه يعجب بالمخالص الجيدة والتقسيمات الموفقة وبعض أنواع الجناس^٤ ، وذوقه في هذا لا يفترق عن أبناء عصره ؛ ويمكن أن نقول إن « مدرسة البحري » هي التي صنعت مقاييسه النقدية ، على تفاوت المستويات في تلك المدرسة ، حتى حين تصل إلى الجزار وابن مطروح والبها زهير . ولديه مجموعة من المقاييس النقدية التي أصبحت معتمدة في عصره كالفاصلة بين قصيدتين متشابهتين في الوزن والروي^٥ ، والكشف عن تناوب الشعراء للمعنى الواحد ، أو الحديث عموماً عن قضية الأخذ والسرقة . والتدقيق في تعقب الشعراء للاختلال الجزئي بالمعنى ، إلى درجة الاسراف أحياناً^٦ .

وتدلّ هذه المقاييس النقدية على المستوى الذي كان يطمح إليه في شعره ؛ فهو شعر يمكن أن يوصف إجمالاً بالرفقة والعذوبة ، ولكن ليس له نصيب من الجزالة ، أو من حلاوة موسيقى البحري ، كما أنه مشغوف فيه بالتضمين

١ الوفيات ٥ : ١٩٠ - ١٩١ .

٢ راجع الوفيات ٤ : ٤٤١ حيث يبدي إعجابه أيضاً بشعر خالص من الحشو .

٣ الوفيات ٤ : ٤٢٤ .

٤ انظر الوفيات ٤ : ٤٦٤ ، ٤٤١ ، ١٦١ .

٥ الوفيات ٥ : ١٧ .

٦ انظر نموذجاً من ذلك في الوفيات ٦ : ٢٥٠ - ٢٥٢ .

— حسبما تبين القطع التي جمعتها له في هذه الترجمة — وللدوبيت عنده جمال خاص ، فهو يجمع إلى الرقة والعدوبة حرارة في العاطفة لا تتوفر كثيراً في قصائده ، وكان أحياناً يتناول معنى ورد في شعر أحد الشعراء فيصوغه دوبيتاً^١ . وعلى الجملة لم يستطع ابن خلكان الناقد أو ابن خلكان الشاعر أن يرتفع فوق الذوق العام في عصره أو أن يباينه ، ولكنه كان مخلصاً في إعجابه بالنماذج الجميلة من الشعر المحدث .

كتاب وفيات الأعيان

١ - ابن خلكان المؤرخ :

كتب ابن خلكان كثيراً ولكنه لم يؤلف إلا كتاباً واحداً ولم يعرف إلا به : كتب كثيراً من الشعر والنثر ، وقيد بخطه مسودات كثيرة ، وربما كانت هذه المسودات هي التي تشير إليها بعض المصادر حينما تقول انه صنع مجاميع أدبية^١ ؛ وقد أفاد هو من هذه المسودات في تأليف كتابه ، ويبدو أن الصفدي اطلع عليها ونقل عنها بعض المادة^٢ ؛ وإذا كان الصفدي قد صرح بذلك فإن غيره نقل أشياء دون تصريح ، وهذه المنقولات مما لم يرد في كتابه الوفيات : من ذلك قول الادفوي في البدر السافر : « مسعود بن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن بن عبد الرزاق ، هكذا ذكره ابن خلكان وقال : انه رأى ذلك بخط بعض الحفاظ المتقنين »^٣ ؛ ونقل عنه صاحب ذيل مرآة الزمان نسب علي بن يوسف بن محمد بن عبد الله المارديني^٤ وشرف الدين الكرابيسي المشهور بابن العجمي^٥ ؛ وجاء في مرآة الجنان نقل يتعلق بعبد القادر الرهاوي لا وجود له في الوفيات^٦ ، وكل ذلك يدل على أن مقيدات ابن خلكان كانت أوسع بكثير مما تضمنه كتابه الوحيد الذي خلد اسمه وهو « وفيات الأعيان » .

لسنا ندري - على وجه اليقين - متى بدأ يجمع كتابه هذا ، ولكن لدينا

١ الصفدي ٧ : ٣٠٨ .

٢ الغيث ٢ : ٧٨ .

٣ البدر السافر ، الورقة : ١٩٦ .

٤ ذيل مرآة الزمان ٢ : ٢٧ .

٥ ذيل مرآة الزمان ٢ : ١٩ ، وانظر أمثلة أخرى ج ١ : ١٩ ، ١٨٣ .

٦ مرآة الجنان ٤ : ٢٣ .

قطعة بخط المؤلف تنتهي بترجمة ذي الرمة. والمؤلف يسميها الجزء الأول .
ويذكر أنه فرغ منه يوم الجمعة بعد الصلاة رابع شهر ربيع الأول سنة
٦٥٥^١ بالقاهرة المحروسة : ثم تابع كتابة بقية التراجم ابتداء من حرف
الفاء . وفي نسخة مكتبة ولي الدين باستانبول (رقم ٢٤٦٠) التي تقف
التراجم فيها عند يحيى بن خالد البرمكي ما يفيد أن تحريرها تمّ في سنة تسع
وخمسين وستمئة (٦٥٩) ، وهذا يوافق ما قاله المؤلف نفسه من أنه اضطر
إلى التوقف لتحركه إلى الشام متولياً منصب قاضي القضاة . وأنه سيكمل
كتابه إذا سنحت له الفرصة فيورد ما تبقى من تراجم كثيرة في حرف الباء ؛
ولدينا معظم القطعة التي أكمل بها كتابه بخطه ، ومن هذا يتبين أن كتاب
ابن خلكان في صورته الأولى كان يضم ثلاثة أجزاء ، ولكنه أصبح في صورة
أخرى خمسة كما يفهم من كلام ابنه موسى عندما صنع المختار . وقد انتهى
ابن خلكان من إتمام كتابه يوم ٢٢ جمادى الأولى سنة ٦٧٢ بالقاهرة المحروسة .
ولكن هذا لا يعني أنه توقف توقفاً تاماً عند هذا التاريخ ، إذ نرى فيه
إضافات أخرى ، لعل آخرها كان سنة ٦٨٠ هـ .

كانت النواة الأولى لكتاب ابن خلكان موجودة في مسوداته مما نقله
من المصادر التي اطلع عليها حتى سنة ٦٥٤ وما قيده عن طريق الرواية
والسماع ، ولكن نموّ كتابه ظلّ يطرد مع الأيام ، إذ كان عشوره على
المصادر وأخذ الفوائد منها يشبه الكشف المتدرّج ، مع أنه كان يعتقد حين
أنهى الصورة الأولى من كتابه (حتى ترجمة يحيى بن خالد) أنه «لم يترك
كتاباً من الكتب التي في أيدي الناس المشهورة والحاملة. المبسوطة والوجيزة
إلا اختار منه ما يدخل في كتابه»^٢ . ويمكن للمرء أن يقدر أن ابن خلكان

١ يقول المؤلف في مقدمته : وكان ترتيبه له في شهر سنة ٦٥٤ ، ولعل هذا لا يعني بداية
التأليف ، وبذا تكون المسودة التي لدينا نسخة ذنية من الكتاب ؛ وقد درس هذه المخطوطة
دراسة مطولة الأستاذ كوريتون - حين تملكها - في مقال نشره بمجلة الجمعية الاسيوية
الملكية سنة ١٨٤١ ؛ وقد أفتت من مقاله في هذا البحث .

٢ الوفيات ٦ : ٢٢٩ .

رغم تنقله ، كان يكتفي مكتبة حافلة بشئى المؤلفات ، فقد شهد ابنه موسى أنه رأى عند والده نسخة الوسيط للغزالي^١ وتملك كتاب « علماء الأمصار » تصنيف الحاكم النيسابوري ، بعد أن كانت النسخة في ملك شيخه ابن الصلاح (٦٤٣ -) وبيعت في تركته^٢ ، ورأى ابنه موسى بخزانة كتبه عشرة كتب بخط الجواليقي منها الكامل للمبرد في جزء واحد ومنها الحماسة والخطب النباتية^٣ ؛ وعدا عن الكتب التي اقتناها المؤلف اعتمد على كتب رآها عند الوراقين أو في المكتبات العامة ، فقد رأى لابراهيم ابن محمد اليزيدي كتاباً في اللغة اسمه « ما اتفق لفظه وافترق معناه » في أربع مجلدات ، ووصفه بأنه من الكتب النفيسة^٤ ، ورأى نسخة من ديوان صريع الدلاء^٥ ونسخة من الدرة الخطيرة بخط المؤلف ابن القطاع^٦ . وعدة نسخ من صحاح الجوهري بخط ياقوت الملوكي وكل نسخة تباع بمائة دينار^٧ ، وكتاب الحيل لبني شاكر وهو من أحسن الكتب وأمتعها في مجلد واحد^٨ ، والمخلص للتبريزي في أربع مجلدات^٩ ، وديوان ابن بابك في ثلاث مجلدات^{١٠} ، وتحقيق المحيط للخبوشاني في ١٦ مجلداً^{١١} . ولكن رؤية هذه المصادر لم تتفق له دائماً قبل أن أنهى الصورة الأولى من كتابه ؛ إذ يبدو أن اطلاعه على كتاب « الشامل للجويني » تمّ بعد أن كتب ترجمة الحلاج ، ولذلك جاءت مناقشته

- ١ الوفيات ٤ : ٢٥٣ (الحاشية) .
- ٢ الوفيات ٥ : ١٩٥ .
- ٣ الوفيات ٥ : ٣٤٢ .
- ٤ الوفيات ٦ : ١٩٠ .
- ٥ الوفيات ٣ : ٣٨٤ .
- ٦ الوفيات ٣ : ٣٢٤ .
- ٧ الوفيات ٦ : ١١٩ .
- ٨ الوفيات ٥ : ١٦٢ .
- ٩ الوفيات ٦ : ١٩٢ .
- ١٠ الوفيات ٣ : ١٩٦ .
- ١١ الوفيات ٤ : ٢٣٩ .

لما ورد في الشامل بخط مختلف قليلاً عن خطه الأصلي^١ ؛ وهو يحيل دائماً إلى كتاب الأنساب للسمعاني ، ولكنه لم يجد الكتاب بمصر حين بدأ التأليف ولم ير منه إلا نسخة واحدة حين كان في دور الطلب بديار الشام ، وإذا ذكر الأنساب فانما يعني مختصره لابن الأثير^٢ ؛ كذلك يبدو أن اطلاعه على الذيل للسمعاني انما تمّ في مرحلة متأخرة ، وقلّ مثل ذلك في كتاب اسمه « اللقيف » مجهول مؤلفه^٣ وفي الترجمة الذاتية التي كتبها شيخه عبد اللطيف البغدادي^٤ ؛ ولم يستطع الاطلاع على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي إلا بعد أن عاش قاضياً في دمشق وراه هنالك بخط مؤلفه في أربعين مجلداً^٥ ؛ وقد مكنته اقامته بدمشق من أن يرى ديوان دوبيت لفتيان الشاغوري^٦ وأن يرى في خزانه كتب المدرسة العادلية (في شوال ٦٦٥) كتاب التقريب في ست مجلدات (من أصل عشر مجلدات) وهي نسخة كانت للشيخ قطب الدين مسعود النيسابوري وعليها خطه بأنه وقفها^٧ ؛ وكذلك تملك بدمشق (٦٦٧) نسختين من ديوان أبي الدر الرومي بعد أن كان يسمع أن له ديواناً صغيراً ، فوجده في عشر كراريس ، أي صدق الخبر الخبر^٨ ؛ وإذا صحت رواية نسخة الظاهرية من الوفيات ، فان المؤلف رأى نسخة من مقامات الحريري سنة ٦٧٦^٩ بخط مصنفها ، وباطلاعه عليها وجد أنها ألقت للوزير جلال الدين ابن صدقة وذلك مخالف لما كان قد أثبتته حول تأليفها . ونجده لم يفد من كتاب « عقود الجمان » لابن الشعار إلا في مواضع قليلة تدلّ على

١ اوفيت : ١٤٦ وما بعدها ، وقد بدأ هذه الفقرة بقوله « قلت : وبعد الفراغ من هذه

الترجمة ... الخ » .

٢ اوفيت ٤ : ٢٨٣ .

٣ انظر الوفيات ٦ : ١٢٦ ، ٣٨٧ .

٤ اوفيت ٦ : ٧٦ .

٥ الوفيات ٦ : ٢٣٩ ، ٣٥٣ ؛ ٣ : ١٤٢ .

٦ الوفيات ٤ : ٢٦ .

٧ الوفيات ٤ : ٢٠٠ .

٨ الوفيات ٦ : ١٢٥ .

٩ في بعض النسخ ٦٥٦ ، انظر الوفيات ٤ : ٦٤ .

أنه رأى الكتاب أو بعض أجزائه في درر متأخر ؛ ولم يظفر بمشخة أستاذة ابن شداد إلا سنة ٦٨٠ ، وكانت النسخة مما قرىء على ابن شداد وكتب خطه عليها بالسماح^١ ، فاذا تذكرنا أن جانباً من ترجمة ابن شداد يعتمد على سرد مشيخته أدركنا إلى أي زمن جرى التعديل في تراجم كتاب الوفيات ؛ وكان تعرفه إلى كتاب « السيل والذيل » للعماد الاصبهاني بمصر أوائل سنة ٦٧٢ ، فوجده ذيلًا على الخريدة بعد أن كان يظنه ذيلًا على كتاب آخر^٢ ، وإذا كان قد فاته الافادة من كتب رآها في بعض مراحل حياته ثم لم يعثر عليها (كرسائل ابن زبادة التي رآها باربل أو بالموصل)^٣ فانه لم يكن يستغرق الاطلاع دائماً على المصادر الكبيرة ذات المواد المتشعبة مثل تاريخ ابن الأثير . فهذا الكتاب يعد من أهم مصادره ، ومع ذلك فانه حين كتب ترجمة أبي الوفاء المهندس أحلى بياضاً لادراج تاريخ وفاته ، ثم وجدها في تاريخ ابن الأثير ، وكان بين الشروع في التاريخ والعثور على الوفاة أكثر من عشرين سنة^٤ ، فاذا قدرنا أنه شرع في الترجمة (وهي من القسم الثاني) سنة ٦٥٥ فانه لم يعثر على تاريخ الوفاة — في مصدر قريب منه — إلا سنة ٦٧٥ أو بعد ذلك ؛ وقد أقر المؤلف — في خاتمة كتابه — بأنه حين عاد من دمشق (٦٦٩) وجد في القاهرة كتباً كان يؤثر الاطلاع عليها ، وأن التخلي عن مهام القضاء مكنته من ذلك ، فلم ينتفع من تلك الكتب لاتمام كتابه وحسب ، بل لتحشية ما فاته في الصورة الأولى . ولا بد من أن نتذكر هذه التعديلات المستمرة في الكتاب عند الحديث عن التفاوت بين النسخ .

وكان في ذهن ابن خلكان وهو يجمع مؤلفه — في المرحلتين — أي قبل العهد الأول في قضاء القضاة وبعده ، أن يحقق خطة أخرى ، فيؤلف كتاباً كبيراً في التاريخ ، لأنه كان يرى أن مؤلفه . على ما هو عليه ، كتاب مختصر .

١ الوفيات ٤ : ٢٦٤ .

٢ الوفيات ٦ : ٢٥٠ .

٣ الوفيات ٦ : ٢٤٦ .

٤ الوفيات ٥ : ١٦٨ .

هل كان ينوي أن يكتب تاريخاً عاماً أو أن يتوسع في كتاب للتراجم ؟
أكبر الظن أنه كان يخطط لتاريخ عام على مثال كتاب شيخه ابن الأثير ،
لأنه كان يريد أن يسرد فيه تاريخ القرامطة مستوفى^١ ، وإيراد تاريخهم على
هذه الصورة لا يعتمد على التراجم - فيما أقدر - وإنما يعتمد على الأحداث^٢ ؛
وقد ظلّ هذا الأمل حياً حين انتهى من الصورة الأولى من كتابه ، وكان
يقدر أن يبيء الكتاب المطول في أكثر من عشرة أسفار^٣ ، وعاد إلى حديث
القرامطة وإيراد التفصيلات عنهم في التاريخ الكبير حين كتب ترجمة يعقوب
ابن الليث الصفار^٤ ، وهي ترجمة متأخرة كثيراً حتى عمّا قبلها وما
بعدها من التراجم لأنه لا وجود لها فيما تبقى من مسودة المؤلف ، وعندما
ختم الصورة الثانية من كتابه الوفيات كان ما يزال على عزم الشروع في كتابه
المطول (أي سنة ٦٧٢) .

من السهل أن نقول إنه لم يفعل ذلك ، لأنه لم يستطع الانصراف إلى
التأليف ، فقد كانت الفترة المتبقية من اقامته في القاهرة حتى عاد إلى منصب
القضاء بدمشق (سنة ٦٧٦) لا تكفي لإنجاز كتاب مطول كالذي كان
يعتزم تأليفه ؛ ولم يذكر أحد^٥ من معاصريه أو ممن جاء بعدهم أنه حقق
تلك الأمنية ، وليس بين أيدينا اليوم مما يتصل به سوى كتابه « وفيات الأعيان »
ومعنى ذلك كله أن أمنيته ظلت أمراً نظرياً لم يخرج إلى حيز الواقع ، ولكن
في النفس شيئاً من هذا القطع الجازم : ألا يمكن أن أكون مخطئاً في التقدير
ويكون ما انتوى ابن خلكان كتابته تاريخاً مفصلاً في التراجم ؟ ترى لو
وصلتنا نسخة آيا صوفيا (رقم : ٣٥٣٢) كاملة - وفيها تراجم كثيرة
لا ترد في سائر النسخ - ألم يكن من الممكن عدّها ذلك التاريخ المطول ؟
وهذه المتقولات التي وردت في البدر السافر ومرآة الجنان وذيل مرآة الزمان
وقدّرت أنها مستمدة مباشرة من مسودات المؤلف : ألا يمكن أن تكون

١ انظر الوفيات ٢ : ١٤٧ .

٢ الوفيات ٦ : ٢٣٩ .

٣ الوفيات ٦ : ٤٣١ .

مأخوذة من التاريخ المطوّل ؟ أم ترى الأمر بالعكس وأن المتأخرين الناقلين عن ابن خلكان خلطوا بين مسوداته وكتابه — كما أراد — وعدّوا كل ذلك كتاب « وفيات الأعيان » ؟ ومع ذلك فأنني رغم توقفي عن الحسم في هذا الموضوع أجدُ العناصر المرجّحة لعدم تأليفه كتاباً مطوّلاً أقوى من العناصر التي تشير إلى وجود مثل ذلك الكتاب .

أياً كان الأمر فليس لدينا على وجه التحديد سوى كتابه « وفيات الأعيان » وقد كانت خطته في تأليفه واضحة تماماً حين شرع فيه ، ويمكن أن نلخص هذه الخطة التي بسطها في مقدمته على النحو التالي :

(١) أنه لن يترجم إلا لمن عرف تاريخ وفاته ، وقد أكّد هذه الخطة في كتابه مرّات ، فلم يترجم للحسن بن وهب^١ ولم يترجم لكثوم ابن عمرو العتّابي^٢ .

(٢) أنه لن يذكر فيه أحداً من الصحابة ولا من التابعين . إلا جماعة يسيرة ، فهل قوله إلا « جماعة يسيرة » يشير إلى التابعين وحدهم أو إلى الصحابة أيضاً : ذلك أمرٌ غير واضح وهو مصدر لإشكال كثير حين نتحدث عن التفاوت في النسخ .

(٣) أنه لن يذكر أحداً من الخلفاء .

(٤) أنه سيذكر جماعة ممن شاهدتهم ونقل عنهم أو عاصروه ولم يلقيهم .

(٥) أنه لن يقصر كتابه على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الوزراء أو الشعراء ، بل سيتناول كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه .

(٦) أنه يتوخى الإيجاز في ما يورده .

(٧) أنه يحاول اثبات المولد — ان وجده — ويرفع في النسب ان قدر على ذلك .

١ الوفيات ٢ : ٤١٦ .

٢ الوفيات ٤ : ٣٨٩ .

٨) أنه سيفضبط بعض الألفاظ مما يمكن أن يقع فيه التصحيف .

٩) أنه يميل إلى تسجيل محاسن الناس من مكرمة أو نادرة أو شعر أو فكاهة ، لكي يكون التنويع طارداً للملل .

تلك خطة من تسعة بنود ، فالى أي حد تمسك المؤلف بها ؟ يبدو أنه تمسك بالبند الأول (تحديد سنة الوفاة) في كلِّ مراحل كتابه ، وأنه حين أبهم الاستثناء في البند الثاني جعلنا نعجز عن الفصل في أمر ترجمة عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وهما من الصحابة ، وهل هما ترجمتان أصيلتان في كتابه أو منحولتان ؟ وحين استبعد ذكر الخلفاء أوقفنا أمام إشكال كبير : هل قصد خلفاء بني العباس ؟ فان كان الأمر كذلك فلمَ ترجم لعبد الله بن المعتز وهو أحد من بويعوا بالخلافة ؟ وقد تعقبه الياضي في هذا الصدد فقال : « كأنه يعني بالخلفاء المذكورين الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم . وما كان حاجة إلى ذكرهم ، فانه قد ذكر أنه لم يذكر أحداً من الصحابة ... وكلامه هذا يوهم أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء الذين هم الملوك من بني العباس وغيرهم . وليس كذلك ، بل قد ذكرهم »^١ ؛ قلت : أما بنو العباس فانه لم يذكر منهم أحداً سوى ابن المعتز — حسبما جاء في النسخ المتفقة من كتابه — إلا أن يكون الياضي يشير إلى نسخ اطلع عليها ورد فيها ذكر سايمان بن عبد الملك من بني أمية والمتوكل وأبي جعفر المنصور وغيرهما من بني العباس : وأما الخلفاء من غير بني العباس فقد ذكر طائفة كبيرة منهم سواء من العبيديين الذين ادعوا الخلافة لأنفسهم . أو من الموحدين . ولكن ربما كان ابن خلكان لا يعدهم خلفاء بالمفهوم الدقيق ؛ ومن الغريب أنه لم يترجم لعبد الرحمن الناصر أو لابنه الحكم المستنصر من خلفاء بني أمية بالأندلس . في سياق اهتمامه بالترجمة للعبيديين والموحدين . وترجم لمن هم أدنى منهما شأنًا كابن صمادح والمعتد ابن عباد من ملوك الطوائف . وثمة اشكال أثير من زاوية شيعية ضدَّ المؤلف ، فانه حين استبعد من كتابه ذكر الخلفاء .

١ مرآة الجنان ٤ : ١٩٤ .

لم يذكر فيه علياً والحسين ، ولكنه عاد إلى ذكر الأئمة المعصومين ، وهم خلفاء في نظر أتباعهم^١ وهذا اشكال لا يوافق المؤلف عليه لأنه لا يدخل في معتقده ، مثلما لا يدخل في اعتقاده أن العبيديين كانوا خلفاء وأن الموحدون كانوا كذلك ، في نظر أنفسهم ونظر اتباعهم ، إذ أنه لم يكن يؤمن بالخلافة إلا للأئمة من بني العباس ، حتى الخلفاء من بني أمية سمّاهم في أغلب الأحيان ملوكاً ، في غير موضع من كتابه .

وقد تعقبه اليافعي مرة أخرى فيما يتصل بالبند الرابع وذلك أن المؤلف قد قال : وكذلك الخلفاء لم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب ، لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ... الخ . فقال اليافعي « وكلامه هذا أيضاً ليس بصائب فانه يوهم أنه لم ينقل إلا عن الذين عاصروهم ، وليس بصحيح ، فانه لم يقتصر على ذلك »^٢ . والحق أن أسلوب المؤلف هنا موهم ، ولكن مقصده واضح من السياق العام لنخطته .

وقد التزم المؤلف بالشرط الخامس فلم يقصر كتابه على طائفة دون أخرى . ولكن الشهرة أمر نسبي ، كما أن من يقع السؤال عنه ربما كان في عداد غير المشهورين ، ولكن له من الأهمية ما يجذب الناس إلى السؤال عنه ، والايجاز في الترجمة أمر نسبي أيضاً ، وسنجد فيما يلي أن المؤلف لم يلتزم بهذه الخطة في كثير من التراجم . وقد التزم التزاماً دقيقاً باثبات المولد حيثما وجده ، وبضبط الألفاظ والاسماء المشككة ، وبتسجيل المحاسن ، وعدم الوقوف عند العيوب ، التزاماً لا يختل كثيراً ، وتلك هي البنود الثلاثة الأخيرة .

لقد أراد ابن خلكان أن يكون دقيقاً فيما رسم لنفسه من خطة ، ولكن عوامل كثيرة تدخلت لتفسد عليه ما كان يريد ، وأول تلك العوامل تراخي الزمن بين كتابة القسم الأول ثم كتابة القسم الثاني من الكتاب : كان في المرحلة الأولى موجزاً مدققاً فيما يختار ، لأنه كان يرى أمامه مشروعاً

١ انظر روضات الجنات : ٨٧ .

٢ مرآة الجنان ٤ : ١٩٤ .

كبيراً ليس من السهل الاستسلام فيه إلى التطويل ، فلما عاد إلى اكمال كتابه وجد نفسه في سعة من الوقت فأخذ يطيل في التراجم ، ويعتمد الاستطراد ، ولذلك جاءت تراجم حرف الياء ربع كتابه تقريباً ، لأنه أورد في حرف الياء تراجم لم يكن ليتوقف عندها لو طلب الايجاز أو حكّم قانون الشهرة ، ولأنه أخذ يحتال على ايراد التفصيلات التاريخية ضمن ترجمة واحدة ، فهو يؤرخ للدولة الصفارية في ترجمة يعقوب بن الليث ، ويؤرخ لدولة الموحدين في ترجمة يعقوب بن المنصور (وكأنه يشس من أن يجد الوقت الكافي لكتابة التاريخ الكبير) . ومع تراخي الزمن تتغير بعض القواعد الصارمة التي يأخذ المرء نفسه بها . ولنا أن نسأل : إذا كان الايجاز هو القاعدة الأصلية فلمَ هذا الاستطراد في ترجمة الخبزأرزي إلى ذكر حكايات مستفادة من كتاب « الهدايا والتحف » ، دون أن تكون لتلك الحكايات أية صلة بالترجمة ^١ ، ولم كثر الاستطراد في ترجمة يحيى بن اكثم ^٢ ، ولم استكثر المؤلف في ترجمة ابن عبد البر من نقل حكايات من كتابه « بهجة المجالس » ، لا صلة لها بالترجمة ^٣ . ومع تراخي الزمن يقلّ التحرّج ، فبعد أن كان المؤلف شديد الحساسية في الدور الأول نحو النوادر غير المهدبة ، حتى في تراجم من اشتهر بها مثل ابن سكرة وابن الهبارية والبديع الاسطرلابي ، نجده بعد قليل يقول : إنه لا بد في المجاميع من الإحماض ، ويستطرد بذكر أشياء من هذا القبيل عن كتاب الهفوات للصابي ^٤ .

ومن تلك العوامل التي جعلته يعدّل في خطته ، الحاجة : فالفقهاء السبعة مثلاً أشهر من أن يترجم لهم في كتابه « ولولا كثرة حاجة فقهاء زماننا إلى معرفتهم لما ذكرتهم » ^٥ . كذلك خضع ابن خلكان - رغم وضوح خطته -

١ الوفيات ٥ : ٣٧٠ .

٢ الوفيات ٦ : ١٥٥ .

٣ الوفيات ٧ :

٤ الوفيات ٦ : ١٠٢ ونظر ٦ : ٥١ .

٥ الوفيات ١ : ٢٨٤ .

إلى ما تفرضه ندرة المصادر ، فهو يورد قصيدة كاملة لابن قاضي ميلة ظفر بها في ظهر كتاب لأنها لا توجد بكما لها في أيدي الناس^١ . ومثل ذلك فعل في قصيدة أخرى للقاضي أبي يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن أبي حصين^٢ .

وقد حفزه الجهل الشائع بين الناس - وأحياناً بين الفقهاء من أقرانه - إلى أن يترجم لبعض الناس من غير المشهورين ، كترجمته لمطرف الصنعاني ، ولم يفعل ذلك إلا لأن الناس لا يعرفونه ، ولأن صاحبه العماد ابن باطيش نفسه قد أخطأ فيه فظنه مطرف بن الشخير^٣ .

ولقد بدأ المؤلف عمله انتقائياً يستمدّ مادته من عدة مصادر ثمّ يلاثم بين أجزائها بدقة تجعل القارئ يحسّ بمدى ما بذله في سبيل الانتقاء والدقة معاً من جهد ، غير أنه انتهى استرسالياً يأخذ مادته من مصدر واحد ، أو مصدرين ، وكأنه يلخص تلخيصاً ، كذلك فعل في ترجمة أبي يوسف القاضي فأكثرها تلخيص عن تاريخ بغداد للخطيب ، وكذلك هي ترجمة يعقوب ابن الليث الصفار ملخصة عن كتاب أو اثنين ، وهذه هي حال تلك الترجمة الطويلة التي عقدها لصالح الدين فانها - باستثناء الشئون الهامشية الاستطردادية فيها - ملخصة عن سيرة ابن شداد وعن الكامل في التاريخ لابن الأثير .

ومنذ البداية كان تحديد معنى « العين » (مفرد أعيان) أمراً من العسير تصوّره ، ففي الدور الأول من التأليف نجد المؤلف يتوقف عند أشخاص لا يدري شيئاً يقوله فيهم مثل أبي طالب أحمد بن بكر العبدى النحوي فقد ورد في ترجمته « ولم أطلع على شيء من أحواله حتى أذكره »^٤ ؛ ومثل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن أبي سهل الكاتب فقد قال فيه « ولم أعلم من حاله شيئاً حتى أذكره ... وما ذكرته إلا لأجل كتابه (الخراج) »^٥

١ الوفيات ٦ : ١٥٩ .

٢ الوفيات ٥ : ٢٧٠ .

٣ الوفيات ٥ : ٢٠٩ - ٢١٠ .

٤ الوفيات ١ : ١٠١ .

٥ المصدر نفسه .

غير أن التراجم التي تشبه هاتين الترجمتين قليلة في كتابه .

وقد يستغرب المرء اصرار المؤلف على أن لا يترجم إلا لمن يعرف سنة وفاته ثم على أن يختار الترتيب الأبجدي من بعد ، ذلك لأن الترتيب الأبجدي قد أفسد على المؤلف ما يمكن أن يؤديه تحديد تاريخ الوفاة للقارىء من قيمة زمنية ، إذا شاء أن يتصور تطور الحياة الثقافية والأحداث التاريخية حسب تسلسل الزمن ؛ وربما كان أقرب تعليل لهذه الظاهرة هو أن المؤلف لم يتمسك بالتاريخ الدقيق لسنة الوفاة إلا بعد أن اطلع على ما صنعه أستاذه المنذري في « التكملة لوفيات النقلة » فتأثر به ، وأعجبه دقته ، فحاول أن يحاكي صنيعه ، ولكنه حين أخذ في ترتيب كتابه كان يريد أن يخرج في صورة مغايرة للتي درج عليها أستاذه في ذلك الكتاب ، فاختار الترتيب على حروف الهجاء ليكفل لنفسه الاستقلال ؛ ولكنه لم يلتزم الترتيب الهجائي إلا في الاسم الأول ولم يراع ذلك في الأسماء الواردة في سلسلة النسب واضطرب لديه الترتيب في حرف العين كثيراً فجاء « عبد الملك » قبل « عبد السلام » وورد اسم « عبد الجبار » بعد « عبد الكريم » .

وحين تباعد طرفا الكتاب وانتشرت أجزاءه حاول المؤلف أن يربط بينها لكي ينضبط له الكتاب وتتضح معالنه أمامه ، فأخذ يكثر من التحويلات إلى ما تقدم ذكره أو إلى ما سيأتي من بعد ، ولكنه رغم ذلك لم يسلم من وهم عارض أو نسيان ، فقد وعد بإيراد ترجمة لأبي بكر محمد بن علي الماذراني ولم يفعل^١ وأحال على بيتين ذكرهما في ترجمة العلم الشاتاني ، ولا وجود لهما في المسودة أو في النسخ الأخرى^٢ ، وكذلك وجه انتباه القارىء إلى منام ذكره في ترجمة المعتمد ابن عباد إلا أنه لم يرد في النسخ^٣ وقال انه ضبط أسماء أجداد يحيى بن منده في ترجمة جده أبي عبد الله محمد ، ولم يرد شيء من ذلك^٤ . ولعل المؤلف أدرج هذا الذي ذكره كله في

١ الوفيات ٢ : ٢٥٠ .

٢ الوفيات ٤ : ٨٤ .

٣ الوفيات ٥ : ١٨١ .

٤ الوفيات ٦ : ١٧١ .

أوراق ملحقة ، ثم ضاعت تلك الأوراق ، فان في مسودته مواضع كثيرة ينبه فيها إلى وجود «تخریجة» ولا وجود لهذه التخریجة نفسها ، كما أن هناك تحويلات أخرى على كراريس كان يحتفظ بها ، وبقيت التحويلات وضاعت الكراريس^١ .

على أنا لو فرضنا أن هذه التحويلات كانت ناشئة عن الوهم والسيان فانها لا تستطيع أن تكون ، هي والتساهلات التي خرجت بالمؤلف عن خطته اضطراباً أو اختياراً ، أمراً يقلل من قيمة هذا العمل الذي قام به ابن خلكان ، وما أقلّ الكتب التي لقيت تقديرًا وعناية وحظوة ، كذلك التقدير وتلك العناية والحظوة التي لقيها كتابه على مرّ الزمن ، سواء أكان ذلك بالتتويه بشأن الكتاب ، أو بالاكثار من استنساخه ، أو بجعله مركزاً لدائرة كبيرة من المؤلفات التي ذيلت أو الحقت به ، أو بالاقتباس منه والاعتماد على ما ورد فيه من معلومات ، أو باختصاره أو باستخراج تراجم منفردة منه ؛ ويطول بي القول لو أردت أن أقف عند كل ظاهرة من هذه الظواهر المذكورة .

ذلك لأن هذا المعجم في التراجم قد تميز بخصائص ومميزات أفردته في الاعتبار ، وجعلته موضع ثقة الآخذين عنه . وفي مقدمة هذه المميزات أنه جعل عاماً جامعاً ، وتلك ميزة في غيره تتحوّل إلى نقيضة أحياناً ، ولكنها لم تصبح كذلك فيه لسببين هامين : أولهما شدة تحرّي المؤلف في النخل والانتقاء ، والثاني سعة المصادر التي اعتمد عليها ، ولهذا جاء معجماً متوسط الحجم يسهل نسخته والرجوع إليه ، بخلاف المؤلفات ذات الأجزاء الكثيرة . وقد تمثلت خصائص المؤلف نفسه في كتابه ، وكان من أهمها الأمانة والتزاهة والعدالة ؛ فهناك أمانة في النقل ، لا يسمح المؤلف لنفسه معها بالتجاوز في شيء ، حتى إذا صاغ خبراً من الذاكرة أشار إلى ذلك^٢ ، وهناك نزاهة في الحكم على الأشخاص مهما كانوا يختلفون عن المؤلف في العقيدة أو في

١ انظر نموذجاً من ذلك في الوفيات ٦ : ٥٥ ، ٤ : ٣٩٩ .

٢ انظر مثلاً على ذلك في الوفيات ٦ : ٤٧ .

منحى الحياة ، وقد كفلت تلك النزاهة بروح القاضي العادل الذي لا يستطيع أن يتساهل في الخروج عن الانصاف . وقد برز ميل ابن خلكان إلى الاعتدال واضحاً في كتابه ، فانه كان يعالج تراجمه بسماحة خلق وسعة صدر ، وحسبنا أن نذكر كيف أنه ترجم لابن الراوندي ترجمة لم تعجب كثيراً ممن جاءوا بعده لأنه لم يحطّ فيها عليه ولم يصفه بالكفر والالحاد ؛ ويتمتع الكتاب بدقة فائقة ، لا من حيث الاختيار والانتقاء وحسب ، بل من حيث الضبط لكلّ ما يظن المؤلف أن القارئ بحاجة إلى ضبطه ؛ وهذا ما يجعل الوفيات مصدراً هاماً لضبط الأعلام وأسماء الأماكن .

وانعكست على الكتاب صفتان أخريان من صفات المؤلف ؛ أولاهما الروح الأدبية ، ولهذا كانت التراجم موضعاً للنزاع بين روح المؤرخ وروح الأديب ، ولكن المؤلف كان على وعي بما يصنع ، وكان ميله إلى الشعر يجعله أحياناً يجهد في البحث عن شعر لأشخاص ليس لهم في ميدان الشعر نصيب كبير ، كما أنه أضاع ترجمة كاملة في حلّ لغز^١ ؛ والثانية تحرّجه الكثير مما يدعى الغيبة أو ذكر السيئات ، فقد تجاوز في هذه الناحية عن ذكر أشياء لم يتجاوز عنها الآخرون ؛ كانت رؤيته للحسنات أوسع منظوراً من رؤيته للعيوب ، وتلك خاصية تمثلها تمام التمثيل القصة التي مرّت بنا عن العدلين اللذين كانا يشربان الخمر ؛ وقد اتخذ تلك الخاصية مبدأ في مناقشة ما يورده الآخرون ، فهو ينقل ما قاله الفتح ابن خاقان في ابن باجة ويعلق على ذلك بقوله : « ولقد بالغ ابن خاقان في أمره وجاوز الحد فيما وصفه به من هذه الاعتقادات الفاسدة ، والله أعلم بكنهه حاله »^٢ ولم يورد تعليلاً لاعتقاده هذا ، كأن يبحث عن أسبابه في العداء بين ابن خاقان وابن باجة ، وإنما قال ما قال استئناساً منه إلى شعوره النفسي الذي يكره التماذي في إبراز العيوب . وقد يقال إن مثل هذا يناقض روح العدالة الصارمة ، ولكن الحكم على شئون الماضي إنما هو في الغالب حكم على قضايا ضاعت شواهداها اليقينية ، ومن

١ انظر الوفيات ٦ : ٢٥٥ .

٢ الوفيات ٤ : ٤٣٠ .

العدالة في هذا الموقف ، التوقف دون الترجيح ، أو الاستئناس إلى روح الاعتدال لدى البت في أمرٍ ما .

وقد حجب المؤلف كثيراً من الحكايات المتصلة بالعبث ، ومع أنه أباح لنفسه إيراد الاحماض بعد أن قطع شوطاً كبيراً في تأليفه ، فإنه في الحملة ظلّ أقرب تعلقاً بروح الجدلّ فيما يورده من أخبار .

ومن الانصاف أن نقول إن الروح الأدبية أو ميله إلى جانب الحسنات لم يستطيعاً أن يكبّلا روح المؤرخ الناقد لديه ، فهو حصيف شديد التنبه في هذه الناحية ، إذا نقل خبرين متعارضين — رغم تفاوت الزمن — نبّه إلى هذا التعارض ، وإذا اقتبس مادة من كتاب لم يرسلها — كما ترسل الروايات — دون محاكمة أو تمحيص . ذكر نقلاً عن المرزباني أنّ والد الفراء حضر وقعة الحسين بن عليّ ، فتعقبه في هذا لأن الفراء الذي عاش ٦٣ سنة ، ولد سنة ١٤٤ بينما كانت معركة كربلاء سنة ٦٣ ، ومن غير المعقول أن يحضر والده تلك المعركة ويعيش ذلك العمر المديد^١ ؛ ونقل عن الخطيب أن يحيى بن معين توفي في ذي القعدة سنة ٢٣٣ وأنه حج في تلك السنة ، وهذا متناقض لأنه لا يمكن أن يحج وأن تكون وفاته في ذي القعدة^٢ ، وهكذا مضى في مواضع مختلفة من كتابه يناقش ويقرّر ، وكان أكثر نقده معتمداً على الحساب الزمني .

ومهما أوتي المرء من قوة النزاهة وروح العدالة ، فإن هناك مؤثرات — ربما كانت لا شعورية — تظلّ تفعل فعلها في نفسه ، وخصوصاً حين يواجه المرء صعوبة الاختيار والتحديد ، وهي صعوبة لا مفرّ منها حين يكون المقياس في التمييز غامضاً أو مطاطاً . ويلحظ الدارس أن ابن خلكان كانت توجهه في اختياره عوامل كامنة لا يستطيع أن ينفك منها ؛ وفي هذا المقام يجب أن نذكر أن ابن خلكان كان إربلياً برمكياً شافعيّاً ، فإذا أبرز دور الاربليين أو أطنب في الحديث عن البرامكة أو استكثر من تراجم الشافعية ، فإنه لم

١ الوفيات ٦ : ١٨٢ .

٢ الوفيات ٦ : ١٤١ .

(ر ص)	٨ — الترجمة (١٥١) : ابن مسكين
(ص)	٩ — « (١٥٥) : الحسن بن علي
(ر ص د)	١٠ — « (٢٠٠) : حسان التنوخى
(ر ص)	١١ — « (٢٠٢) : حفص بن غياث
(ر ص)	١٢ — « (٢٠٣) : الحكم بن عبدل
(ر ص)	١٣ — « (٢١٤) : خالد المهلبى
(ر ص)	١٤ — « (٢١٥) : خالد التميمى
(ر ص)	١٥ — « (٢١٨) : خلف بن هشام
(ر ص والمطبوعة المصرية)	١٦ — « (٢٢٢) : خير النساج
(ر ص والمطبوعة المصرية)	١٧ — « (٢٢٥) : داود الطائى
(ر ص والمطبوعة المصرية)	١٨ — « (٢٢٨) : دعلج بن أحمد
(ر ص والمطبوعة المصرية)	١٩ — « (٢٣٦) : ربعى بن حراش
(ر ص)	٢٠ — « (٢٥٣) : سالم الخاسر
(ر ص)	٢١ — « (٢٧٨) : سليمان بن حرب
(ص)	٢٢ — « (٢٧٩) : سليمان بن عبد الملك
(ص)	٢٣ — « (٢٨٩) : شبيب بن شيبه
(ص)	٢٤ — « (٢٩٢) : شعبة بن الحجاج
(ص)	٢٥ — « (٢٩٣) : شعيب بن حرب
(ص)	٢٦ — « (٢٩٤) : أشعب الطامع
(ر ص والمطبوعة المصرية)	٢٧ — « (٢٩٥) : شقيق البلخى
(ص)	٢٨ — « (٢٩٦) : شقيق بن سلمة

- ٢٩ — الترجمة (٣٠٣) : صالح بن عبد القدوس (ص)
 ٣٠ — « (٣٠٤) : صالح المري (ص)
 ٣١ — « (٣١٨) : عائشة أم المؤمنين (ص)
 ٣٢ — « (٣٢١) : عبد الله بن عمر (المطبوعة المصرية،
 وعنوانها عند وستنفيلد)
 ٣٣ — « (٣٣٨) : عبد الله بن عباس (ص)
 ٣٤ — « : أبو بكر الصديق (ص)
 ٣٥ — « (٣٤٠) : عبد الله بن الزبير (ص)
 ٣٦ — « (٥٤٨) : كلثوم بن عمرو والعنابي (ر)
 ٣٧ — « (٦٩٥) : محمد بن عبد الله بن طاهر (مج)

ومن هذا الثبوت يتبين لنا أن (مج) انفردت بترجمة واحدة وأن (ر) انفردت بترجمة واحدة وشاركت (ص) في خمس عشرة ترجمة . وأن الترجمات الزائدة في (ص) ٣٣ ترجمة أوردت منها المطبوعة المصرية خمس تراجم ، وانفردت هذه المطبوعة بترجمة واحدة لم ترد في النسخ الخطية التي اعتمدناها ؛ ويبدو أن مراجعة نسخ أخرى قد تضيف تراجم جديدة . فقد أورد أحد الذين اختصروا ابن خلكان ترجمة ابن مالك النحوي وقال : « وقع كذا في بعض النسخ »^١ ، وقد أشرت من قبل إلى أنه لو وصلتنا

١ هذا المختصر صنمه وجدي إبراهيم بن الحاج مصطفى سنة ١١٠٤ ، والنسخة التي اعتمدت عليها يملكها الصديق الأستاذ زهير الشاويش وقد تفضل مشكوراً باعارتها لي (وهي في ٦٤ ورقة) ومن هذا المختصر نسخة أخرى في طوبقبوسراي رقم E. H. ١٢٢٢ وتقع في ٩١ ورقة وتاريخ نسخها سنة ١١٦٠ ؛ ونص ترجمة ابن مالك كما وردت على الورقة ٣٧ من النسخة الأولى : « أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجبالي الشافعي اللغوي النحوي المقرئ : كان في الصرف والنحو والقراءة إماماً لا يجارى ، وحبراً لا يبارى ، وكان سهل النظم عذب النثر ، كامل العقل حسن السميت رقيق القلب صدوق اللهجة ، له التسهيل وشرحه ، وسبك المنظوم ، والكافية الشافية ، والخلاصة ، وشرحه ، وإكمال الأعلام ، والمقصود والمدود ، وفعل وأفعل ، والنظم الأوجز ، والاعتضاد وعمدة الحفاظ ، وشرحها ، وغير هؤلاء (كذا) من التصانيف النفيسة ، وكان أكثر ما يستشهد فيها بالقرآن الكريم ، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب . ولد بيجان وهي في الاقليم الخامس من الأندلس ، مدينة حصينة لطيفة قريبة من قرطبة نحو خمسة أيام ، نحو =

نسخة (ص) كاملة ، لارتفع عدد التراجم الزائدة بنسبة كبيرة .

تلك هي الظاهرة الأولى من الخلاف بين النسخ ، أعني تفاوتها في عدد التراجم ، فكيف يمكن أن يفسر مثل هذا التفاوت ؟ نحن نعلم أن المؤلف كتب كتابه في مرحلتين متباعدتين ، وأنه تولاه بالتشذيب والحذف والزيادة ، وأن الصورة الأولى من كتابه كانت متداولة بين النساخ منذ دور مبكر ، ولهذا السبب مثلاً ، وردت الترجمة رقم (٧٧) في بعض النسخ لأنها نقلت عن المسودة في ذلك الدور ، غير أن المؤلف عاد فحذف هذه الترجمة بعد عدة سنوات ، ولكن النساخ الذين رأوا الصورة الأولى لم يروا هذا الحذف . كذلك نجد ترجمة « يعقوب بن الليث الصفار » غير واردة في المسودة التي وصلتنا مع أن بعض أجزاءها وارد في المختار لابنه ، وهذا يشير إلى أن المؤلف كتبها في كراسة مستقلة ، لأنها ترجمة طويلة ، ولم يطلع على تلك الكراسة كثير من ناسخي الكتاب ، ومثل ذلك يقال أيضاً في ترجمة الوزير ابن الفرات .

غير أن هذا التعليل لا يفسر كل ما حدث في الكتاب من زيادة في التراجم ، فبعض التراجم المزيدة خارجة على خطة المؤلف مثل ترجمة أبي بكر وعائشة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير ، وبعضها قد صرح المؤلف أنه لن يورده لجهله تاريخ الوفاة مثل ترجمة كلثوم بن عمرو العتابي ، فهل نستبعد هذه التراجم وأشباهاها ونقول إنها دخيلة على الكتاب ؟ الجواب بالاجاب إذا لم نفترض أن المؤلف قد أخذ يؤلف كتاب تراجم مطوّلاً - مغيراً في خطته التي اعتمدها في الكتاب الموجز - ثم اختلط الكتابان لدى بعض النساخ ، فإذا لم يصح هذا الفرض فذلك يعني أن بعض المعلقين والناسخين قد رأوا أن بعض التراجم هامة ، وأنه لا بدّ من زيادتها ، ليصبح الكتاب مرجعاً أوفى ، وإلى هذا يلح ما صنعه صاحب المختصر المشار إليه ، فانه وقف عند بعض الحروف فاقترح أسماء أخرى لم يوردها المؤلف ، فمثلاً استقل

= سنة ستائة ، وقرأ على جماعة ، ثم نزل بدمشق ، وأم بالعادية إلى أن توفي سنة اثنتين وسبعين وستائة ، رحمه الله سبحانه . وقع كذا في بعض النسخ .

أن لا يرد في حرف الذال سوى ترجمة واحدة فقال : « وما يناسب أن يذكر هنا ذو القرنين الصعب بن الريثان ، سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذي القرنين الذي ذكر في القرآن المجيد فقال هو : من حمير - بكسر الحاء وسكون الميم كدرهم ، وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان اسمه صعباً - كما ذكر ، وظهر زمن ابراهيم عليه السلام فبان من هذا أنه غير الاسكندر الرومي الذي بنى الاسكندرية المشهورة الآن ، وهو صاحب أرسطو وتلميذه ، وقد هلك في ناحية السودان ، أو بشهرزور ، وعمره ست وثلاثون كما ذكره صاحب حماة ، وأما بيان ذي يزن وذي كلاع وذي نواس وذي المنار وذي السيفين وذي اليمين فليس المحلّ به ^١ . وكذلك فعل صاحب المختصر في حرف الزاي ، فقد أورد ترجمة أبي القاسم يوسف بن عبد الله الرُّجَاجي - بضم الزاي وفتح الباء الموحدة - ^٢ واقترح في باب الكاف : كثير بن عمرو الهلالي ، وكعب بن عمير التغلبي وكثوم بن عمرو العتّابي ^٣ ، وفي حرف اللام لبّيد بن ربيعة . ولبيد بن عتبة ^٤ ؛ ومن الانصاف أن نقول إن صاحب هذا المختصر كان أميناً فميز ما في أصل ابن خلكان عما رأى هو زيادته ، ولكن هذه الدقة ربما لم تكن متوفرة عند غيره ؛ وكانت الدوافع إلى ذلك متفاوتة : فربما ساء بعض المعلقين والنساخ ألا يروا في الكتاب تراجم للصحابة وبعض الخلفاء العباسيين فرأوا إكمال الفائدة بزيادتها ، وهناك آخرون كانت نزعتهم صوفية وآخرون ذوو نزعة مذهبية معينة فأضافوا من التراجم ما ينسجم مع هذه النزعة أو تلك . وأغلب الظن أن صاحب النسخة (ص) كان شديد الثقة بتاريخ بغداد للخطيب ، فأباح لنفسه أن يمزج عدداً مما ورد عند الخطيب بتاريخ ابن خلكان . وقد يكون الكتاب اختلط لدى النساخ بذيوله الكثيرة ، فنحن نعلم مثلاً أن تاج الدين عبد الباقي بن عبد

١ مختصر الوفيات ، الورقة ١٣ ب .

٢ الورقة ٢٠ ب .

٣ الورقة : ٣٤ .

٤ المصدر نفسه .

المجيد اليماني قد لخص ابن خلكان وذيل عليه في دور مبكر^١ ، ولا يستبعد أن يختلط الأصل بالذيل في مثل هذا العمل ، وهذا الخلط يحسسه من يطالع القوات لابن شاكر وعقد الجمان للزركشي وغير ذلك من الذبول الكثيرة التي ألحقت بوفيات الأعيان^٢ . وقد وجدت في مخطوطة برلين Pet. 191 نوعاً آخر من الخلط : فالتراجم هنالك هي التي أوردها ابن خلكان (ابتداء من ترجمة ابن سريج أحمد بن عمر) ولكنها محلاة ببعض السجع في مفتحتها ويبدأ النقل الدقيق عن المؤلف ابتداء من ترجمة إبراهيم بن علي الحصري ، فاذا وصلنا ترجمة أحمد بن طولون وجدنا استطرادات تجاوزت عصر المؤلف وهكذا جرت النسخة بين اختصار وحذف لبعض التراجم وزيادة لأخرى . وبعض التراجم يمكن اعتباره مزيداً دون تردد كالترجمات التي وردت في النسخة (بر) في المتن أو في الحاشية مثل ترجمة ياقوت المستعصي لأنه توفي بعد المؤلف . ويبدو من حواشي النسخة (س) أنه كان لدى ناسخها ثلاث نسخ يسمي إحداها « النسخة الثالثة الكبرى » ، وكان يحاول التلقيق بين تلك النسخ ، ومع هذا فإن (س) من أشد النسخ إيجازاً واقتصاراً على الصورة الأولى التي كتبها المؤلف ؛ لقد تداولت هذا الكتاب أيدي كثيرة على مرّ الزمن، وأضحى من العسير أن يصل المحقق بدقة إلى عدد التراجم التي خطها المؤلف بقلمه، وقد كان من الممكن للمختار أن يدلّنا على ذلك لولا أن الموجود منه ينقص قسماً كبيراً من أصل الكتاب ، ولولا أن الاختيار يقوم على الحرية الكاملة ، ومن باب الحرية أن يحذف صاحب المختار تراجم بكاملها أحياناً .

أما الظاهرة الثانية من التفاوت بين النسخ ، فيتمجلى في ورود الترجمة الواحدة في صورتين متفاوتتين ، ويمكن تعليل ذلك بأن المؤلف عدل عن الصورة الأولى في الترجمة إلى صورة ثانية ، كما فعل في ترجمة والد صلاح

١ توفي سنة ٧٤٤ وربما وقع عمله مباشرة بعد عمل ابن المؤلف في المختار من حيث الزمن،

انظر البدر الطالع ١ : ٣١٨ .

٢ يراجع في هذا ما ذكره صاحب كشف الطنون « وفيات الأعيان » وإن يكن غير مستوفى .

الدين (وشاهد ذلك خطّه في المسودة ، فان الصورة الثانية ثابتة بخط مختلف بينما اختفت الصورة الأولى) . غير أن هذا التعليل ليس من السهل أن ينسحب على ترجمات أخرى مثل ترجمة جعفر البرمكي ، فان الصورة التي وصلتنا منها في المسودة موجزة جداً بينما جاءت في النسخ على شكلين مطولين متفاوتين . وتظلّ النسخة (مج) تمثل صعوبة من نوع متفرد ، فانها تنفرد بشكل خاص لبعض التراجم مخالفة فيه جميع النسخ الأخرى^١ .

وظاهرة ثالثة من التفاوت بين النسخ تتمثل في مقدار ما تحتويه الترجمة الواحدة . ولهذا الظاهرة أسباب كثيرة، منها أن المؤلف كان يزيد تباعاً بعض التحشيات في نسخته ، وقد ذكرت من قبل أن الكتاب أصبح ينسخ ويتداول قبل أن تكتمل الصورة الأخيرة من الكتاب ، وبعض الزيادات ينسج عن ذوق شعري ، فحيث اقتصر المؤلف على ذكر بعض أبيات المترجم به . جاء من يزيد فيها استكثاراً من الشعر . وهناك زيادات إحصائية كان يتفكك بها بعض المعلقين ، كما أن هناك زيادات نقلت من موضع من الكتاب إلى موضع آخر للمناسبة ؛ وهناك أخبار رأى بعض المعلقين أن إضافتها ضرورية . لأنها تزيد في الفائدة المرجوة من الكتاب . وقد كانت تحويلات المؤلف على هامش مسودته بقوله « ها هنا تخريجة » أو ما أشبه ، مدعاةً إلى تساهل بعض المعلقين فيما يدرجونه ؛ وربما استطعنا القول إن تراجم الأدباء والشعراء مثل جرير وجميل وأبي العتاهية قد تحملت القسط الأوفر من تلك الزيادات ، إذ كان المعلقون يستسلمون إلى ما جاء في كتاب الأغاني من مادة غنيّة تفصيلية . كما أن بعضهم وجد في كتاب الجليس والأنيس للمعافى ابن زكريا مادة أخرى خصبة ، فان النقول عن هذا الكتاب تدخل كلها فيما انفردت به بعض النسخ . إلا مرة واحدة كان فيها النقل أصيلاً من عمل المؤلف نفسه ؛ وتنفرد (د) وهي من أصول وستفيلد بمادة لم ترد فيما عداها من النسخ . وذلك يلقي شكاً على أصالة تلك المادة ؛ كما أن النسخة

١ انظر الجزء الخامس، الترجمة ٦٩٦ ب لمحمة بن عبد الملك الزيات ، وهامش ص ١٠٩ ؛
وهناك فقرات مختلفة تماماً في قراءتها أثبتناها في هامش أخرى .

(ص) تمثل مشكلة من نوع آخر . فبعض التراجم تلتقي نصاً مع ما في المسودة ، وبعضها تميل إلى الاسهاب . وتخرج في حدودها عن كل ما يمكن أن يكون المؤلف قد رسمه .

وعلى هذا فليس هناك مطبوعة — بين المطبوعات المختلفة التي صدرت لهذا الكتاب — تمثل حقيقة ما صنعه المؤلف بدقة ، ولا يهيء ذلك إلا النسخة ذات الأجزاء الخمسة التي كانت في ملك ابن المؤلف ، والتي صنع المختار بالاعتماد عليها ، فأما النسخة الموجودة لدينا من أصل المؤلف ، فهي — بالإضافة إلى ما نقص منها — لا تمثل الصورة الأخيرة تمام التمثيل . وقد كان يعيّل إليّ عند العثور عليها أنها تحقق هذا الرجاء . ومن الأمانة أن أقول إنني أدرجت الترجمات التي انفردت بها بعض النسخ : وأنا غير واثق من صحة نسبتها إلى المؤلف ، ولكن الأمانة كانت أيضاً تقتضي ألا أغفلها ، وعلى هذا أثبتتها وميزت في الحواشي النسخة التي انفردت بها ، أو عبرت عن شيء من الشكّ في أن تكون من عمل المؤلف .

وقد كنت أودّ أن أدوّن هنا ما اطلعت عليه من نسخ ابن خلكان في المكتبات التي زرتها باستانبول وبورسه واسكدار وبرلين وتوبنجن والمتحف البريطاني ومنشستر وأدنبره ، وأن أصف كلّ نسخة منها ، وهي تقارب الثمانين بين نسخة كاملة أو أجزاء من نسخة (هذا عدا عما اطلعت عليه من مختصرات للكتاب) ولكني وجدت ذلك يثقل هذه المقدمة بتفصيلات كثيرة فأضربت عنه ، وربما كان في ما لم أطلع عليه في المكتبات الأخرى ما يفيد في تحقيق هذا الكتاب . ولكن هذا يحتاج إلى أضعاف ما بذلت من جهد في السفر والكلف والاعتكاف الطويل في المكتبات ، والمرء مرهون بالاستطاعة ، بعد استمداد العون من الله سبحانه وتعالى .

أشعار ابن خلكان ودُوْبَيَّاتُه

قال يمدح الملك الكامل ناصر الدين أبا المعالي
محمد بن محمد بن أيوب بن شاذي

هوى بين أحناء الضلوع مخامر
ومشرع حب كلما قلت قد صفت
خليلي ما بال النسيم معطرًا
ولا تعجبا أني شعرت فأنني
تضمن نشر المالكية طيه
نشدتكم هل بعد عزة أعشبت
وهل عذبات البان صوحن بعدها
إذا أومض البرق اليماني شمته
أردد فيه الطرف حتى كأنني
ترى تسمع الايام يوماً بزورة
لئن نرحت ذات الوشاحين فالجوى
تولت ولما يقض منها لبانة
يحن اشتياقاً إن تألق بارق
غريب ثوى بالشام كرهاً وقلبه
يمني بطيف المالكية جفنه
وركب كأمثال السهام تقلتهم
توأم جناباً كاملياً معظماً
إلى ظل سلطان لعزّ جلاله

وفرط غرام أضمرته السرائر
موارده أبدت قذاه المصادر
أجاور نجداً أم أضاعته حاجر
شممت الشذا إذ مرّ بي وهو خاطر
وما آفة الأسرار إلا النواثر
عراص الحمى أم روض الجزع ماطر
لعظم الأسى أم هن لدن نواثر
برجع جفون لحظها متخازر
إلى ضوء ثغر المالكية ناظر
فبينهم مهجور وبينهم هاجر
مقيم بقلب رسم مغناه دائر
أخو أسف يلقي النوى وهو صابر
بأعلام حزوى أو ترنم طائر
إلى الشرق في إثر الظعائن سائر
وكيف يزور الطيف والطرف ساهر
نواصل أمثال الحنايسا ضوامر
لهيبته تسرد عنه النواظر
وسطوته تعنو المملوك الجبابر

إلى الكامل الملك الذي بحر جوده
هو المخصب الاكثاف والعامُ مجذبُ
لميت الندى والحلم والعلم مُنشِرُ
كتائبه أنصار دين محمد
لقد خذل الباغين منصورُ جيشه
فردَّ وجوه الروم سوداً ببيضه
وفي سمره حمر المنايا فمن سطا
ولم يلقه الأعداء إلا لعلمهم
يسيء إليهم بأسه وهو غائب
ويربي على الطود الأشم وقاره
إليك ابن أيوب سمت بي همة
وما أثبت الأخبار في الجود كلها
ولولاك ما كنا نحقق أنه
فما قدر وسعي أن أتيتك مادحاً
فلا زلت منصوراً وللدين ناصراً

لورّاده عذب المذاقة وافر
ونحجل فيض السحب والنوء هامر
وللعدل في كل البسيطة ناشر
فطوبى لمن أضحي إليه يهاجر
ولكنه للدين في الله ناصر
فعاد بأحزاب الصغار الأكابر
ثعالها تخشى الليوث الخوادر
بما يقتضيه حلمه وهو قادر
ويحسن فيهم عفوه وهو حاضر
وقد سثمت ضرب الرقاب البواتر
هداها ضياء من جبينك ظاهر
لدى الناس إلا جودك المتواتر
يفوقُ الملوك الأولين الأواخر
بنظم ولو أن الكلام جواهر
وضدك مقهور وجدك قاهر

— ٢ —

وسمع قول ابن الساعاتي :

لما رأيت هلال وجهك آفلاً
عرجت بالوجنات أندب رسمها

ورأيت خدك قد علاه قتامُ
« يا دار ما صنعت بك الأيام »

فعمل هذه الأبيات :

لما رأيت ديار وجهك أوحشت
أنشدت في عرصاتها مترنماً

أرجاؤها وتنكرت أعلامها
« عفت الديار محلها فمقامها »^٢

١ عقود الجمان لابن الشعار ١ : ٤٥٦ - ٤٥٨ .

٢ عقود الجمان لابن الشعار ١ : ٤٥٨ .

وقال :

لما نظرت إلى أرجاء وجنته ورسمها طامس^١ محت علامته
ظلمت أُنْدَبه شجواً وأنشدته « يا منزلاً باللوى أقوت معاملة^٢ »

وقال :

ألا يا حمامات بمنعرج اللوى اليكن^٣ عن شوقي وعن برحائي
فما الوجد منكن الغداة مبرحاً كوجدي ولا تبكين مثل بكائي^٤

وقال أيضاً يرثي الملك العزيز محمد صاحب حلب :

هوى من نظام الملك واسطة العقد ولم يك من صرف المنية من بد
فما للرماح السمر مشرعة القنا وما للصفاح البيض مرهفة الحد^١
أمن بعد فقدان العزيز محمد تدور رحي حرب على صافن^٢ نهـد
إذا عطلت من هذه حومة الوغى فما تصنع الفرسان بالقضب والملد
لقد جلّ هذا الرزء عن وصف واصف كما كل^٣ عن ادراكه حد^٤ ذي حد
سقى جدناً ضم^٥ المكارم تربه ولحداً حوى تلك المناقب من لحد
مواطر دمع ما تزال تمدّها سحائب تحدوها مواسم من وجد
فله ما أذكى ثراه كأئمتنا تنفس في روض المراحم عن ند
لئن أظلمت دنيا العفاة لفقده فقد أشرقت من وجهه جنة الخلد
عليك سلام الله يا خير ممالك مضى غير مصحوب سوى حلة الحمد^٦

١ عقود الجمان لابن الشعار ١ : ٤٥٩ .

٢ عقود الجمان لابن الشعار ١ : ٤٥٩ .

٣ عقود الجمان ١ : ٤٥٩ - ٤٦٠ .

وقال :

قلت للأنم في الدمع وقد نم بحالي^١
منذ أحبيت عليك صار دمعي متوالي

وقال :

يا من كلفت به فعذب مهجتي (إن فاتته منك اللقاء فأنه
قسماً بوجدني في الهوى وبحرقي
لو قلت لي جد لي بروحك لم أقف
مولاي هل من عطفة تصغي إلي
قد كنت تلقاني بوجهه باسم
ما كان لي ذنب إليك سوى الهوى
قل لي بأي وسيلة أدلي بها
وحياة وجهك وهو بدر طالع
وفتور مقلتك التي قد أذعنت
وبياض مبسمك النقي الواضح
وبقامة لك كالقضيب ركبت من
لو لم أكن في رتبة أرعى لها
لتهكت سري في هواك ولذ لي
قد خاني صبري وضائق حيلتي
ولقد سمحت بمهجتي وحشاشتي
رفقاً على كلف الفؤاد معذب
يرضى بلقيا طيفك المتأوب)^٢
وبحيرتي وتلهفي وتلهبي
فيما أمرت وإن شككت فحرب
قصي وطول شكايي وتعبي
واليوم تلقاني بوجهه مقطب
فعلام تهجرني إذا لم أذنب
إن كنت تبعدني لأجل تقربي
وجمال طرتك التي كالغيب
لكمال بهجتها عيون العتب
والعذب الشهي اللؤلؤي الأشنب
أخطارها في الحب أصعب مركب
لعمد القديم صيانة للمنصب
خلع العذار ، ولج فيك مؤني
وتقسمت فكري وعقلي قد سبي
وبحالي ووجاهتي وبمنصي

١ انزركشي ١ ، الورقة : ٥٢ .

٢ البيت زيادة من طبقات السبكي .

حتى خشيت بأن يقول عواذلي قد جنّ هذا الشيخ في هذا الصبي
فانظر إليّ برحمة أحيا بها وتريح قلبي من غرام متعباً

— ٨ —

ووردت القصيدة السابقة على النحو الآتي أيضاً ٢ :

يا سادتي إني قنعتُ وحقكُم	في حبكم منكم بأيسر مطلب
إن لم تجودوا بالوصال تعطفاً	ورأيتم هجري وفراط تجني
لا تمنعوا عيني القريحة أن ترى	يوم الخميس جمالكم في الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبي ما الذي	ألقاه من كمد إذا لم تركب
لرحمتي ورثيت لي من حالة	لولاك لم يك حملها من مذهبي
ومن البليسة والرزيسة أنني	أقضي وما تدري الذي قد حلّ بي
قسماً بوجهك وهو بدر طالع	وبليل طرتك التي كالغيب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من	أخطارها في الحب أعظم مركب
وبطيب مبسمك الشهبي البارد	اللعذب النمير اللؤلؤي الأشنب
للم أكن في رتبة أرعى لها	المعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سري في هواك ولذّ لي	خلع العذار ، ولج فيك مؤني
لكن خشيت بأن يقول عواذلي	قد جنّ هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت	كشف القناع بحق ذياك النسبي
لا تفضحنّ بحبك الصبّ الذي	جرعته في الحب أكدر مشرب

— ٩ —

وقال :

وسرب ظباء في غدير تخالهم بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب

١ مخطوطة برلين رقم We 407 الورقة ١٧٥ ب ، وطبقات السبكي ٥ : ١٥ .
٢ افوات ١ : ١٠١ - ١٠٢ والزركشي ١ : ٥٣ والشذرات ٥ : ٣٧٢ وفيه الأبيات
١ - ٣ ، ٧ وبعده الثالث من الرواية السابقة ، ٨ ، ٩ ، ١٠ - ١٢ ؛ وعيون التواريخ
الورقة ١١٥ (أحمد الثالث : ٢٩٢٢ / ٢١) .

يقول عندي والغرام مصاحبي أما لك عن هذي الصبابة مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى فقلت له : ذرهم يخوضوا ويلعبوا^١

— ١٠ —

وقال :

كم قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
لعذاره الساري العجول بخده « ما في وقوفك ساعة من باس »^٢

— ١١ —

وقال :

لما بدا العارض في وجهه بشرت قلبي بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر فجاءني فيه العذاب الأليم^٣

— ١٢ —

وقال :

انظر إلى عارضه فوقه لحاظه ترسل منها الختوف
تشاهد الجنة في وجهه لكنها تحت ظلال السيوف^٤

— ١٣ —

وقال :

ولما أن تفرقنا وحالت نوب الدهر

- ١ الفوات ١ : ١٠٢ - ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٣ ب والصفدي ٧ : ٣١٣ والشذرات ٥ : ٣٧٢ وعيون التواريخ : ١١٧/أ (أحمد الثالث ٢٩٢٢/٢١) .
٢ الفوات ١ : ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٣ ب والصفدي ٧ : ٣١٣ .
٣ الفوات ١ : ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٣ ب والصفدي ٧ : ٣١٣ .
٤ الفوات والزركشي : تعين .
٥ الفوات ١ : ١٠٣ - ١٠٤ والزركشي ١ : ٥٤ والصفدي ٧ : ٣١٣ .

رَأَيْتَ الشَّهَدَ لَا يَحْلُو فَمَا ظَنُّكَ بِالصَّبْرِ^١

— ١٤ —

وقال :

وما سرّ قلبي منذ شطت بك النوى نعمٌ ولا لهوٌ ولا متصرّفٌ
ولا ذقت طعم الماء إلا وجدته سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذات إلا تكلفاً وأي سرور يقنضيه التكلف^٢

— ١٥ —

وقال :

أحبابنا لو لقيتم في إقامتكم من الصبابة ما لاقيتُ في ظعني^٣
لأصبح البحر من أنفاسكم ييبساً والبرّ من أدمعي ينشق بالسفن^٤

— ١٦ —

وقال :

تمثلتم لي والبلادُ بعيدة فخيّل لي أن الفؤاد لكم مغني
وناجاكم قلبي على البعد والنوى فأوحشتم لفظاً وأنستم مغني^٥

— ١٧ —

وقال في ملاح أربعة يلقب أحدهم بالسيف :

ملاك بلدتنا بالحسن أربعة بحسنهم في جميع الخلق قد فتكوا

١ الصفدي ٧ : ٣١٤ والزركشي ١ : ٥٦ وعيون التواريخ : ١١٦/أ (أحمد الثالث ،
٢٩٢٢/٢١) .

٢ الفوات ١ : ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٤ والصفدي ٧ : ٣١٤ .

٣ الفوات ١ : ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٤ والصفدي ٧ : ٣١٤ .

٤ الفوات والزركشي : والديار .

٥ الفوات ١ : ١٠٣ والزركشي ١ : ٥٤ والصفدي ٧ : ٣١٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٥
والمنهل الصافي وإنباء الأمراء لابن طولون ٣٥/أ .

تملكوا مهجَ العشاق وافتتحوا بالسيف قلبي ولولا السيف ماملكوا^١

— ١٨ —

ألا يا سائراً^٢ في فقد عسيرٍ يقاسي في السرى حزنًا وسهلاً
قطعتَ نقا المشيب وجزت عنه وما بعد النقا إلا المصلتي^٣

— ١٩ —

وقال :

يا رب إن العبد يخفي عيبه فاستر بحلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاك وما له من شافعٍ لذنوبه فأقبل شفاعةً شبيهة^٤

— ٢٠ —

وقال :

أعدمتني بالهوى يا فاطر المقل وملت عني إلى الواشي فلا عجب
يا واحد الحسن عدني زورةً حلماً يا جيرةً بأعالي الخيف من إضم
وملمتُ بجميل الصبر عن دنس أجلى ما يتمنى سرعةُ الأجل
وما عسى ينفع الباكي على طللٍ فضجَّ وجدي على ما بي من العلل
فألغصن ما زال مطبوعاً على الميل وها يدي أن نومي قد جفا مقلي
خبيتمُ بجفاكم في الهوى أملي أجل ما يتمنى سرعةُ الأجل
وما عسى ينفع الباكي على طللٍ تجري على الربع مذ غبتم مدامعه

١ الفوات ١ : ١٠٤ والزركشي ١ : ٥٤ والصفدي ٧ : ٣١٤ .

٢ الفوات : سارياً .

٣ الفوات ١ : ١٠٤ والزركشي ١ : ٥٤ .

٤ الفوات ١ : ١٠٦ والزركشي ١ : ٥٤ والنجوم الزاهرة ٧ : ٣٥٥ والمختار من وفيت

الأعيان (حاشية ص ١٦٤ من الجزء السادس) والمنهل الصافي وإنباء الأمراء لابن طولون .

١/٣٥ .

٥ الفوات ١ : ١٠٦ والزركشي ١ : ٥٥ .

وقال :

أيا غادراً خانت موثيقُ عهده
وأقصيته من بعد أنس وصحبة
فله أيام تقضت حميدة
ولما أنت في عيني ألد من الكرى
فلهفي على ذاك الزمان الذي غدت^١
ومذ صرت ترضيني بقول تملق
ثنيت عناني عن هواك زهادة
لأنني رأيت القلب عبدك طائعاً^٢
ولم تحفظ الودّ الذي هو بيننا
ولا أنت في قيد المحب إذا غدا
ولا أنت ممن يرعوي لمقالي
ولا رمت منك القرب إلا جفوتني
وأصغيت للواشي وصدقت قوله
فلم يبق لي والله فيك إرادة
ولا لي في حبيك ما عشت رغبة
ومن ذا الذي يقوى على حمل بعض ما
فلا ترجُ مني بعد ذا حسنَ صحبة
ولا تعتبي قد قطعتُ مطامعي

لقد جرت في حكم الغرام على الصبّ
وما هكذا فعلُ الأحبة والصحب^١
بقربك واللذات في المنزل الرحب
وأشهى إلى قلبي من البارد العذب
عليه دموع العين دائمة السكب
وتظهر لي سلماً أشدّ من الحرب
وإن كنت في أعلى المراتب من قلبي
تعذبه كيف اشتبهت بلا ذنب
ولم ترع أسباب المودة والحبّ
تقلبه الأشواق جنباً إلى جنب^٢
فأشفي قلبي بالسكينة والعتب
وأبعدني حتى أيست من القرب
وضيعت ما بيني وبينك بالكذب
كفاني الذي قاسيتُ فيك من العجب^٣
أبي الله أن تسبي فؤادي أو تُصبي
تجرعته بالذل من خلقك الصعب
فحسبي سلواً بعض ما قلته حسبي
وخففت حتى في الرسائل والكتب^٤

١ الزركشي : بالصحب .

٢ الزركشي : لقد غدت .

٣ الزركشي : عندك ضائعاً .

٤ الزركشي : على جنب .

٥ الزركشي : قاسيته فيك من عجب .

٦ القوات ١ : ١٠٦ - ١٠٧ والزركشي ١ : ٥٥ ب - ٥٦ وعيون التواريخ : ١١٦ ب

(أسد الثالث ٢٩٢٢/٢١) .

وقال :

أبا معرضاً عني بغير جنسيةٍ أما تستحي من فرط تيهك والعجب
سلوتك فاصنع ما تشاء فانه محاذرة التقيح حبك من قلبي

وقال :

كأنني يوم بان الحي عن إضمٍ والقلب من سطوات البين مذعور
ورقاءٍ ظلت لفقد الإلف ساجعةً تبكي عليه اشتياقاً وهو مأسور
يا جيرة الحي هل من عودةٍ فعسى يفيق من نشوات الشوق مخمور
إذا ظفرت من الدنيا بقربكم فكل ذنب جناه الدهر مغفور

وكتب إلى ابن عدلان الموصللي من دمشق إلى مصر لغزاً في سراج :

أيها العالم الذي صار حبراً ممارساً
والذي موضحاته يحتليها عرائس
أي شيء ترى جميع الورى منه قابلاً
ان في السرب نصفه حيثما كان كانسا
ثم صحف تمامه تلسق ضوءاً مؤانسا
واحذفن منه ثالثاً تنظرن فيه فارسا
من يصحفه عاكسا يلف في الليل حارسا

١ القوات ١ : ١٠٧ والزركشي ١ : ٥٦ (وهو مكرر أيضاً في الصفحة نفسها) .

٢ ابن طولون : سكرات الوجد .

٣ ابن طولون : الحب .

٤ الصفدي ٧ : ٣١٥ والزركشي ١ : ٥٥ ب (حاشية) ، والثالث والرابع في المنهل الصفي ،
وهما في إنباء الأمراء لابن طولون ، ٣٥ / ١ .

٥ ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٩٣ .

وقال :

وهواك يا سلمى وحرمة ما جرى بيني وبينك من أكيد وداد
لا حلتُ عن عهد الهوى ولو اني حاولتُ ذاك لما أطاع فوداي^١

وقال :

أي ليل على المحب أطاله سائق الظن يوم زمّ جماله
يزجر العيس طاوياً يقطع المهـ عسفاً سهوله ورماله
أيها السائق المجدّ ترفق بالمطايا فقد ستمن الرحاله
وأنخها هنيهة وأرحها قد براها فرط السرى والكلاله
لا تطلّ سيرها العنيف فقد برّح بالصب في سراها الإطاله
قد تركتم وراءكم حلف وجد نادباً في محلكم أطلاله
يسأل الربع عن طباء المصلّى ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحالّ من المحيّل جواب غير أن الوقوف فيها علاله
هذه سنة المحيين ييكون على كل منزل لا محاله
يا ديار الأحباب لا زالت الأد مع في ترب ساحتك مـذاله
وتمشى النسيم وهو عليل في مغانيك ساحباً أذباله
أين عيش لنا مضى فيك ما أسرع عنا ذهابه وزواله
حيث وجه الشباب طالع نضير والتصابي غصونه ميّاله
ولنا فيك طيب أوقات أنس ليتنا في المنام تلقى مثاله
وبأرجاء جوك الرحب سرب كلّ عين تراه تهوى جماله
من فتاة بديعة الحسن ترنو من جفون لحاظها مغتاله
ورخيم الدلال حلو المعاني تشنى أعطافه مختاله

ذو قوام تودّ كل غصون السبان لو أنها تحاكي اعتداله
 وجهه في الظلام بدرّ تمام وعذاراه حوله كالهاله
 ظبية تبهّر العيون جمالاً وغزال تغار منه الغزاله
 يا خليلي إذا أتيت ربّي الجـزع وعانيت روضه وظلاله
 قف به ناشداً فؤادي فلي ثمّ فؤاد أخشى عليه ضلاله
 وبأعلى الكتيب بيت أغص الطرف عنه مهابة وجلاله
 كلّ من جئتسه لأسأل عنه أظهر العي غيرةً وتباله
 أنا أدري به ولكن صوناً أتعامى عنه وأبدي جهاله
 منزل حقّه عليّ قدّم في زمان الصبا وعصر البطاله
 يا عريب الحمى اعذروني فاني ما تجنبت أرضكم عن ملاله
 حاش لله غير أني أخشى من عدوّ يسيء فينا مقاله
 فتأخرت عنكم قانعاً من طيفكم في المنام يهدي خياله
 أتمنى في النوم زور خيال والأمانى أطماعها قتاله
 يا أهيل النقا وحق ليالي الموصل ما صبوتي عليكم ضلاله
 لي مذ غبتم عن العين نار ليس تخبو وأدمع هطاله
 فصلونا إن شتمّ أو فصّدوا لا عدمناكم على كلّ حاله^١

— ٢٧ —

قدم عز الدين عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي مرة إلى دمشق ،
 وبلغ ابن خلكان قدومه فكتب إليه :

لله درّ مبشري بقدومه فلقد أتى بغرائب المسموع
 لو كان يرضى بالخليع وهبته قلباً تمزق ساعة التوديع^٢

١ الفوات ١ : ١٠٤ - ١٠٦ والزركشي ١ : ٥٤ ب - ٥٥ والصفدي ٧ : ٣١٤ وأورد
 منها الأبيات ١ - ١٧ . والأبيات ١ ، ٢ ، ٧ ، ٩ ، ٢٧ ، ٣٣ في مرآة الجنان ٤ : ١٩٦ .

٢ عيون التواريخ : ٨٢ وكان جواب ابن غانم المقدسي :

حاشك يا قاضي القضاة بأن تشرى حكماً يخالف سنة التشريع
 أصل القضية أنسي عبد لم والأصل لأ ينفك بالتفريع
 القلب يعصى ، كيف أملاك رده من بعد ما ملك الغرام جميعي

الدوبيت

— ١ —

هذا الصلف الزائد في معناه قد حيرني فلست أدري ما هو
كم يحمل قلبي من تجنيك ولا يدري أحدٌ بذاك إلا الله^١

— ٢ —

في هامش خدك البديع القاني أسرار هوى لكل صبّ عان
قد خرّجها الباري فما أطفها من حاشية بالقلم الریحاني^٢

— ٣ —

روحي بك يا معذبي قد شقيت في جنب رضاك في الهوى ما لقيت
لا تعجل بالله عليها فعسى أن تدركها برحمة إن بقيت^٣

— ٤ —

يا سعد عساك تطرق الحيّ عساك قصداً فاذا رأيت من حلّ هناك
قل صبك ما زال به الوجد إلى أن مات غراماً . أحسن الله عزاك^٤

— ٥ —

لاحت سحراً لزائر الخيف بروق فازددت بها شوقاً وما زلت مشوق

١ الزركشي : ٥٦ ، والفوات : ١٠٧ .

٢ الصفدي : ٣١٦ الفوات : ١٠٧ الزركشي : ٥٦ .

٣ الصفدي : ٣١٦ وتذكرة النواجي .

٤ الصفدي وتذكرة النواجي والفوات : ١٠٨ والزركشي : ٥٦ .

[...] البارق على الخيف إذا ما أومض إلا واعترى القلب خفوق^١

— ٦ —

ما شمت على الخيف بروقاً لمعت إلا وحسبتها لقلبي صدّعت^٢
يا من بعدوا لا تبعثوا طيفكم^٣ نحوي فجعفوني بعدكم ما هجعت^٤

— ٧ —

يا من لي من جميلهم عادات^٥ بنم^٦ عني فبانت اللذات
كم رمت أزوركهم وأقضي عمري في خدمتكم فضاقت الأوقات

— ٨ —

من أين لأجفانك هذا الكحل^٧ من أين لأعطافك هذا الكسل^٨
من أين لقلبي قدرة الصبر على أخلاقك ، كم هذا الجفا والملل

— ٩ —

الصبّ بكم قد فئت أدمعه من فرط جوى تضمه أضلعه
لا يطمع في الوصل ، وهيهات ، بلى أدنى خطرات طيفكم تقنعه

— ١٠ —

يا من لهم الجميل^٩ والإنعام^{١٠} بنم^{١١} فتزايدت بي الأسقام
عندي وحياتكم من الشوق لكم ما تعجز أن تشرحه الأقلام

— ١١ —

من لي بغزال كلما قلت خطر حُمِلْتُ خطر
يهتز كغصن بانة ماس سحر للناس سحر
ما يشبهه في حسنه غير قمر للعقل قمر
لو زودني بقبلة حين سفر زاداً لسفر

١ الزركشي : ٥٦ .

٢ القطع من ٦ - ٢٧ وردت في تذكرة النواجي (برلين 1196 Spr. 8400) .

- ١٢ -

قاسوك بغصن البان لما وصفوا لا ذنب لهم لأنهم ما عرفوا
هب أن له ملاحاً منك بدت من أين لخوط البان هذا الهيف

- ١٣ -

مذ أعرض عني جيرتي وانتزحوا لم أصغ إلى العذال فيما نصحوا
ناشدتك يا عدول دعني وهم لا تدخل بيتنا عسى نصطليح

- ١٤ -

ما أومض بارق ولا هب نسيم إلا وغدا القلب من الوجد يريم
يا عاذل قد أطلت في اللوم قدع شاني وهم فلت بالوجد عليهم

- ١٥ -

لله ليال سلفت بالعلم في أنعم عيشة وأوفى نعم
ما أطيب ما كانت وما أسعدني لو فزت بمثلها ولو في الحلم

- ١٦ -

الصب بينكم كثير العبرات من بعدكم قد طلق النوم بتات
إن طال فراقكم عليه يخشى أن تذهب نفسه عليكم حسرات

- ١٧ -

يا شمس ضحي جبينه وضاح ساعات رضاك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم ماتوا كمداً وبالهوى ما باحوا

- ١٨ -

ما أطيب ليلة مضت بالسفح والعيش بها يقصُر عنه شرحي

إذ قلت لها : بوابنا أنتِ متى ما غبتِ نخاف من دخول الصبح^١

- ١٩ -

مالي أربّ سواك مالي أرب يا من حسنت به وطابت حلب
ما الحاجة أن أشرح ما أضمره الله معذّبي وأنت السبب

- ٢٠ -

بالصحة يا صاح إذا جزت بمي فاشرح كلّفي بها وما تمّ علي
قل ذاك حليف الشوق قد صيره هجرانك شاهداً على صورة حي

- ٢١ -

يا من بفراقهم ظنوني خابت هذي كبدي عليكم^٢ قد ذابت
طابت بكم الحياة بعدي وصفت لكن حيساتي بعدكم ما طابت

- ٢٢ -

يا من بمغيبه نأى الصبر وغاب ما ضرك لو بعثت لي منك خطاب
لا بُلِّغَ قلبي منك ما يأمله إن كان صفائي بعدك العيش وطاب

- ٢٣ -

قد قال لي الخيال^٣ إذ وافاني هل تقنع أن أغشاك في الأحيان
ما أحسبه يسمح بالوصل سدّي بل قد حبس الرقاد عن أجفاني

- ٢٤ -

لا تعتقدوا رحلت عنكم مللاً حاشاي ولا اخترت سواكم بدلاً
إن راق لعيني أحد^٤ بعدكم لا بُلِّغَ قلبي من لقاكم أملاً

- ٢٥ -

يا مرتحلاً يطوي متونَ الفلوات إن جزت على الحمى فقف بالآثلاث

١ الوفيات ٣ : ١٦١ .

وابك الدمن الخوالي منهم فعسى تروى عرصاتها بصوب العبرات

— ٢٦ —

ألحاظك والجفون أصل الفتن يا بدر دجى عن غيره ألفتني
يا من بدوام هجره أمرضني ما آن بأن تنظر في أمر ضني

— ٢٧ —

قاسوك ببدر التم قوم ظلموا لا ذنب لهم لأنهم ما علموا
من أين لبدر التم يا ويحهم جيد وعيون وقوام وفم^١

— ٢٨ —

أهوى رشاً مهفهف القد رشيق قد حمل قلبي منه ما ليس يطيق
ما ترحم في هوائك يا بدر دجى من يرحمه كل عدو وصديق^٢

— ٢٩ —

قوم لهم علي فرض وحقوق بانوا فحياتي بعدهم ليس تروق
أحبائي لو أمكنني قصدكم بادرت ولكن حادث الدهريعوق^٣

— ٣٠ —

يا غصن نقا قسوامه مياد أيام رضاك كلها أعياد
ما أكرم حزني عندما تهجرني إلا حذراً أن تشمت الحساد^٤

١ تذكرة النواجي والنجوم ٧ : ٣٥٥ .

٢ تذكرة النواجي وعيون التواريخ .

٣ عيون التواريخ .

٤ الوفيات ٣ : ٤٨١ .

حَرْفُ الْيَاءِ

(تمة)

المنصور الموحد

أبو يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي ، القيسي الكومي صاحب بلاد المغرب — قد تقدم ذكر جده عبد المؤمن ، وسيأتي ذكر أبيه يوسف إن شاء الله تعالى .

كان^١ صافي السمرة جداً ، إلى الطول ما هو . جميل الوجه أفوه أعين شديد الكحل ضخيم الأعضاء جهوري الصوت جزل الألفاظ ، من أصدق الناس لهجة وأحسنهم حديثاً وأكثرهم إصابة بالظن ، مجرباً للأمر ، ولي وزارة أبيه ، فبحث عن الأحوال بحثاً شافياً وطالع مقاصد العمال والولاة وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الأمور^٢ . ولما مات أبوه — في التاريخ الآتي في ترجمته إن شاء الله تعالى — اجتمع رأي أشياخ الموحدين وبني عبد المؤمن على تقديمه فبايعوه وعقدوا له الولاية ودعوه أمير المؤمنين كأبيه وجده ولقبوه بالمنصور ، فقام بالأمر أحسن قيام ، وهو الذي أظهر أبهة ملكهم ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ونظر في

٨٢٩ — أخباره في الخلل الموشية : ١٢١ وروض القرطاس : ١٦٠ وأعمال الأعلام : ٢٦٩ والبيان المغرب ٣ : ١٤٠ — ٢١١ والاستقصا ٢ : ١٥٨ وتاريخ الدولتين : ١٠ والمعجب : ٣٣٦ وجنوة الاقتباس : ٣٤٨ والأنيس المطرب : ١٥٣ ونفح الطيب (انظر الفهرست : المنصور يعقوب بن يوسف) وابن الأثير (انظر فهرسته أيضاً) .

١ قارن بما في المعجب : ٣٣٦ .

٢ قوله : كان صافي الأمور : لم يرد في ربر س من والترميم في المسودة ، وهو وارد في موضعين متفاوتين في المختار .

أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين^١ كما أقامها في سائر الناس أجمعين ، فاستقامت الأحوال في أيامه وعظمت الفتوحات .

ولما مات أبوه كان معه في الصحبة^٢ ، فباشر تدبير المملكة من هناك ، وأول ما رتب قواعد بلاد الأندلس ، فأصلح شأنها وقرر المقاتلين في مراكزها ومهد مصالحها في مدة شهرين . وأمر بقراءة البسملة في أول الفاتحة في الصلوات وأرسل بذلك إلى سائر بلاد الإسلام التي في مملكته ، فأجاب قوم وامتنع آخرون . ثم عاد إلى مراکش التي هي كرسي ملكهم^٣ ، فخرج عليه علي بن إسحاق بن محمد بن علي بن غانية الملقب من جزيرة ميورقة في شعبان سنة ثمانين^٤ وملك بجاية وما حولها ، فجهز إليه الأمير يعقوب عشرين ألف فارس وأسطولا في البحر ثم خرج بنفسه في أول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، فاستعاد ما أخذ من البلاد ثم عاد إلى مراکش .

وفي سنة ست وثمانين بلغه أن الفرنج ملكوا مدينة شلب وهي في غرب جزيرة الأندلس ، فتجهز إليها بنفسه وحاصرها وأخذها ، وأنفذ في الوقت جيشاً من الموحدين ومعه جماعة من العرب ، ففتحوا أربع مدن من بلاد الفرنج كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة ، وخافه صاحب طليطلة وسأله الصلح ، فصالحه خمس سنين وعاد إلى مراکش . فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها سوى القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كثيف إلى بلاد المسلمين فنهبوا وسبوا وعاثوا عيثاً فظيماً ، فأنهى الخبر إلى الأمير يعقوب وهو بمراكش ، فتجهز لقصدهم في جحافل عرمرم من قبائل الموحدين والعرب ، واحتفل وجاز إلى الأندلس ، وذلك في سنة

١ ير من : وعترته والأقربين ؟ من : وعشيرته والأقربين .

٢ توفي أبوه بالأندلس على مراحل من مدينة شتيرين .

٣ س : مملكتهم .

٤ زاد في ر : وخمسمائة .

إحدى وتسعين وخمسمائة ، فعلم الفرنج به ، فجمعوا خلقاً كثيراً من أقاصي بلادهم وأدانيها^١ ، وأقبلوا نحوه .

قلت : ورأيت بدمشق في أواخر سنة ثمان وستين وستمائة جزءاً بخط الشيخ تاج الدين عبد الله بن حمويه شيخ الشيوخ^٢ كان بها ، وكان قد سافر إلى مراکش وأقام بها مدة ، وكتب فصولاً تتعلق بتلك الدواة فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الواقعة فينبغي ذكره^٣ ها هنا ، فقال^٤ : لما انقضت الهدنة بين الأمير أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المملكة الغربية وبين الأذفونش الفرنجي صاحب غرب جزيرة الأندلس . وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة ، وذلك في أواخر سنة تسعين وخمسمائة ، عزم الأمير يعقوب وهو حينئذ بمراكش على التوجه إلى جزيرة الأندلس لمحاربة الفرنج وكتب إلى ولاية الأطراف وقواد الجيوش بالحضور ، وخرج إلى مدينة سلا ليكون اجتماعُ العساكر بظاهرها ، فاتفق أنه مرض مرضاً شديداً حتى أيس منه أطباؤه ، فتوقف الحال عن^٥ تدبير ذلك الجيش ، فحمل الأمير يعقوب إلى مراکش ، فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها وأغاروا على النواحي والأطراف ، وكذلك فعل الأذفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالأندلس ، واقتضى الحال تفرقة جيوش الأمير يعقوب شرقاً وغرباً ، واشتغلوا بالمدافعة والممانعة ، فكثرت طمع الأذفونش في البلاد ، وبعث رسولاً إلى الأمير يعقوب يتهدد ويتوعد ، ويطلب بعض الحصون

١ ر : أقصى بلادهم وأدناها .

٢ كان مفتناً في العلوم عارفاً بالأصلين والفروع والترسل والتواريخ والهندسة والطب ، عاد من رحلته إلى الشام سنة ٦٠٠ وكانت وفاته سنة ٦٤٢ (انظر مرآة الزمان : ٧٤٨ وذيل أبي شامة : ١٧٤ والشذرات ٥ : ٢١٤ والنفح ٣ : ٩٩) .

٣ ع ر س : ذكرها .

٤ انظر المصادر السابقة في وصف معركة الأرك (Alarcos)

٥ س بر : على .

المتاخمة له من بلاد الأندلس ، وكتب إليه رسالة من إنشاء وزير له يعرف
 بابن الفخار . وهي : باسمك اللهم فاطر السموات والأرض ، وصلى الله
 على السيد^١ المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح ، أما بعد فإنه لا يخفى
 على ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل^٢ لازب ، أنك أمير الملة الحنيفية كما أني
 أمير الملة النصرانية ، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل
 والتواكل وإهمال الرعية ، وإخلادهم إلى الراحة^٣ ، وأنا أسومهم بحكم
 القهر وجلاء الديار وأسبي الذراري وأمثل بالرجال ، ولا عذر لك في التخلف
 عن نصرهم إذا أمكنتك^٤ يد القدرة ، وأنتم ترعمون أن الله تعالى فرض
 عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم . فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم
 ضعفاً ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعاً ولا
 تملكون امتناعاً . وقد حكى لي عنك أنك أخذت في الاحتفال وأشرفت على
 ربوة القتال ، وتماطل نفسك عاماً بعد عام ، تقدم رجلاً وتؤخر أخرى .
 فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكنيب بما وعد ربك . ثم قيل لي إنك
 لا تجد إلى جواز البحر سبيلاً لعله لا يسوغ لك التقحم معها . وها أنا أقول
 لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك ، على أن تفني بالعهود والمواثيق
 والاستكثار من الرهان . وترسل إليّ جملة من عبيدك بالمراكب والشواني
 والطرائد والمسطحات ، وأجوز بحملتي إليك ، وأقاتلك في أعز الأماكن
 لديك . فإن كانت^٥ لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت
 بين يديك . وإن كانت لي كانت يدي العليا عليك . واستحقيت^٦ إمارة

١ ع : سيدنا ؛ س بر : سيدنا السيد .

٢ المختار : وعقل .

٣ زاد في ر : والأريحية .

٤ ر : أمكنتكم .

٥ ر : كانت الدائرة .

٦ كذا في النسخ جميعاً .

الملتين والحكم على البرين ، والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الإرادة ، لا رب غيره ولا خير إلا خيره ، إن شاء الله تعالى .

فلما وصل كتابه إلى الأمير يعقوب مزقه وكتب على ظهر قطعة منه : ﴿ ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾ (النمل : ٣٧) الجواب ما ترى لا ما تسمع :

ولا كُتِبَ إلا المشرفية عنده ولا رسلٌ إلا الخميس العرمرمُ

قلت : وهذا البيت للمنتني .

ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الأمصار ، وضرب السراقات بظاهر البلد من يومه وجمع العساكر ، وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبّر فيه إلى الأندلس ، وسار إلى أن دخل بلاد الفرنج . وقد أعتدوا واحتشدوا وتأهبوا . فكسرهم كسرة شنيعة ، وذلك في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة : انتهى ما نقلته من الجزء المذكور .

قلت : ثم وجدت في كتاب « تذكير العاقل وتنبيه الغافل » تأليف أبي الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي^١ هذه المكاتبة وجوابها . قد كتبها الأذفونش بن فرذلند إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين — الآتي ذكره بعد هذا إن شاء الله تعالى — وجواب يوسف على هذه الصورة أيضاً . والله أعلم .

قلت : وذكر البياسي بعد هذا ما يدل على أنه نقلها من خط ابن الصيرفي الكاتب المصري ، فإن كان كذلك فما يمكن أن تكون هذه الرسالة إلى يعقوب ابن يوسف . لأن ابن الصيرفي متقدم التاريخ على زمان يعقوب بكثير ، والله أعلم .

١ س : التيفثي ، وهو تصحيف .

ورأيت جماعة من فضلاء المغاربة ينكرون هذا التاريخ ويذكرون ما
نشره إن شاء الله تعالى : وهو أن الفرنج جمعوا جمعاً عظيماً وقصدوه .
وبلغ الأمير يعقوب خبرُ مسيرهم وكثرة جموعهم . فما هاله ذلك . وجَدَّ
في السير نحوهم حتى التقوا في شمال قرطبة على قرب قلعة رباح في مرج
الحديد^١ ، وفيه نهر يشقه ، فعبر إلى منزلة الفرنج وصاقهم ، وذلك يوم
الخميس التاسع من شعبان سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ، واقتفى في ذلك
طريقة أبيه وجده فانهما أكثر ما كانوا يضافون يوم الخميس ، ومعظم حركاتهم^٢
في صفر . ووقع القتال وبرزت الأبطال وصبرت الرجال ، فأمر الأمير
يعقوب فرسان الموحدين وأمراء العرب أن يتحملوا ففعلوا . وانهزم الفرنج
وعمل فيهم السيف فاستأصلهم قتلاً ، وما نجا ملكهم إلا في نفر يسير ، ولولا
دخول الليل لم يبق منهم أحد ، وغنم المسلمون أموالهم ، حتى قيل إن الذي
حصل لبيت المال من دروعهم ستون ألف درع . وأما الدواب على اختلاف
أنواعها فلم يُحصَر لها عدد . ولم يسمع في بلاد الأندلس بكسرة مثلها .

ومن عادة الموحدين أنهم لا يأسرون مشركاً محارباً إن ظفروا به ولو كان
ملكاً عظيماً ، بل تضرب رقابهم كثروا أو قتلوا . فلما أصبح جيش المسلمين
اتبعهم فألفوهم قد أخذوا قلعة رباح لما داخلهم من الرعب . فملكها الأمير
يعقوب وجعل فيها والياً وجيشاً . ولكثرة ما حصل له من الغنائم لم يمكنه
الدخول إلى بلاد الفرنج في ذلك الوقت . فعاد إلى مدينة طليطلة وحاصرها
وقاتلها أشد قتال وقطع أشجارها وشن الغارات على بلادها . وأخذ من
أعمالها حصوناً كثيرة وقتل رجالها وسبي حريمها وخرب مبانيها^٣ وهدم
أسوارها ، وترك الفرنج في أسوأ حال . ولم يبرز إليه أحد من المقاتلة .

١ سمه المراكشي « فحصر الحديد » .

٢ من هنا يبدأ النص بخط المؤلف .

٣ ر : مغانها .

ثم رجع إلى إشبيلية وأقام إلى أثناء سنة ثلاث وتسعين ، فعاد إلى بلاد الفرنج مرة ثالثة^١ وفعل فيها كفعله المتقدم ، فلم يبق للفرنج قدرة على لقائه وضاق عليهم الأرض بما رحبت ، فأرسلوا إليه يلتمسون منه الصلح ، فأجابهم إلى ذلك لما اتصل به من أخبار علي بن إسحاق الميورقي - المقدم ذكره في هذه الترجمة - فإنه كان قد خرج على بلاد إفريقية وخرّب أكثر بلادها . وتوجه نحو الغرب . وسوّت له نفسه النزول على بجاية لما علمه من اشتغال الأمير يعقوب بجزيرة الأندلس والجهاد فيها وتأخره عن بلاد المغرب مدة ثلاث سنين . فأوقع الصلح بينه وبين ملوك بلاد الأندلس جميعاً على ما اختاره لمدة خمس سنين ، ثم عاد إلى مراكش في أواخر سنة ثلاث وتسعين . ولما وصل إليها أمر باتخاذ الأحواض والروايا وآلات السفر للتوجه إلى بلاد إفريقية ، فاجتمع إليه مشايخ الموحدين وقالوا له : يا سيدنا قد طالت غيبتنا بالأندلس ، فمننا من له خمس سنين ومننا من له ثلاث سنين وغير ذلك ، فتنعم علينا بالمهلة هذا العام وتكون الحركة في أول سنة خمس وتسعين ، فأجابهم إلى سؤلهم وانتقل إلى مدينة سلا وشاهد ما فيها من المنزهات المعدة له ، وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة ، سماها «رباط الفتح» على هيئة الإسكندرية في اتساع الشوارع وحسن التقسيم وإتقان البناء وتحسينه وتحصينه ، وبنّاها على البحر المحيط الذي هناك ، وهي على نهر سلا مقابلة لها من البرّ القبلي ، وطاف تلك البلاد وتزّره فيها ثم رجع إلى مراكش .

قلت : وبعد هذا اختلفت الروايات في أمره ، فمن الناس من يقول : إنه ترك ما كان فيه وتجرد وساح في الأرض حتى انتهى إلى بلاد الشرق^٢ وهو مستخفٍ لا يعرف ، ومات خاملاً ، ومنهم من يقول : إنه لما رجع

١ ر : مرة أخرى ثالثة .

٢ المختار : المشرق .

إلى مراكش كما ذكرناه توفي في غرة جمادى الأولى ، وقيل في شهر ربيع الآخر في سابع عشره . وقيل في غرة صفر ، سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمراكش . وقيل إنه مات بمدينة سلا ، والله أعلم . وكانت ولادته على ما ذكر هو ليلة الأربعاء رابع شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى . ولم ينقل شيء من أحواله بعد ذلك إلى حين وفاته .

قلت : ثم حكى لي جمع كثير بدمشق في شهر شوال سنة ثمانين وستمائة أن بالقرب من المجلد . البليدة التي من أعمال البقاع العزيزي ، قرية يقال لها حمارة . وإلى جانبها مشهد يعرف بقبر الأمير يعقوب ملك المغرب ، وكل أهل تلك النواحي متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف ، وهذا القبر بينه وبين المجلد مقدار فرسخين من جهتها القبليّة بغرب . والله أعلم .

وكان ملكاً جواداً عادلاً متمسكاً بالشرع المطهر . يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغي من غير مُحَابَاة ويصلي بالناس الصلوات الخمس ، ويلبس الصوف^٢ ، ويقف للمرأة وللضعيف ويأخذ لهم بالحق . وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه مَنْ يمر به .

وسمعت عنه حكاية يليق أن نذكرها ها هنا وهي : أن الأمير الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر والد الأمير أبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد صاحب إفريقية كان قد تزوج أخت الأمير يعقوب المذكور وأقامت عنده . ثم جرت^٣ بينهما منافرة فجاءت إلى بيت أخيها الأمير يعقوب ، فسير الأمير عبد الواحد طلبها فامتنعت عليه . فشكا الأمير عبد الواحد ذلك إلى قاضي الجماعة بمراكش ، وهو القاضي أبو عبد الله محمد ابن علي بن مروان ، فاجتمع القاضي المذكور بالأمير يعقوب وقال له :

١ قلت ... أعلم : سقط من رس ير من ، وهو بهامش المسودة . وثابت في المختار و ع ق .

٢ هنا سقط في المسودة . وقد أكمل النص بخط مخالف .

٣ ع : حتى جرت .

إن الشيخ أبا محمد عبد الواحد يطلب أهله ، فسكت الأمير يعقوب ، ومضى على ذلك أيام ، ثم إن الشيخ عبد الواحد اجتمع بالقاضي المذكور في قصر الأمير يعقوب بمراكش ، وقال له : أنت قاضي المسلمين . وقد طلبت أهلي فما جاءوني ، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له : يا أمير المؤمنين . الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية ، فسكت الأمير يعقوب ، ثم بعد ذلك بمدة لقي الشيخ عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور وقد جاء إلى خدمة الأمير يعقوب فقال له : يا قاضي المسلمين . قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة : أنا أطلب أهلي وقد منعوني عنهم ، فاجتمع القاضي بالأمير يعقوب وقال له : يا مولانا إن الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لأهله ، فاما أن تسير إليه أهله وإلا فاعزلني عن القضاء . فسكت الأمير يعقوب . وقيل إنه قال له : يا أبا عبد الله ما هذا إلا جلد كبير . ثم استدعى خادماً وقال له في السر : تحمل أهل الشيخ عبد الواحد إليه ، فحملت إليه في ذلك النهار . ولم يتغير على القاضي ولا قال له شيئاً يكرهه ، وتبع في ذلك حكم الشرع المطهر وانقاد لأوامره ، وهذه حسنة تعدّ له وللقاضي أيضاً ، فإنه بالغ في إقامة منار العدل^١ .

وكان الأمير أبو يوسف يعقوب المذكور يشدد في إلزام الرعية باقامة الصلوات الخمس ، وقتل في بعض الأحيان على شرب الخمر ، وقتل العمال الذين تشكو الرعايا منهم ، وأمر برفض فروع الفقه ، وأن العلماء لا يفتون إلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية . ولا يقلدون أحداً من الأئمة المجتهدين المتقدمين ، بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس . ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا إلينا إلى البلاد وهم على ذلك الطريق : مثل أبي الخطاب ابن دحية وأخيه أبي عمر ومحيي الدين ابن العربي نزيل دمشق وغيرهم .

١ علق بعضهم في هامش المختار منهكاً من المؤلف زاعماً أن الحكاية لا تدل على شيء وليست ذات مغزى .

وكان يعاقب على ترك الصلاة ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها ،
فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيراً بليغاً .

وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى إنه لم يبق بجميع
أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط إلى برقة إلا من هو في طاعته وداخل
في ولايته ، إلى غير ذلك من جزيرة الأندلس . وكان محسناً محباً للعلماء مقرباً
للأدباء مصغياً إلى المدح مثيباً عليه ، وله ألف أبو العباس أحمد بن عبد السلام
الجرأوي^١ كتابه الذي سماه « صفوة الأدب وديوان العرب » في مختار
الشعر . وهو مجموع مليح أحسن في اختياره كل الإحسان .

وإلى الأمير يعقوب تنسب الدنانير اليعقوبية المغربية .

وكان قد أرسل إليه السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب
الآتي ذكره إن شاء الله تعالى — رسولاً^٢ من بني منقذ في سنة سبع وثمانين
 وخمسمائة ليستنجده على الفرنج الواصلين من بلاد المغرب إلى الديار المصرية
 وساحل الشام ، ولم يخاطبه بأمر المؤمنين^٣ بل خاطبه بأمر المسلمين ، فعز
 ذلك عليه . ولم يجبه إلى ما طلبه منه .

(355) والرسول المذكور هو شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن
نجم الدولة أبي عبد الله محمد بن مرشد — وقد سبق في ترجمة عمه أسامة بن
منقذ تنمة نسبه — هكذا ذكره الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري في
كتاب « الوفيات » وقال: توفي في سنة ستماية بالقاهرة ، ومولده في شيزر
سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وله نظم ونثر .

١ انظر ترجمة الجراوي في التكملة : ١٢٨ والفصول الياقة : ٩٨ .

٢ هنا يعود خط المؤلف في المسودة ؛ وانظر رسائل صلاح الدين اليه في مفرج الكروب

٣ ٩٦:٢ وما بعدها ، وراجع النفع ٤٤٤:١ والروضتين ٢ : ١٧٠ .

رجعنا إلى حديث يعقوب .

(356) وكان من شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مُجَبَّر الأندلسي المرمي^١ . ولقد نظرت في ديوانه فوجدت أكثر مدائحه في الأمير يعقوب ، فمن ذلك قوله :

أتراه يتركُ الغسزلا	وعليه شبّ واكتهلا
كَلِفٌ بالغيد ما عقلتُ	نفسه السلوانَ مذ عقلا
غير راضٍ عن سجية مَنْ	ذاق طعمَ الحبِّ ثم سلا
أيها اللوامُ ويحكمُ	إن لي عن لومكم شُغلا
ثقلتُ عن لومكم أذنُ	لم يجد فيها الهوى ثُقلا
تسمعُ النجوى وإن خفيتُ	وهي ليست تسمع العذلا
نظرتُ عيني لشِقْوَتِها	نظراتٍ وافقتُ أجلا
غادةٌ لما مثلتُ لها	تركتني في الهوى مثلا
هي يزني الشباب فقد	صار في أجفانها كَحلا
أبطل الحقَّ الذي يبسدي	سِحْرُ عينيها وما بطلا
عرضتُ دكلاً فإذا فطنتُ	بولوعي أعرضتُ خجلا
وبدا لي أنها وجلت	من هنات تبعث الوجلا
حسبتُ أني سأحرقها	إذ رأيتُ رأمي قد اشتعلا
يا سراةَ الحسيِّ مثلكمُ	يتلافى الحادثُ الجَللا
قد نزلنا في جواركمُ	فشكرنا ذلك النُزلا
ثم واجهنسا ظباءكمُ	فلقينا الهول والوهلا ^٢

١ توفي ابن مجبر سنة ٥٨٨ هـ ، راجع ترجمته في زاد المسافر : ٩ وبنية الملتبس رقم ٩٣ والنفع ٣ : ٢٢٧ وله شعر في النفع وشرح مقصورة حازم والبيان المغرب (ج ٣ ط . تطوان) والخلل الموشية .

٢ بر : فذ ؛ س : وإذ ٣ ر من بر : والوجلا .

أضمتُم أمسنَ جيرتكمُ	ثمّ ما آمنتم السبلا
وأردتمُ غَصَبَ أنفسهم	فبثّستم بينها المقلا
ليتنا خضنا السيوفَ ولم	نلقَ تلك الأعين النجلا
عارضتنا منكم فتّةٌ	أحدثتُ في عهدنا دَحْلا
ثُعَلِيَّاتٌ جفونهمُ	وهُمُ لم يعرفوا ثُعلا
أشرعوا الأعطاف ناعمة	حين أشرعنا القنا الذبلا
واستفزتنا عيونهمُ	فخلعنا البيّضَ والأسلا
ورمتنا بالسهم فلم	نر إلا الحلي والخللا
نُصروا بالحسن فانتهبوا	كل قلب بالهوى جذلا
عطلتني الغيدُ من جَلَدِي	وأنا حليتها الغزلا
حملت نفسي على فتن	سُمّتها صبراً فما احتملا
ثم قالت سوف نتركها	سلباً للحب أو نَفْلا
قلت أما وهى قد علقت	بأمير المؤمنين فلا
ما عسا تأميلها ملكاً	من رآه أدرك الأُملا
أودع الإحسانُ صفحته	ماء بشر ينقع الغُلا
فإذا ما الجودُ حرّكه	فاض من يمانه فأنهلا

قلت : وهي قصيدة طويلة عدد أبياتها مائة وسبعة أبيات ، فنقتصر منها على هذا المقدار .

وكانت وفاة هذا الشاعر في سنة سبع وثمانين وخمسمائة بمراكش ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

ودخل الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي الأسود الشاعر^١ على الأمير يعقوب فأنشده :

١ انظر النفع ٤ : ٣٨٠ وعقود الجمان لابن الشعار ١ : ٣٧ والنقل فيه عن شيخ الشيوخ ابن=

أزال حجابَه غني وعيني تراه من المهابة في حجابِ
وقرّبي تفضّله ولكن بعدتُ مهابةً عند اقترابي

وكانم : بكسم النون ، جنس من السودان وهم بنو عم تكرور ، وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب إلى أب ولا أم ، وإنما كانم اسم بلدة بنواحي غانة ، وهي دار ملك السودان الذين يجنوب الغرب ، فسمي هذا الجنس باسم هذه البلدة ، وتكرور اسم للأرض التي هم فيها ، وسمي جنسهم باسم أرضهم . والجميع من بني كوش بن حام بن نوح عليه السلام ، والله أعلم^١ .

(357) ولما حضرت الوفاة الأمير يعقوب المذكور وقضى نحبه بايع الناس ولده أبا عبد الله محمد بن يعقوب وتلقب بالناصر . ونهض إلى إفريقية فهزم الميورقي المذكور وارتجع المهديّة من نوابه . وقد كان استولى عليها في مدة اشتغال الأمير يعقوب بالأعداء . ثم تحرك محمد بن يعقوب إلى جزيرة الأندلس . فكانت وقعة العقاب في سنة تسع وستمائة . وتوفي محمد سنة ست عشرة وستمائة [لعشر خلون من شعبان]^٢ ومولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة . والمغاربة يقولون : إن محمد بن يعقوب المذكور أوصى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش أن كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم . ثم أراد أن يختبر قدر أمره لهم . فتنكر وجعل يمشي في البستان ليلاً . فعندما رأوه جعلوه غرضاً لرماحهم ، فجعل يقول : أنا الخليفة ، أنا الخليفة . فما تحققوه حتى هلك . والله أعلم بصحة ذلك .

(358) ثم ولي بعده ولده أبو يعقوب يوسف بن محمد بن الأمير يعقوب ، وتلقب

- حمويه . وقد ترجم ابن الأبار (التكملة : ١٧٧) لكائمي اسمه ابراهيم بن محمد وكان شاعراً فلا أدري أهو هذا المذكور هنا أم غيره .

١ ودخل الأديب ... أعلم : سقط من بر من رمن وهو ثابت في المختار وهمش المسودة .

٢ لم يرد في النسخ الخطية .

المستنصر بالله . ومولده أول شوال سنة أربع وتسعين ، ولم يكن في بني عبد المؤمن أحسن وجهاً منه ولا أبلغ في المخاطبة ، إلا أنه كان مشغولاً براحته . فلم يبرح عن حضرته ، فضعفت الدولة في أيامه . ومات في شوال أو ذي القعدة سنة عشرين وستمائة . ولم يخلف ولداً .

(359) فاتفق أرباب الدولة على تولية أبي محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن لكبر سنه ووفور عقله ، فلم يحسن التدبير ، ولا دارى أهل دولته فخلعوه وخنقوه بعد تسعة أشهر من ولايته . ولما تولى عبد الواحد بمراكش كان بالأندلس أبو محمد عبد الله بن الأمير يعقوب المذكور . فامتنع بمروسة . ورأى أنه أحتق بالأمر من عبد الواحد . وخرج إلى ما في جهته من بلاد الأندلس فاستولى عليها بغير كلفة وتلقب بالعدل . فلما خنق عبد الواحد بمراكش ، ثارت الفرنج بالأندلس على عبد الله المذكور وتواقعوا ، وانهزم أصحابه هزيمة شنيعة وهرب هو وركب البحر يريد مراكش ، وترك باشبيلية أخاه أبا العلأ إدريس بن الأمير يعقوب . وقاسى عبد الله شدائد في طريقه إلى مراكش من العربان . فلما وصلها اضطربت أحواله وقبض عليه أهل مراكش .

(360) وتفاوضوا فيمن يقدمونه . فوقع اختيارهم على أبي زكريا يحيى بن الناصر محمد بن يعقوب . وهو إذ ذاك كما يقتل وجهه غير لم يجرب الأمور . فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى ورد الخبر من الأندلس أن أبا العلأ إدريس بن الأمير يعقوب ادعى الخلافة باشبيلية وبايعه أهل الأندلس ، ثم آل أمره إلى أن حصره العرب بمراكش وهزموا عسكره مرة بعد أخرى . حتى ضجر منه أهل مراكش وتشاءوا به وأخرجوه عنهم ، فهرب إلى جبل آدرن . ثم راسل في الباطن جماعة من أهل مراكش ليعود إليها ويقتل من بها من أعوان أبي العلأ إدريس . فحضر إليها وقتل المذكورين .

(361) وجاء أبو العلأ من الأندلس . وقد خرج عليه بها الأمير محمد بن يوسف

ابن هود الجذامي ، ودعا إلى بني العباس فمال إليه الناس ورجعوا عن أبي العلاء لإدريس ، فانتهى إلى مراكش . ويحیی بها . فتواقعوا وانهمز يحيى من أبي العلاء إلى الجبل ، واستولى أبو العلاء على مراكش .

وجمع يحيى رجالاً وقصد أبا العلاء بمراكش فهزمه أبو العلاء مراراً وأضعف جماعته ، فألجأته الضرورة إلى الاستجارة بقوم في حصن بجهة تلمسان ، وكان لغلाम منهم عنده ثار بأبيه ، فرصده يوماً وهو راكب فطعنه فقتله ، واستبد أبو العلاء بالأمر وتلقب بالمأمون . وكان شجاعاً حازماً صارماً فتاكاً . ثم إن أبا العلاء مات في الغزو حتف أنفه ، ولم أتتحقق تاريخ وفاته . ثم أخبرني بعض أهل بلادهم أنه توفي سنة ثلاثين وستمائة ، والله أعلم .

(362) وأخفى ولده موته حتى دبر أمره وبلغ مأمنه ، وهو أبو محمد عبد الواحد ابن أبي العلاء لإدريس ، وتلقب بالرشيد ، وتقدم بعد موت أبيه وغلب على أخيه الأكبر واستبد بالأمر . وكان أبوه أبو العلاء قد أزال اسم المهدي أبي عبد الله محمد بن تومرت - المقدم ذكره - من الخطبة يوم الجمعة ، فأعاده ولده الرشيد المذكور ، واستمال به قلوب جماعته وتجبب إليهم . وكان إلى سنة إحدى وأربعين وستمائة ملك المغرب الأقصى وبعض الأندلس ، ولم أعلم ما وراء ذلك حتى أذكره^١ .

وبعد تسطير هذه الترجمة كتب لي بعض أهل مراكش ممن عنده فضيلة ومعرفة ، وكان قريب عهد ببلاده ، فأخبرني أن الرشيد المذكور توفي غريقاً في صهريج بستان له بحضرة مراكش في سنة أربعين وستمائة ، وكنتم حاجبه أمره مدة فجهل لذلك شهر وفاته .

(363) وولي بعده أخوه لأبيه المعتضد ويعرف بالسعيد ، وهو أبو الحسن علي ابن لإدريس . ثم خرج إلى ناحية تلمسان ، وحاصر قلعة بينها وبين تلمسان

١ هنا تفتهي الترجمة في النسخة س ، سوى ضبط كلمة « الأذفونش » .

مسافة يوم واحد ، وقتل هناك على ظهر فرسه في صفر سنة ست وأربعين
وستمائة .

(364) وولي بعده المرتضى أبو حفص عمر بن أبي إبراهيم بن يوسف في شهر
ربيع الآخر من السنة . وفي الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وستين
وستمائة دخل الواثق أبو العلا لإدريس بن أبي عبد الله يوسف بن عبد المؤمن
المعروف بأبي دبوس ، مراکش ، وهرب المرتضى إلى آزمور ، وهي من
نواحي مراکش ، فقبض عليه عامله بها وبعث إلى الواثق بذلك ، فأمره
الواثق بقتله ، فقتله في العشر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين
وستمائة بموضع يقال له كتامة ، بعده عن مراکش ثلاثة أيام .

(365) وأقام الواثق ثلاث سنين وقتل في الحرب التي كانت بينه وبين بني
مرين ملوك تلمسان . وانقرضت دولة بني عبد المؤمن ، وكان قتل الواثق
في المحرم سنة ثمان وستين ، بموضع بينه وبين مراکش مسيرة ثلاثة أيام
في جهتها الشمالية . واستولى بنو مرين على ملكهم ، وملكهم الآن أبو يوسف
يعقوب بن عبد الحق بن حماسة ، والله تعالى أعلم .

(366) وأما علي بن إسحاق الميورقي فقد تكرر ذكره في هذه الترجمة ، وكان
أبوه أبو إبراهيم إسحاق بن حمّو ، بفتح الحاء المهملة وبعدها ميم مشددة مضمومة
ثم واو ، ابن علي ، ويعرف بابن غانية الصنهاجي صاحب ميورقة ومنورقة
ويابسة ، وهي ثلاث جزائر متجاورة في البحر الغربي ، فتوفي في سنة ثمانين
 وخمسمائة ، وخلف أربعة بنين ، وهم : أبو عبد الله محمد ، توجه بعد
موت أبيه إلى الموحدّين بالأندلس فأعطوه مدينة دانية وأحسنوا إليه غاية
الإحسان ، وأبو الحسن علي وأبو زكريا يحيى ، خرجا إلى بلاد إفريقية وفعلا
الأفاعيل العجيبة المشهورة بين الناس من الحروب والعيث في البلاد ، فمات
علي . ولا أعلم تاريخ وفاته ، لكنه كان حياً في سنة إحدى وتسعين .

واستمرّ يحيى على حاله فطالت مدته ، وذكره الحافظ زكي الدين عبد
العظيم المنذري في كتاب « الوفيات » فقال : خرج من ميسورة في شعبان

سنة ثمانين وخمسمائة واستولى على بلاد كثيرة ، وكان مشهوراً بالشجاعة والإقدام . وتوفي في أواخر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة في البرية من قطر تلمسان، وكان خروجه على بني عبد المؤمن .

(367) وبقي أصغر الإخوة، وهو أبو محمد عبد الله ملك ميورقة إلى سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، فجهز إليه الناصر محمد بن يعقوب المذكور أسطولاً نزل بساحل ميورقة ، فبرز إليهم ، وكان شجاعاً كريماً ، فعثر به فرسه فسقط إلى الأرض فقتلوه ، وحملوا رأسه إلى مراکش ، وعلقوا جثته على السور ، وأخذوا ميورقة وبقيت بأيديهم إلى أن تغلب الفرنج عليها في سنة سبع وعشرين وستمائة ، وفعلوا فيها العظام من القتل والأسر ، وغير ذلك .

والأذفونش : بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو وبعدها نون ثم شين معجمة ، وهو اسم لأكبر ملوك الفرنج ، وهو صاحب طليطلة .

٨٣٠

يعقوب بن داود

أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر^١ بن طهّمان . السّلمي بالولاء ، مولى أبي صالح عبد الله بن خازم السّلمي والي خراسان ؛ كان يعقوب

٨٣٥—أخباره في الطبري والجيهشاري وابن خلدون وابن الأثير وانظر تاريخ بغداد ١٤ : ٢٦٢ والبداءة والنهاية ١٠ : ١٤٧ ومرآة الجنان ١ : ٤١٧ ومعجم المرزباني : ٤٩٥ ونكت الهيمان : ٣٠٩ .

١ فوق لفظة عمر في المسودة : عثمان ؛ وقد جعلت في النسخ : بن عمر بن عثمان ... الخ .

المذكور كاتب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي خرج هو وأخوه محمد على أبي جعفر المنصور بالبصرة ونواحيها وقُتِلَا في سنة خمس وأربعين ومائة ، وقصتهما مشهورة في التواريخ ، وليس هذا موضع ذكرها .

وكان أبوه داود بن طهمان وإخوته كتاباً لنصر بن سيار عامل خراسان من جهة بني أمية . ولما مات داود نشأ ولداه علي ويعقوب المذكور أهل أدب وفضل وافتنان في صنوف العلوم . ولما ظهر المنصور على إبراهيم بن عبد الله المذكور ظفر بيعقوب بن داود المذكور فحبسه في المطبق في سنة أربع وأربعين ومائة ، وقيل في سنة ست وأربعين ومائة .

قلت : ولعله الأصح ، لأن إبراهيم قتل في سنة خمس وأربعين كما ذكرناه . إلا أن يكون قد ظفر بيعقوب قبل قتل إبراهيم ، وذلك في أول خروجه . والله أعلم .

وكان يعقوب سَمَحاً جواداً كثير البر والصدقة واصطناع المعروف ، وذكره دَعْبَل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور في كتابه الذي جمع فيه أسماء الشعراء ، وكان مقصوداً مُسَدِّجاً . مدحه أعيان شعراء عصره ، مثل أبي الشيص الخزاعي وسَلَم الخاسر وأبي حنَّس ، وغيرهم .

ولما مات المنصور وقام بالأمر ولدهُ المهدي جعل يعقوب يتقرب إليه حتى أدناه . واعتمد عليه وعلت منزلته عنده وعظم شأنه ، حتى خرج كتابه إلى الدواوين أن أمير المؤمنين المهدي قد آخى يعقوب بن داود ، فقال في ذلك سلم بن عمرو المعروف بالخاسر :

قل للإمام الذي جاءت خلافته تُهْدَى إليه بحقٍّ غير مردودِ
نعم القرينُ على التقوى أعينَتْ به أخوك في الله يعقوبُ بن داودِ

١ ر بر من : سالم .

وحج المهدي في سنة ستين ومائة ويعقوب معه ، وفي سنة إحدى وستين تقدم إليه بتوجيه الأمانة إلى العمال في جميع الآفاق ففعل ذلك ، فلم يكن ينفذ شيء من الكتب للمهدي حتى يرد كتاب من يعقوب إلى أمينه بانفاذه ، وكان^١ وزير المهدي أبا عبيد الله معاوية بن عبد الله بن يسار الأشعري الطبراني صاحب مربعة عبيد الله ببغداد ، وكان جده يسار مولى عبد الله بن عضاه الأشعري ، فلم يزل الربيع بن يونس — المقدم ذكره في حرف الراء^٢ — يسمى به إلى المهدي وصحح على ابنه الزندقة فقتله المهدي ، وكان الربيع بعد ذلك يقبح أمره عنده ويقول له : لا تثق به بعد قتلك ابنه ، ويذكر كفاية يعقوب ابن داود ، حتى عزله عن الوزارة وأفرده في ديوان الرسائل ، واستوزر يعقوب في سنة ثلاث وستين .

ثم إن المهدي عزل أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل في سنة سبع وستين ، ورتب فيه الربيع بن يونس المذكور . وكان أبو عبيد الله يصل إلى المهدي على عادته رعاية^٣ منه لخدمته . فقال في ذلك علي بن الخليل الكوفي^٣ من جملة أبيات :

قل للوزير أبي عبيد الله هل من باقيه
يعقوب يلعب بالأمور وأنت تنظر ناحيه
أدخلته فعلا عليك كذاك شوئم الناصيه
وأخذت حثفك جاهداً بيمينك المتراخيه

وغلب يعقوب على أمور المهدي كلها ، وكان المنصور قد خلف في بيوت المال تسعمائة ألف ألف درهم وستين ألف درهم ، وكان الوزير أبو عبيد الله يشير على المهدي بالاعتصام في الإنفاق وحفظ الأموال ، فلما عزل

١ هنا ضاعت ورقة فيها خط المؤلف ، وكمل النقص بخط حديث .

٢ ج ٢ : ٢٩٤ .

٣ ترجمته في الأغاني ١٤ : ١٦٦ والأبيات في ص : ١٦٩ .

وولي يعقوب زين له هواه ، فأنفق الأموال وأكبّ على اللذات والشرب
وسماع الغناء ، واشتغل يعقوب بالتدبير ، ففي ذلك يقول بشار بن برد
الشاعر المشهور - المقدم ذكره في حرف الباء^١ - :

بني أُميّة هُبّوا طال نومكمُ إن الخليفةَ يعقوبُ بن داودِ
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفةَ الله بسين الزق^٢ والعود

وكان أبو حارثة النهدي يتقلد خُزُنَ بيوت الأموال ، فلما خلت من
المال دخل إلى المهدي ومعه المفاتيح وقال له : إذا كنت قد أنفقت جميع
الأموال فما معنى هذه المفاتيح معي ؟ مر من يقبضها مني ، فقال له المهدي :
دعها معك فإن الأموال تأتيك . ثم سیر في استحثاث الأموال فوردت عليه
في مدة يسيرة . وقصّر في النفقات قليلاً فتوفرت الأموال . وتشاغل أبو
حارثة في قبض ما ورد عليه وتصحيحه ، فلم يدخل إلى المهدي ثلاثة أيام ،
فقال المهدي : ما فعل هذا الأعرجي الأحمق ؟ فخبير بالسبب في تأخره ،
فدعا به وقال له : ما أخرجك عنا ؟ فقال : ورود الأموال ، فقال : يا أحمق
توهمت أن الأموال لا تأتينا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الحادث لو حدّث
واحتجج إلى المال ولم يصلح إلا به لم ينتظر حتى يوجه في حمل الأموال .

وروي أن المهدي حجج في بعض السنين فمر بميلٍ وعليه كتابة ، فوقف
وقراه فإذا هو :

لله درك يا مهديّ من رجلٍ لولا اتخاذك يعقوبَ بن داودِ

فقال لمن معه : اكتب تحته على رغم أنف الكاتب لهذا وتعباً لجده !
فلما انصرف وقف على الميل فقلنا : لم يقف عليه إلا شيء قد علق بقلبه
من ذلك الشعر ، فكان كذلك لأنه أوقع بيعقوب بعد قليل .

١ انظر ج ١ : ٢٧١

٢ المختار : الدف ؛ بر من : الدن .

وكرث الأقوال في يعقوب ووجد أعداؤه مقالا فيه وذكروا خروجه على المنصور مع إبراهيم بن عبد الله العلوي ، وعرفه بعض خدمه أنه سمعه يقول : بنى هذا الرجل مستنزهاً أنفق عليه خمسين ألف ألف درهم من أموال المسلمين ، وكان المهدي قد بنى عيسى باد . وأراد المهدي أمراً فقال له يعقوب : هذا يا أمير المؤمنين من السرف^١ ، فقال له : ويلك ، وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف ؟ وكان يعقوب قد ضجر مما كان فيه ، وسأل المهدي الإقالة وهو يمتنع .

ثم إن المهدي^٢ أراد أن يمتحنه^٣ في ميله إلى العلوية ، فدعا به يوماً وهو في مجلس فرشته مودة وعليه ثياب مودة وعلى رأسه جارية على رأسها ثياب مودة وهو مشرف على بستان فيه شجر فيه صنوف الأوراد . فقال له : يا يعقوب ، كيف ترى مجلسنا هذا ؟ قال : على غاية الحسن ، فمتع الله أمير المؤمنين به . فقال له : جميع ما فيه لك وهذه الجارية لك ليم سرورك ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم ، فدعا له ، فقال له المهدي : ولي إليك حاجة . فقام يعقوب قائماً وقال : يا أمير المؤمنين ما هذا القول إلا المودة وأنا أبتعد بالله من سخطك ، فقال : أحب أن تضمن لي قضاءها ، فقال : السمع والطاعة ، فقال له : والله ، فقال : والله ، ثلاثاً ، فقال له : ضع يدك على رأسي واحلف به ، ففعل ذلك . فلما استوثق منه قال له : هذا فلان بن فلان ، رجل من العلوية . أحب أن تكفيني مؤونته ، وترينني منه فخذة إليك . فحوله إليه وحول إليه الجارية وما كان في المجلس والمال . فلشدة سروره بالجارية جعلها في مجلس تقرب منه ليصل إليها ، ووجه فأحضر العلوي فوجده لبيباً فهماً فقال له : ويحك يا يعقوب تلقى الله تعالى بدمي ،

١ ر : فيه سرف .

٢ نظر الجهتياري : ١٦٠ .

٣ هـ تعود النسخة بخط المؤلف .

وأنا رجل من ولد فاطمة رضي الله عنها بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال له يعقوب : يا هذا أفليك خير ؟ فقال : إن فعلت خيراً معي شكرت ودعوت لك . فقال له : خذ هذا المال وخذ أي طريق شئت ، فقال : طريق كذا وكذا آمن لي . فقال له امض مصاحباً . وسمعت البخارية الكلام كله . فوجهت مع بعض خدمها به وقالت : قل له : هذا فعل الذي أثرته على نفسك بي . وهذا جزاؤك منه ؛ فوجه المهدي فشحن الطريق حتى ظفر بالعلوي وبالمال ، ثم وجه إلى يعقوب فأحضره . فلما رآه قال : ما حال الرجل ؟ قال : قد أراحك الله منه . قال : مات ؟ قال : نعم ، قال : والله ؟ قال : والله . قال : فضع يدك على رأسي . فوضع يده على رأسه وحلف له به . فقال : يا غلام أخرج إلينا مَنْ في هذا البيت . ففتح بابه عن العلوي والمال بعينه . فبقي يعقوب متحيراً وامتنع الكلام عليه فما درى ما يقول . فقال له المهدي : لقد حل دمك . ولو آثرت إراقتك لأرقتك . ولكن احبسوه في المطبق . فحبسوه . وأمر بأن يطوى عنه خبره وعن كل أحد . فأقام فيه سنتين وشهوراً في أيام المهدي وجميع أيام الهادي موسى بن المهدي وخمس سنين وشهوراً من أيام هارون الرشيد . ثم ذكر يحيى بن خالد البرمكي أمره وشفع فيه فأمر باخراجه ، فأخرج وقد ذهب بصره . فأحسن إليه الرشيد . وردّ ماله . وخيّرهُ المقام حيث يريد ، فاختار مكة . فأذن له في ذلك . فأقام بها حتى مات في سنة سبع وثمانين ومائة .

ولما أطلق يعقوب سأل عن جماعة من إخوانه فأخبر بموتهم فقال :

لكل أناسٍ متَّبرٌ بنفسائهم فهم ينقصون والقبورُ تزيدُ
همُ جيرةُ الأحياءِ أما محلهم فدانٍ ، وأما الملتقى فبعيدُ

قلت : هذان البيتان في باب المراثي في كتاب « الحماسة »^١ .

١ شرح الرزوقي رقم : ٢٩٧ ، وانظر الجهشياري : ١٦٣ .

قلت : هكذا ذكر تاريخ وفاته محمد بن عبدوس الكوفي المعروف بالجهشياري في كتابه « تاريخ الوزراء » وذكر غيره أن يعقوب بن داود مات في سنة اثنتين وثمانين ومائة ، والله أعلم بالصواب .

وقال عبد الله بن يعقوب بن داود : أخبرني أبي أن المهدي حبسه في بئر وبني عليها قبة ، قال : فمكثتُ فيها خمس عشرة سنة ، وكان يدلّي لي فيها كل يوم رغيف خبز وكوز ماء وأوذن بأوقات الصلوات ، فلما كان في رأس ثلاث عشرة سنة أتاني آتٍ في منامي فقال^١ :

حنا على يوسف ربّ فأخرجه من قعر جبّ وبیتِ حوله غمّم^٢

قال : فحمدت الله تعالى وقلت : أتاني الفرج . ثم مكثت حولاً لا أرى شيئاً ، فلما كان رأس الحول الثاني أتاني ذلك الآتي فأنشدني :

عسى فرجٌ يأتي بسه الله إنسه له كلّ يوم في خليقته أمرُ

قال : ثم أقمت حولاً آخر لا أرى شيئاً . ثم أتاني ذلك الآتي بعد الحول فقال :

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيسه يكون وراءهُ فرجٌ قريبُ
فيأمنُ خائفٌ ويفسك عانٍ ويأتي أهله النائي الغريب

فلما أصبحت نوديت . فظننت أني أوذن بالصلاة . فدلي لي حبل أسود وقيل لي : اشدّدْ به وسطاك . ففعلت وأخرجت . فلما قابلت الضوء عشي بصري ، فانطلقوا بي . فأدخلت على الرشيد فقبل لي : سلم على أمير المؤمنين فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . المهدي . فقال الرشيد : لست به ، فقلت : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . الهادي . فقال : لست به فقلت : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله

١ ينقطع هـ خط المؤلف ، ويستكمل النص بخط آخر ، وانظر تاريخ بغداد : ٢٦٤ .

٢ ر س بر : غمّم

وبركاته، فقال: الرشيد، فقلت: الرشيد^١، فقال: يا يعقوب بن داود، إنه والله ما شفع^٢ فيك إليّ أحد. غير أنني حملت الليلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك لإيائي على عنقك، فرثيت لك من المحل الذي كنت به فأخرجتك، وكان يعقوب يحمل الرشيد وهو صغير يلعبه.

(368) ولما حبس المهدي يعقوب رتب في الوزارة أبا جعفر الفيض بن أبي صالح^٣. وكان من غلمان عبد الله بن المقفع. وكان شديد الكبر، وكان أبوه نصرانياً، وفيه يقول الشاعر:

يا حابسي عن حاجتي ظالماً أَحْوَجَكَ اللهُ إِلَى الْفَيْضِ
ذاك الذي يَأْتِيكَ معروفه كأنما يمشي على البيض
وطَهْمَان : بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وبعدها ميم وبعد الألف
نون .

(369) وكانت ولادة أبي عبيد الله معاوية الأشعري في سنة مائة. وتوفي سنة سبعين ومائة. وقيل في سنة تسع وستين. وقيل مات في الوقت الذي مات فيه موسى الهادي. وكانت وفاته ببغداد. ودفن في مقابر قريش. وتوفي الفيض في سنة ثلاث وسبعين ومائة.

وتولى الوزارة بعده الربيع بن يونس — وقد سبق ذكره في ترجمة بشار ابن برد الشاعر — وذكر أن يعقوب بن داود أعان على قتله.

(370) ولما مات يعقوب رثاه أبو حنشل الهلالي، وقيل النميري. واسمه حضير ابن قيس البصري وعاش مائة سنة، بأبيات هي في كتاب «الحماسة» أولها^٤:
يعقوب لا تَبْعُدْ وجُنِّبَ الردى فليكيّن زمانك الرطب الثرى

١ س : فقت السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال : الرشيد الخ .

٢ ر : تشفع .

٣ انظر الجهشيري : ١٦٤ . ٤ انظر ج : ١ : ٢٧٣

٥ الحماسة رقم : ٣٢٥ والجهشيري : ١٦٣ وسماه « حصين بن قيس » .

يعقوب بن كلّس

أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلّس ، وزير العزيز نزار بن المعز العبيدي صاحب مصر - المقدم ذكرهما - ، كان يعقوب أولاً يهودياً يزعم أنه من ولد هارون بن عمران أخى موسى بن عمران ، عليهما السلام ، وقيل إنه كان يزعم^١ أنه من ولد السموأل بن عاديا اليهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلق ، وهو المشهور بالوفاء ، وقصته مع امرئ القيس الكندي الشاعر المشهور مشهورة مستفيضة بين العلماء في الوفاء له في ودائعته .

وكان يعقوب المذكور قد ولد ببغداد ونشأ بها عند باب القز ، وتعلم الكتابة والحساب ، وسافر به أبوه من بغداد إلى الشام ، وأنفذه إلى مصر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة فانقطع إلى بعض خواص الاستاذ كافور الإخشيدي - المقدم ذكره^٢ - فجعله كافور على عمارة داره ، ثم صار ملازماً لباب داره ، فرأى كافور من نجابته وشهامته وصيافته ونزاهته وحسن إدراكه ما نفق عليه ، فاستحضره وأجلسه في ديوانه الخاص . وكان يقف بين يديه ويخدم ويستوفي الأعمال والحسابات^٣ . ويدخل يده في كل شيء ، ثم

٨٣١- ترجمته في ابن الصيرفي : ١٩ والنجوم الزاهرة ٤ : ٢١ وابن ميسر : ٤٥ ، ٥١

ومرآة الجنان ٢ : ٢٥٠ وابن الأثير (ج : ٩) والمواعظ والاعتبار ٢ : ٥ - ٨ وابن

القلاني : ٣٢ واتعاظ الخنف (صفحات متفرقة) والدرة المضيئة (في مواطن مختلفة) .

١ انه كن يزعم : سقطت من ع .

٢ ج ٤ : ٩٩ .

٣ ع : واخسبات .

لم تزل أحواله تتزايد مع كافور حتى صار الحجاب والأشراف يقومون له ويكرمونه . ولم تتطلع نفسه إلى اكتساب مال . وأرسل له كافور شيئاً فرده عليه وأخذ منه القوت خاصة . وتقدم كافور إلى سائر الدواوين أن لا يمضي دينار ولا درهم إلا بتوقيعه ، فوقع في كل شيء . وكان يبر ويصل من اليسير الذي أنعمه . هذا كله وهو على دينه . ثم إنه أسلم يوم الإثنين لثمانى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ولزم الصلاة ودراسة القرآن الكريم . ورتب لنفسه رجلاً من أهل العلم شيخاً عارفاً بالقرآن المجيد والنحو حافظاً لكتاب السيراني . فكان يبيت عنده ويصلي به ويقرأ عليه . ولم تزل حاله تزيد وتنمي مع كافور إلى أن توفي كافور في التاريخ المذكور في ترجمته .

وكان أبو الفضل جعفر بن الفرات — المقدم ذكره في حرف الجيم — وزير كافور يحسده ويعاديه . فلما مات كافور قبض ابن الفرات على جميع الكتاب وأصحاب الدواوين . وقبض على يعقوب بن كيلس في جملتهم ، فلم يزل يتوصل ويبدل الأموال حتى أفرج عنه . فلما خرج من الاعتقال اقترض من أخيه ومن غيره مالاً وتجمل به وسار مستخفياً قاصداً بلاد المغرب فلقي القائد جوهر بن عبد الله الرومي مولى المعز العبيدي — المقدم ذكره^١ — في الطريق . وهو متوجه بالعساكر والخزائن إلى الديار المصرية ليملكها ، فرجع في الصحبة . وقيل إنه استمر على قصده وانتهى إلى إفريقية وتعلق بخدمة المعز العبيدي . المقدم ذكره^٢ — ثم رجع إلى الديار المصرية ، ولم يزل يترقى إلى أن ولي الوزارة لعزيز نزار بن المعز معد . وعظمت منزلته عنده وأقبلت عليه الدنيا . واثال الناس عليه ولازموا بابه . ومهّد قواعدها وساس أمورها أحسن سياسة . ولم يبق لأحد معه كلام . وكان في أيام المعز

١ نصر ج ١ : ٣٤٦ .

٢ ج ١ : ٣٧٥ .

٣ ج ٥ : ٢٢٠ .

يتصرف في الخدم الديوانية ، ثم انتقل إلى العزيز من بعده وتولى وزارة العزيز يوم الجمعة ثامن عشر رمضان سنة ثمان وستين وثلاثمائة .

وقال ابن زولاق في تاريخه . بعد ذكر المعز وتاريخ وفاته . ما مثاله : «ومن وزير للمعز الوزير يعقوب بن كيلس . وهو أول من وزر للدولة الفاطمية في الديار المصرية . وكان من جملة كتاب كافور . فلما وصل المعز أحسن في خدمته وبالنسبة في طاعته إلى أن استوزره » ؛ هذا آخر كلام ابن زولاق .

وقال غيره : كان يعقوب يحب أهل العلم ويجمع عنده العلماء . ورتب لنفسه مجلساً في كل ليلة جمعة يقرأ فيه بنفسه مصنفاته على الناس ، وتحضره القضاة والفقهاء والقراء والنحاة وجميع أرباب الفضائل وأعيان العدول وغيرهم من وجوه الدولة وأصحاب الحديث ، فإذا فرغ من مجلسه قام الشعراء ينشدونه المدائح .

وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون كتب الحديث والفقه والأدب . حتى الطب ، ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقطنها . وكان من جملة جلسائه الحسين بن عبد الرحيم المعروف بالزلازلي مصنف كتاب « الأسجاع » . ورتب في داره القراء والأئمة يصلون في مسجد اتخذته في داره ؛ وأقام في داره مطابخ لنفسه ولجلسائه ، ومطابخ لخدامه وحاشيته وأتباعه ، وكان ينصب كل يوم خِواناً لخاصته من أهل العلم والكتاب وخوادم أتباعه ومن يستدعيه . وينصب موائد عديدة يأكل عليها الحجاب وبقية الكتاب والحاشية . وصنع في داره ميضأة للطهور بثمانية بيوت تختص بمن يدخل داره من الغرباء . وكان يجلس كل يوم عقب صلاة الصبح ويدخل عليه الناس للسلام . وتعرض عليه رقاع الناس في الحوائج والظلمات . وقرر عند مخدومه العزيز جماعة جعلهم قواداً يركبون بالمواكب والعبيد . ولا يخاطب واحد منهم إلا بالقائد . وكان من جملة هؤلاء القواد القائد أبو الفتوح فضل بن صالح الذي تنسب إليه منية القائد فضل . وهي بليدة بالأعمال الحيزية من الديار المصرية .

ثم إن الوزير المذكور شرع في تحصين داره ودور غلمانہ بالدروب والحرس والسلاح والعدد ، وعمرت ناحيته بالأسواق وأصناف ما يباع من الأمتعة ومن الطعام والمشروب والملبوس . ويقال إن داره كانت بالقاهرة في موضع مدرسة الوزير صفى الدين أبي محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر المختصة بالطائفة المالكية ، وإن ^١ الحارة المعروفة بالوزيرية التي بالقاهرة داخل باب سعادة منسوبة إلى أصحابه ، لأنهم كانوا يسكنونها .

وكان الوزير أبو الفضل ابن الفرات - المقدم ذكره - يغدو إليه ويروح ويعرض عليه محاسبات القوم الذين يريد محاسبتهم ويعول عليه فيها ويجلس معه في مجلسه وربما حبسه لمؤاكلته فيأكل معه بعد أن جرى عليه منه ما سبق ذكره .

وكانت هيئته عظيمة وجوده وافراً ، وأكثر الشعراء من مدائحه . ولقد نظرت في ديوان أبي حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المنبوز بأبي الرقعة الشاعر - المقدم ذكره^٢ - فوجدت أكثر مديحه في الوزير المذكور ، والقصيدة التي نقلت بعضها في ترجمته مدح بها الوزير المذكور . ورأيت في تاريخ الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم المعروف بالمسبحي - المقدم ذكره^٣ - فصلاً طويلاً يتعلق بشرح حال الوزير المذكور ، ومعظم ما ذكرته ها هنا نقلته منه .

وصنف الوزير المذكور كتاباً في الفقه مما سمعه من المعز وولده العزيز ، وجلس في شهر رمضان سنة تسع وستين وثلاثمائة مجلساً حضره العام والخاص وقرأ فيه الكتاب بنفسه على الناس ، وحضر هذا المجلس الوزير أبو الفضل ابن الفرات المذكور ، وجلس في الجامع العتيق جماعة يفتون الناس من هذا الكتاب .

وسمعت من جماعة من المصريين يقولون : إن الوزير المذكور كانت

١ عودة إلى خط المؤلف .

٢ ج ١ : ١٣١ . ٣ - ٤ : ٣٧٧ .

له طيور فائقة أصيلة مختارة تسبق كل طائر يسابقها ، وكان لمخدومه العزيز طيور أيضاً سابقة فاخرة ، فسابقه العزيز يوماً ببعض الطيور فسبق طائر الوزير ، فعز ذلك على العزيز ، ووجد أعداؤه سبيلاً إلى الطعن فيه ، فقالوا للعزيز : إنه قد اختار من كل صنف أجوده وأعلاه ولم يبق منه إلا أدناه ، حتى الحمام ، وقصدوا بذلك الإغراء به حسداً منهم لعله يتغير عليه ، فاتصل ذلك بالوزير فكتب إلى العزيز^١ :

قل لأُمير المؤمنين الذي له العلا والنسب الثاقبُ
طائرك السابقُ لكنه جاء وفي خدمته حاجبُ

فأعجبه ذلك منه وسُرّي عنه ما كان وجده عليه ؛ هكذا ذكره القاضي الرشيد ابن الزبير - المقدم ذكره^٢ - في كتاب « الجنان » وذكر غيره أن هذين البيتين لولي الدولة أبي محمد أحمد بن علي المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر المصري ، - وقد سبق ذكره في ترجمة أبي الحسن علي بن أحمد بن نوبخت الشاعر^٣ - وإنما لم أفرده بترجمة لأنّي لم أظفر بتاريخ وفاته ، وقد التزمت في هذا الكتاب أني لا أذكر إلا مَنْ وقفتُ على تاريخ وفاته .

وذكر أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي المصري في جزء سماه « الإشارة إلى من نال الوزارة » ذكر فيه وزراء المصريين إلى عصره . وابتدأ بذكر يعقوب المذكور فقال : « كان كاتباً يهودياً صائناً لنفسه محافظاً على دينه ، جميل المعاملة مع التجار فيما يتولاه ، واتصل بخدمة كافور الإخشيدي فحمد خدمته ، وردَّ إليه زمام ديوانه بمصر والشام فضبطه له على حسب إرادته . وكان سبب حَظْوته عنده أن يهودياً قال

١ المواعظ والاعتبار : ٧ .

٢ انظر ج ٢ : ٣٣٩

٣ انظر ج ٣ : ١٤٩ .

له : إن في دار ابن البلدي^١ بالرملة ثلاثين ألف دينار مدفونة ، وقد توفي ، فكتب يعقوب إلى كافور رقعة يقول فيها : إن في دار ابن البلدي بالرملة عشرين ألف دينار مدفونة في موضع أعرفه وأنا أخرجُ أحملها ، فأجابه إلى ذلك ، وأنفذ معه البغال لحملها ، وورد الخبر بموت بكير بن هرواز^٢ التاجر ، فجعل إليه النظر في تركته . واتفق موت يهودي بالقرامة^٣ ومعه أحمال كتان . فأخذها وفتحها فوجد فيها عشرين ألف دينار ، فكتب إلى كافور بذلك ، فترك به وكتب إليه بحملها ، فباع الكتان وحمل الجميع وسار إلى الرملة ، فحفر الدار التي لابن البلدي^١ وأخرج المال ، وهو ثلاثون ألف دينار ، فكتب إلى كافور : عرفتُ الأستاذ أنها عشرون ألف دينار ووجدت ثلاثين ألف دينار ، فازداد محله من قلبه ، وتصوره بالثقة ، ونظر في تركة ابن هرواز^٢ واستقصى وحمل منها مالا كثيرا ، فأرسل إليه كافور صلة كثيرة ، فأخذ منها ألف درهم ورد الباقي وقال : هذه كفايتي ، فزاد أمره عنده ، حتى إنه كان يشاوره في أكثر أموره .

وقال عبد الله أخو مسلم العلوي : رأيت يعقوب قائما يسار كافورا ، فلما مضى قال لي : أي وزير بين جنبيه !؟ .

وسار إلى المغرب وخدم المعز ، وتولى أمور العزيز في مستهل شهر رمضان سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، ولقبه بالوزارة وأمر أن لا يخاطبه أحد إلا بها ، ولا يكتب إلا بذلك . ثم اعتقله في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة في القصر ، فأقام معتقلا شهورا ثم أطلقه في سنة أربع وسبعين ورده إلى ما كان عليه .

ووجدت رقعة في دار الوزير المذكور في سنة ثمانين وثلاثمائة ، وهي السنة التي توفي فيها ، ونسختها :

احذروا من حوادث الأزمان وتوقّوا طوارق الحدّثان

١ س : ابن البكري ؛ وما في المتن ثابت في المسودة وابن الصيرفي .

٢ س : هروان ؛ ع بر : هروان ؛ وأثبتنا ما في المسودة .

قد أُنتم من الزمان ونتمس رُب خوفٍ مكمّنٍ في أمان
فلما قرأها قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، واجتهد أن يعرف
كاتبها فلم يقدر على ذلك .

ولما اعتل علة الوفاة آخر السنة المذكورة ركب إليه العزيز عائداً وقال
له : وددت أنك تباع فأبتاعك بملكي أو تفدى فأفديك بولدي . فهل من
حاجة توصي بها يا يعقوب ؟ فبكى وقيل يده وقال : أما فيما يخصني فأنت
أرعى لحقي من أن أسترعيك إياه، وأرأف على من أخلفه من أن أوصيك به .
ولكني أنصح لك فيما يتعلق بدولتك : سألِم الروم ما سلّموك ، واقنع من
الحمداية بالدعوة والسكة . ولا تُبقي على مفرج بن دغفل بن جرّاح إن
عرضت لك فيه فرصة . ومات ، فأمر العزيز أن يدفن في داره . وهي المعروفة
بدار الوزارة بالقاهرة داخل باب النصر ، في قبة كان بناها ، وصلى عليه
وأخلده بيده في قبره ، وانصرف حزينا لفقده ، وأمر بغلق الدواوين أياماً بعده .

وكان إقطاعه من العزيز في كل سنة مائة ألف دينار . ووجد له من العبيد
والمماليك أربعة آلاف غلام ، ووجد له جوهر بأربعمائة ألف دينار ، وبزّ
من كل صنف بخمسمائة ألف دينار . وكان عليه للتجار ستة عشر ألف دينار
فقضاها عنه العزيز من بيت المال وفرقت على قبره .

وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » فقال : « كان يهودياً من
أهل بغداد خبيثاً ذا مكر . وله حيل ودهاء وفيه فطنة وذكاء . وكان في
قديم أمره خرج إلى الشام فنزل الرملة ، وصار بها وكيلًا . فكسر أموال
التجار وهرب إلى مصر ، فتاجر كافوراً الإخشيدي ، فرأى منه فطنةً وسياسة
ومعرفة بأمر الضياع فقال : لو كان مسلماً لصلح أن يكون وزيراً ، فطمع
في الوزارة ، فأسلم يوم الجمعة في جامع مصر ، فلما عرف الوزير أبو الفضل
جعفر بن الفرات أمره قصده فهرب إلى المغرب ، واتصل بيهود كانوا مع
الملقب بالمعز ، وخرج معه إلى مصر ، فلما مات الملقب بالمعز وقام ولده
الملقب بالعزيز استوزر ابن كيلس في سنة خمس وستين وثلاثمائة . فلم

يزل مدبر أمره إلى أن هلك في ذي الحجة سنة ثمانين وثلثمائة .

وقال غيره : ابتداء المرض بالوزير المذكور يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمانين وثلثمائة ، وأخذته سكتة ، ثم تزايد به المرض واشتد ، وانطلق لسانه ، ثم توفي ليلة الأحد على صباح الاثنين لحمس خلون من ذي الحجة من السنة المذكورة ، وكفن في خمسين ثوباً ، واجتمع الناس كلهم من القصر إلى داره . وخرج العزيز وعليه الحزن ظاهر ، وركب بغلته بغير مظلة ، وكانت عادته أنه لا يركب إلا بها ، وصلى عليه وبكى ، وحضر مواراته .

ويقال إنه كفن وحنط بما مبلغه عشرة آلاف دينار ، وذكر من سمع العزيز وهو يقول : واطول أسفي عليك يا وزير ، وبكى عليه القائد جوهر بكاء شديداً ، وإنما كان بكاءه على نفسه لأنه عاش بعده سنة واحدة . وغدا الشعراء إلى قبره . ويقال إنه رثاه مائة شاعر ، وأخذت قصائدهم وأجيزوا .

وقيل إنه مات على دينه ، وكان يظهر الإسلام ، والصحيح أنه أسلم وحسن إسلامه . وقال يوماً — وقد ذكر اليهود في مجلسه — كلاماً يسوء اليهود سماعه ، ثم بين عوراتهم وفساد مذهبهم ، وأنهم على غير شيء ، وأن اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وهم يَجْحَدُونَهُ .

وكانت ولادته في سنة ثمان عشرة وثلثمائة ببغداد ، عند باب القز ، رحمه الله تعالى .

وكِلْس : بكسر الكاف واللام المشددة وبعدها سين مهملة .

والسَمَوَّل بن عاديا : بفتح السين المهملة والميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ثم لام .

وعاديا : بعين مهملة وبعد الألف دال مهملة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها وبعدها همزة ممدودة .

وأما القائد جوهر فقد تقدم ذكره في ترجمته .

(371) وأما القائد فضل فإنه كان رجلاً نبيلاً كريماً ممدحاً وإليه تنسب

« مُنية القائد فضل » البلدة التي في أعمال الجزيرة التي قبالة مصر، وفيه يقول أبو القاسم عبيد الغفار شاعر دولة الحاكم بن العزيز المذكور :

إنما الفضلُ غُسرَةٌ في وجوه المدائحِ
أريحيّ رياحه عبقات الروائحِ
كعبةُ الجسود كفتهُ بينَ غادٍ ورائحِ
إنما تصلحُ الأمورُ رُ برأي ابنِ صالحِ

وكان مكيّناً في دولة الحاكم المذكور ، ثم نقم عليه وجسه وضربت عنقه في محبسه يوم السبت عشية لإحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ، ولم يظهر منه جَزَع ، ولفّ في حصير ، وأُخرج من الحجرة التي كان محبوساً بها ، رحمه الله تعالى .

(372) وأما أبو القاسم الشاعر المذكور، فإن الحاكم قتله مع جماعة من الأعيان في يوم الأحد السادس والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وثلثمائة ، وأُحرقهم بالنار . وكان قتل الجميع في حجرة واحدة ، والله أعلم .

٨٣٢

يعقوب بن صابر المنجنيقي

أبو يوسف يعقوب بن صابر بن بركات بن عمار بن علي بن الحسين بن علي بن حَوْثرة ، الحرّاني الأصل البغدادي المولد والدار المنجنيقي ، الملقب بنجم الدين ، الشاعر المشهور ؛ ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدُبَيْثي في تاريخه الذي جعله ذيلًا لتاريخ الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن

٨٣٢— ترجمته في ابن الشعار ١٠ : ١٤٤ والحوادث الجامعة : ٨ - ١١ والبداية والنهاية ١٣ : ١٢٥ والشذرات ٥ : ١٢٠ وأضاف الأستاذ الزركلي في الأعلام أن له ترجمة في التكملة في وفيات النقلة للمتذري ، وانظر البدر السافر الورقة : ٢٣٧ والزركشي ٣ : ٣٦٤ .

السمعاني الذي ذيله على « تاريخ بغداد » تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي — وقد سبق ذكر كل واحد من هؤلاء الثلاثة في هذا التاريخ — فقال ابن الديبشي : « كان يعقوب المذكور متقدماً على أهل صناعته ، يغني في صناعة المنجنيق وما يتعلق به . وكان فيه فضل ويقول الشعر ، سمع شيئاً من الحديث من أبي المظفر ابن السمرقندي وأبي منصور ابن الشطرنجي ، علقت عنه شيئاً من شعره . أنشدني أبو يوسف يعقوب بن صابر لنفسه ^١ :
قبلتُ وجنته فألفتُ جيسده خجلاً ومال بعطفه الميأس
فأنهل من خديسه فوق عذاره عرقٌ يحاكي الطلّ فوق الآس
فكأنني استقطرتُ وردَ خدوده بتصاعد الزفرات من أنفاسي
سألته عن مولده فقال : في ضحى نهار الاثنين رابع محرم سنة أربع وخمسين وخمسمائة » .

وقال غير ابن الديبشي ^٢ : « كان ابن صابر المنجنيقي جندياً في ابتداء أمره مقدماً على المنجنيقيين بمدينة السلام ببغداد ، ولم يزل مُغفًرى بآداب السيف والقلم وصناعة السلاح والرياضة ، واشتهر بذلك ، ولم يلحقه أحد من أبناء زمانه في درايته وفهمه لذلك . وصنف فيه كتاباً سماه « عمدة السالك ^٣ في سياسة الممالك » ولم يتممه وهو مليح في معناه ، يتضمن أحوال الحروب وتعبيتها وفتح الثغور . وبناء المعادل وأحوال القروسية والهندسة والمصابرة على القلاع والحصار ^٤ والرياضة الميدانية والحيل الحربية ، وفنون العلاج بالسلاح وعمل أداة الحرب والكفاح ، وصنوف الخيل وصفتها ، وقد قسم هذا الكتاب ورتبه أبواباً . كل باب منه يشتمل على فصول » .

« وكان شيخاً هشاً مليحاً لطيفاً فكهاً طيب المحاورة ، شريف النفس متواضعاً ، فيه تودد وبشر وسكون . وهو مع ذلك شاعر مكثّر مجيد ذو

١ الأبيات في ابن الشاعر ١٠ : ١٤٨

٢ لم يصرح المؤلف هنا بالمصدر ، والنص متفق مع ما جاء عند ابن الشاعر ١٠ : ١٤٤ .

٣ ابن الشاعر : عمدة المالك .

٤ ابن الشاعر : المصابرة والحصار والمعادل والأمصار .

معان مبتكرة . يقصد الشعر ويعمل المقاطيع ، وجمع من شعره كتاباً مختصراً
سماء «معاني المعاني» ومدح الخلفاء . وكانت له منزلة لطيفة عند الامام
الناصر لدين الله أبي العباس أحمد خليفة العصر ذلك الوقت^١ .

قلت : وكانت أخباره في حياته متواصلة إلينا وأشعاره تنقلها الرواة عنه ،
ويحكون وقائعه ومآجرياتة وما ينظم في ذلك من الأشعار الرائقة والمعاني
البديعة . ولم تتفق لي رؤيته مع المجاورة وقرب الدار من الدار . لأنه كان
ببغداد ونحن بمدينة إربل . وهما متجاورتان . لكن لكثرة اطلاعي على أخباره
وما يتفق له من النظم المنقول عنه في وقته كأني كنت معاشره . وما زالت
مشعوراً بشعره مستعذباً أسلوبه فيه . واجتمعت بخلق كثير من أصحابه والناقلين
عنه . منهم صاحبنا الشيخ عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدلان المعروف
بالمترجم الموصل ، فإنه أنشدني له شيئاً كثيراً . فمن ذلك قوله^٢ :

كلفْتُ بعلم المنجنيق ورميه لهدم الصيَاصي وافتتاح المِرابِطِ
وعدتُ إلى نظم القريض لشقوتي فلم أخلُ في الخالين من قصدِ حائطِ

وأنشدني عنه أيضاً . وذكر أنه لم يسبق إليه^٣ :

لا تكنْ واثقاً بمن كظم الغيـظَ اغتيالاً وَحَفْ غرارَ الغرورِ
فالظَّبَا المُرْهفاتُ أَقتلُ ما كا نت إذا غاص ماؤها في الصدورِ

وأنشدني له أيضاً في جارية سوداء كان يهواها . وهي حبشية :

وجارية من بنات الحبوش بذات جفونٍ صحاحٍ مراضٍ
تعشَّقتها للتصابي فشبتُ غراماً ولم أك بالشيبِ راضٍ
وكنت أعيرها بالسواد فصارت تعيرني بالبياضِ

١ هنا ينتهي النقل مؤقتاً عن ابن الشاعر

٢ ابن الشاعر ١٠ : ١٤٩ ورواية البيت الأول :

كلفْتُ بعلم المنجنيق فلم أزل أحت ركابي بين ناء وشاحطِ

٣ ابن الشاعر ١٠ : ١٤٩

٤ ابن الشاعر : أقطع . ه كذا في المودة والمختار .

وأنشدني عنه أيضاً :

وجاريسه عبرت للطواف وعبرتها حذراً تدمعُ
فقلتُ ادخلي البيتَ لا تجزعي ففيه الأمان لمن يجزع
سيد أنته لبني شيبه فقالت : ومن شيبه أفزع
وأنشدني عنه في غلام يتعلم السباحة في دجلة بغداد ، وقد لبس تَبان^١
أزرق وشد على ظهره شكوة منفوخة كما جرت عادة من يتعلم العوم^٢ ،
فقال في ذلك :

يا للرجال شكايي من شكوة أضحت تُعَاتق من أحب وأعشقُ
جمعت هوى كهواي إلا أنها تطفو ويثقلني الغرام فأغرق
ويُغيرني التبان عند عناقهِ أرادفه فهو العدو الأزرق
وقال صاحبنا الكمال ابن الشعار الموصلي صاحب كتاب «عقود الجمان»^٣ :
أنشدني ابن صابر لنفسه هذه الأبيات ، لكنه روى البيت الثاني منها على صورة
أخرى فقال :

حملت هوى كهواي فهي بوصله تطفو ويبيكني الغرامُ فأغرقُ
وهذا من المعاني النادرة ، فإن العرب إذا وصفت العدو بشدة العداوة
قالت : هو عدوٌّ أزرق ، وقد جاء هذا في كلامهم وأشعارهم كثيراً ، واستعمله
الحريري في المقامة الرابعة عشرة^٤ فقال : «فمذ اغبرّ العيشُ الأخضر، وازورّ
المحبوب الأصفر ، اسودّ يومي الأبيض ، وابيض قودي الأسود ، حتى
رثي لي العدو الأزرق ، فحبذا الموت الأحمر » . ورأيت في بعض الرسائل ،
ولا أتأكد الآن صاحبها : « قد أوردنا ظبا الحديد الأخضر ، في ماء الوريد

١ المختار : تَباناً ، وأثبتنا ما جاء في المسودة .

٢ المختار : السباحة .

٣ ابن الشعار ١٠ : ١٤٦ .

٤ كتبها في المسودة « تقفو » .

ه كذا في المسودة ، وهي الثالثة عشرة في المطبوعة ، انظر المقامات ص : ١٢٥

الأحمر ، من عدو الله الأرزق ، من بني الأصفر » ، وهو باب متسع فلا حاجة إلى الإطالة في ذكر شواهد .

وأنشدني عنه أيضاً في جماعة من الصوفية أضافهم فأكلوا جميع ما قدمه لهم فكتب إلى شيخهم يذكر حاله معهم^١ :

مولاي يا شيخ الرباط الذي أبان عن فضلٍ وعلياءٍ
إليك أشكو جَوْرَ صوفية باتوا ضيوفي وأودائي^٢
أتيتهم بالزاد مستائراً وبثُّ تشكو الجوعَ أحشائي
مشوا على الحبز ومن عادة الزهاد أن يمشوا على الماء
وهم إلى الآن ضيوفي فجدهم^٣ بهم بخبزي وبحلواء
أو لا فخذهم واكفنيهم^٤ فما يحسن^٥ في مثلهم^٦ رأيي
وأنشدني عنه في الصوفية أيضاً^٧ :

قد لبس الصوفَ لترك الصفا مشايخ العصر لشرب العصير
الرقصُ والشاهد من شأنهم شرَّ طويل تحت ذيل قصير
وأنشدني عنه أيضاً ، وهو من المعاني المستطرفة :

قالوا نراه يسلاً شعرَ عذاره وسبيله مستهتراً بزواله
فتسلَّ عنه وخذُ حبيباً غيره فأجبتهم لا زلتُ عبدَ وصاله
هل يحسن السلوان عن حبيبٍ يرى أن لا يفارقي بتنفٍ سبيله
وأنشدني له غير ابن عدلان وقال : لما كبر ابن صابر وضعفت
حركته صار إذا مشى يتوكأ على عصا ، فقال في ذلك :

١ من هذه القطعة بيتان في البدر السافر .

٢ روايته في البدر السافر :

أشكو إلى عدك صوفية قد أضرموا بالنار أحشائي

٣ ابن الشاعر ١٠ : ١٥٠

أَلْقَيْتُ عَنْ يَدَيَّ الْعَصَا زَمَنَ الشَّيْبَةِ لِلنَّزُولِ
وَحَمَلْتُهَا لَمَّا دَعَا دَاعِيَ الْمَشِيبِ إِلَى الرَّحِيلِ

وكان ببغداد شخص يقال له ابن بشران ، وكان كثير الأراجيف .
فمنع من ذلك . فقمعد على الطريق ينجم . فقال فيه ابن صابر :

إن ابن بشران ولستُ أَلُومُهُ^١ من خيفة السلطان صار منجماً
طُبِعَ الْمَشُومُ عَلَى الْفَضُولِ فَلَمْ يَطُقْ فِي الْأَرْضِ إِرْجَافاً فَأَرْجَفَ فِي السَّمَاءِ

قلت^٢ : وأنشدني الأديبُ شهابُ الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن
سالم المعروف بابن التَّلَعْفُفَرِيِّ لنفسه في بعض ليالي شهر رمضان سنة ثمان
وثلاثين وستمائة بالقاهرة المحروسة . وهو من شعراء العصر المجيدين :

يا شَيْبُ كَيْفَ وَمَا انْقَضَى زَمَنُ الصَّبَا عَاجَلَتْ مَنِي اللَّمَّةَ السَّوْدَاءَ
لَا تَعَجِّلَنَّ فَوَالَّذِي جَعَلَ الدَّجَى مِنْ لَيْلٍ طُرَّقِي الْبُهِيمَ ضِيَاءَ
لَوْ أَنَّهَا يَوْمَ الْحَسَابِ صَحِيفَتِي مَا سَرَّ قَلْبِي كَوْنُهَا بِيضَاءَ

فتمت له : قد أغرت على بيت نجم الدين ابن صابر . حتى إنك قد
أخذت معظم لفظه وجميع معناه والوزن والروي ، وهو قوله :

لو أن حية من يشيبُ صحيفةً لمعاده ما اختارها بيضاء
فحلف أنه لم يسمع هذا البيت إلا بعد عمله للأبيات المذكورة . والله
أعلم بذلك . وهذا البيت لابن صابر من جملة أبيات وهي :

قالوا بياضُ الشَّيْبِ نورٌ ساطِعٌ يكسو الوجوهَ مهابةً وضياءَ
حتى سَرَّتْ وَخَطَّاتِهِ فِي مَقَرِّقِي فوددت أن لا أفقد الظلماءَ
وعدتُ أَسْتَبْقِي الشَّبَابَ تَعْلِيلاً بخضابها فصبغتها سوداءَ
لو أن حية من يشيبُ صحيفةً لمعاده ما اختارها بيضاءَ

١ المختار وهامش المسودة : على علته ٢ انظر الغيث ٢ : ١٠٤ .

وأخبرني بعض الأدباء أن ابن صابر كتب إلى بعض الرؤساء ببغداد :
 ما جئتُ أسألكِ المواهبَ مادحاً إني لما أوليتني لشكورُ
 لكن أتيتُ عن المعالي مُخبراً لك أن سعيك عندها مشكور
 ووقفت بالقاهرة على كراريس فيها شعره ، وقد أجاد في كل ما نظمه .
 ورأيت فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ، ولا يعرف
 قائلهما على الحقيقة^١ ، وهما :

أَلْقَيْني في لَظَى فإِن أحرقتَني فتيقنُ أن لستُ بالياقوتِ
 جمعُ النسجِ كلَّ مَنْ حاك لكنَّ ليس داودُ فيه كالعنكبوتِ
 فعمل ابن صابر جوابهما :

أيها المدعي الفخار دعِ الفخسرَ الذي الكبرياء والجبروتِ
 نسجُ داود لم يفسد ليلة الغارِ وكان الفخارُ للعنكبوتِ
 وبقاءُ السَّمند في لبِ النَّا ر مزيلُ فضيلةِ الياقوتِ
 وكذلك النعام يلتقمُ^٢ الجمسرَ وما الجمر للنعام بقوتِ

قلت : وعلى البيتين الأولين نظم جماعة من الشعراء المعاصرين لنا أبياتاً .
 فمن ذلك قول الكمال أبي محمد القاسم بن القاسم بن عمرو بن منصور الواسطي
 نزيل حلب صاحب « شرح المقامات »^٣ :

حق دود القز يبي فوقه ثم يموتُ
 بعد ما سدّى وقد صا ر يسدّي العنكبوتُ

وقول المهذب أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن بن يمن الأنصاري المعروف
 بابن الأردنخل الموصلِي نزيل ميسافارقين :

١ أوردهما ابن الشعر ١٠ : ١٥٢ ثم قال : ذكروا أنهم للقاضي الفاضل .

٢ ابن شمار : شمل ٣ ابن الشعر : يتلع .

٣ ترجمته في الأنباء ٣ : ٣١ وانظر الحاشية .

أَقُولُ وَقَدْ قَالُوا نَرَاكَ مُقْطَبًا إِذَا مَا ادَّعَى دِينَ الْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
يَحِقُّ لِدُودِ الْقَزِّ يَقْتُلُ نَفْسَهُ إِذَا جَاءَ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ بِمِثْلِهِ
وهذا ينظر إلى قول بعضهم :

إِذَا شُورِكْتَ فِي أَمْرٍ بِسُدُونِ فَلَا يَلْحَقُكَ عَارٌ أَوْ نَفُورٌ
فَفِي الْحَيَوَانِ يَشْتَرِكُ اضْطِرَارًا أَرْسَطَالِيسُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ
وقول الآخر :

وَالزُّنْبُورُ وَالْبَازِي جَمِيعًا لَدَى الطَّيْرَانِ أَجْنَحَةٌ وَخَفَقٌ
وَلَكِنْ بَيْنَ مَا يَصْطَادُ بَازٍ وَمَا يَصْطَادُهُ الزُّنْبُورُ فَرَقٌ
قلت : وعلى ذكر دود القز ينبغي أن يذكر ما يقال عن السرقة ، بضم
السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء ؛ قال الجوهري في كتاب « الصحاح »
هي دويبة تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دُفَاق العيدان تضم بعضها إلى بعض
بلعابها على مثال الناوروس ، ثم تدخل فيه وتموت ، يقال في المثل : هو أصنع
من سرقة ، وذكر لي بعض الفضلاء أن السرقة هي الأَرْضَة ، والله أعلم .
ومما ينبغي أن يلحق بالأبيات المقدم ذكرها قول بعضهم :

إِنْ أَعْوَزَ الْحَاقِظُ فَاسْتَبْدَلُوا مَكَانَهُ أَخْشَقَ لَمْ يَحْدَقِ
فَلَاعِبُ الشَّطْرَنْجِ مِنْ دَابَّهِ وَضَعُ حَصَاةٍ مَوْضِعَ الْبَيْدِ
والأصل في هذا كله قول المتنبي :

وَشَرُّ مَا قَنَصْتَهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ الْبَزَاةِ سِوَاهُ فِيهِ وَالرَّخْمُ
ويقرب منه قول أبي العلاء المعري أيضاً :

وَهَلْ يَذْخُرُ الضَّرْغَامُ قَوْلًا لِيَوْمِهِ إِذَا ادَّخَرَ النَّمْلُ الطَّعَامَ لِعَامِهِ^١
قلت : وفي هذه الأبيات الأوائل ما يحتاج إلى زيادة إيضاح ، فليس

١ قلت وعلى البيتين ... لعامه : لم يرد في س .

كل مَنْ يقف عليها يفهم معناها : أما البيت الأول وما ذكره من أمر الياقوت
فإن الياقوت من خاصيته أن النار لا تؤثر فيه ، وإلى هذا أشار الحريري في
المقامة السابعة والأربعين بقوله من جملة ثلاثة أبيات^١ :

وظلما أصليَ الياقوتُ جمرَ غصاً ثم انطفا الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ
وقال آخر في غلام له اسمه ياقوت :

ياقوتُ ياقوتُ قلبي المستهام به من المروءة أن لا يمنع القوتُ
سكنت قلبي وما تخشى تلهبه وكيف يخشى لهيبَ النار ياقوتُ
وقد جاء هذا كثيراً في الشعر ، لكن الاختصار أولى .

وأما قول ابن صابر في الجواب في البيت الثاني : « نَسَجُ داود لم يفد
ليلة الغار » إلى آخره . فهذا إشارة إلى مهاجرة النبي ﷺ ، ومعه أبو
بكر الصديق رضي الله عنه ، فإنهما خافا من مشركي مكة أن يتبعوهما
فدخلتا غار ثور ، بالباء المثناة - وثور جبل بين مكة والمدينة بالقرب من
من مكة - ونسج العنكبوت في الحال على باب الغار ، فلما وصل المشركون
إليه ورأوا أثر العنكبوت على الباب قالوا : ليس ها هنا أحد ؛ فإنه لو دخله
أحد ما كان العنكبوت نسج عليه في الحال ؛ لأن المشركين بادروا إليهما
ليلحقوهما ، فأخفى الله سبحانه وتعالى أمرهما ، وهي من جملة معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله في البيت الثالث : « وبقاء السمند في لب النار » إلى آخره : السمند ،
بفتح السين المهملة والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ، ويقال « السمندل »
أيضاً بزيادة اللام ، ذكروا أنه طائر يقع في النار فلا تؤثر فيه ، ويعمل من
ريشه مناديل وتحمل إلى هذه البلاد ، فإذا اتسخت المنديل طرحت في النار
فتأكل النار الوسخ الذي عليها ، ولا تحترق المنديل ولا تؤثر النار فيها ، ولقد
رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة ، وهي في طول الحزام
وعرضه ، فجعلوها على النار فما عملت فيه ، فغمسوا أحد جوانبه في الزيت

١ مقامات الحريري : ١٤٥

ثم تركوه على فتيلة السراج فاشتعل وبقي زماناً طويلاً يشتعل ثم اطفأوه وهو على حاله ما تغير فيه شيء^١ ، ويقولون إنه يجلب من بلاد الهند . وإن هذا الطائر يكون هناك ، وفيه نكتة ينبغي أن تذكر ها هنا ، وهي أن طرف تلك القطعة لما وضعوه على السراج تركوه زماناً طويلاً والنار لا تعلق فيه . فقال بعض الحاضرين : هذا ما تعمل فيه النار . ولكن اغمسوا هذا الطرف في الزيت ثم اجعلوه على النار . ففعلوا ذلك فاشتعل ؛ فظهر من هذا أن النار لا تؤثر فيه على تجرده بل لا بد من غمسه في شيء من الأدهان .

ثم رأيت بخط شيخنا موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في كتابه الذي جعله لنفسه سيرة أنه قدم للملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل ، عرض ذراع في طول ذراعين ، فصاروا يغمسونها في الزيت ويوقدونها حتى يتقد الزيت وترجع بيضاء كما كانت . والله أعلم .

ومثله السرفوت : دُوَيْدَة تعشش في كور الزجاج في حال توقده واضطرامه وتبيض فيه وتفرّخ ، ولا تعمل بيتها إلا في موضع النار المستمرة الدائمة . فسبحان خالق كل شيء — وهي بفتح السين المهملة والراء وضم الفاء وسكون الواو وبعدها تاء مثناة من فوقها .

وأما البيت الرابع الذي ذكر فيه النعام وأنه يلتقم الجمر ، فهذا شيء شاهدناه كثيراً ، وهو معروف بين الناس وليس بغريب . وبالجملعة فقد خرجنا عن المقصود ، لكن الكلام اتصل ببعضه ببعض فانتشر .

وتوفي ابن صابر المذكور في ليلة الثامن والعشرين من صفر من سنة ست وعشرين وستمائة ببغداد^٢ . ودفن يوم الجمعة غربيها بالمقبرة الحديدية ، بباب المشهد المعروف بموسى بن جعفر . رضي الله عنهما .

١ علقه صاحب المختار بقوله : « قلت ، أعني كتبها موسى بن أحمد لطف الله به : ورأيت أنا أيضاً منه قطعة من مشقة قد كنت نسجت منه وجربتها على النار فكانت على ما شرح ، والله أعلم »

٢ ذكر في البدر السافر نقلاً عن ابن سعيده انه توفي سنة ٦٢٣ .

وأخبرني الشهاب ابن التلعفري المذكور أن مولده في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة بالموصل سنة ثلاث وتسعين وخمسائة . وتوفي في عاشر شوال سنة خمس وسبعين وستمائة بمدينة حماة . وأنشد قبيل موته لنفسه وهو آخر شعره :

إذا ما بات من تربٍ فراشي وبتُ مجاورَ الربِّ الكريم
فهنوني أصيْحَابِي وقولوا لك البشرى قدمت على رحيمٍ

وحَوَثَرَة : بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الثاء المثناة وبعدها راء ثم هاء ، وهي في الأصل اسم لحشفة الذكر . وبها سمي الإنسان . قال ابن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » : سمي ربيعة بن عمرو بن عوف بن بكر بن وائل حوثرَة لأنه حج فمر بامرأة معها قعب لها ، فاستامها فأكثرَت فقال : والله لو أدخلت حوثرتي فيه . يعني كمرته ، للمأثته . فسمي حوثرَة .

والمنجنيقي : بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وكسر النون الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف . هذه النسبة إلى المنجنيق ، وهو معروف . وإذ قد جرى ذكره ينبغي الكلام عليه ففيه أشياء غريبة : منها : أنه من جملة الآلات المنقوطة المستعملة ، والقاعدة في هذا الباب : أن تكون ميمه مكسورة ، إلا ما شذ عن ذلك في ألفاظ قليلة مثل مُنْخُل ومُدْهَن ومُسْعُط . وغير ذلك ، مع أن ابن الجواليقي في كتاب « العرب » أحكى فيه أربع لغات : فتح الميم . وكسرها على القاعدة . ومنجنوق بالواو بدل الياء ، ومنجلىق باللام عوضَ النون الثانية ، وحكى في الميم والنون الأولى ثلاثة أقوال . قيل إنهما أصليتان . وقيل زائدتان . وقيل الميم أصلية والنون زائدة ، والله أعلم . وهو اسم أعجمي . فإن الجيم والقاف لا يجتمعان في كلمة عربية . مثل الجر موق والجر دق والجر دق والجلا هو والقبح وغير ذلك ، وهذا بابٌ مطرد . وكذلك الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة عربية

مثل الصهرج والحص والصاج والحصطل وغير ذلك^١ ، وهو أيضاً باب مطرد .
 وإذا جمعناه حذفنا إحدى النونين ، فإن حذفنا النون الأولى قلنا : مجانيق ،
 وإن حذفنا النون الثانية قلنا مناجيق . وقال الجوهري في كتاب « الصحاح »
 الأصل في المنجنيق : من جي نيك تفسيره بالعربي : ما أجودني ؛ قلت :
 فتفسير « من » أنا ، وتفسير « جي » أيش ، وتفسير « نيك » جيد ، أي
 أنا أيش جيد . قال الجوهري : ثم عرب فقيل منجنيق .

وذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف »^٢ وأبو هلال العسكري في كتاب
 « الأوائل » أن أول من وضع المنجنيق جذيمة الأبرش ملك العرب وبلد الحيرة
 في ذلك الزمان . وقال الواحدي في تفسيره « الوسيط » في سورة الأنبياء :
 إن المشركين لما عزموا على إحراق إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأضرموا
 النار ، لم يدروا كيف يلقونه فيها ، فجاءهم إبليس لعنه الله تعالى ، فدلهم على
 المنجنيق ، وهو أول منجنيق وضع ، فوضعوه فيه ثم رموه ، والله أعلم .
 وهذا الفصل كله وإن كان خارجاً عن المقصود لكنه ما يخلو عن
 فائدة ، فلذلك بسطت القول فيه .

٨٣٣

موفق الدين ابن يعيش

أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا بن محمد بن علي بن
 المفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى بن حَيَّان القاضي بن بشر بن حيَّان

١ علق ابن المؤلف هنا بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وكذلك
 الجيم والكاف لا يجتمعان في كلمة عربية كالكيلجة والكماج وغير ذلك ، والله أعلم » .
 ٢ المعارف : ٥٥٤ .

٨٣٣ — ترجمته في ابن الشعار ١٠ : ٢١٥ والشذرات ٥ : ٢٢٨ وابن الوردي ٢ : ١٧٦
 وبغية الوعاة : ٤١٩ .

الأسدي ، الموصلية الأصل ، الحلبي المولد والمنشأ ، الملقب موفق الدين النحوي ويعرف بابن الصائغ ؛ قرأ النحو على أبي السخاء فتیان الحلبي ، وأبي العباس المغربي النيزوزي^١ وسمع الحديث على أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي بالموصل ، وعلى أبي محمد عبد الله بن عمر بن سويذة التكريتي ، وبحلب من أبي الفرج يحيى بن محمود^٢ الثقفى والقاضي أبي الحسن أحمد بن محمد بن الطرسوسي وخالد بن محمد بن نصر بن صغير القيسراني ، وبدمشق على تاج الدين^٣ الكندي ، وغيرهم ، وحدث بحلب وكان فاضلاً ماهراً في النحو والتصريف .

رحل من حلب في صدر عمره قاصداً بغداد ليدرك أبا البركات عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الأنباري - المقدم ذكره^٤ - وتلك الطبقة بالعراق وبلاد الجزيرة ، فلما وصل إلى الموصل بلغه خبر وفاته ، وقد ذكرت تاريخ موته في ترجمته ، فأقام بالموصل مديدة وسمع الحديث بها ، ثم رجع إلى حلب . ولما عزم على التصدر للاقراء سافر إلى دمشق واجتمع بالشيخ تاج الدين أبي اليمّن زيد بن الحسن الكندي الإمام المشهور - وقد تقدم ذكره في حرف الزاي^٥ - وسأله عن مواضع مشكلة في العربية ، وعن إعراب ما ذكره أبو محمد الحريري في المقامة العاشرة المعروفة بالرحبية ، وهو قوله في أواخرها «حتى إذا لألّ الأفقَ ذنبُ السرحان ، وآن انبلاجُ الفجرِ وحنان» فاستبهم جواب هذا المكان على الكندي : هل الأفق وذنب السرحان مرفوعان أو منصوبان ، أو الأفق مرفوع وذنب السرحان منصوب ، أو على العكس ؟ وقال له : قد علمتُ قصدك ، وأنتك أردت إعلامي بمكانتك من هذا العلم ، وكتب له خطه بمدحه والثناء عليه ، ووصف تقدمه في الفن^٦ الأدبي . قلت : وهذه المسألة يحوز فيها الأمور الأربعة ، والمختار منها نصب

١ س : التبريزي ؛ ابن الشعار : البيزوزي .

٢ س : محمد .

٣ زاد في المختار : أبي اليمّن زيد بن الحسن .

٤ انظر ج ٣ : ١٣٩ .

٥ انظر ج ٢ : ٣٣٩ ٦ المختار : في هذا الفن .

الأفق ورفع ذنب السرحان ، وقد ذكر ذلك تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن - المقدم ذكره^١ - المعروف بالبندهي في كتاب « شرح المقامات » ولولا خوف الإطالة لبينت ذلك .

ولما وصلت إلى حلب لأجل الاشتغال بالعلم الشريف . وكان دخولي إليها يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة ست وعشرين وستمائة . وهي إذ ذاك أم البلاد مشحونة^٢ بالعلماء والمشتغلين . وكان الشيخ موفق الدين المذكور شيخ الجماعة في الأدب ، لم يكن فيهم مثله ، فشرعت في القراءة عليه ، وكان يقرئ بجامعها في المقصورة الشمالية بعد العصر ، وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية . وكان عنده جماعة قد تنبهوا وتميزوا به ، وهم ملازمون مجلسه لا يفارقونه في وقت الإقراء وابتدأت بكتاب « اللمع » لابن جني . فقرأت عليه معظمها مع سماعي لدروس الجماعة الحاضرين ، وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين . وما أتممتها إلا على غيره لعذر اقتضى ذلك .

وكان حسن التفهم لطيف الكلام طويل الروح على المبتدئ والمنتهي ، وكان خفيف الروح ظريف الشرائع كثير المجون . مع سكينته ووقار : ولقد حضرت يوماً حلقة ، وبعض الفقهاء يقرأ عليه « اللمع » لابن جني . فقرأ بيت ذي الرمة في باب النداء :

أيا ظبيةَ الوعاء بين جُلاجلٍ وبين النقا آأنتِ أم أمّ سالمٍ

فقال له الشيخ : إن هذا الشاعر لشدة وله في المحبة وعظم وجدده بهذه المحبوبة أم سالم وكثرة مشابقتها للغزال كما جرت عادة الشعراء في تشبيههم النساء الصباح الوجوه بالغزلان والمهّما . اشتبه عليه الحال ، فلم يدر هل هي امرأة أم ظبية . فقال : آأنتِ أم أمّ سالم ؛ وأطال الشيخ موفق الدين القول في ذلك وبسطه بأحسن عبارة ، بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن ، وذلك الفقيه منصت مقبل على كلامه بكلية ، حتى يتوهم من يراه على تلك الصورة أنه قد تعقل جميع ما قاله ، فلما فرغ الشيخ من شرحه قال له الفقيه : يا مولانا أيش في المرأة الحسناء يشبه الظبية ؟ فقال له الشيخ قول منبسط : تشبهها في

٢ بر : محشوة .

١ انظر ج ٤ : ٣٩٠

ذنبها وقرونها ، فضحك الحاضرون . وخجل الفقيه ، وما عدت رأيته
حضر مجلسه .

قلت : وجلجل ، بفتح الجيم وضمها . اسم مكان ، والثانية جيم أيضاً .
وكنا يوماً نقرأ عليه بالمدرسة الرواحية ، فجاءه رجل من الأجناد وبيده
مسطور بدّين . وكان الشيخ له عادة بالشهادة في المكاتيب الشرعية . فقال
له : يا مولانا اشهد عليّ في هذا المسطور . فأخذه الشيخ من يده وقرأ أوله :
أقرت فاطمة ، فقال له الشيخ : أنت فاطمة ؟ فقال له الجنّدي : لا يا مولانا .
الساعة تحضر . وخرج إلى باب المدرسة . فأحضرها وهو يتبسّم من
كلام الشيخ .

ويقرب من هذا ما تقدم ذكره في ترجمة عامر الشعبي^١ أن شخصاً دخل
عليه وعنده امرأة ، فقال : أيكما الشعبي ؟ فقال له : هذه .

وكنا يوماً نقرأ عليه في داره ، فعطش بعض الحاضرين وطلب من الغلام
ماء فأحضره له . فلما شرب قال : ما هذا إلا ماء بارد . فقال له الشيخ :
لو كان خبزاً حاراً كان أحب إليك .

وكنا يوماً عنده بالمدرسة الرواحية ، فجاء المؤذن وأذن قبل العصر بساعة
جيدة ، فقال له الحاضرون : أبش هذا يا شيخ وأين وقت العصر ؟ فقال
الشيخ موفق الدين : دعوه عسى أن يكون له شغل فهو مستعجل .

وكان يوماً عند القاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد قاضي حلب — الآتي
ذكره ان شاء الله تعالى — فجرى ذكر زرقاء اليمامة . وأنها كانت ترى
الشيء من المسافة البعيدة ، حتى قيل تراه من مسيرة ثلاثة أيام . فجعل الحاضرون
يقولون ما علموه من ذلك ، فقال الشيخ موفق الدين : أنا أرى الشيء من
مسافة شهرين ، فتعجب الكل من قوله وما أمكنهم أن يقولوا له شيئاً . فقال
له القاضي : كيف هذا يا موفق الدين ؟ فقال : لأنني أرى الهلال . فقال

١ انظر ج ٣ : ١٥ .

له : كان قلت^١ مسافة كذا كذا سنة ، قال : لو قلت هذا عرف الجماعة الحاضرون غرضي، وكان قصدي الإبهام عليهم . وله نوادر كثيرة يطول ذكرها .
و كنت يوماً عنده وقد قدم من الموصل رجل من فضلاء المغاربة في علم الأدب ، فحضر حلقة وبحث في دروسه بحث رجل فاضل ، وجرى ذكر مباحث جرت له بالموصل مع جماعة من أدبائها وقال : كنت عند ضياء الدين نصر الله بن الأثير الجزري - قلت : وقد سبق ذكره^٢ - قال فتحاورنا وتناشدنا ، فأنشدته قول بعض المغاربة قلت : هذه الأبيات ذكر أبو إسحاق الحصري أنها لبعض مشايخ القيروان ، رواها عنه ولم يعينه^٣ ؛ وهي :

ومُعَذَّرِينَ كَأَن نَبَيْتَ خُدُودَهُمْ أَقْلَامَ مَسْكٍ تَسْتَمِدُّ خَلْقُوقًا
قَرَرْتُوْا الْبِنْفَسِجَ بِالشَّقِيقِ وَنَضَّدُوا تَحْتَ الزَّبْرِجَدِ لَوْلَوْأَ وَعَقِيقًا
فَهَمُّ الَّذِينَ إِذَا الْخَلِيَّ رَأَهُمْ وَجَدَ الْهَوَى بِهِمْ إِلَيْهِ طَرِيقًا

قلت : ونصف البيت الثاني مثل قول ابن الذرّوي المصري في أبياته التي سبق ذكرها في ترجمة المبارك بن منقذ وهو قوله :

جلا تحت ياقوت اللّمي ثغمر لؤلؤ رطيباً وأبدى شارباً من زُمُرْدٍ

ومن المنسوب إلى أبي محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسي - المقدم ذكره في حرف الحاء^٤ - :

جوهريّ الأوصاف يقصر عنه كلّ فهمٍ وكلّ ذهنٍ دقيقٍ

١ بر : كنت تقول ٢ انظر ج ٥ : ٣٨٩ .

٣ ثبت في المطبوعة المصرية بعد هذا : « قلت : وغالب ظني أنه أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري ، (ر والمسودة : المقدم ذكره) والأبيات التي أنشدها (والمسودة : هي ، ثم وجدت أن الحصري المذكور أنشدها) ولم يذكر أنها له رأيها في بعض المجاميع منسوبة إلى أبي الحجاج الشاعر المشهور » (ر والمسودة : والله أعلم) وقد رمج المؤلف عليه في مسودته ، ووضع بدله ما أثبتناه في المتن . وقد مر بيان منها في زيادات نسختي ص د في الجزء الأول الصفحة : ٣٩٤ ، وهو ما يدل على أن تلك الزيادة دخيلة .

٤ خ بهامش المسودة : عقد لؤلؤ نضيد . ٥ انظر ج ٣ : ١٠٤ .

شاربٌ من زمرذٍ وثنايسا لؤلؤ فوقها فسمٌ من عقيق
وذكرت بهذه الأبيات بيتين كنت أحفظهما ، ويحسن ذكرهما بعد هذا
وهما :

لما وقفنا للوداع وصار مسا كنّا نظنّ من الذوى تحقيقا
نثروا على ورقِ الشقائق لؤلؤاً ونثرتُ من فوقِ البهّار عقيقا
وكذاك بيت الوأواءِ الدمشقي :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ فسقّت ورداً وعضّت على العناب بالبرد
وكذا قول محمد بن سعيد العامري الدمشقي^١ ، وقيل إنها لابن كيغَلغ :

لما اعتقنا للوداع وأعربت عبراتنا عنا بدمعٍ ناطقٍ
فرّقن بين معاجرٍ ومحاجرٍ وجمعن بين بنفسجٍ وشقائق
وأنا الفداءُ لظبيةٍ أحداقنا موصولةٌ من وجهها بخداق
وينسب^٢ إلى أبي الفتح الحسن بن أبي حصينة الحلبي الشاعر المشهور
من هذا أيضاً^٣ :

ولما وقفنا للوداع وقلبها وقلبي يفيضان الصبابة والوجد
بكت لؤلؤاً رطباً وفاضت مسدامعي عقيقاً فصار الكل في نحرها عقيدا
وأنشدني صاحبنا الحسام عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجري الإربلي - المقدم
ذكره^٤ - لنفسه :

ولما التقينا ومنّ الزمان رأى دمع عيني دماً في المآقي

١ ترجم له المرزباني في المعجم : ٤١٤ والقفطي في المحدثون : ٣٤٩ وفيهما الأبيات التي
أوردها ابن خلكان .

٢ من هنا حتى قوله « قلت وقد قيل في هذا الباب ... الخ » لم يرد في مس بر .

٣ ديوانه ١ : ٢٢٧ .

٤ انظر ج ٣ : ٥٠١ .

فقال وعهدي به لو لوأً أيجري عقيماً وهذا التلاقي
فقلت حبيبي لا تعجبني جعلتُ فدي لك ميثاً وباقي
فتلك أوائل دمع الوداع وهذي أواخر دمع الفراق

وكان^١ الشيخ موفق الدين المذكور كثيراً ما ينشد منسوباً إلى أبي علي الحسن
ابن رشيق - المقدم ذكره^٢ - ثم كشفت ديوانه ، فلم أجد هذه الأبيات
فيه ، والله أعلم وهي :

وقد كنت لا آتي إليك مخاتلاً
ولكن رأيت المدح فيك فريضة
فقلت بما لم يخف عنك مكانه
فلا تتخالجك الظنون فإنها
فلو غيرك الموسوم عندي بريئة
فوالله ما طوأت بالقول فيكسم
ولكنني أكرمت نفسي فلم تهن
فباينت لا أن العداوة باينت
لديك ولا أنني عليك تصنعاً
علي إذا كان المديح تطوعاً
من القول حتى ضاق مما توسعاً
مأثم واترك في الصلح موضعاً
لأعطيت فيه مدعي القول ما ادعى
لساناً ولا عرضت للذم مسدداً
وأجللتها من أن تذلل وتعضداً
وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا

قلت : وقد قيل في هذا الباب^٣ شيء كثير ولا حاجة إلى الإطالة .

وشرح الشيخ موفق الدين كتاب « المفصل » لأبي القاسم الزمخشري شرحاً
مستوفى ، وليس في جملة الشروح مثله . وشرح « تصريف الملوكي » لابن
جني شرحاً مليحاً . وانتفع به خلق كثير من أهل حلب وغيرها . حتى إن
الرؤساء الذين كانوا بحلب ذلك الزمان كانوا تلامذته .

وكانت ولادته ثلاث خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

١ ثابت بهامش المسودة ولكن أرجح أنه ليس بخط المؤلف ، وهو ثابت في المختار أيضاً .

٢ انظر ج ٢ : ٨٥ .

٣ يعني باب البكاء وتشبيه الدموع بالؤلؤ والعقيق ، وهو يدل على أن النص السابق قد باعد هذا
التعليق عن موضعه .

بحلب : وتوفي بها في سحر الخامس والعشرين^١ من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ودفن من يومه بترته بالمقام المنسوب إلى إبراهيم الخليل ، صلوات الله عليه وسلامه ، ورحمه الله تعالى .

٨٣٤

يموت بن المزرع

أبو بكر يموت بن المزرع بن يموت بن عيسى^٢ بن موسى بن سيّار بن حُكَيْم^٣ بن جبلة بن حصن بن أسود بن كعب بن عامر بن عدي بن الحارث بن الدّيل بن عمرو بن غنم بن وداعة بن لُكَيْز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، العبدي البصري .

قلت : وجدت في كتاب « جمهرة النسب » تأليف ابن الكلبي عند ذكره حكيم بن جبلة المذكور . وقد ساق نسبه على هذه الصورة . وفي الحاشية مكتوب ما مثاله : من ولد حكيم بن جبلة المذكور يموت بن المزرع ابن يموت . وقد ساق نسبه على هذه الصورة حتى ألحقه بحكيم بن جبلة المذكور ، والعُهدَة عليه في ذلك . ورأيت بخطي في مسوداتي : يموت بن المزرع بن يموت بن عدس بن سيّار بن المزرع^٣ بن الحارث بن ثعلبة بن

١ ابن شمار : ثلاث وعشرين جمادى الأولى .

٨٣٤— ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ٣٥٨ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٥٧ وطبقات الزبيدي : ٢٣٥

والنجوم الزاهرة ٣ : ١٩١ وعبر الذهبي ٢ : ١٢٨ والشذرات ٢ : ٢٤٣ ومعجم المرزباني : ٥٥٥ وبغية الوعاة : ٤٢٠ ومروج الذهب ٤ : ١٩٦ ونزهة الالباء : ١٦٣ .

٢ فوقها في المسودة : خ : المزرع ؛ وفي تاريخ بغداد : عبدوس ، وفي نسبه اختلاف كثير عما ورد هن .

٣ فوق الحاء « معاً » في المسودة أي أنها تفتح وتضم .

٤ كذا في المسودة بتقديم اراء المهمله ها وهو مخالف للضبط في آخر الترجمة .

عمرو بن ضمرة بن دلهث بن وديعة بن بكر بن وديعة بن لكيز بن أفصى المذكور ، والله أعلم بالصواب في ذلك .

وكان يموت قد سمي نفسه محمداً ، وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير في الحمدین ، ثم ذكره في حرف الياء وقال : هو يموت وهو ابن أخت أبي عثمان الجاحظ ، وقد تقدم ذكره^١ .

قدم يموت بن المزرع بغداد في سنة إحدى وثلاثمائة وهو شيخ كبير ، وحدث بها عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وأبي الفضل الرياشي ونصر بن علي الجهمضي ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، ومحمد بن يحيى الأزدي وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان الزياتي وغيرهم ؛ روى عنه أبو بكر الخرائطي وأبو الميمون ابن راشد ، وأبو الفضل العباس بن محمد الرقي ، وأبو بكر ابن مجاهد المقرئ وأبو بكر ابن الأنباري وغيرهم .

وكان أديباً أخبارياً ، وله ملح ونوادر ، وكان لا يعود مريضاً خوفاً أن يتطير من اسمه ، وكان يقول : بليت بالاسم الذي سماني أبي به ، فاني إذا عدت مريضاً فاستأذنت عليه ، فقليل من هذا ؟ قلت : أنا ابن المزرع^٢ ، وأسقطت اسمي .

ومدحه منصور الفقيه الضرير الشاعر المشهور بقوله :

أنت تحيا والذي يكسره أن تحيا يموتُ
أنت صنو النفس بل أنست لروح النفس قوت
أنت للحكمة بيتٌ لا خلّت منك البيوت

فمن أخباره أنه قال ، أخبرني أبو الفضل الرياشي قال ، سمعت الأصمعي يقول : كان سخط هارون الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب ، رضي الله عنه ، في سنة ثمان وثمانين ومائة ،

١ انظر ج ٣ : ٤٧٠

٢ في المختار هنا : المزرع ، بتقديم الراء المهمة .

ولقد كنت عند الرشيد وقد أتى بعبد الملك يَرْفُلُ في قيوده ، فلما نظر الرشيد إليه قال له : هيه يا عبد الملك ، كأني والله أنظر إلى شوبوبها قد همع ، وإلى عارضها قد لمع ، وكأني بالوعيد قد أقلع عن براجم بلا معاصم ، ورووس بلا غلاصم ، مهلاً مهلاً بني هاشم ، فبي والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدّر ، وألقت إليكم الأمور أثناء أزمّتها ، فخذوا حذاركم مني قبل حلول داهية خبُوط باليد والرجل ، فقال له عبد الملك : أفذاً أتكلم أم تَؤأما ، فقال : بل تَؤأما ، فقال : اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولاك ، وراقبه في رعاياك التي استرعاك ، فقد سهلت والله لك الوعور ، وجمعت على خوفك ورجائك الصدور ، وكنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب^١ :

ومقام ضيّق فرجته بلسان وبيان وجدل
لو يقوم الفيل أو فيّاله زلّ عن مثل مقامي وزحل

قال : فأراد يحيى بن خالد البرمكي أن يضع من مقدار عبد الملك عند الرشيد ، فقال له : يا عبد الملك بلغني أنك حقود . فقال له : أصلى الله الوزير ، إن يكن الحقود هو بقاء الخير والشر عندي فانهما لباقيان في قلبي .

قال الأصمعي : فالتفت الرشيد إلي وقال : يا أصمعي حررها . فوالله ما احتج أحد للحقد بمثل ما احتج به عبد الملك ، ثم أمر به فرد إلى محبسه . قال الأصمعي : ثم التفت الرشيد إلي وقال : يا أصمعي والله لقد نظرت إلى موضع السيف من عنقه مراراً ، ويمنعني من ذلك إبقائي على قومي في مثله .

قلت : وعبد الله بن صالح قد ذكرته في ترجمة أبي عبادة الوليد البحري الشاعر المشهور ونبّهت على تاريخ وفاته^٢ .

وروى يموت بن المزرع^٣ أيضاً أن أحمد بن محمد بن عبّيد الله أبا الحسن

١ هو ليبد بن ربيعة ، انظر ديوانه : ١٩٣ - ١٩٤ .

٢ انظر ج ٦ : ٣٠ المختار : المزرع .

الكاتب المعروف بابن المدبر الضبي الرستيساني ، كان إذا مدحه شاعر فلم يرض شعره قال لغلامه : امض به إلى المسجد الجامع ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم أطلقه . فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدين^١ ، فجاءه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالحمل ، فاستأذنه في النشيد فقال له : قد عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، ثم أنشده^٢ :

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً كما بالمدح تُنتَجَعُ الولايةُ
وقلنا أكرم الثقلين طراً ومَنْ كَفَّاه دِجْلَةَ والفرات
فقالوا يقبل المدحيات لكن جوائزهِ عليهن الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي عيالي . إنما الشأن الزكاة
فيأمر لي بكسر الصناد منها فتصبح لي الصلاةُ هي الصلات
فضحك ابن المدبر واستظرفه . وقال : من أين أخذت هذا ؟ فقال :
من قول أبي تمام الطائي :

هن الحمام فإن كسرت عيافةً من حائهن فإنهن حِمَامُ
فاستحسن ذلك وأحسن صِلته .

(373) وكان أحمد بن المدبر^٣ يتولى الخراج بمصر ، فحبسه أحمد بن طولون في سنة خمس وستين ومائتين . ومات في حبسه في صفر سنة سبعين ومائتين ، وقيل بل قتله ابن طولون ، والله أعلم ، والمدبر : بكسر الباء الموحدة المشددة .
وحدث ابن المزرع أيضاً عن خاله أبي عثمان الجاحظ أنه قال : طلب المعتصم جاريةً كانت لمحمود بن الحسن الشاعر المشهور المعروف بالوراق . وكانت تسمى نَشْوَى وكان شديد الغرام بها ، وبذل في ثمنها سبعة آلاف

١ المختار : المجيدون .

٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٣ : ٣٠٦ - ٣٠٧ وللجمل أيضاً ترجمة في المغرب (قسم مصر)

١ : ٢٧٠ وهذا هو الجمل الأكبر ، وهناك الأصغر ، وللجمل الأكبر أشعار في كتاب

الكندي ومعجم الأدباء ١٠ : ١٢١ : ووردت الحكاية في ٢ : ١٩ من زيادات در .

٣ أحبارد في الخطوط ١ : ٣١٤ والمغرب (قسم مصر) : ١٢٣ وصفحات أخرى .

دينار ، فامتنع محمود من بيعها لأنه كان يهواها أيضاً ، فلما مات محمود اشترت الجارية للمعتصم من تركته بسبعمائة دينار ، فلما دخلت عليه قال لها : كيف رأيت ؟ تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلاف بسبعمائة ، قالت : أجل ، إذا كان الخليفة ينتظر لشهواته^١ المواريث ، فإن سبعين ديناراً لكثيرة في ثمني فضلاً عن سبعمائة ، فخجل المعتصم من كلامها .

وقال ابن المزرع : حدثني من رأى قبراً بالشام عليه مكتوب : لا يغترن أحد بالدنيا فاني ابن مَنْ كان يطلق الريح إذا شاء ويحبسها إذا شاء ، وبجذائه قبر عليه مكتوب : كذب الماص بظر أمه ، لا يظن أحد أنه ابن سليمان بن داود عليهما السلام ، إنما هو ابن حدّاد يجمع الريح في الزق ثم ينفخ بها الجمر . قال : فما رأيت قبلها قبرين يتشاثمان ، والله أعلم .

ولابن المزرع أخبار وحكايات ونوادر . ولسنا نقصد الإطالة بل الإيجاز حسب الإمكان إلا أن يتشعر الكلام .

(374) وكان له ولد، يدعى أبا نَضْلَة مهلهل بن يموت بن المزرع^٢، وكان شاعراً مجيداً . ذكره المسعودي في كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » فقال في حقه^٣ : هو من شعراء هذا الزمان ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وفيه يقول أبوه مخاطباً له :

مهلهلُ قد حلبتُ شطورَ دهري	وكافحتي بها الزمن العنوتُ
وحاربتُ الرجال بكلّ رينعٍ	فأذعن لي الحثالة والرتوت
فأوجعُ ما أجنّ عليه قلبي	كريم غتّه زمن غتّتوت
كفى حزناً بضيعه ذي قديمٍ	وأبناء العبيد لها البخوت

١ المختار : شهواته .

٢ ترجمته في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٧٣ وله شعر في الديارات ، وانظر مقدمة رسالته في سرقات أبي نواس (القاهرة - دار الفكر العربي) .

٣ مروج الذهب ٢ : ١٩٧ .

وقد أسهرتُ عيني بعد غُمُضٍ مخافةً أن تضيعَ إذا فنيست
وفي لطف المهيمن لي عزاء بمثلك إن فنيْتُ وإن بقيت
فَجُبُّ في الأرض وايع بها علوماً ولا تقطعكْ جائحة سَبوتُ
وإن بخل العليمُ عليك يوماً فَدَلْ له وديدك السكوت
وقلْ بالعلم كان أبي جواداً يقال ومن أبوك فقل يموت
يقرّ لك الأبعادُ والأداني بعلمٍ ليس يحجده البهوتُ

وكان يموت قد قدم مصر مراراً ، وآخر قدومه إليها في سنة ثلاث
وثلاثمائة ، وخرج في سنة أربع وثلاثمائة . قال أبو سعيد ابن يونس الصديقي
المصري في تاريخه المختص بالغرباء : مات يموت بن المزرع سنة أربع
وثلاثمائة بدمشق ؛ وقال أبو سليمان بن زَبَر في تاريخه : إنه مات في سنة
ثلاث وثلاثمائة بطبرية الشام ، والله أعلم .

وأما ولده مهلهل فإن الخطيب ذكره في « تاريخ بغداد » وقال : هو
شاعر مليح الشعر في الغزل وغيره ، وسكن بغداد وسُمع منه ، وكتب عنه
شعره أبو بعضة^١ إبراهيم بن محمد المعروف بتُوزُون . ثم قال الخطيب :
أخبرني التنوخي قال ، قال لنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن العباس الأخباري :
حضرت في سنة ست وعشرين وثلاثمائة مجلس تحفة القوالة جارية أبي عبد الله
ابن عمر البازيار ، وإلى جانبي عن يسري أبو نضلة مهلهل بن يموت بن
المزرع^٢ ، وعن يميني أبو القاسم بن أبي الحسن البغدادي ، فغنت تحفة من
وراء الستارة بهذه الأبيات :

بِي شُغْلٍ به عن الشُّغْلِ عنه بهواه وإن تشاغلَ عني
ظننني جفوةً فأعرضَ عني وبدا منه ما تخوف مني
سرّه أن أكسونَ فيه حزيناً فسروري إذا تضاعف حزني

فقال لي أبو نضلة : هذا الشعر لي ، فسمعه أبو القاسم ، وكان ينحرف

١ س : أبو بعضه .

٢ وضع في المسودة كسرة تحت الشدة على الراء في هذا الموضع .

عن أبي نضلة فقال : قل له : إن كان هذا الشعر له يزيد فيه بيتاً ، فقلت له ذلك على وجه جميل فقال :

هو في الحسن فتنةٌ قد أصارتُ فتني في هواه من كلّ فن
ومن المنسوب إلى مهلهل أيضاً :

جلّت محاسنه عن كلّ تشبيهٍ وجل عن واصفٍ في الناس بحكيه
انظر إلى حسنه واستغنِ عن صفتي سبحانَ خالقه ، سبحانَ باريه
الرجسُ الغضُّ والوردُ الحنيّ له والأقحوانُ النضيرُ النضرُ في فيه
دعا بالحاظه قلبي إلى عطسي فجاءه مسرعاً طوعاً يلبيه
مثل الفراشة تأتي إذ تری لها إلى السراج فتلثقي نفسها فيه

وذكر له الخطيب شعراً غير هذا فأضربت عن ذكره .

والمزّج : بضم الميم وفتح الزاي وبعدها راء مشددة مفتوحة ثم عين مهملة ، هكذا قاله^١ لي الشيخ الحافظ زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري ، رحمه الله تعالى .

(375) وأما حكيم بن جبلة المذكور في عمود هذا النسب فإنه بفتح الحاء المهملة وكسر الكاف ، ويقال أيضاً بضم الحاء وفتح الكاف ، ويقال جبلة وجبيل ، وكان من أعوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولما بويع علي بالخلافة بايعه طلحة بن عبيد الله التيمي والزبير بن العوام الأسدي رضي الله عنهما ، فعزم علي رضي الله عنه على تولية الزبير البصرة وتولية طلحة اليمن ، فخرجت مولاة لعلي فسمعتهما يقولان : ما بايعناه إلا بالستنا وما بايعناه بقلوبنا ، فأخبرت مولاها بذلك ، فقال : أبعدهما الله تعالى ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وبعث إلى البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري ، وإلى اليمن

١ ع ر : قال .

عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فاستعمل ابن حنيفة حكيم بن جبلة المذكور على شرطة البصرة .

ثم إن طلحة والزبير لحقا بمكة وفيها عائشة رضي الله تعالى عنها ، فاتفقوا وقصدوا البصرة . وفيها ابن حنيفة المذكور ، فأتى حكيم بن جبلة إلى ابن حنيفة ، وأشار عليه بمنعهم من دخول البصرة ، فأبى وقال : ما أدري ما رأي أمير المؤمنين في ذلك ، فدخلوها وتلقاهم الناس ، فوقفوا في مرصد البصرة وتكلموا في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وبيعة علي رضي الله تعالى عنه ، فرد عليهم رجل من عبد القيس . فقالوا منه ووقفوا لحيته ، وترامى الناس بالحجارة واضطربوا ، فجاء حكيم بن جبلة إلى ابن حنيفة ودعاه إلى قتالهم فأبى . ثم أتى عبد الله بن الزبير إلى مدينة الرزق ليرزق أصحابه من الطعام الذي فيها ، وغدا حكيم بن جبلة في سبعمائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلاً من أصحابه .

وروي أن ابن جبلة قال لامرأته وكانت من الأزد : لأعملنّ بقومك اليوم عملاً يكونون به حديثاً للناس ، فقالت له : أظن قومي سيضربونك اليوم ضربة تكون حديثاً للناس ، فلقى رجل يقال له سُحَيْم فضرب عنقه ، فبقي معلقاً بجلدة . فاستدار رأسه ، فبقي مقبلاً بوجهه على دبره ، وكان ذلك قبل وصول علي رضي الله عنه بجيوشه إليهم ، ثم قدم عليهم وتقابل الجيشان يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين للهجرة عند موضع قصر عبيد الله بن زياد ، ثم كانت الواقعة العظمى المشهورة بوقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من الشهر المذكور ، وكان أول قدمهم ، وقتل حكيم بن جبلة قبل ذلك بأيام في هذا الشهر أيضاً . وقتل بين الفريقين مقدار عشرة آلاف . وقتل طلحة والزبير رضي الله عنهما في ذلك اليوم ، لكنه بغير قتال . ولولا خوف الإطالة لشرحته .

وقال المأموني في تاريخه : وقيل إن أهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس . وفيه كان القتال . وذلك أن نسرأ مر بما

حول المدينة ومعه شيء معلق، فتأمله الناس فوق فإذا كف فيها خاتم نقشه :
عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد . ثم إن كل مَنْ بين مكة والمدينة ممن
قرب من البصرة أو بعد علموا بالوقعة مما نقلت النُور إليهم من الأيدي
والأقدام . قلت : وذكر كشاجم في كتاب « المصايد والمطارد »^١ أن العقاب
ألقت كف عبد الرحمن بمكة ، وكذلك ذكره في كتاب « المهذب » في
الفقه في باب الصلاة على الميت ، وذكر ابن الكلبي وأبو اليقظان في كتابيهما
أن العُقَاب ألقتها بالإمامة ، والله أعلم بالصواب .

أبو يعقوب البويطي

أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي ، صاحب الشافعي رضي الله عنه ؛ كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابةً ، اختص به في حياته ، وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته ، سمع الأحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي - المقدم ذكره^٢ - ومن الإمام الشافعي ، وروى عنه أبو إسماعيل الترمذي^٣ وإبراهيم بن إسحاق الحربي والقاسم بن المغيرة الجوهري وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم . وكان قد حمل في أيام الواثق بالله من مصر إلى بغداد في مدة المحنة وأريد على القول بخلق القرآن

١ المصايد والمطارد : ٩٨ .

٨٣٥- ترجمته في تاريخ بغداد ١٤ : ٢٩٩ والفهرست : ٢٩٨ وتهذيب التهذيب ١١ : ٤٢٧

وطبقات السبكي ١ : ٢٧٥ وعبر الذمبي ١ : ٤١١ والشذرات ٢ : ٧١ وحسن المحاضرة

١ : ١٢٣ طبقات العبادي : ٧ والاسنوي ١ : ٢٠ والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٣١ والحبيبي :

٤. ومعجم البلدان (بويط) وابن قاضي شهبة : ٥٥ .

. ۲۶ : ۲ - ۲

٣ هو محمد بن اسماعيل الترمذي المحدث الحافظ الثقة (انظر تذكرة الحفاظ : ٦٠٤) .

الكريم فامتنع من الإجابة إلى ذلك ، فحبس ببغداد ، ولم يزل في السجن والقيد حتى مات . وكان صالحاً متنسكاً عابداً زاهداً .

قال الربيع بن سليمان : رأيت البويطي على بغل ، في عنقه غل وفي رجليه قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبة وزنها أربعون رطلاً ، وهو يقول : إنما خلق الله سبحانه الخلقَ بِكُنْ ، فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقاً خلق مخلوقاً ، فوالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم ، ولئن أدخلت عليه لأصدقنه — يعني الواصل .

وقال أبو عمر ابن عبد البر الحافظ في كتاب « الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء »^١ : إن ابن أبي الليث الحنفي قاضي مصر كان يحسده ويعاديه ، فأخرجه في وقت المحنة في القرآن العظيم فيمن أخرج من مصر إلى بغداد ، ولم يخرج من أصحاب الشافعي غيره ، وحمل إلى بغداد وحبس ، فلم يجب إلى ما دعي إليه في القرآن ، وقال : هو كلام الله غير مخلوق ، وحبس ومات في السجن .

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب « طبقات الفقهاء »^٢ : كان أبو يعقوب البُويطي إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن ، فيقول له السجان : أين تريد ؟ فيقول : أجيب داعي الله ، فيقول : ارجع عافاك الله ، فيقول أبو يعقوب : اللهم إنك تعلم أنني قد أجبت داعيك فمنعوني .

وقال أبو الوليد ابن أبي الجارود^٣ : كان البُويطي جاري فما كنت أنبئه ساعة من الليل إلا سمعته يقرأ ويصلي .

وقال الربيع : كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفّته بذكر الله تعالى ، وما

١ الانتقاء : ١٠٩ .

٢ طبقات الفقهاء : ٩٨ .

٣ تاريخ بغداد : ٣٠٠ .

رأيت أحداً أنزعَ بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي . وقال الربيع أيضاً : كان لأبي يعقوب منزلة من الشافعي ، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له : سل أبا يعقوب ، فإذا أجابه أخبره فيقول : هو كما قال . وقال أيضاً : ربما جاء رسول صاحب الشرطة إلى الشافعي فيوجهه أبا يعقوب البويطي ويقول : هذا لساني .

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه^١ : لما مرض الشافعي مرضه الذي مات فيه جاء محمد بن عبد الحكم ينازع البويطي في مجلس الشافعي ، فقال البويطي : أنا أحق به منك ، وقال ابن عبد الحكم : أنا أحق بمجلسه منك ، فجاء أبو بكر الحميدي ، وكان في في تلك الأيام بمصر ، فقال ، قال الشافعي : ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف بن يحيى وليس أحد من أصحابي أعلم منه ، فقال له ابن عبد الحكم : كذبت ، فقال الحميدي : كذبت أنت وكذب أبوك وكذبت أمك ، وغضب ابن عبد الحكم ، فترك مجلس الشافعي وتقدم فجلس في الطاق ، وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه ، وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه .

وقال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم^٢ : رأيت أبي في المنام فقال لي : يا بني عليك بكتاب البويطي فليس في الكتب أقل خطأ منه .

وقال الربيع بن سليمان^٣ : كنت عند الشافعي أنا والمزني وأبو يعقوب البويطي ، فنظر إلينا فقال لي : أنت تموت في الحديث ، وقال للمزني : هذا لو ناظره الشيطان قطعه أو جدله ، وقال للبويطي : أنت تموت في الحديث ، قال الربيع : فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيت مقيداً إلى أنصاف ساقيه مغلولةً يده إلى عنقه .

وقال الربيع أيضاً : كتب إليّ أبو يعقوب من السجن : إنه ليأتي علي أوقات لا أحس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي ، فإذا قرأت كتابي

١ تاريخ بغداد : ٣٠١ .

٢ متابع للنقل عن تاريخ بغداد ؛ وانظر ترجمة الأصم في تذكرة الحفاظ للذهبي : ٨٦٠ .

٣ ورد في ج ٢ : ٢٩١ .

هذا فأحسن خلقتك مع أهل حلقتك ، واستوص بالغرباء خاصة خيراً ،
فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت :

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولن تكريم النفس التي لا تبينها
وأخباره كثيرة ؛ وتوفي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة إحدى
وثلثين ومائتين ، في القيد والسجن ببغداد ، وقيل إنه توفي سنة اثنتين وثلثين ،
والأول أصح ، رحمه الله تعالى ؛ وقال ابن القرّاب في تاريخه : توفي يوم
الثلاثاء في رجب ، والله أعلم .

والبويطي ، بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها
وبعدها طاء مهملة ، هذه النسبة إلى بُويَظ ، وهي قرية من أعمال الصعيد
الأدنى من ديار مصر .

ويوسف : فيه ستّ لغات . ضمّ السين وفتحها وكسرها مع الواو وضم
السين وفتحها وكسرها مع الهمزة عوض الواو ، فالمجموع ستّ لغات ،
والياء أوله مضمومة في اللغات الست ، وسيأتي نظيره في يونس .

أبو القاسم ابن كجّ القاضي

أبو القاسم يوسف بن أحمد بن يوسف بن كجّ الكجّي الدينوري ؛ كان أحد أئمة الشافعية ، صاحب أبا الحسين ابن القطان ، وحضر مجلس أبي القاسم عبد العزيز الداركي ، وجمع بين رياسة العلم والدنيا ، وارتحل الناس إليه من الآفاق للاشتغال عليه بالدينور رغبة في علمه وجودة نظره ، وله وجه في مذهب الشافعي رضي الله عنه ، وصنف كتباً كثيرة انتفع بها الفقهاء .

قال أبو سعد ابن السمعاني : لما انصرف أبو علي الحسين بن شعيب السنجي من عند الشيخ أبي حامد الإسفرايني اجتاز به فرأى علمه وفضله ، فقال له : يا أستاذ ، الاسم لأبي حامد والعلم لك ، فقال : ذاك رفعته بغداد وحطنتي الدينور .

وتولى القضاء ببلده ، وكانت له نعمة كثيرة . وقتله العيسّارون بالدينور في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

وكجّ : بكاف مفتوحة وجيم مشددة . وقد تقدم الكلام على الدينور فأغنى عن الإعادة ، والكجّي : نسبة إلى جده المذكور .

٨٣٦- ترجمته في طبقات السبكي ٤ : ٢٩ و امرأة الجنان ٣ : ١٢ وعبر الذهبي ٣ : ٩٢

والشذرات ٣ : ١٧٧ وطبقات الشيرازي : ١١٨-١١٩ والانساب واللباب (الكجّي)

وطبقات المبادي : ١٠٧ والبدية والنهاية ١١ : ٣٥٥ والاسنوي ٢ : ٣٤٠ والحسيبي : ٤٢ .

وابن قاضي شهبة : ٩٠

ابن عبد البر

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ؛
 إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما ، روى بقرطبة عن أبي القاسم
 خلف بن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وسعيد نصر وأبي محمد ابن
 عبد المؤمن وأبي عمر الباجي وأبي عمر الطلمنكي وأبي الوليد ابن الفرضي
 وغيرهم . وكتب إليه من أهل المشرق أبو القاسم السقطي المكي وعبد الغني بن
 سعيد الحافظ وأبو ذر الهروي وأبو محمد ابن النحاس المصري وغيرهم .

قال القاضي أبو علي ابن سكرة^١ : سمعت شيخنا القاضي أبا الوليد الباجي
 يقول : لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث ؛ وقال
 الباجي أيضاً : أبو عمر أحفظ أهل المغرب .

وقال أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد الغساني الأندلسي الجياني - المقدم
 ذكره^٢ - : ابن عبد البر شيخنا من أهل قرطبة ، بها طلب الفقه ولزم
 أبا عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الفقيه الإشبيلي وكتب بين يديه ، ولزم
 أبا الوليد ابن الفرضي الحافظ وعنه أخذ كثيراً من علم الحديث ، ودأب في

٨٣٧- ترجمته في الصلة : ٦٤٠ وبغية الملتبس رقم : ١٤٤٢ والجذوة : ٣٤٤ والمغرب

٢ : ٤٠٧ والمطمح : ٦١ والديباج المذهب ٣٥٧ وترتيب المدارك ٤ : ٨٠٨ وتذكرة

الحفاظ : ١١٢٨ وعبر الذهبي ٣ : ٢٥٥ والشذرات ٣ : ٣١٤ .

١ هو أبو علي الحزين بن محمد الصدي ، انظر ترجمته في النفح ٢ : ٩٠ وفي الحاشية ذكر
 لمراجع أخرى .

٢ : ١٨٠ .

طلب العلم وافقن فيه ، وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس .
وألف في « الموطأ » كتاباً مفيدة . منها كتاب « التمهيد لما في الموطأ من
المعاني والأسانيد » ورتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم . وهو
كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله ، وهو سبعون جزءاً ؛ قال أبو محمد ابن حزم :
« لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله ، فكيف أحسن منه ؟ ثم صنع كتاب
« الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي
والآثار » شرح فيه الموطأ على وجهه ونسّق أبوابه . وجمع في أسماء
الصحابة رضي الله عنهم كتاباً جليلاً مفيداً سماه « الاستيعاب » وله كتاب
« جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله » وكتاب « الدرر
في اختصار المغازي والسير »^١ وكتاب « العقل والعقلاء وما جاء في أوصافهم »
وله كتاب صغير في قبائل العرب وأنسابهم^٢ ، وغير ذلك من تواليفه .
وكان موفقاً في التأليف معاناً عليه ، ونفع الله به . وكان ، مع تقدمه في علم
الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث ، له بسطة كبيرة في علم النسب .

وفارق قرطبة وجال في غرب الأندلس مُدّة^٣ ، ثم تحول إلى شرق
الأندلس وسكن دانيّة من بلادها ، وبكُنسية وشاطبة ، في أوقات مختلفة .
وتولى قضاء الأشبونة وشنترين في أيام ملكها المظفر بن الأفطس ؛ وصنف
كتاب « بهجة المجالس وأنس المجالس »^٣ في ثلاثة أسفار ، جمع فيه
أشياء مستحسنة تصلح للمذاكرة والمحاضرة :

من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى
فيها عدوّاً مُدّلتى فأعجبه وقال : لمن هذا ؟ فقيل : لأبي جهل ، فشقّ ذلك
عليه وقال : ما لأبي جهل والجنة ؟ والله لا يدخلها أبداً . فإنها لا تدخلها

١ طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور شوقي ضيف (القاهرة : ١٩٦٦) .

٢ مطبوع باسم « القصد والأمم في التعريف بوصول أنساب العرب والعجم » ومعه كتيب آخر
هو « الانباه على قبائل الرواة » (القاهرة : ٢٣٥٠) .

٣ صدر من هذا الكتاب جزء واحد بتحقيق الأستاذ محمد مرسى الخولي (القاهرة ١٩٦٢) .

إلا نفس مؤمنة ، فلما أتاها عكرمة بن أبي جهل مسلماً فرح به وقام إليه ، وتأول ذلك العذوقَ عكرمة ابنه .

ومنه أيضاً أنه قيل لجعفر بن محمد ، يعني الصادق : كم تتأخر الرؤيا ؟ قال : رأى النبي صلى الله عليه وسلم كأن كلباً أبقع بلغ في دمه ، فكان شمّر ابن ذي الجوشن قاتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، وكان أبرص ، فكان تأخير الرؤيا بعد خمسين سنة .

ومن ذلك أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا فقصها على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر ، رأيت كأنني أنا وأنت نرقى درجةً ، فسبقتك بمرقأتين ونصف ، فقال : يا رسول الله ، يقبضك الله تعالى إلى رحمته ومغفرته وأعيش بعدك سنتين ونصفاً .

ومن ذلك أن بعض أهل الشام قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ، ومع كل واحد منهما فريق من النجوم ، قال : مع أيهما كنت ؟ قال : مع القمر ، قال : مع الآية الممحوة ، لا عملت لي عملاً أبداً . فعزله ، وقتل مع معاوية بن أبي سفيان بصفين .

وقالت عائشة رضي الله عنها : رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجرني . فقال لها أبوها أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إن صدقت رؤياك دفن في بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض ، فلما دفن النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها قال لها أبو بكر : هذا أحد أقمارك ، وهو خيرها .

ومنه أيضاً أن أعرابياً - وقيل هو الخطيئة الشاعر - أراد سفرأ . فقال لامرأته :

عُدِّي السنين لغيبي وتَصَبَّرِي وذري الشهورَ فإنهن قصارُ
فأجابته :

اذكر صابتنا إليك وشوقنا وارحمُ بناتِكَ لهنَّ صغارُ
فأقام وترك سفره .

وقال الهيثم بن عدي قال لي صالح بن حيّان : مَنْ أَفْقَهُ الشُّعْرَاءُ ؟
فقلت : اختلف في ذلك ، فقال : أَفْقَهُ الشُّعْرَاءُ وضاح اليمن حيث يقول :

إذا قلتُ هاتي نوليّني تبسمتُ وقالت : معاذَ الله من فعلٍ ماحرمُ
فما نولتُ حتى تُضرعتُ عندها وأعلمتها ما أُرخصَ الله في اللّهم

ومنه أيضاً: قيل لأسلم بن زرعة: إن انهزمت من أصحاب مرداس^١ غضب عليك الأمير عبيد الله بن زياد ، فقال : لأن يغضب علي وأنا حي خير من أن يرضى عني وأنا ميت .

ومنه أيضاً: سبّ أعرابيّ أعرابياً فسكت ، فقيل له لم سكت عنه ؟ فقال : ليس لي علم بمسأويّه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

ثالبسني عمرو وثالبته قد أثم المثلوبُ والثالبُ
قلتُ له خيراً وقسال الخنا كلّ على صاحبه كاذب

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما : إذا قال فيك رجل ما لا يعلم من الخير أو شك أن يقول فيك ما لا يعلم من الشر .

ومنه أيضاً : ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : كان والله أفضل من أن يسخّدع ، وأعقل من أن يُخدّع .

ومنه أيضاً : روي أنه لما أهبط الله تعالى آدم عليه السلام إلى الأرض أتاه جبريل عليه السلام فقال : يا آدم إن الله عز وجل قد أحضرك ثلاث خصال لتختار منهن واحدة وتتخلى عن ثنتين ، قال : وما هن ؟ قال : الحياء والدين والعقل ، قال آدم : إني قد اخترت العقل ، فقال جبريل للحياء والدين : ارتفعاً فقد اختار العقل ، قالا : لا ، لا نرتفع ، قال : ولم ؟ أعصيتما ؟ قالا : لا ولكن أمرنا أن لا نفارق العقل حيث كان .

١ يعني مرداس بن أدية شيخ الخوارج .

وقال عبد الملك بن عبد الحميد من أبيات^١ :

الماءُ في دار عثمان له ثمنٌ والخبزُ فيها له شأنٌ من الشأنِ
عثمانُ يعلمُ أن الحمدَ ذو ثمنٍ لكنه يشتهي حمداً بمجانٍ
والناسُ أكيسُ من أن يحمداوا أحداً حتى يروا عنده آثارُ إحسانِ

ومن كتاب « بهجة المجالس » أيضاً قال الرياشي : خرج الناس بالبصرة ينظرون هلال شهر رمضان ، فرآه رجلٌ واحد منهم ، ولم يزل يومئذ إليه حتى رآه معه غيره وعاینوه . فلما كان هلال الفطر جاز الجماز صاحب النوادر إلى ذلك الرجل . فدقّ عليه الباب فقال : قم أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

(376) قلت : وهذا الجماز هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء ابن ريان ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وهو ابن أخت سَلَمِ الخاسر ؛ قال السمعاني في حقه : كان خبيث اللسان حسن النادرة ، وكان أكبر من أبي نواس . وقيل في نسبه غير ذلك ، والجماز لقبه ، وهو بفتح الجيم وتشديد الميم وبعد الألف زاي . فمن نوادره أنه قال : أصبحت في يوم مطير ، فقالت لي امرأتي : أي شيء يطيب في هذا اليوم ؟ فقلت لها : الطلاق ، فسكتت عني . ودخل عليه يوماً بعضُ إخوانه وقد طبخ وغرّف الطعام ، فقال الداخِل : سبحان الله ما أعجب أسباب الرزق ! فقال الجماز : الحرمان والله أعجب منه ، امرأته طالق إن ذقتَه . وقال له السَّروِي الشاعر : ولدت امرأتي البارحة ولداً كأنه دينار منقوش ، فقال له الجماز : لاعينُ أمه . وللجماز شعر أيضاً ذكره في كتاب « الورقة » ، فمن ذلك ما كتبه إلى صاحب له ، وكان يلزم الجامع ثم انقطع عنه :

هجرتَ المسجدَ الجامعَ والهجرُ له ريبه

١ ورد منها في النسخ (٣ : ٥٨٠) بيتان نسبهما إلى الأمير القاسم الأموي يقولهما في أخيه عثمان ، وكذلك قال ابن حيان في المقتبس : ٢٠١ (تحقيق مكّي) وقال ابن الأيثار : وهو غلط لا خفاء به وإنما البيتان من قطعة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي أنشدهما ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس .

فلا نافلةٌ تأتي ولا تشهدُ مكتوبه
وأخبارك تأتينا على الأعلام منصوبه
فان زدت من الغيبــــــــــــــــة زدناك من الغيبه

ومنه أيضاً : قال أردشير : احملوا صولة الكريم إذا جاع ، والثلثم
إذا شبع ، واعلموا أن الكرام أصبر نفوساً ، والثلثم أصبر أجساماً .

قلت : هذا كله نقلته من « بهجة المجالس » وفيه كفاية فلا حاجة
إلى الإطالة .

وتوفي الحافظ أبو عمر المذكور يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع
الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، بمدينة شاطبة من شرق الأندلس . وقال
صاحبه أبو الحسن طاهر بن مفوّز المعافري ، وهو الذي صلى عليه : سمعت
أبا عمر ابن عبد البر يقول : ولدت يوم الجمعة والإمام يخطب لخمس بقين
من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى ، وقد تقدم
في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الحافظ أنه كان
حافظ الشرق ، وابن عبد البر حافظ الغرب ، وماتا في سنة واحدة ، وهما
إمامان في هذا الفن .

والنمري : بفتح النون والميم وبعدها راء ، هذه النسبة إلى النمر بن قاسط ،
بفتح النون وكسر الميم ، وإنما تفتح الميم في النسبة خاصة ، وهي قبيلة كبيرة
مشهورة . وقد تقدم الكلام على القرطبي وشاطبة ، فأغنى عن الإعادة .

وذكر أبو عمر المذكور أن والده أبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد البر
توفي في شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وثلثمائة ومولده سنة ثلاثين وثلثمائة،
رحمه الله تعالى .

(377) وكان ولده أبو محمد عبد الله بن يوسف^١ من أهل الأدب البارع

١ ترجمة أبي محمد ابن عبد البر الكاتب في الذخيرة (القسم الثالث : ٣٩) .

والبلاغة ، وله رسائل وشعر ، فمن شعره قوله :
لا تكثرنّ تأملا واحبس عليك عنان طرْفِكْ
فلربما أرسلتَه فرماك في ميدان حتفك
قيل إنه مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

٨٣٨

أبو محمد يوسف بن الحسن السيرافي

أبو محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي ،
النحوي اللغوي الأخباري ، الفاضل ابن الفاضل ، قد تقدم ذكر أبيه الحسن
في حرف الحاء ؛ كان أبو محمد المذكور عالماً بالنحو ، وتصدر في مجلس
أبيه بعد موته في التاريخ المذكور في ترجمته وخلفه على ما كان عليه ، وقد
كان يفيد الطلبة في حياة أبيه ، وأكمل كتاب أبيه الذي سماه « الإقناع »
وهو كتاب جليل نافع في بابيه ، فإن أباه كان قد شرح كتاب سيبويه - كما
تقدم في ترجمته - وظهر له بالاطلاع والبحث في حال التصنيف ما لم يظهر
لغيره ممن يعاني هذا الشأن ، وصنف بعد ذلك « الإقناع » فكانه ثمرة استفادته
حال البحث والتصنيف ، ومات قبل إتمامه فكملة ولده يوسف المذكور^٢ ،
وإذا تأمله المنصف لم يجد بين اللفظين والقصدين تفاوتاً كثيراً . ثم صنف
يوسف المذكور عدة كتب في شرح أبيات استشادات كتب مشهورة ،
مثل « شرح أبيات كتاب سيبويه » وهو الغاية في بابيه وبسطه ، و « شرح

٨٣٨- ترجمته في الجواهر المضية ٢ : ٢٢٦ و امرأة الجنان ٢ : ٤٢٩ و بنية الوعاة : ٤٢١

و معجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ .

١ انظر ج ٢ : ٧٨ .

٢ قال المعري : والبيداديون يحكون أن أبا سعيد السيرافي عمل من كتابه المعروف بالمقنع
أو الإقناع إلى باب التصنيف ، ثم توفي وأتمه بعده ولده أبو محمد (رسالة الففران : ٤١٦) .

أبيات إصلاح المنطق « وأجاد فيه ، و « شرح أبيات المجاز لأبي عبيدة وأبيات معاني الزجاج » و « شرح أبيات غريب المصنف » لأبي عبيد القاسم بن سلام ، إلى غير ذلك . وكانت كتب اللغة تقرأ عليه مرة روية ومرة دراية ، وقرأ عليه كتاب « البارع » للمفضل بن سلمة ، وهو كتاب كبير في عدة مجلدات هذب به كتاب « العين » في اللغة المنسوب إلى الخليل بن أحمد - المقدم ذكره^١ - وأضاف إليه من اللغة طرفاً صالحاً .

ونُقِلَ من ظهر نسخة بكتاب « إصلاح المنطق » ، قال أبو العلاء المعري : حدثني عبد السلام البصري خازن دار العلم ببغداد وكان لي صديقاً صدوقاً ، قال : كنت في مجلس أبي سعيد السيرافي وبعض أصحابه يقرأ عليه « إصلاح المنطق » لابن السكيت ، فمضى بيت حميد بن ثور^٢ :

ومطويةُ الأقربِ ، أما نهارُها فسببتُ ، وأما ليلُها فذميلُ
فقال أبو سعيد « ومطوية » أصلحه بالخفض ، ثم التفت إلينا فقال : هذه واو رُب ، فقلت : أطال الله بقاء القاضي ، إن قبله ما يدل على الرفع ، فقال : وما هو ؟ فقلت :

أتاك بيَّ الله الذي أنزل الهدى ونورُ وإسلامُ عليك دَلِيلُ
ومطويةُ الأقربِ ...

فعاد وأصلحه ، وكان ابنه أبو محمد حاضراً فتغير وجهه لذلك فنهض لساعته ووقته والغضبُ يستطيرُ في شمائله إلى دكانه ، وكان سماناً ، فباعها واشتغل بالعلم إلى أن برع فيه وبلغ الغاية ، فعمل « شرح إصلاح المنطق » . قال أبو العلاء : وحدثني مَنْ رآه وبين يديه أربعمئة ديوان ، وهو يعمل هذا الكتاب .

ولم يزل أمره على سداد واشتغال وإفادة إلى أن توفي ليلة الأربعاء لثلاث

١ انظر ج ٢ : ٢٤٤ .

٢ ديوان حميد : ١١٦ .

بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلثمائة ، وعمره خمس وخمسون سنة وشهور ، ودفن من الغد ، وصلى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي ، ذكر ذلك هلال بن المحسن ابن الصابي الكاتب في تاريخه . وقال غيره : مولده في سنة ثلاثين وثلثمائة ، وتوفي يوم الاثنين لثلاث بقين من الشهر المذكور ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

وكان ديناً صالحاً ورعاً متقشفاً ، وكان بينه وبين أبي طالب أحمد بن بكر العبدي النحوي - المقدم ذكره^١ - مباحث ومناظرات منقولة بين الناس ، وليس هذا موضع ذكرها .

وقد تقدم الكلام في ترجمة أبيه على السرافي فلا حاجة إلى إعادته ها هنا . وقال ابن حوقل في كتاب « المسالك والممالك »^٢ : سيرا فَرْضَة عظيمة لفارس ، وهي مدينة جليلة ، وأبنيتها ساج متصل إلى جبل يطل على البحر ، وليس بها ماء ولا زرع ولا ضَرْع ، وهي من أغنى بلاد فارس ، بالقرب من جنابة ونجيرم ، والله أعلم . ومن سيرا ف يَنْتَهِي الإنسان على ساحل البحر إلى حصن ابن عمارة ، وهو حصن منيع على نحر البحر ، وليس بجميع فارس حصن أَمْنَع منه . ويقال إن صاحبه هو الذي قال الله تعالى في حقه ﴿ وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (الكهف : ٧٩) .

وقال غير ابن حوقل : كان اسم هذا الملك الجُلُنْدَى ، بضم الجيم واللام وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها ألف ، وإليه أشار بعضهم يخاطب بعض الظلمة :

كَانَ الْجُلُنْدَى ظَالِمًا وَأَنْتَ مِنْهُ أَظْلَمُ

وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

١ ج ١ : ١٠١ .

٢ صورة الأرض : ٢٤٨ وفي النقل اختلاف .

يوسف النجيري

أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن خُرَزَّاذ النَجِيرمي ،
اللغوي البصري نزيل مصر ؛ هو من أهل بيت فيه جماعة من الفضلاء الأدباء
ما منهم إلا من هو ماهر في اللغة كامل الأدوات متقن لها . روى أبو يعقوب
المذكور عن أبي يحيى زكريا بن يحيى بن خلاد الساجي وطبقته ، وروى عنه
أبو الفضل محمد بن جعفر الخراعي وغيره .

وكان يوسف أمثل أهل بيته ، وله خط ليس بالجليد في الصورة ، وهو
في غاية الصحة ، وكذلك خطوط جماعته قريبة منه ، ولأهل مصر رغبة
وتنافس كثير في خطه ، حتى بلغت نسخة من «ديوان جرير» بخطه عشرة
دنانير ، وأكثر ما تروى الكتب القديمة في اللغة والأشعار العربية وأيام العرب
في الديار المصرية من طريقه ، فإنه كان راوية لها عارفاً بها . وكان أهل بيته
يرتزقون بمصر من التجارة في الخشب .

وكان أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعيدني النحوي المصري^١
قد أخذ اللغة من أصحاب أبي يعقوب المذكور ، وأدرك أبا يعقوب ولم يأخذ
عنه شيئاً لأنه رآه وهو صبي . قال الموفق أبو الحجاج يوسف بن الخلال
المصري كاتب الإنشاء - الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - قال لي ابن بركات :

٨٣٩- ترجمته في بغية الوعاة : ٤٢٥ والأنساب واللباب (النجيري) ، وعبر الذهبي ٢ : ٣٥٨
والشذرات ٣ : ٧٥ (وفي المصدرين الأخيرين أدرج في وفیات ٣٧٠ وهو بعيد عما
أثبت المؤلف) .

١ أثناء الرواة ٣ : ٧٨ والخريدة (قسم مصر) ٢ : ١٥٦ ومعجم الأدباء ١٨ : ٣٩ والوافي
٢ : ٢٤٧ والمحدثون : ١٦٧ .

رأيت أبا يعقوب وهو ماش في طريق القرافة ، وهو شيخ أسمر اللون كث اللحية مدور العمامة بيده كتاب وهو يطالع فيه في مشيته . وهذا الذي ذكره ابن بركات فيه نظر ، فان الحافظ أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله المعروف بالحبال ذكره في كتاب « الوفيات » الذي جمعه فقال : توفي أبو يعقوب بن خرزاذ النجيرمي يوم الثلاثاء رابع المحرم سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة . وقال غيره : ولد أبو يعقوب يوسف النجيرمي يوم عرفة من سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ؛ وابن بركات المذكور^١ ولد بمصر في سنة عشرين وأربعمائة وتوفي بها في سنة عشرين وخمسمائة وكان نحوي مصر ، هكذا قاله الموفق ابن الخلال المذكور ، فكيف يمكن أن يرى أبا يعقوب ، وقد كان ابن بركات في تاريخ وفاة النجيرمي في السنة الثالثة من عمره^٢ ، لكن لعله رأى ولده ، والله أعلم .

وقال القاضي الفاضل : ليس في شعر ابن بركات المذكور أحسن من هذين البيتين ، وعملهما في مسافر العطار :

يا عنقَ الإبريق من فضةٍ ويا قوامَ الغُصْنِ الرُّطْبِ
هَبْكَ تَجَافَيْتَ فَأَقْصَيْتَنِي تَقْدِرُ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ قَلْبِي ؟

وكان ابن بركات قد أخذ النحو عن ابن بابشاذ النحوي — المقدم ذكره في حرف الطاء^٣ — وذكره القاضي الرشيد بن الزبير في كتاب « الجنان » وأثنى عليه .

وخرزاذ : بضم الخاء المعجمة والراء المشددة وبعدها زاي وبعد الألف ذال معجمة . قلت : هكذا يضبط أهل الحديث هذا الاسم ، وهو لفظ أعجمي ، وتفسير زاذ بالعربي ابن ، وأما خُرَّ بتشديد الراء فليس له معنى ،

١ انظر الانبه ٣ : ٧٩ .

٢ قال القفطي نقلا عن ابن الخلال : وأدرك ابن خرزاذ ورآه وهو صبي فلم يهتد للأخذ عنه لصبوته .

٣ ج ٢ : ٥١٥ .

إلا أن يكون أهل العربية قد غيروه كما جرت عادتهم في ذلك ، فيكون أصله خار بالألف وهو الشوك فيكون خارزاذ معناه ابن الشوك ، وَخَرَشَيْذ أيضاً الشمس ، فان كانوا أرادوا هذا وحذفوا « شيد » فيحتمل ، وعلى الجملة فانهم يتلاعبون بالأسماء العجمية ، والله أعلم بالصواب .

ثم وجدت في كتاب « البلدان »^١ تأليف البلاذري في الفصل المتضمن حديث بلاد فارس وأعمالها أرض أردشير خره ثم قال : ومعنى أردشير خره ولد أردشير بها . قلت : وأردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الفرس كما هو مشهور بين الناس وعلى هذا يكون معنى خُرَزَاد: بها ولد ، كما هو عادتهم في التقديم والتأخير ، وتقدير الكلام ولد بها أي بالناحية أو غير ذلك ، والله أعلم .

والنجيرمي : بفتح النون وكسر الجيم ۞ سكّون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وفي آخرها ميم ، هذه النسبة إلى نجيرم ، ويقال نجارم ، قال أبو سعد السمعاني في كتاب « الأنساب » هي محلة بالبصرة ؛ وقال غيره : هي قرية في برّ البصرة في طريق فارس عند سيرا ف ، والله أعلم بالصواب . وكذا هي في كتب « المسالك والممالك » وهي على بحر فارس ، وظاهر الحال أن جماعة من أهلها دخلوا البصرة وسكنوا هذا المحلة ، فسميت باسم بلدهم ، والله أعلم .

١ فتح البلدان : ٧٦ ؛ وفي المطبوعة : ومعنى اردشير خره بهاء أردشير .

يوسف بن وهرة الهمداني

يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن وهرة ، أبو يعقوب الهمداني الفقيه العالم الزاهد الجليل^١ الرباني صاحب المقامات والكرامات ، قدم بغداد في صباه بعد الستين وأربعمائة ، ولازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي -المقدم ذكره^٢- وتفقه عليه حتى برع في أصول الفقه والمذهب والخلاف ، وسمع الحديث من القاضي أبي الحسين محمد بن علي ابن المهدي بالله وأبي الغنائم عبد الصمد بن علي بن المأمون ، وأبي جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة وطبقتهم ، وسمع بأصبهان وسمرقند ، وكتب أكثر ما سمعه ثم زهد في ذلك ورفضه ، واشتغل بالزهد والعبادة والرياضة والمجاهدة حتى صار علماً من أعلام الدين يهتدي به الخلق إلى الله تعالى .

وقدم بغداد في سنة خمس عشرة وخمسمائة وحدث بها ، وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية وصادف بها قبولا عظيماً من الناس ، قال أبو الفضل صافي بن عبد الله الصوفي الشيخ الصالح : حضرت مجلس شيخنا يوسف الهمداني في النظامية ، وكان قد اجتمع العالم فقيه يعرف بابن السقاء وآذاه وسأله عن مسألة ، فقال له الإمام يوسف : اجلس فاني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلك تموت على غير دين الإسلام؛ قال أبو الفضل :

٨٤٠ - ترجمته في المنتظم ١٠ : ٩٤ ومرآة الزمان : ١٨٠ ومرآة الجنان ٣ : ٢٦٤ وعبر

الذهبي ٤ : ٩٧ والشذرات ٣ : ١١٠ وطبقات الشيرازي ١ : ١٥٩ والأنساب واللباب

(البوزنجردي) والبدر السافر ، الورقة : ٢٣٩ والاسنوي ٢ : ٥٣١ .

١ الجليل : سقطت من : س ق ع ر .

٢ ج ١ : ٢٩ .

فاتفق أنه بعد هذا القول بمدة قدم رسول نصراني من ملك الروم إلى الخليفة ، فمضى إليه ابن السقاء وسأله أن يستصحبه وقال له : يقع لي أن أترك دين الإسلام وأدخل في دينكم ، فقبله النصراني ، وخرج معه إلى القسطنطينية والتحق بملك الروم ، وتنصر ومات على النصرانية .

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي في « تاريخ بغداد » في ترجمة يوسف الهمداني المذكور : سمعت أبا الكرم عبد السلام بن أحمد المقرئ يقول : كان ابن السقاء قارئاً للقرآن الكريم مجوداً في تلاوته ، حدثني من رآه بالقسطنطينية ملقىً على دكة مريضاً ، وببده خلقتُ مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه ، قال فسألته : هل القرآن باقٍ على حفظك ؟ فقال : ما أذكر منه إلا آية واحدة ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ (الحجر : ٢) والباقي أنسيته ، نعوذ بالله من سوء القضاء وزوال نعمته وحلول نقمته ، ونسأله الثبات على دين الإسلام ، آمين آمين .

قال أبو سعد ابن السمعي^١ : يوسف بن أيوب الهمداني من أهل بُوزْجَرْدَ . قرية من قرى همدان مما يلي الري ، الإمام الورع التقي المتسكع العامل بعلمه والقائم بحقه ، صاحب الأحوال والمقامات الجليلة ، وإليه انتهت تربية المريدين الصادقين ، واجتمع برباطه بمدينة مرو جماعة من المنقطعين إلى الله تعالى ما لا يتصور أن يكون في غيره من الربطِ مثلهم ، وكان من صغره إلى كبره على طريقة مرضية وسداد واستقامة ، خرج من قريته إلى بغداد ، وقصد الإمام أبا إسحاق الشيرازي وتفقه عليه ولازمه مدة مقامه ببغداد حتى برع في الفقه وفاق أقرانه خصوصاً في علم النظر ، وكان الشيرازي يقدمه على جماعة كثيرة من أصحابه مع صغر سنه ، لعلمه بزهده وحسن سيرته واشتغاله بما يعنيه . ثم ترك كل ما كان فيه من المناظرة وخلأ بنفسه ، واشتغل بما هو الأهم من عبادة الله تعالى ودعوة الخلق إليها وإرشاد الأصحاب

١ بنه وبين ما ورد في الأنساب بعض اختلاف .

إلى الطريق المستقيم ، نزل مرو وسكنها ، وخرج إلى هراة وأقام بها مدة ، ثم سئل الرجوع إلى مرو في آخر عمره فأجاب ورجع إليها ، وخرج إلى هراة ثانياً ، وعزم على الرجوع إلى مرو في آخر عمره وخرج منها متوجهاً إلى مرو ، فأدركته منيته بباميين بين هراة وبغشور في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ودفن ، ثم نقل بعد ذلك إلى مرو ، وكان مولده تقديراً لا تحقيقاً في سنة أربعين أو إحدى وأربعين وأربعمائة ببوزنجر ، رحمه الله تعالى .

قلت : هذا كله نقلته من تاريخ ابن النجار المذكور مقتضباً ، وفيه ألفاظ تحتاج إلى إيضاح .

أما وَهْرَة : فهو بفتح الواو والهاء والراء وفي آخره هاء ثانية ، وهو اسم جده المذكور ولا أعرف معناه بالعربي .

والقسطنطينية^١ : بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانية وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر النون وفتح الياء الثانية وفي آخرها هاء ساكنة ، وهي أعظم مدائن الروم ، بناها قسطنطين ملك الروم ، وهو أول من تنصر من ملوك الروم ، فنسبت المدينة إليه .

وأما بوزنجر : فهو بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والنون وكسر الجيم وسكون الراء وبعدها دال مهملة ، وهي قرية من قرى همذان على مرحلة منها مما يلي ساوة ، كذا قال أبو سعد السمعاني في كتاب «الأنساب»^٢ وأما مَرَوْ فقد تقدم الكلام عليها .

وأما باميين : بالباء الموحدة وبعدها ألف ميم مفتوحة ثم ياء مثناة من تحتها مكسورة وبعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون ، فهي بلدة بخراسان كما ذكرها .

١ ورد ضبطها ج ٢ : ٦٤

٢ انظر الأنساب ٢ : ٣٥٦ .

وهَرَآة قد تقدم الكلام عليها وأنها إحدى كراسي خراسان فلإنها أربعة :
نيسابور وهرة ومرو وبلخ .

وبغشور : بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم الشين المعجمة
وبعد الواو الساكنة راء ، وهي بليدة بخراسان أيضاً بين مرو وهَرَآة ، وقد
تقدم في ترجمة الحسين بن مسعود الفراء الفقيه البغوي أنه منسوب إليها .

٨٤١

الاعلم الشنتمري

أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي ، المعروف بالأعلم
من أهل شَنْتَمَرِيَّة الغرب ؛ رحل إلى قرطبة في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة
وأقام بها مدة ، وأخذ عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء الإفليلي
وأبي سهل الحراني وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب .

وكان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار ، حافظاً لجميعها ، كثير العناية
بها حسن الضبط لها مشهوراً بمعرفتها وإتقانها ، أخذ الناس عنه كثيراً ، وكانت
الرحلة في وقته إليه ؛ وقد أخذ عنه أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغسّاني
الحياني - المقدم ذكره ^١ - وغيره .

وكُفِّ بصره في آخر عمره؛ وشرح كتاب «الجمال» في النحو لأبي القاسم
الزجاجي ، وشرح أبيات الجمل في كتاب مفرد ، وساعد شيخه ابن الإفليلي
المذكور على شرح ديوان المتنبي ، وغالب ظني أنه شرح «الحماسة» فقد

٨٤١ - ترجمته في الصلة : ٦٤٣ ومجمع الأدباء ٢٠ : ٦٠ وبغية الوعاة ٤٢٢ وفهرست ابن

غير ، ونكت الهميان : ٣١٣ ومرآة الجنان ٣ : ١٥٩ .

١ ج ٢ : ١٨٠ .

كان عندي « شرح الحماسة » للشتمري في خمس مجلدات ، وقد غاب عني الآن من كان مصنفه ، وأظنه هو ، والله أعلم ، وقد أجاد فيه .

وتوفي سنة ست وسبعين وأربعمائة بمدينة إشبيلية من جزيرة الأندلس ، وكانت ولادته في سنة عشر وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

وذكر أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي خطيب جامعها ، قال : مات أبي أبو عبد الله محمد بن شريح يوم الجمعة منتصف شوال سنة ست وسبعين وأربعمائة ، فسرت إلى الشيخ الأستاذ أبي الحجاج الأعمش ، فأعلمته بوفاته فأنهما كانا كالأخوين حبة ووداداً ، فلما أعلمته انتحب وبكى كثيراً واسترجع ثم قال : لا أعيش بعده إلا شهراً ، فكان كذلك .

ورأيت بخط الرجل الصالح العالم محمد بن خير المقرئ الأندلسي ، رحمه الله تعالى ، أن أبا الحجاج المذكور إنما قيل له « الأعمش » لأنه كان مشقوق الشفة العليا شقاً فاحشاً . قلت : ومن كان مشقوق الشفة العليا يقال له أعلم ، والفعل الماضي منه علم بكسر اللام يعلم بفتحها علماً بفتحها أيضاً ، والمرأة علماً إذا كانت كذلك ، فان كان مشقوق الشفة السفلى يقال له أفلح ، بالفاء والحاء المهملة ، والفعل منه كما تقدم في الأعمش يقال : فلح بكسر اللام يفلح فلحاً بفتحها فيهما ، وهذه القاعدة مطردة في العيوب والعاهات كلها أن تكون عين الفعل الماضي مكسورة وفي المضارع والمصدر مفتوحة تقول خرّس يخرّس خرساً ، وبرّص يبرّص برصاً ، وعمي يعمي عمى ، وكذلك جميعه ، واسم الفاعل منه على أفعل مثل أخرس وأبرص وأعمى ، وكذلك أعلم وأفلح .

(378) وكان أبو يزيد سهيل بن عمرو القرشي العامري رضي الله عنه أعلم ، فلما أسر يوم بدر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم : دعني أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً ، قال صلى الله عليه وسلم : دعه فعسى أن يقوم مقاماً تحمده ، وكان سهيل من الخطباء الفصحاء

البلغاء ، وهو الذي جاء في صلح الحديبية وعلى يده انبرم الصلح ، ثم لأنه أسلم وحسن إسلامه . والمقام الذي وعد به صلى الله عليه وسلم لسهيل هو أنه لما قبض صلى الله عليه وسلم كان سهيل بمكة فارتدت جماعة من العرب وحصل عندهم اختلاف ، فقام سهيل خطيباً وسكّن الناس ومنعهم من الاختلاف فكان هذا هو المقام المحمود . وقول عمر رضي الله عنه : « دعني أنزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً » فإنما قال ذلك لأنه إذا كان مشقوق الشفة العليا ونزعت ثنيته تعذر عليه الكلام إلا بمشقة وكلفة ، فهذا الذي قصده عمر رضي الله عنه .

وكان عنزة بن شداد العبسي الفارس المشهور أفلح ، فكان يقال له الفلحاء لفلحة كانت به ، وإنما ذهبوا به إلى تأنيث الشفة ، والله أعلم .

وشتمرية^١ : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها والميم وكسر الراء وبعدها ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة ، وهي مدينة بالأندلس في غربها .

والحديبية : بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبعدها ياء ساكنة مثناة من تحتها ثم باء موحدة مكسورة ثم ياء ثانية مفتوحة وفي آخرها هاء ساكنة ، وهو موضع بين مكة والمدينة كانت به بيعة الرضوان ، ويروى بتشديد الياء الأخيرة أيضاً .

١ شتمرية الغرب (Santa Maria de Algarve) تسمى اليوم فارو (Faro) وتقع في المنطقة الجنوبية من البرتغال .

بهاء الدين عرف بابن شداد

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عُتْبَةَ بن محمد بن عَتَّاب الأسدي ، قاضي حلب ، المعروف بابن شداد ، الملقب بهاء الدين ، الفقيه الشافعي ؛ توفي أبوه وهو صغير السن ، فنشأ عند أخواله بني شداد فنسب إليهم ، وكان شداد جده لأمه ، وكان يكنى أولاً أبا العز ، ثم غير كنيته وجعلها أبا المحاسن كما ذكرته .

ولد بالموصل ليلة العاشر من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وحفظ بها القرآن الكريم في صغره ، ثم قدم الشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي - المقدم ذكره -^١ إلى الموصل فلأزمه وقرأ عليه بالطرق السبع ، وأتقن عليه فن القراءات . قال أبو المحاسن المذكور في بعض تواليفه : أول من أخذت عنه شيخي الحافظ صائغ الدين أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام بن محمد الأزدي القرطبي ، رحمه الله تعالى ، فاني لازمت القراءة عليه إحدى عشرة سنة ، فقرأت عليه معظم ما رواه من كتب القراءات ، وقراءة القرآن العظيم ، ورواية الحديث وشروحه ، والتفسير ، حتى كتب لي خطه ، شهد لي بأنه ما قرأ عليه أحد أكثر مما قرأت ، وعندي خطه بجميع ما قرأت عليه في قريب من كراسين ، وفهرست ما رواه جميعه عندي وأنا أرويه عنه . ومما يشتمل عليه فهرست البخاري ومسلم من عدة طرق ، وغالب كتب

٨٤٢ - ترجمته في غاية النهاية ٢ : ٣٩٥ وذيل الروضتين : ١٦٣ وابن الوردي ٢ : ١٦٠ ومرتآ الجنان ٤ : ٨٢ وعبر الذهبي ٥ : ١٣٢ والشذرات ٥ : ١٥٨ والبدر السافر ، الورقة ٢٤١ والزركشي ٣ : ٣٧٧ وابن انشعار ١٠ : ٣٤٩ والاسنوي ٢ : ١١٥ والأنس الجليل ٢ : ٤٤٧ وطبقات السبكي ٥ : ١٥١ وابن قاضي شعبة : ١٧٩ .

١ انظر ج ٦ : ١٧١

الحديث ، وغالب كتب الأدب وغيره ، وآخر روايتي عنه « شرح الغريب »
لأبي عبيد القاسم بن سلام ، قرأته عليه في مجالس ، آخرها في العشر الأخير
من شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة - قلت : وهي السنة التي مات فيها
الشيخ القرطبي ، حسبما ذكرته في ترجمته .

(379) ثم قال : ومنهم الشيخ أبو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف
بأبن الشيرجي^١ ، سمعت عليه بعض تفسير الثعلبي ، وأجازني أن أروي عنه
جميع ما رواه على اختلاف أنواع الروايات ، وكتب لي خطه بذلك في
فهرست سماعي مؤرخاً بخامس جمادى الأولى سنة ست وستين وخمسمائة ،
وكان مشهوراً بعلمي الحديث والفقه ، ولي قضاء البصرة ودرس بالآتابكية
القديمة ، يعني بالموصل .

(380) ومنهم الشيخ مجتهد الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن
عبد القاهر الطوسي الخطيب بالموصل ، وهو مشهور بالرواية حتى يقصد لها من
الآفاق ، وعاش نيافاً وتسعين سنة - قلت : وكانت ولادة أبي الفضل ابن
الطوسي الخطيب المذكور في منتصف صفر سنة سبع وثمانين وأربعمائة ببغداد
بباب المراتب ، وتوفي ليلة الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان
وسبعين وخمسمائة بالموصل ، ودفن بمقبرة باب الميدان ، رحمه الله تعالى .

رجعنا إلى تمة كلام أبي المحاسن ابن شداد :

وسمعت عليه - يعني على الخطيب المذكور - كثيراً من مسموعاته ،
وأجاز لي جميع ما رواه في السادس والعشرين من رجب ، سنة ثمان وخمسين
وخمسمائة .

ومنهم القاضي فخر الدين أبو الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهير زوري ،
سمعت عليه مسند الشافعي رضي الله عنه ، ومسند أبي عوانة ، ومسند أبي
يعلى الموصلي ، وسنن أبي داود ، وكتب لي خطه بذلك . وهو في فهرستي .

١ ترجمة ابن الشيرجي في الاسنوي ٢ : ١١٠ والسبكي ٤ : ٢٣٤ .

وسمعت عليه « الجامع » لأبي عيسى الترمذي . وأجاز لي رواية ما رواه . وكتب لي خطه بذلك في شوال سنة سبع وستين وخمسمائة .

(381) ومنهم الحافظ مجد الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الأشيري الصنهاجي ، أجاز لي جميع ما يرويه على اختلاف أنواعه ، وفي فهرستي خطه بذلك مؤرخاً بشهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وفهرسته عندي بذلك — قلت : توفي أبو محمد عبد الله الأشيري المذكور في شوال سنة إحدى وستين وخمسمائة بالشام ، ودفن ببعلبك رحمه الله تعالى ظاهر باب حمص شمالي البلد .

ومنهم الحافظ سراج الدين أبو بكر محمد بن علي الجلياني^١ ، قرأت عليه « صحيح مسلم » من أوله إلى آخره بالموصل . و « الوسيط » للواحد ، وأجاز لي رواية ما يرويه في تاريخ سنة تسع وخمسين وخمسمائة .

فهذه أسماء من حضر في خاطري . وقد سمعت من جماعة لم يحضروا روايتهم عند جمع هذا الكتاب ، كشهدة الكاتبة في بغداد وأبي المغيث في الحربية ، والشيخ رضي الدين القزويني المدرس بالنظامية وجماعة شذت عني طرقهم ، فلم أذكرهم ، إذ كان في هؤلاء غنية ؛ هذا آخر ما ذكره عن نفسه .

وقال غيره : إنه قرأ الفقه على أبي البركات عبد الله ابن الشيرجي المذكور فقيه الموصل ، وكان عالماً زاهداً متقشفاً ، وتوفي في جمادى الأولى سنة أربع وسبعين وخمسمائة بالموصل ودفن بظاهرها .

ثم اشتغل بالخلاف على الضياء ابن أبي حازم صاحب محمد بن يحيى الشهيد النيسابوري . ثم باحث في الخلاف متفني أصحابه . كالفخر النوقاني والبروي والعماد النوقاني والسيف الخواري والعماد المياجي .

ثم انحدر إلى بغداد بعد التأهل التام ونزل بالمدرسة النظامية وترتب فيها

١ ترجمة الجلياني في التكملة : ٥٠٠ والنسخ ٢ : ٥٨ .

معيداً بعد وصوله إليها بقليل ، وأقام معيداً نحو أربع سنين ، والمدرس بها يوم ذاك أبو نصر أحمد بن عبد الله بن محمد الشاشي . وكانت ولاية ابن الشاشي المذكور التدريس بالنظامية في شهر ربيع الآخر من سنة ست وستين وخمسمائة ، وعزل عنها في سابع شهر رجب سنة سبع وستين . وتولاها بعده رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل القزويني في التاريخ المذكور ، وأبو المحاسن المذكور مستمر بها على الإعادة . وكان رفيقه في الإعادة السديد محمد السلماسي - وقد تقدم ذكره^١ - ثم أصعد إلى الموصل في سنة سبع وستين فترتب مدرساً في المدرسة التي أنشأها القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري - المقدم ذكره^٢ - ولازم الاشتغال . وانتفع به جماعة .

وله كتاب في الأقضية سماه « ملجأ الحكام عند التباس الأحكام » ذكر في أوائله أنه حج في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وزار البيت المقدس والحليل عليه أفضل الصلاة والسلام ، بعد الحج والزيارة للرسول صلى الله عليه وسلم . ثم دخل دمشق والسلطان صلاح الدين محاصر قلعة كوكب . فذكر أنه سمع بوصوله فاستدعاه إليه . فظن أنه يسأله عن كيفية قتل الأمير شمس الدين ابن المقدم^٣ . فإنه كان أمير الحاج في تلك السنة من جهة صلاح الدين . وقتل على جبل عرفات لأمر يطول شرحه . وليس هذا موضع ذكره . فلما دخل عليه ذكر أنه قابله بالإكرام التام . وما زاد على السؤال عن الطريق . ومن كان فيه من مشايخ العلم والعمل . وسأله عن جزء من الحديث ليسمعه عليه . فأخرج له جزءاً جمع فيه أذكار البخاري . وأنه قرأه عليه بنفسه . فلما خرج من عنده تبعه عماد الدين الكاتب الأصفهاني وقال له : السلطان

١ ج ٤ : ٢٣٧ .

٢ ج ٤ : ٢٤١ .

٣ هو محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم ، اختلف مع طاش تكبر أمير الحاج العراقي عام ٥٨٣ حول الافاضة من عرفات قبله . فلم يستجب ابن المقدم له فهجم العراقيون على الحاج الشاميين وفتكوا فيهم ، وجرح ابن المقدم وهو يكف الناس عن القتال (انظر 'بن الأثر ١١ : ٥٥٩ - ٥٦١) .

يقول لك : إذا عدت من الزيارة وعزمت على العود تعرفنا بذلك فلنا إليك مُهِم ، فأجابه بالسمع والطاعة . فلما عاد عرفه بوصوله فاستدعاه ، وجمع له في تلك المدة كتاباً يشتمل على فضائل الجهاد وما أعد الله سبحانه وتعالى للمجاهدين ، يحتوي على مقدار ثلاثين كراسة ، فخرج إليه واجتمع به على بُقِيعَة حصن الأكراد ، وقدم له الكتاب الذي جمعه ، وقال : إنه كان عزم على الانقطاع في مشهد بظاهر الموصل إذا وصل إليها .

ثم إنه اتصل بخدمة صلاح الدين في مستهل جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وخمسمائة . ثم ولاة قضاء العسكر والحكم بالقدس الشريف .

ولما كنتُ متولي الحكم بدمشق المحروسة جاءني في بعض شهور سنة ست وستين وستمائة إسجالٌ قد ثبت مضمونه عند القاضي أبي المحاسن المذكور . وهو يومئذ قاضي العسكر الصلاحي ، وقد انقطع ثبوته بموت شهوده ، فتعذر إثباته عندي لذلك ، وتأملتُه إلى آخره ، لأنني استغربتُه ، فقد كان شيخنا وأخذنا عنه كثيراً وحصل الانتفاع بصحبته .

عدنا إلى بقية ما ذكره أبو المحاسن المذكور — فقال : إنه كان قد حضر إلى خدمة صلاح الدين في صحبة شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل والقاضي محيي الدين ابن الشهرزوري لما وصلا إليه في رسالة ، واتفق في تلك الدفعة وفاة البهاء الدمشقي المدرس — كان — بمصر في مدرسة منازل العز وخطيب مصر . وأن صلاح الدين عرض عليه تدريس المدرسة المذكورة فلم يفعل ، وأنه حضر عند السلطان دفعة ثانية في رسالة من الموصل وهو على حران . وكان صلاح الدين مريضاً يومئذ .

وذكر أنه لما توفي صلاح الدين كان حاضراً . وتوجه إلى حلب لجمع كلمة الإخوة أولاد صلاح الدين وتحليف بعضهم لبعض . وأن الملك الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين صاحب حلب كتب إلى أخيه الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين صاحب دمشق . يطلبه منه . فأجابه إلى ذلك . فأرسله الظاهر إلى مصر لاستحلاف أخيه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح

الدين ، وعرض عليه الظاهر الحكم بحلب فلم يوافق على ذلك ، فلما عاد من هذه الرسالة كان القاضي بحلب قد مات ، فعرض عليه فأجاب ، هكذا ذكره في كتابه « ملجأ الحكام » .

وذكر القاضي كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم في تاريخه الصغير الذي سماه « زبدة الحلب في تاريخ حلب » ما مثاله : وفي سنة إحدى وتسعين ، يعني وخمسمائة ، اتصل القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بخدمة الملك الظاهر ، وقدم إليه إلى حلب وولاه قضاءها ووقوفها ، وعزل عن قضائها زين الدين أبا البيان نبا ابن البانياسي . نائب محيي الدين ابن الزكي ، وحل عنده بهاء الدين في رتبة الوزارة والمشاورة ؛ انتهى كلامه .

قلت : وهذا القاضي نبا هو ابن الفضل بن سليمان الحميري ، يعرف ببتهم بدمشق ببيت البانياسي ، وكان السلطان صلاح الدين قد ولي القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن الزكي الدمشقي — المقدم ذكره^١ — القضاء بحلب فاستتاب فيها زين الدين نبا ابن البانياسي المذكور ، واستمر بها إلى التاريخ المذكور .

وكانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس ، وليس بها من العلماء إلا نفر يسير ، فاعتنى أبو المحاسن المذكور بترتيب أمورها وجمع الفقهاء بها ، وعمرت في أيامه المدارس الكثيرة . وكان الملك الظاهر قد قرر له إقطاعاً جيداً يحصل منه جملة مستكثرة ، ولم يكن له خراج كثير ، فانه لم يولد له ولا كان له أقارب ، فتوفر له شيء كثير ، فعمر مدرسة بالقرب من باب العراق قبالة مدرسة نور الدين محمود بن زنكي ، رحمه الله تعالى ، الشافعية . ورأيت تاريخ عمارتها مكتوباً على سقف مسجدتها ، وهو الموضع المعد لإلقاء الدروس ، وذلك في سنة إحدى وستمائة . ثم عمر في جوارها داراً للحديث النبوي، وجعل بين المكانين تربة برسم دفنه فيها، ولها بابان: باب إلى المدرسة

وباب إلى دار الحديث ، وشباكان إلى الجهتين ، وهما متقابلان بحيث إن الذي يقف في أحد المكانين يرى من يكون في المكان الآخر .

ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من البلاد وحصل بها الاشتغال والاستفادة ، وكثر الجمع بها .

وكان بين والدي ، رحمه الله تعالى ، وبين القاضي أبي المحاسن المذكور موافقة كثيرة وصحبة صحيحة المودة من زمن الاشتغال بالموصل ، فبحث إليه ، وكان أخي قد سبقني بمدة قليلة ، وكتب سلطان بلدنا الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ، رحمه الله تعالى - المقدم ذكره في حرف الكاف^١ - كتاباً بليغاً في حقنا يقول فيه: أذنت تعلم ما يلزم من أمر هذين الولدين ، وأنهما ولدا أخي وولدا أخيك ، ولا حاجة مع هذا إلى تأكيد وصية ، وأطال القول في ذلك ، ففضل القاضي أبو المحاسن وتلقانا بالقبول والإكرام وأحسن حسب الإمكان وعمل ما يليق بمثله ، وأنزلنا في مدرسته ورتب لنا أعلى الوظائف ، وألحقنا بالكبار ، مع الشبيبة في السن والابتداء في الاشتغال - وقد تقدم في ترجمة الشيخ موفق الدين ابن يعيش النحوي تاريخ دخولي إلى حلب فأغني عن الإعادة^٢ - ولم نزل عنده إلى أن توفي في التاريخ الآتي ذكره ، ولم يكن بمدرسته في ذلك الزمان درس عام ، لأنه كان المدرس بنفسه ، وكان قد طعن في السن وضعف عن الحركة وحفظ الدروس وإلقائها ، فرتب أربعة من الفقهاء الفضلاء برسم الإعادة ، والجماعة يشتغلون عليهم . وكنت أنا وأخي نقرأ على الشيخ جمال الدين أبي بكر الماهاني ، لأنه كان من بلدنا ، ورفيق والدنا في الاشتغال عند الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس - المقدم ذكره^٣ - فمات في ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمائة . وقد نيف على ثمانين سنة ، فترددت إلى الشيخ نجم الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلية الفقيه

١ ج ٤ : ١١٣ . ٢ انظر هذا الجزء : ٥٢

٣ ج ٤ : ٢٥٣ .

الإمام ، وهو إذ ذاك مدرس المدرسة السيفية ، فقرأت عليه من أول كتاب «الوجيز» للغزالي إلى الإقرار .

وعلى الجملة فقد خرجنا عما نحن بصده بسبب اتصال الكلام .

وكان القاضي أبو المحاسن المذكور بيده حل الأمور وعقدها ، لم يكن لأحد معه في الدولة كلام ، وكان سلطانها الملك العزيز أبا المظفر محمد بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين ، وهو صغير السن ، تحت حجر الطواشي شهاب الدين أبي سعيد طغرل ، وهو أتابكه ومتولي تدبير الدولة بإشارة القاضي أبي المحاسن لا يخرج عنهما شيء من الأمور .

وكان للفقهاء في أيامه حرمة تامة ورعاية كبيرة خصوصاً جماعة مدرسته فإنهم كانوا يحضرون مجالس السلطان ويفطرون في شهر رمضان على سِمَاطه ، وكنا نسمع عليه الحديث ونتردد إليه في داره فقد كانت له قبة تختص به ، وهي شتوية لا يجلس في الصيف والشتاء إلا فيها ، لأنّ الهرم كان قد أثر فيه حتى صار كفرخ الطائر من الضعف ، لا يقدر على الحركة للصلاة وغيرها إلا بمشقة عظيمة ؛ وكانت النزلات تعثره في دماغه فلا يفارق تلك القبة ، وفي الشتاء يكون عنده منقّلٌ كبير عليه من الفحم والنار شيء كثير ، ومع هذا كله فلا يزال مزكوماً وعليه الفرجية البرطاسي^١ والثياب الكثيرة ، وتحت الطّراحة الوثيرة فوق البسط ذوات الحماثل الشخينة ، بحيث إنا كنا نجد عنده الحرّ والكرب ، وهو لا يشعر به لكثرة استيلاء البرودة عليه من الضعف . وكان لا يخرج لصلاة الجمعة إلا في شدة القيظ ، وإذا قام إلى الصلاة بعد الجهد يكاد يسقط ، ولقد كنت أنظر إلى ساقيه إذا وقف للصلاة وكأنهما عودان رقيقان لا لحم عليهما . وكان عقيب صلاة الجمعة يسمع المصلون عنده الحديث عليه . وكان يعجبه ذلك . وكان حسن المحاضرة جميل المذاكرة . والأدب غالب عليه . وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه :

إن السلامة من ليسلى وجارتها أن لا تمر على حال بناديا

١ نسبة إلى برطاس شمالي بحر قزوين .

وكان يتمثل أيضاً كثيراً بقول صرّدر الشاعر — المقدم ذكره في حرف العين^١ — وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة وهو :

وعهودهم بالرمل قد نُقِضَتْ وكذلك ما يُبْنَى على الرملِ
فأنشده في بعض الأيام ، فقال له بعض أصحابنا الحاضرين : يا مولانا قد استعمل ابن المعلم العراقي هذا المعنى استعمالاً مليحاً ، فقال : ابن المعلم هو أبو الغنائم ؟ فقال : نعم ، فقال : صاحبنا كان ، كيف قال ؟ فأنشده :

نقضوا العهودَ ، وحقّ ما يُبْنَى على رملِ اللوى بيدِ الهوى أن يُنْقَضَا
فقال : ما أقصر ، ولقد تلطّف في قوله « بيدِ الهوى » ، فقال له : يا مولانا وقد استعمله في قصيدة أخرى ، فقال : هات ، فأنشده :

ولم يُبْنِ على الرملِ فكيف انتقضَ العهدُ

فاستحسنه . وكان كثيراً ما ينشد أبيات أبي الفوارس سعد بن محمد المعروف بِحَيْصَ بَيْصَ — المقدم ذكره^٢ — وكان يقول إنه سمعها منه ويرويها عنه ، وقد تقدّم ذكرها في ترجمة الحيص بيص ، فأغنى عن الإعادة ، وأولها :
لا تَضَعْ من عظيمٍ قدر وإن كنت مُشاراً إليه بالتعظيم
وكان يقول : أنشدني القاضي الفاضل لبعضهم ، ونحن نزول على قلعة صفد :

قلتُ للترلة لما أن ألتُ بلهاتي
بحياتي خلّ حلقي فهو دهليزُ حياتي

قلت : هذان البيتان منسوبان إلى ابن الهبّارية — المقدم ذكره^٣ — والله أعلم^٤ .

١ ج ٣ : ٣٨٥ ، وانظر ديوان صرّدر : ١٥٥ .

٢ ج ٢ : ٣٦٢ .

٣ ج ٤ : ٤٥٣ .

٤ وكان يقول أنشدني ... أعلم : سقط من س .

وكان كلما نظر إلى نفسه على تلك الحال من الضعف والعجز عن القيام والقعود والصلاة وسائر الحركات ، ينشد :

من يتمنّ العمر فليدّرّع صبراً على فقد أحبائه
ومن يُعَمِّر يسر في نفسه ما يتمناه لأعدائه

ثم وجدت هذين البيتين للظهير أبي إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر ، قاضي السلامة المقدم ذكره في هذا الكتاب^١ ، والله أعلم ؛ ذكر ذلك صاحبنا الكمال ابن الشعار الموصلي في كتابه « عقود الجمان » في ترجمة الظهير المذكور^٢ . وهذا ينظر إلى قول أبي العلاء المعري^٣ :

تدعو بطول العمر أنفسنا لمن تنساهى القلب في ودّه
يسرّ إن مدّ بقاء له وكلّ ما يُكره في مسده

والأصل في هذا قول لبيد بن ربيعة العامري^٤ :

كانت قناتي لا تلين لغامزٍ فألأنها الإصباحُ والإساءُ
ودعوتُ ربي بالسلامة جاهداً ليُصِحّحتي فاذا السلامة داءُ

ودخل عليه يوماً رجل من أهل الغرب يقال له أبو الحجاج يوسف ، وكان قريب العهد ببلاده ، ورد حلب في تلك الأيام ، وكان فاضلاً في الأدب والحكمة ، فلما رآه على تلك الهيئة من الهزال والنحافة أنشده :

لو يعلمُ الناسُ ما في أن تعيش لهم بكوا لأنك من ثوب الصبا عاري
ولو أطاقوا انتقاصاً من حياتهم لما قدّوك بشيء غير أعمار

١ ج ١ : ٣٧ .

٢ انظر ابن الشعار ١ : ٢٨ .

٣ شروح السقط : ١٠٠٨ .

٤ هو من المنسوب له ، انظر ديوانه : ٣٦٠ - ٣٦١ ؛ وفي المختار : قول الآخر .

٥ ثم وجدت ... داء : سقط من س .

فأعجبه ذلك ودمعت عيناه وشكر له .

وقال لي بعض أصحابنا: سمعته يوماً وهو يحكي للجماعة الحاضرين عنده ، قال : لما كنا في المدرسة النظامية ببغداد اتفق أربعة خمسة من الفقهاء المشتغلين على استعمال^١ حبّ البلاذر^٢، لأجل سرعة الحفظ والفهم ، فاجتمعوا ببعض الأطباء ، وسألوه عن مقدار ما يستعمل الإنسان منه وكيف يستعمله ثم اشتروا القدر الذي قال لهم الطبيب وشربوه في موضع خارج عن المدرسة ، فحصل لهم الجنون ، وتفرقوا وتشتتوا ولم يعلم ما جرى عليهم ، وبعد أيام جاء إلى المدرسة واحد منهم ، وكان طويلاً ، وهو عريان ليس عليه شيء يستر عورته ، وعلى رأسه بقيار كبير له عذبة طويلة خارجة عن العادة ، وقد ألقاها وراءه فوصلت إلى كعبه، وهو ساكت عليه السكينة والوقار لا يتكلم ولا يعيثر ، فقام إليه مَنْ كان حاضراً من الفقهاء وسألوه عن الحال ، فقال لهم : كنا قد اجتمعنا وشربنا حبّ البلاذر ، فأما أصحابي فانهم جنوا وما سلم منهم إلا أنا وحدي ، وصار يظهر العقل العظيم والسكون ، وهم يضحكون منه وهو لا يشعر بهم ، ويعتقد أنه سالم مما أصاب أصحابه ، وهو على تلك الحالة لا يفكر فيهم ولا يلتفت إليهم .

وأخبرني جماعة مما كانوا عنده قبل وصولنا إليه أنه قدم عليه الأديب نظام الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن مسعود القيسي القرطبي المعروف بابن خروف الشاعر المعروف ، فكتب إليه رسالة ، وفي أولها أبيات يستجديه فروة قرّظ ، وهي :

بهاء الدين والدنيا	ونور المجدي والحسب
طلبتُ مخافة الأنوا	من نعماك جلدَ أبي
وفضلك عالمٌ أني	خروفٌ بارعُ الأدب
حلبتُ الدهرَ أشطره	وفي حلبٍ صفا حلبي

١ المختار : شرب .

٢ اسمه العلمي : Semecarpus anacardium

« ذو الحسب الباهر ، والنسب الزاهر ، يسحب ذبول سِيَرَاء السَّراء ،
ويحب النَّحَاة من أجل الفراء ، ويمن على الخروف النيه ، يجلد أبيه ، قانيء
الصباغ ، قريب عهد بالدباغ ، ما ضل طالبُ قرظله ولا ضاع ، بل ذاع
ثناء صناعه وضاع ، أثيث خمائل الصوف ، يهزأ من الرياح بكل هوجاء
عصوف ، إذا طَهَّرَ إهابه ، يخافه البرد ويهابه ، ما في الثياب له ضريب ،
إذا نزل الجليد والضريب ، ولا في اللباس له نظير ، إذا عري من ورقه
الغصن النضير ، لا كطيلسان ابن حرب ، ولا جلد عمرو الممزق بالضرب ،
كأنه من جلد حمل الجرباء ، الذي يراعي البدر والنجم ، لا من جلد السخلة
الجرباء التي ترعى الشجر والنجم ، فَرَجِي النوع ، أَرَجِي الضوع ، ليكون
تارة لحافاً وتارة بُرداً ، وهو في الخالين يحى حراً ويميت برداً ، لا زال
مهديه سعيداً ، ينجز للأولياء وعداً وللأعداء وعيداً ، إن شاء الله تعالى ،
والسلام » .

قلت : وقد ذكرت في ترجمة أبي الفتح محمد سبط ابن التعاويني^١ رسالة
كتبها إلى عماد الدين الكاتب الأصفهاني - المقدم ذكره^٢ - يطلب منه فروة
قرظ^٣ أيضاً ، وكل واحدة من الرسالتين بديعة في بابها .

وفي هذه الرسالة كلام يحتاج إلى إيضاح ، وهو قوله « لا كطيلسان
ابن حرب » وهو مثل مشهور بين الأدباء ، فإذا كان الشيء بالياً شبهوه
بطيلسان ابن حرب ، ولذلك سبب لا بد من ذكره ، وهو أن أحمد بن حرب
ابن أخي يزيد المهلبي أعطى أبا علي إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه
البصري الحمدوي^٤ ، الشاعر الأديب ، طيلساناً خليعاً ، فعمل فيه الحمدوي
مقاطيع عديدة ظريفة سارت عنه وتناقلتها الرواة ، فمن ذلك قوله من أبيات^٥ :

١ انظر ج ٤ : ٤٧٢ .

٢ ترجمة العماد في ج ٥ : ١٤٧ . ٣ س : قرض .

٤ له ترجمة في الجزء التاسع من الوافي وطبقات ابن المعتز : ٣٧١ والأغاني ١٢ : ٦١ (ط . دار
الكتب) .

٥ أكثر هذه القطع وردت عند الصفدي ، وبعضها في طبقات ابن المعتز .

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً
طالَ تردّاده إلى الرفو حتى
وقوله أيضاً من أبيات :

لقد حالف الرفاء حتى كأنه
وقوله أيضاً :

يا ابن حرب كسوتني طيلسانا
فإذا ما رفوته قال سبّحا
وقوله أيضاً :

يا ابن حرب أطلت وترى برفوى
فهو في الرفو آل فرعون في العرّ
وله فيه أيضاً :

رأيت طيلسانك يا ابن حرب
إذا الرفاء أصلح منه بعضاً
يسلم صاحبي فيقدّ شبراً
أجبل الطرف في طرفه طولاً
فلست أشك أن قد كان دهرأ
وقد غنيت إذ أبصرت منه
« قفي قبل التفريق يا ضباعا

وقال فيه أيضاً ، وكتبها إلى بعض الرؤساء :

دعني أبكي كسوتي إذ ودّعت
يا ابن الحسين أما ترى درّاعي

١ الصفدي وابن المعتز : فقري .

ملّ من صحبة الزمان فصداً
لو بعثناه وحده لتهدي

يحاول منه أن يعلمه الرفوا

أحلت الأزمان فهو سقيم
نك محبي العظام وهي رميم

طيلساناً قد كنت عنه غنيا
ضّر على النار بكرة وعشيا

يزيدُ المرءُ ذا الضعة اتضاعاً
تداعى بعضه الباقي انصداعاً
به وأقدّ في ردّي ذراعاً
وعرضاً ما أرى إلا رقاعاً
لنوح في سفينته شراعاً
بقاياها على كفتي تداعى
ولا يكُ موقفُ منكِ الوداعا »

فلأزمن على البكا إذ أزمعت
سملاً تردّت بالبلى وتدرّعت

فيها من التمزيق ما لو أنه
تحكي تحرق طيلساني لإنها
لا فرج الرحمنُ عنه إنه
فلتحمد اللهَ الجبالُ فانها
مرّت بها ريح الصبا لتقشعت
منه تعلمت البلى فتضعضت
أعدى ثيابي كلها فتقطعت
لو قارنته تخشعت وتصدّعت
وله فيه أيضاً :

يا ابن حرب كسوتي طيلسانا
مات رفاؤه ومات بنوه
يزرعُ الرفوُ فيه وهو سباحُ
وبدا الشيبُ في بنهم وشاخوا
وقال فيه أيضاً :

طيلسانُ لو كان لفظاً إذن ما
فهو كالطور إذ تجلى له
كسَم رفوناه إذ تمزقَ حتى
شكّ خلّقوُ في أنه يهتانُ
الله فدُكّت قواه والأركان
بقي الرفوُ وانقضى الطيلسان
وله فيه أيضاً :

يا ابنَ حرب لني أرى في زوايا
طيلسانُ رفوته ورفوتُ الرفو منه وقد رقتُ رقاعه
فأطاع البلى فصار خليعاً
فإذا سائلُ رأني فيه
بيتنا مثلَ من كسوت جماعه
ليس يعطي الرّفاء في الرفو طاعه
ظن أني فني من اهل الصنّاعه
وله فيه أيضاً :

قل لابن حرب طيلسا
هو طيلسانُ لم يزلُ
فإذا العيونُ لحظنه
يسودي إذا لم أرفه
كالكلب إن تحملُ عليه الدهرَ أو تركهُ يلهثُ
نكّ قومُ نوحٍ منه أحدثُ
عمن مضى من قبلُ يورثُ
فكأنه باللحظ يُحرثُ
فلإذا رفوتُ فليس يلبثُ
عليه الدهرَ أو تركهُ يلهثُ

ويقال إنه عمل في هذا الطيلسان مائتي مقطوع ، في كل مقطوعة معنى بديع .

وكان الأصل الذي حمل الحمدوي المذكور على عمل هذه المقاطيع ، أنه وقف على أبيات عملها أبو حُمران السلمي ، بضم الحاء المهملة ، في طيلسانه ، وكان قد أخلق حتى بلي ، فقال فيه :

يا طيلسانَ أبي حمران قد برمت منك الحياةُ فما تلتذُّ بالعُمُرِ
في كلِّ يومين رفاء يحسده هيهات ينفعُ تجديدٌ مع الكبر
إذا ارتداهُ لعيدٍ أو لجمعة تنكب الناسَ لا يبلى من النظر

وهذا البيت الثالث أخذه من قول النظام ، بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة ، أبي إسحاق إبراهيم بن سيار البلخي المتكلم المعتزلي في وصف غلام رقيق البشرة :

رقّ فلو بُسِزَتْ سرايله عُلَّقَهُ الجوّ من اللطفِ
يجرحه الناسُ بالحاظهم ويشكي الإيماءَ بالكفِّ

وأنشدني بعض الأدباء بمدينة الموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة في هذا المعنى لبعض الشعراء :

توهمها طرفي فأصبح خدّها وفيه مكان الوهم من نظري أثرُ
وصافحها قلبي فأدمى بسانها فمن لمس قلبي في أناملها عقرُ

وأنشدني الشيخ أيدمر الصوفي المسمّى إبراهيم لنفسه دوبيت في هذا المعنى :

كلّفتُ صَبَاَ العراقِ لما خَطَرْتُ أن تحملَ لي نحيبةً ما قدرت
قالتُ لي خيفستي على وجنته إن جزتُ بها جرحتها فاعتذرت

ولبعض الأدباء الفقراء من جملة أبيات شكا فيها رقة حاله وورثته ثيابه ، ما يقرب من هذا المعنى ، وهو قوله :

ولي ثيابٌ رثاءٌ لستُ أغسلها أخافُ أعصرها تجري مـح الماء

وقد قيل في هذا المعنى شيء كثير . والاختصار أولى والله أعلم .
وأما قوله : ولا جلد عمرو الممزق بالضرب ، فيريد قول النحاة :
ضرب زيداً عمراً ، فإنهم أبدأ يستعملون هذا المثال ولا يمثلون بغيره ، فكأنهم
يمزقون جلده بكثرة الضرب .

عدنا إلى ما كنا عليه :

وكان القاضي أبو المحاسن المذكور يسلك طريق البغادة في ترتيبهم
وأوضاعهم وحتى إنه كان يلبس ملبوسهم ، والرؤساء الذين يترددون إليه
كانوا ينزلون عن دوابهم على قدر أقدارهم ، لكل واحد منهم مكان معين
لا يتعداه .

ثم إنه تجهز إلى الديار المصرية لإحضار ابنة الملك الكامل ابن الملك العادل
للملك العزيز صاحب حلب ، وكان قد عُقدَ نكاحه عليها ، فسافر في أول
سنة تسع وعشرين أواخر سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وعاد وقد جاء بها
في شهر رمضان من السنة . ولما وصل كان قد استقل الملك العزيز بنفسه
ورفعوا عنه الحجر ، ونزل الأتابك طُغْرُلُ من القلعة إلى داره تحت القلعة .
واستولى على الملك العزيز جماعة من الشباب الذين كانوا يعاشره ويجالسونه .
فاشتغل بهم ، ولم ير القاضي أبو المحاسن وجهاً يرتضيه ، فلازم داره إلى
حين وفاته ، وهو باقٍ على الحكم وإقطاعه جارٍ عليه ، غاية ما في الباب
أنه لم يبق له حديث في الدولة ، ولا كانوا يراجعونه في الأمور ، فصار يفتح
بابه لإسماع الحديث كل يوم بين الصلاتين ، وظهر عليه الخرف بحيث
إنه صار إذا جاءه الإنسان لا يعرفه ، وإذا عاد قام يسأل عنه ولا يعرفه .
واستمر على هذه الحال مُدَيَّدةً ، ثم مرض أياماً قلائل وتوفي يوم الأربعاء
رابع عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، رحمه الله تعالى ، بحلب . ودفن
في التربة المقدم ذكرها ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه وما جرى بعد ذلك .

وصنف كتاب « ملجأ الأحكام عند التباس الأحكام » يتعلق بالأقضية
في مجلدين ، وكتاب « دلائل الأحكام » تكلم فيه على الأحاديث المستنبط

منها الأحكام ، في مجلدين ، وكتاب « الموجز الباهر » في الفقه ، وغير ذلك ، وكتاب « سيرة صلاح الدين ابن أيوب » ، رحمه الله تعالى .

وجعل داره خانقاه للصوفية ، لأنه لم يكن له وارث ، ولازم الفقهاء والقراء تربته مدة طويلة ، يقرأون عند قبره . وكان قد قرر قدام كل واحد من الشباكين المذكورين للذين للتربة سبعة قراء ، وكان غرضه أن يقرأ عنده كل ليلة ختمة كاملة ، فكان كل واحد من القراء الأربعة عشر يقرأ نصف سبع بعد صلاة العشاء الآخرة . وفارقت حلب متوجهاً إلى الديار المصرية في الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة ، والأمور جارية على هذه الأوضاع ، ثم بعد ذلك تغيرت تلك الأمور وانتقضت قواعدها وزال جميع ذلك على ما بلغني .

(382) وتوفي الشيخ نجم الدين ابن الحليز المذكور في السابع من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وستمائة بحلب ، ودفن ظاهرها خارج باب أربعين ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه ، رحمه الله تعالى . وكان مولده في التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وخمسمائة بالموصل .

(383) وتوفي الأتابك شهاب الدين طغرل المذكور ليلة الاثنين الحادية عشرة من محرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بحلب ، ودفن بمدرسته الحنفية خارج باب أربعين ، وكان خادماً أرمني الجنس أبيض ، حسن السيرة محمود الطريقة ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه ، رحمه الله تعالى .

(384) وتوفي أبو الحسن ابن خروف^١ الأديب المذكور بحلب في سنة أربع وستمائة متردياً في جُب^٢ .

١ أبو الحسن ابن خروف شاعر قرطبي روى عن مشيخة بلده ثم رحل وحج وجاور بالقدس ثم قفل من رحلته الأولى إلى الأندلس ثم عاد إلى المشرق فاستوطن حلب وتوفي فيها (راجع ترجمته في صلة الصلة ١١٤ والتكملة رقم : ١٨٩٤ وزاد المسافر (رقم : ٦) والذيل والتكملة ٥ : ٣٩٦ وصفحات متفرقة من نفح الطيب ، وهو غير ابن خروف النحوي ؛ وقال ابن عبد الملك إنه توفي في نحو العشرين وستمائة ؛ وانظر الفصول البانعة : ١٣٩

٢ عند نهاية هذه الترجمة انتهى ما اختاره ابن المؤلف وهو بعلبك ، يوم الاثنين سابع صفر سنة ٧٠٢ وما بعده نقله بدمشق .

يوسف بن عمر الثقفي

أبو عبد الله يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي — وقد تقدم ذكر بقية نسبه في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي ، فإنه ابن ابن عم الحجاج ، يجتمعان في الحكم بن أبي عقيل ؛ قال خليفة بن خياط : ولي هشامُ بن عبد الملك يوسفَ بن عمر اليمن ، فقدمها لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست ومائة ، فلم يزل والياً بها حتى كتب إليه هشام في سنة عشرين ومائة بولايته على العراق ، فاستخلف على اليمن ابنه الصلت بن يوسف .

وقال البخاري : كانت ولاية يوسف بن عمر العراق سنة إحدى وعشرين ومائة إلى سنة أربع وعشرين . وقال غيره : لما أراد هشام بن عبد الملك صرفَ خالد بن عبد الله القسري عن العراق ، كان قد جاءه رسول يوسف ابن عمر الثقفي من اليمن ، فدعا هشام بالرسول وقال له : إن صاحبك قد تعدى طوره وسأل فوق قدره ، وأمر بتخريق ثيابه وضربه أسواطاً ، وقال له : امض إلى صاحبك ، فعل الله به وصنع ، ودعا بسالم اليمامي مولى سالم بن عنبسة بن عبد الملك ، وكان على ديوان الرسائل وقال له : اكتب إلى يوسف ابن عمر ، بشيء أمره به ، واعرض الكتاب علي ، فمضى سالم ليكتب ما أمره به ، وخلا هشام بنفسه ، وكتب كتاباً صغيراً بخطه إلى يوسف بن عمر

٨٤٣ - أخباره في المصادر التاريخية المتصلة بخلافة هشام بن عبد الملك ، مثل الطبري والمسمودي (المروج والتنبية والإشراف) والأخبار الطوال للدينوري والعيون والحدايق وأنساب الأشراف للبلاذري ... الخ .

وفيه : « سر إلى العراق فقد وليتك إياه ، وإياك أن يعلم بك أحد ، واشتفني من ابن النصرانية ، يعني خالداً ، ومن عماله » وأمسك الكتاب بيده ، وحضر سالم بالكتاب الذي كتبه وعرضه عليه ، فغافله وجعل الكتاب الصغير في طيته ، وختمه ودفعه إلى سالم وقال له : ادفعه إلى رسول يوسف ، ففعل ذلك ، وانفصل الرسول . فلما وصل إلى يوسف قال له : ما وراءك ؟ قال : الشر ، أمير المؤمنين ساخط عليك ، وقد أمر بتخريق ثيابي وضربي ، ولم يكتب جواب كبتك ، وهذا كتاب بخط صاحب الديوان ، ففرض الكتاب وقرأه ، فلما بلغ إلى آخره وقف على الكتاب الصغير ، فاستخلف ابنه الصلت وسار إلى العراق .

وقد كان يخلف سالماً الكاتب على ديوان الرسائل بشير بن أبي طلحة من أهل الأردن ، وكان فطناً ، فلما وقف على ما كان من هشام قال : هذه حيلة ، وقد ولي يوسف بن عمر العراق ، فكتب إلى عياض عامل أجمة سالم ، وكان واداً له : إن أهلك قد بعثوا إليك بالثوب اليماني ، فاذا أتاك فالبسه واحمد الله تعالى ، وأعلم طارقاً بذلك ، وكان عامل خالد بن عبد الله القسري على الكوفة وما يليها . ثم ندم بشير على ما كان منه فكتب إلى عياض : إن القوم قد بدا لهم في البعثة إليك بالثوب اليماني ، فعرف عياض أيضاً طارقاً بذلك ، فقال طارق : الخبر في الكتاب الأول ، ولكن صاحبك ندم وخاف أن يظهر أمره ، وركب من ساعته إلى خالد فخبّره الخبر ، فقال له : فما ترى ؟ قال : أرى أن تركب من ساعتك هذه إلى أمير المؤمنين ، فإنه إذا رآك استحيا منك وزال شيء إن كان في نفسه عليك ، فلم يقبل ذلك ، فقال له : فتأذن لي أن أصير إلى حضرته وأضمن له مال جميع هذه السنة ؟ قال : وما مبلغ ذلك ؟ قال : مائة ألف ألف درهم ، وآتيك بعهدك قال : ومن أين هذه الأموال ؟ والله ما أملك عشرة آلاف درهم ، فقال : أتحمّل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم - وكان سعيد يتقلد سقي الفرات - والزبيني وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف درهم ونفرك الباقي على باقي العمال ، فقال له : إني إذاً للثيم أن أسوغ قوماً شيئاً ثم أرجع عليهم

به ، فقال له : إنما نقيك ونقي أنفسنا ببعض أموالنا ، وتبقى النعمة عليك وعلينا بك ونستأنف طلب الدنيا ، خيرٌ من أن نطلبَ بالأموال ، وقد حصلت عند تجار أهل الكوفة فيتقاعسوا عنا ويتربصوا بنا فقتل وتذهب أنفسنا ، وتحصل الأموال لهم يأكلونها ، فأبى خالد ذلك عليه ، فودعه وقال : هذا آخر العهد بك . ووافاهم يوسف بن عمر ، فمات طارق في العذاب ، ولقي خالد وجميع عماله كل شر ، ومات منهم في العذاب بشراً كثير ، وكان ما استخرج يوسف من خالد وأسبابه تسعين ألف ألف درهم .

قلت : وقد تقدم طرف من خبر خالد بن عبد الله القسري في ترجمته^١ ، فتطلب منه ، وقد تقدم في ترجمة عيسى بن عمر الثقفي النحوي ذكر يوسف ابن عمر المذكور ، وما جرى له معه في الوديعة^٢ .

وقال أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتابه أنساب الأشراف وأخبارهم : « إن هشام بن عبد الملك كان قد تغير على خالد بن عبد الله القسري أمير العراق لأمر نقلت عنه ، فحقد عليه ، منها : كثرة أمواله وأملاكه ؛ ومنها : أنه كان يطلق لسانه في حق هشام بما يكرهه ، وغير ذلك من الأسباب ، فعزم على عزله وأخفى ذلك . وكان يوسف بن عمر الثقفي عامله على اليمن ، فكتب هشام إليه بخطه يأمره أن يقبل في ثلاثين من أصحابه إلى الكوفة ، وكتب مع الكتاب بعهدته على العراق ، فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة في سبعة عشر يوماً ، فعمرس قريباً منها ، وقد ختن طارق خليفة خالد القسري على الخراج ولدته ، فأهدي إليه ألف عتيق وألف وصيف وألف وصيفة سوى المال والثياب وغير ذلك ، فجاء رجل إلى طارق فقال له : إني رأيت قوماً أنكروهم وزعموا أنهم سفّار . وصار يوسف بن عمر إلى دور بني ثقيف ، فأمر بعض الثقفيين ، فجمع له من قدر عليه من مضر ، ففعل ، فدخل يوسف المسجد مع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة فقال : حتى يأتي الإمام ،

١ انظر ج ٢ : ٢٢٦ .

٢ انظر ج ٣ : ٤٨٨ .

فانتهره ، فأقام ، وتقدم يوسف فصلى ، وقرأ ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ (الواقعة : ١) ﴿ سأل سائل ﴾ (المعارج : ١) ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما فأخذوا وإن القدور لتغلي .

وقال أبو عبيدة : حبس يوسف خالداً ، فصالحه أبان بن الوليد عنه وعن أصحابه على تسعة آلاف ألف درهم ، ثم ندم يوسف . وقيل له لو لم تقبل هذا المال لأخذت منه مائة ألف ألف درهم ، فقال : ما كنت لأرجع عن شيء رهنت به لساني . وأخبر أصحاب خالد خالداً فقال : أسأتم حين أعطيت . هـ هذا المال في أول وهلة ، ما يؤمنني أن يأخذها ثم يرجع عليكم ؟ فارجع إليه ، فأتوه فقالوا : إنا أخبرنا خالداً بما فارقتك عليه من المال . فذكر أنه ليس عنده ، فقال : أنتم أعلم وصاحبكم ، فأما أنا فلا أرجع عليكم وإن رجعت لم أمنعكم . قالوا : فإننا قد رجعنا ، قال : فوالله لا أرضى بتسعة آلاف [ألف] ، ولا بمثلها ومثلها ، فذكر ثلاثين ألف ألف . ويقال مائة ألف ألف .

وقال أشرس مولى بني أسد ، وكان تاجراً ليوسف بن عمر : أنا كتاب هشام ، فقرأه يوسف ، فكُتِّمنا ما فيه وقال : أريد العمرة ، فخرج وأنا معه ، واستخلف ابنه الصلت على اليمن ، فما كلم أحداً منا بكلمة واحدة حتى انتهى إلى العُدَيْبِ فأناخ وقال : يا أشرس أين دليلك ؟ فقلت : هوذا ، فسأله عن الطريق ، فقال : هذه طريق المدينة وهذه طريق العراق ، فقلت : والله ما هي بأيام عمرة ، فلم يتكلم حتى أناخ بين الحيرة والكوفة في بعض الليل ، ثم استلقى على ظهره ورفع إحدى رجله على الأخرى وقال :

فما لبثتنا العيسُ أن قسدتُ بنا نوى غربةٍ والعهدُ غيرُ قديمٍ

ثم قال : يا أشرس : ابغني إنساناً أسأله ، فأتيته برجل فقال : سله عن ابن النصرانية ، يعني خالداً القسري . فقلت : ما فعل خالد ؟ قال : في الحمة ، اشتكى فخرج إليها ، فقال : سله عن طارق ، فقال : ختن بنه فهو يطعم الناس بالحيرة ، وخليفته عطية بن مقلاص يطعم الناس بالكوفة ،

قال : خل عن الرجل. ثم ركب فأناخ بالرحبة ، ودخل المسجد فصلى يوسف ثم استلقى على ظهره ، فمكثنا ليلاً طويلاً ، ثم جاء المؤذنون وزياد بن عبيد الله الحارثي يومئذ على الكوفة خليفة لخالد ، فأذنوا ثم سلموا ، وخرج زياد فأقيمت الصلاة ، فذهب زياد ليتقدم فقال يوسف ، يا أشرس نَحْتِه ، فقلت : يا زياد تأخر ، الأمير ، فتأخر زياد وتقدم يوسف ، وكان حسن القراءة فصيحاً ، فقرأ ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ ﴿ وسال سائل بعذاب واقع ﴾ فصلى الفجر ، وتقدم القاضي فحمد الله وأثنى عليه ودعا للخليفة وقال : ما اسم أميركم ؟ فأخبر ، فدعا له بالصلاح ، فما تفرق أهل الصلاة حتى جاء الناس ، ولم يرح يوسف حتى بعث إلى خالد وإلى أبان بن الوليد بفارس ، وإلى بلال بن أبي بردة بالبصرة ، وإلى عبد الله بن أبي بردة بسجستان ، وأمر هشام أن تعزل عمال خالد جميعهم ، إلا الحكم بن عوانة ، وكان على السند ، فأقره حتى قتل هو وزيد بن علي في يوم واحد ، قتله ناكهتر .

ولما أتى خالد قيل له : الأمير يوسف ، قال : دعوني من أميركم ، أحي هو أمير المؤمنين ؟ قيل نعم ، فقال : لا بأس علي . فلما قدم بخالد على يوسف حبسه ، وضرب يزيد بن خالد ثلاثين سوطاً ، فكتب هشام إلى يوسف : أعطي الله عهداً لئن شأكت خالداً شوكة لأضربن عنقك ، فخل سبيله بشقه وعياله ، فأتى الشام فلم يزل مقيماً به يغزو الصوائف حتى مات هشام .

وقيل إن يوسف استأذن هشاماً في بسط العذاب على خالد فلم يأذن له ، حتى ألح عليه بالرسل واعتل بانكسار الخراج لما صار إليه وإلى عماله منه ، فأذن له فيه مرة واحدة وبعث حرسياً يشهد ذلك ، وحلف لئن أتى على خالد أجله ليقتلنه به ، فدعا به يوسف وجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس ، وبسط عليه العذاب ، فلم يكلمه خالد حتى شتمه يوسف وقال : يا ابن الكاهن ، يعني شقاً أحد أجداد خالد وهو الكاهن المشهور - قلت : كما تقدم في ترجمة خالد - قال فقال له خالد : إنك لأحمق ، تعبرني بشرفي ، لكنك ابن السبأ ، إنما كان أبوك يسبأ الخمر - قلت : معناه يبيع الخمر - قال : ثم رد خالداً إلى محبسه فأقام ثمانية عشر شهراً ، ثم كتب إليه هشام

بأمره بتخليه سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومائة ، وخرج خالد ومعه جماعة من أهله وغيرهم حتى أتى القرية ، وهي من أرض الرصافة ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر ، لا يأذن له هشام في القدوم عليه .

قال الهيثم بن عدي : وخرج زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على يوسف بن عمر ، فكتب يوسف إلى هشام : إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً ، حتى كانت همة أحدهم قوت يومه ، فلما ولي خالد العراق قواهم بالأموال حتى تأقت أنفسهم إلى طلب الخلافة ، وما خرج زيد إلا باذن خالد ، وما مقامه بالقرية إلا لأنها مدرجة الطريق ، فهو يسأل عن أخباره ، فقال هشام للرسول : كذبت وكذب صاحبك ، ومهما اتهمنا به خالداً فانا لا نتهمه في طاعته ، وأمر بالرسول فوجئت عنقه ، وبلغ الخبر خالداً فصار إلى دمشق .

وقال أبو الحسن المدائني : أمر يوسف بن عمر ببلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وكان بلال عامل خالد القسري على البصرة ، فعذب ، فضمن ثلثمائة ألف درهم ، وأخذ منه كفلاء ، فأخفرهم وهرب إلى الشام ، فيقال إن غلامه أراد أن يشتري له دراجاً فعرف ، ويقال بل سَوَى له غلامه دراجاً فأحرقه ، فضربه فسمع به ، فأتي به يوسف بن عمر ، فأمر به فأقيم في الشمس فقال : أدنوني من أمير المؤمنين فله علي ما طلب ، فأني ورده إلى يوسف فعذبه حتى قتله ، وقال أخوه عبد الله بن أبي بردة للسجان : ارفع اسمي في الموتى فرفعه ، فقال يوسف : أرنيه ميتاً ، فغمته السجان حتى مات ؛ ويقال بل كان بلال الذي سأل السجان رفع اسمه في الموتى^١ ، والمقتول في العذاب عبد الله ، والله أعلم بذلك . وقال يونس النحوي : ما قتل بلالاً إلا دهاؤه ، سأل السجان أن يرفع اسمه في الموتى

١ زاد في المختار : ويعطيه مالا فرفع اسمه في الموتى .

ويعطيه مالا ، فقال يوسف : اعرض الموتى علي ، فغمه حتى مات وعرضه عليه ميتاً .

وقال المدائني : ولي يوسف بن عمر صالح بن كُريز ولاية ، فخرجت عليه ثلاثون ألفاً فحبس بها ، وبلال بن أبي بردة يومئذ محبوس ، فقال له بلال : إنَّ على العذاب سالماً ، ويلقب رتبيل ، فأياك أن تقول له رتبيل ، فانه يكره ذلك ، وجعل بلال يردد عليه القول في ذلك ، فعذبه سالم ، فنسي اسمه وكنيته وجعل يقول له : يا رتبيل اتق الله ، يا رتبيل اتق الله ، وكرر عليه القول في ذلك من ألم العذاب ، وهو يقول اقتل ، من غيظه عليه ، فلما خفي عنه قال له بلال : ألم أنك عن رتبيل ؟ فقال : وهل أوقعني في رتبيل غيرك !! أنا ما كنت أعرف رتبيل لولا أنت ، وما تدع شرك في سراء ولا ضراء .

وقال المدائني أيضاً : كان على شُرطِ يوسف بن عمر العباس بن سعد المري ، وكان كاتبه قحذم بن سليمان بن ذكوان وزيد بن عبد الرحمن مولى ثقيف ، وعلى حرسه وحجابه جندب ، وفيه يقول الشاعر :

أنا أميرٌ شديد النكال لحاجبٍ حاجبهٍ حاجبٌ

وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : بلغني أن يوسف بن عمر كان قد أخذ مع آل الحجاج بن يوسف الثقفي ليعذب ، ويطلب منه المال ، فقال : أخرجوني لأسأل ، فدفع إلى الحارث بن مالك الجهمضي يطوف به ، وكان مغفلاً ، فأنتهى به إلى دار لها بابان ، فقال يوسف : دعني أدخل هذه الدار فإن فيها عمة لي أسألتها ، فأذن له ، فدخل وخرج من الباب الآخر وهرب ، وذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك . وكان يوسف يسلك طرائق ابن عم أبيه الحجاج بن يوسف في الصرامة والشدة في الأمور وأخذ الناس بالمشاق ، ولم يزل على ذلك إلى حين عزله .

وذكر عمر بن شبة النميري في كتاب « أخبار البصرة » أن يوسف بن عمر وزن درهماً فنقص حبة ، فكتب إلى دور الضرب بالعراق فضرب

أهلها . فأحصي في تلك الحبة مائة ألف سوط ضربها الناس . وكان يوسف مذموماً في عمله أخرق سيء السيرة ، وكان جواداً ، فكان يطعم الناس على خمسمائة خَوَان ، أقصاها وأدناها سواء ، يأكل منها الشامي والعراقي ، وعلى كل خوان فُرُنيَّة عليها السكر ، فنقد السكر من فُرنية ، فتكلم أهلها ، فضرب الحجاز ثلثمائة سوط والناس يأكلون ، فكان الحجاز يتخذ الخرائط فيها السكر ، فكلما نقد زادوا .

وروى الحكم بن عوانة الكلبي عن أبيه قال : لم يؤيد الملك بمثل كلب ، ولم تُعلَّ المناير بمثل قريش ، ولم تطلب الترات بمثل تميم ، ولم تُرْعَ الرعايا بمثل ثقيف ، ولم تسد النغور بمثل قيس ، ولم تُهَجَّ الفتن بمثل ربيعة ، ولم يُجَبَّ الخراج بمثل اليمن .

وقال الأصمعي : قال يوسف بن عمر لرجل ولاء عملاً : يا عدو الله ، أكلت مال الله ، فقال له : فمال من آكل منذ خلقتُ وإلى الساعة ؟ والله لو سألتُ الشيطانَ درهماً واحداً ما أعطانيه .

وكان يوسف بن عمر قد استعمل على خراسان نصر بن سيار الليثي ، وبقي إلى آخر أيام بني أمية ، وقضاياه ووقائعه مع أبي مسلم الخراساني مشهورة في مواضعها ، وفيه وفي يوسف يقول سوار بن الأشعر :

أضحتُ خراسانُ بعد الخوفِ آمنةً من ظُلمِ كل غشوم الحكمِ جبارٍ
لما أتى يوسفُ أخبارُ ما لقيتُ اختارَ نصرأها ، نصرَ بن سيارٍ

وقال سماك بن حرب : بعث إليّ يوسف بن عمر وهو أمير العراق ، أنّ عاملاً لي كتب إليّ : إني قد زرعت لك كل خُلقٍ وُلُق ، فما هما ؟ فقلت : إن الخُلقَ : ما اطمأن من الأرض ، واللُق : ما ارتفع منها ، انتهى كلامه ، قلت : وذكر الجوهري في كتاب « الصحاح » : أن الخلق الغدير ، إذا جف وتقلع ، واللُق : الشق المستطيل ، وقيل : الخلق حفرة غامضة في الأرض ، والحق : بضم الحاء المعجمة وتشديد القاف ، واللُق : بضم اللام وتشديد القاف ، والله أعلم .

وكان يوسف بن عمر من أعظم الناس لحية ، وأصغرهم قامة ، كانت لحيته تجوز سرتة .

وكان يُضرب به المثل في التّيه والحمق ، ذكر ذلك حمزة الأصبهاني في كتاب « الأمثال » ، فقال : قولهم « أتيه من أحرق ثقيف » هو يوسف ابن عمر ، كان أتيه وأحرق عربيّ أمرؤنهيّ في دولة الإسلام ، فمن حمقه أن حجّاماً أراد أن يحجمه فارتعدت يده ، فقال لحاجبه : قل لهذا البائس ، لا تخف ، وما رضي أن يقول له بنفسه . وكان الخياط إذا أراد أن يفصل ثيابه ، فإن قال : يحتاج إلى زيادة ثوب آخر ، أكبرمه وحبّاه ، وإن فضل شيء أهانه وأقصاه ، لأنه يكون قد نبه على قصره ودمامته .

واستمر يوسف على ولاية العراق بقية مدة هشام بن عبد الملك ، فلما توفي في يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة بالرصافة من أرض قنسرين وبها قبره ، وكان عمره خمساً وخمسين سنة ، وقيل أربعاً وخمسين ، وقيل اثنتين وخمسين سنة ، والله أعلم ، وكنيته أبو الوليد ، تولى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعده فأقر يوسف ابن عمر على ولايته بالعراق . وقتل الوليد المذكور يوم الخميس لليتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وكان قد عزم على عزل يوسف ابن عمر وتولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي .

وكانت أم الوليد بن يزيد المذكور أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف ، فالحجاج عمها ، فكتب الوليد إلى يوسف بن عمر : إنك قد كنت كتبت إليّ تذكر أن خالد بن عبد الله القسّريّ أخرب العراق ، وكنت مع ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل ، وينبغي أن تكون قد عمرت البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه ، فاشخص إلينا وصدق ظننا بك فيما تحمله إلينا بعمارتك البلاد حتى نعرف فضلك على غيرك لما بيننا وبينك من القرابة ، فانك خالناً وأحق الناس بالتوفير علينا ، وقد علمت ما زدنا لأهل الشام في العطاء ، وما وصلنا أهل بيتنا به لحفوة هشام لإياهم ، حتى أضّر ذلك بيوت الأموال ؛

فخرج يوسف بن عمر بنفسه إلى الوليد بن يزيد وحمل من الأموال والامتنعة والآنية ما لم يُحْمَل من العراق مثله، فقدم وخالد بن عبد الله القسري محبوس، فلقبه حسان النبطي ليلاً وأخبره أن الوليد قد عزم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج، وأنه لا بد له من إصلاح أمر وزرائه، فقال يوسف: ليس عندي شيء، فقال له حسان: عندي خمسمائة ألف درهم فإن شئت فهي لك، وإن شئت فارددها إذا تيسرت، فقال له يوسف: أنت أعلم بالقوم ومنازلهم من الوليد، ففرقها على قدر علمك فيهم، ففعل، فقدم يوسف والقوم يعظمونه، وقرر يوسف بن عمر مع أبان بن عبد الرحمن النميري أن يشتري خالد بن عبد الله القسري بأربعين ألف ألف درهم، فقال الوليد ليوسف، ارجع إلى عملك، فقال أبان له: ادفع إليّ خالداً وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم، فقال الوليد، ومن يضمن عنك هذا المال؟ فقال: يوسف، فقال ليوسف: أتضمن عنه؟ فقال يوسف: ادفعه إليّ فأنا أستاذيه خمسين ألف ألف درهم، فدفعه إليه، فحمله في حمل بغير وطاء، وقدم به إلى العراق فقتله، كما شرحته في ترجمته.

ولما قتل الوليد بن يزيد وتولى بعده ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأطاعه أهل الشام وانبرم له الأمر، ندب لولاية العراق عبد العزيز بن هارون ابن عبد الملك بن دحية بن خليفة الكلبي، فقال له عبد العزيز: لو كان معي جند لقبلت، فتركه وولاه منصور بن جمهور. وأما أبو مخنف فإنه قال: قتل الوليد بن يزيد بالبخراء في التاريخ المذكور، وببيع يزيد بن الوليد بدمشق، وسار منصور بن جمهور من البخراء في اليوم الذي قتل فيه الوليد إلى العراق، وهو سابع سبعة، فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب، وقدم منصور بن جمهور الحيرة في أيام خلت من رجب، فأخذ بيوت الأموال وأخرج العطاء لأهل العطاء والأرزاق، وولى العمال بالعراق، وأقام بقية أيام رجب وشعبان ورمضان، وانصرف لأيام بقيت منه.

ولما هرب يوسف بن عمر سلك طريق السماوة حتى أتى إلى البلقاء فاستخفى بها، وكان أهله مقيمين فيها، فلبس زي النساء وجلس بينهن،

وبلغ يزيد بن الوليد خبره فأرسل إليه من يحضره ، فوصلوا إليه فوجدوه بعد أن فتشوا عليه كثيراً جالساً على تلك الهيئة بين نسائه وبناته ، فجاء به في وثاق ، فحبسه يزيد عند الحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد ، وكان يزيد ابن الوليد قد حبسهما عند قتله أباهما في الخضراء ، وهي دار بدمشق مشهورة قبليّ جامعها وقد خربت الآن ومكانها معروف عندهم . ثم إن يزيد بن الوليد عزل منصور بن جمهور عن ولاية العراق وولاهما عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فأقام يوسف بن عمر في السجن بقية مدة يزيد بن الوليد إلى أن مات في ذي الحجة على الخلاف الكثير فيه : هل مات في أول الشهر أو في عاشره أو بعد العاشر أو في سلخ ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائة ، وجعل ولي عهده أخاه إبراهيم بن الوليد ، ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك . واستمر يوسف بن عمر في سجنه مدة ولاية إبراهيم بن الوليد ، فجاء مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية بأهل الجزيرة الفراتية وقنسرين وغلب على الأمر وخلع إبراهيم بن الوليد وتولى مكانه ، وقتل عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك ، وكانت ولاية إبراهيم أربعة أشهر ، وخلع في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل كانت ولايته سبعين يوماً لا غير ، وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري مع إبراهيم بن الوليد .

فلما ظهر أمر مروان بن محمد والتقى عسكره وعسكر إبراهيم ، وهرب عسكر إبراهيم ودخلوا دمشق ، ومروان وراءهم ، خافت جماعة إبراهيم أن يدخل مروان فيخرج الحكم وعثمان ابني الوليد من السجن ويجعل لهما الأمر فلا يستبقيا أحداً ممن أعان على قتل أبيهما ، فأجمع رأيهم على قتلهما ، فأرسلوا يزيد بن خالد القسري ليتولى ذلك ، فانتدب يزيد المذكور مولى أبيه ، وهو أبو الأسد ، في جماعة من أصحابه ، فدخلوا السجن وشدخوا الغلامين بالعمد وأخرجوا يوسف بن عمر فضربوا عنقه ، لكونه قتل خالد ابن عبد الله القسري والد يزيد المذكور — كما شرحناه في ترجمة خالد — وذلك في سنة سبع وعشرين ومائة ، وهو ابن نيف وستين سنة . ولما قتل أخذوا رأسه عن جسده وشدوا في رجله حبلاً ، فجعل الصبيان يحرقونه

في شوارع دمشق ، فتمر المرأة به فترى جسداً صغيراً فتقول : في أي شيء قتل هذا الصبي المسكين ؟ لما ترى من صغر جثته .

قال بعضهم : رأيت يوسف بن عمر وفي مذاكيره حبل وهو يجر بدمشق ، ثم رأيت بعد ذلك يزيد بن خالد القسري قاتله وفي مذاكيره حبل وهو يجر في ذلك الموضع . وقد قيل إنه قتل في العشر الوسط من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، والله أعلم .

٨٤٤

يوسف بن تاشفين

أبو يعقوب يوسف بن تاشفين اللمتوني أمير المسلمين وملك الملتمين ، وهو الذي اختط مدينة مراکش — وقد تقدم في ترجمة المعتمد محمد بن عباد والمعتمد محمد بن صُمداح^١ الملكين ببلاد الأندلس طَرَف من أخباره وما جرى لهما معه وكيف أخذ بلادهما ، واستأسر ابن عباد وحبسه في أغمات ، وقد استوفيت الكلام عليه هناك ، ونهت عليه الآن ليعلم الواقف عليه أن هذا الملك هو ذلك ، وأنه عظيم الشأن كبير السلطان .

ذكر أرباب التواريخ شيئاً من أحواله فاخترت في هذا الكتاب ما وجدته في كتاب «المعرب عن سيرة ملك المغرب» ، لأنه^١ أوعب في حديثه من غيره لكنه لم يذكر مؤلفه حتى أذكره ، غير أنه قال في أول النسخة التي

٨٤٤— أخباره في الحلل الموشية والبيان المغرب (ج : ٤) وروض القرطاس وأعمال الأعلام

والروض المطار (الزلاقة) وتاريخ ابن خلدون وابن الأثير والمعجب للمراكشي والأنيس المطرب ومذكرات الأمير عبد الله والاستقصا وجذوة الاقتباس ... الخ .

١ انظر ج ٥ : ٢١ ، ٣٩ .

٢ س : في أنه .

نقلت منها هذا الفصل : إنه كتبها في سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وفرغ منها في غرة ذي القعدة من السنة بالموصل ، وهو في مجلد واحد لطيف ، فاخترت منه مقتضباً ما مثاله :

كان بر المغاربة الجنوبي لقبيلة تسمى زَنَاتَة - برابر - فخرج عليهم من جنوبي المغرب من البلاد المتاخمة لبلاد السودان المثلثون يقدرهم أبو بكر ابن عمر منهم ، وكان رجلاً ساذجاً خير الطباع موثقاً لبلاده على بلاد المغرب غير ميال إلى الرفاهية ، وكانت ولاية المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا المثلثين ، فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان إلى ساحل البحر المحيط . فلما حصلت البلاد لأبي بكر ابن عمر المذكور سمع أن عبوزاً في بلاده ذهبت لها ناقة في غارة فبكت وقالت : ضيعنا أبو بكر ابن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب ، فحمله ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب رجلاً من أصحابه اسمه يوسف بن تاشفين ورجع إلى بلاده الجنوبية .

وكان يوسف هذا رجلاً شجاعاً عادلاً مقداماً ، اختط بالمغرب مدينة مراکش ، وكان موضعها مكمناً للصووس ، وكان ملكاً لعبوز مَصْمُودِيَّة تمدته منها ؛ فلما تمهدت له البلاد تاق إلى العبور إلى جزيرة الأندلس ، وكانت مُحَصَّنَة بالبحر ، فأنشأ شواني ومراكب وأراد العبور إليها ، فلما علم ملوك الأندلس بما يروم من ذلك أعدوا له عدة من المراكب والمقاتلة وكرهوا إلامه بجزيرتهم ، إلا أنهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته وكرهوا أن يصبحوا بين عدوين : الفرنج من شماليهم والمثلثون من جنوبيهم . وكانت الفرنج تشدد وطأتها عليهم ، إلا أن ملوك الأندلس كانت تُرهبُ الفرنج باظهار موالاتهم للملك المغرب يوسف بن تاشفين ، وكان له اسم كبير لنقله دولة زَنَاتَة وملك الغرب إليه في أسرع وقت . وكان قد ظهر لأبطال المثلثين في المعارك ضربات بالسيوف تقذ الفارس وطعنات تنظم الكلَى . فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المتتدين لقتالهم .

وكان ملوك الأندلس يفيثون إلى ظل يوسف بن تاشفين ويحذرونه على

ملكهم مهما عبر إليهم وعابن بلادهم ، فلما رأوا عزيمته متقدمة على العبور أرسل بعضهم إلى بعض ، وكاتبوهم يستنجدون آراءهم في أمره ، وكان مفزعهم في ذلك إلى المعتمد بن عباد لأنه كان أشجع القوم وأكبرهم مملكة ، فوقع اتفاقهم على مكاتبته ، وقد تحققوا أنه يقصدهم ، يسألونه الإعراض عنهم وأنهم تحت طاعته ، فكتب عنهم كاتب من أهل الأندلس كتاباً هو : « أما بعد ، فانك إن أعرضت عنا نُسبت إلى كرم ولم تنسب إلى عَجْز ، وإن أجبتنا داعيك نسبنا إلى عقل ولم تنسب إلى وهن ، وقد اخترنا لأنفسنا أجمل نسبتينا ، فاختَر لنفسك أكرم نسبتك ، فانك بالمحلّ الذي لا يجب أن تسبق فيه إلى مكرمة ، وإن في استبقائك ذوي البيوت ما شئت من دوام لأمرك وثبوت ، والسلام » .

فلما جاءه الكتاب مع تحف وهدايا - وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي لكنه كان يُجيد فهم المقاصد ، وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية - فقال له : أيها الملك ، هذا الكتاب من ملوك الأندلس يعظمونك فيه ويعرفونك أنهم أهل دعوتك وتحت طاعتك ، ويلتمسون منك ألا تجعلهم في منزلة الأعادي ، فانهم مسلمون ، وهم من ذوي البيوتات ؛ فلا تغيّر بهم ، وكفى بهم من وراءهم من الأعداء الكفار ، وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر ، فأعرض عنهم لإعراضك عن أطاعك من أهل المغرب ؛ فقال يوسف بن تاشفين لكاتبه : فما ترى أنت ؟ فقال : أيها الملك ، اعلم أن تاج الملك وبهجته وشاهده الذي لا يردّ بابه خليف بما حصل في يده من الملك أن يعفو إذا استعفي وأن يهب إذا استوهب ، وكلما وهب جزيلاً كان أعظم لقدره ، فاذا عظم قدره تأصل ملكه ، وإذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته ، وإذا كانت طاعته شرفاً جاءه الناس ولم يتجشم المشقة إليهم ، وكان وارث الملك من غير إهلاك لآخرته ؛ واعلم أن بعض الملوك الأكابر والحكماء البصراء بطريق تحصيل الملك قال : من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد ملك البلاد . فلما ألقى الكاتب هذا الكلام إلى يوسف بن تاشفين بلغته فهمه وعلم أنه صحيح . فقال للكاتب : أجب القوم ، واكتب بما يجب في ذلك ، واقرأ

عليّ كتابك ، فكذب الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تحية من سالمكم ، وسلم إليكم ، وحكمته التأيد والنصر فيما حكم عليكم ، وإنكم مما بأيديكم من الملك في أوسع إباحة ، مخصوصون منا بأكرم إيثار وسماحة ، فاستديموا وفاءنا بوفائكم . واستصلحوا إخواننا باصلاح إخوانكم ، والله ولي التوفيق لنا ولكم ، والسلام .

فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه ، وقرن به يوسف بن تاشفين دَرَاقاً لمطية مما لا يكون إلا في بلاده . — قلت : اللطية .

بفتح اللام وسكون الميم وبعدها طاء مهملة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة ، هذه النسبة إلى لمطة ، وهي بليدة عند السوس الأقصى ، بينها وبين سجلماسة عشرون يوماً ، قاله ابن حوقل في كتاب « المسالك والممالك » وهي معدن الدرق اللطية ، ولا يوجد مثلها في الدنيا على ما يقال ، والله أعلم . — قال : وأنفذ ذلك إليهم . فلما وصلهم كتابه أحبوه وعظموه وفرحوا بولايته ملك المغرب ، وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج ، وأزمعوا لأن رأوا من ملك الفرنج ما يريهم أن يجيزوا إليه يوسف بن تاشفين ويكونوا من أعوانه على ملك الفرنج ، فتحصل ليوسف بن تاشفين برأي وزيره ما أراد من محبة أهل الأندلس له ، وكفاه الحرب لهم .

وإن الأذفونش بن قَرْدَكنند صاحب طليطلة قاعدة ملك الفرنج أخذ بجوس خلال الديار ويفتح بلاد الأندلس ويشط على ملوكهم بطلب البلاد منهم ، وخصوصاً المعتمد بن عباد ، فإنه كان مقصوداً فيه — وقد تقدم في ترجمة المعتمد ذكر تاريخ أخذه طليطلة والأبيات التي قيلت في ذلك — فنظر المعتمد في أمره فرأى أن الأذفونش قد داخله طمع فيما يلي بلاده ، فأجمع أمره على استدعاء يوسف بن تاشفين على العبور ، على ما فيه من الخطر ، وعلم أن مجاورة غير الجنس مؤذنة بالبوار ، وأن الفرنج والمثلثين ضدان له ، إلا أنه قال : إن دهمنا من مداخلة الأضداد لنا فأهون الأمرين أمر المثلثين ، ولأن يرعى أولادنا جماهم أحب إليهم من أن يرعوا خنازير الفرنج ، ولم يزل هذا الرأي نصب عينيه مهما اضطر إليه .

وان الأذفونش خرج في بعض السنين يتخلل بلاد الأندلس في جمع كبير من الفرنج ، فخافه ملوك الأندلس على البلاد ، وأجفل أهل القرى والرساتيق من بين يديه ولجأوا إلى المعامل ، فكتب المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين يقول له : إن كنت مؤثراً للجهاد فهذا أوانه ، فقد خرج الأذفونش إلى البلاد ، فأسرع في العبور إليه ، ونحن معاشر أهل الجزيرة بين يديك ، وكان يوسف بن تاشفين على أتم أهبة ، فشرع في عبور عساكره ، فلما أبصر ملوك الأندلس عبور أهل المغرب يطلبون الجهاد ، وكانوا قد وعدوا من أنفسهم بالمساعدة ، أعدوا أيضاً للخروج ، فلما رأى الأذفونش اجتماع العزائم على مناجزته علم أنه عام نطاح ، فاستنفر الفرنجية للخروج فخرجوا في عدد لا يحصىه إلا الله تعالى . ولم تزل الجموع تتألف وتتدارك إلى أن امتلأت جزيرة الأندلس خيلاً ورجلاً من الفريقين ، كل أناس قد التفتوا على ملكهم . فلما عبرت جيوش يوسف بن تاشفين عبر في آخرها وأمر بعبور الجمال ، فعبر منها ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها إلى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة رأوا قط جملاً ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت أصواتها ، وكانت تذعر منها وتقلق ، وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأيٌ مصيب ، كان يحدق بها معسكره ، وكان يحضرها الحرب ، فكانت خيل الفرنج تحجم عنها . فلما تكاملت العساكر بالجزيرة قصدت الأذفونش ، وكان نازلاً بمكان أفصح من الأرض يسمى الزلاقة بالقرب من بطليوس - قال البياسي : بين المكانين أربعة فراسخ ؛ وقال أيضاً : إن يوسف بن تاشفين قدم بين يدي حربه كتاباً على مقتضى السنة يعرض عليه الدخول في الإسلام أو الحرب أو الجزية ، ومن فصول كتابه : وبلغنا يا أذفونش أنك دعوت في الاجتماع بك ، وتمنيت أن يكون لك فلكٌ تعبر البحر عليها إلينا ، فقد أجزناه إليك . وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ (غافر : ٥٠) . فلما سمع الأذفونش ما كتب إليه جاش بحر غيظه وزاد في طغيانه وأقسم أنه لا يبرح من موضعه حتى يلقاه .

ثم إن ابن تاشفين ومن معه قصدوا الزلاقة ، فلما وافاها المسلمون نزلوا تجاه الفرنج بها ، فاختار المعتمد بن عباد أن يكون هو المصادم لهم أولاً ، وأن يكون يوسف بن تاشفين إذا انهزم المعتمد بعسكره بين أيديهم وتبعوه ، يميل عليهم بعساكره ، وتتألف معه عساكر الأندلس ، فلما عزموا على ذلك وفعلوه خذل الفرنج وخالطتهم عساكر المسلمين واستحر القتل فيهم ، فلم يفلت منهم غير الأذفونش في دون الثلاثين من أصحابه ، فلحق ببلده على أسوأ حال ، فغنم المسلمون من أسلحته وخيله وأثاثه ما ملأ أيديهم خيراً .

قلت : وكانت الواقعة في يوم الجمعة الخامس عشر من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وقيل في شهر رمضان في العشر الأواخر من السنة ، والله أعلم . وقال البياسي : كان حلول العساكر الإسلامية بالجزيرة الخضراء في المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة .

فحكى أن موضع المعترك على اتساعه ما كان فيه موضع قدم إلا على جسد أو دم ، وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم ، فلما حصلت عف عنها يوسف بن تاشفين وآثر بها ملوك الأندلس ، وعرفهم أن مقصوده إنما كان الغزو لا النهب . فلما رأت ملوك الأندلس إيثار يوسف ابن تاشفين لهم بالغنائم استكرموه وأحبوه وشكروا له .

ثم إن يوسف بن تاشفين أزمع الرجوع إلى بلاده ، وكان عند قصده ملاقاته الأذفونش تحرى المسير بالعراء من غير أن يمرّ بمدينة أورستاق حتى نزل الزلاقة تجاه الأذفونش وهناك اجتمع بعساكر الأندلس : وذكر أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي في كتاب « تذكير العاقل وتنبيه الغافل » أن ابن تاشفين نزل على أقل من فرسخ من عسكر العدو في يوم الأربعاء ، وكان الموعد في المناجزة يوم السبت الأدنى فغدر الأذفونش ومكر . فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب من العام أقبلت طلائع ابن عباد والروم في أثرها والناس على طمأنينة . فبادر ابن عباد للركوب ، وانبث الخبر في العساكر فماجت بأهلها ، ووقع البهت ورجفت الأرض . وصارت الناس

فوضى على غير تعبئة ولا أهبة ، ودهمتهم خيلُ العدو ، فقمرت ابن عباد وحطمت ما تعرض لها ، وتركت الأرض حصيداً خلفها ، وصرع ابن عباد وأصابه جرح أشواه ؛ وفر رؤساء الأندلس وأسلموا محلاتهم ، وظنوا أنها وهية لا ترقع ونازلة لا تدفع ، وظن الأذفونش أن أمير المسلمين في المنهزمين ولم يعلم أن العاقبة للمتقين ، فركب أمير المسلمين وأحرق به أنجاد خيله ورجاله من صنهاجة ورؤساء القبائل ، فعمدوا إلى محلة الأذفونش فاقتحموها ودخلوها وقتلوا حاميتها ، وضربت الطبول فاهتزت الأرض وتجاوبت الآفاق ، وتراجع الروم إلى محلتهم بعد أن علموا أن أمير المسلمين فيها ، فصدموا أمير المسلمين فأفرج لهم عنها ، ثم كر فأخرجهم منها ، ثم كروا عليه فأفرج لهم عنها ، ولم تزل الكرات بينهم تتوالى إلى أن أمر أمير المسلمين حشَمه السودان فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا المعترك بدرق اللط وسيوف الهند ومزاريق الزَّان ، فطعنوا الخيل فرمحت بفرسائها وأحجمت عن أقرانها ، وتلاحق الأذفونش بأسود نفدت مزاريقه بالقذف ، فأهوى ليضربه بالسيف ، فلصق به الأسود وقبض على أعتته وانتضى خنجرأ كان منتطقاً به ، فأثبته في فخذة فهتك حلق درعه وشك فخذة مع بداد سرجه ، وكان وقت الزوال من ذلك اليوم ، فهبت ريح النصر وأنزل الله سكينته على المسلمين ونصر دينه ، وصدقوا الحملة على الأذفونش وأصحابه ، فأخرجوهم عن محلتهم ، فولوا ظهورهم وأعطوا أعناقهم ، والسيوفُ تصفعهم إلى أن لحقوا بربوة بلحأوا إليها واعتصموا بها ، وأحدثت بهم الخيل ؛ فلما أظلم الليل انساب الأذفونش وأصحابه من الربوة ، وأفلتوا بعدما نشبت فيهم أظفارهم ، واستولى المسلمون على ما كان في محلتهم من الأثاث والآنية والمضارب والأسلحة ، وأمر ابن عباد بضم رعوس قتلى الروم ، فنشر منها أمامه كالتل العظيم ، ثم كتب ابن عباد إلى ولده الرشيد كتاباً وأطار به الحَمَام يوم السبت سادس عشر المحرم يخبره بالنصر .

وقد روي أيضاً أن أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المعونة على ما هو بصدد . فوصل كتابه إلى المرية في هذا المعنى ، وذكر فيه أن جماعة أفتوه

يجواز طلب ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال أهل المرية لقاضي بلدهم وهو أبو عبد الله ابن الفراء أن يكتب جوابه ، وكان هذا القاضي من الدين والورع على ما ينبغي ، فكتب إليه : أما بعد ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك ، وأن أبا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها ، وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله ، فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بضجيعه في قبره ، ولا مَنْ لا يشك في عدله ، فان كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل فאלله سائلهم عن تقلدهم فيك ، وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين يتفقه عليهم ، فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة أهل العلم ، وتحلف أن ليس عندك درهم واحد ، ولا في بيت مال المسلمين . وحينئذ تستوجب ذلك ، والسلام .

ولما قضى أمير المسلمين من هذه الواقعة ما قضى ، أمر عساكره بالمقام وأن تشن الغارات على بلاد الفرنج ، وأمر عليهم سِيرَ ابن أبي بكر ، وطلب الرجوع في طريقه ، فتكرم له المعتمد بن عباد ، فخرج به إلى بلاده وسأله أن ينزل عنده ، فأجابه يوسف إلى ذلك . فلما انتهى إلى إشبيلية مدينة المعتمد ، وكانت من أجمل المدن منظراً ونظر إلى موضوعها على نهر عظيم مستبحر تجري فيه السفن بالبضائع جالبة من بر المغرب وحاملة إليه ، في غربيه رستاق عظيم مسيرة عشرين فرسخاً يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون ، وهذا الموضع هو المسمى شَرَف إشبيلية ، وتمير بلاد المغرب كلها من هذه الأصناف . وفي جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتمد في غاية الحسن والبهاء ، وفيها أنواع ما يحتاج إليه من المطعوم والمشروب والملبوس والمفروش وغير ذلك . فأنزل المعتمد يوسف بن تاشفين في أحدها ، وتولى من إكرامه وخدمته ما أوسع شكر ابن تاشفين له ، وكان مع ابن تاشفين أصحاب له ينيهونه على تأمل تلك الحال وما هي عليه من النعمة والإتراف .

ويُغَرُّونه باتخاذ مثلها لنفسه ويقولون له: إن فائدة الملك قطع العيش فيه بالتنعم واللذة كما هو المعتمد وأصحابه ؛ وكان يوسف بن تاشفين مقتصدًا في أموره غيرَ متناول ولا مبذر متنوق في صنوف الملاذ بالأطعمة وغيرها ، وكان قد ذهب صدر عمره في بلاده في شَتَظَف العيش ، فأذكر على مُغَرِّيه بذلك الإسراف وقال : الذي يلوح من أمر هذا الرجل ، يعني المعتمد ، أنه مضَّيع لما في يده من الملك ، لأن هذه الأموال التي تعينه على هذه الأحوال لا بد أن يكون لها أرباب لا يمكن أخذ هذا القدر منهم على وجه العدل أبدًا . فأخذه بالظلم وأخرجته في هذه الترهات ، وهذا من أفحش الاستهتار . ومنَ كانت همته في هذا الخد من التصرف فيما لا يعدو الاجوفين متى يستجد همة في حفظ بلاده وضبطها وحفظ رعيته والتوفر على مصالحها !!؟

ثم إن يوسف بن تاشفين سأل عن أحوال المعتمد في لذاته : هل تختلف فتتقص عما هي عليه في بعض الأوقات ؟ فقبل له : بل كل زمانه على هذا ، قال : أفكل أصحابه وأنصاره على عدوة ومنجديه على الملك يتال خطاً من ذلك ؟ قالوا : لا ، قال : فكيف ترون رضاهم عنه ؟ قالوا : لا رضا لهم عنه ، فأطرق يوسف وسكت . فأقام يوسف عند المعتمد على تلك الحال أياما . وفي بعض تلك الأيام استأذن رجل على المعتمد ، فدخل وهو ذو هيئة رثة . وكان من أهل البصائر ، فلما دخل عليه قال له : أصلحك الله أيها الملك ، إن من أوجب الواجبات شكرَ النعمة . وإن من شكر النعمة إهداء النصائح . ولإني رجل من رعيته . حالي في دولتك إلى الاختلال أقرب منها إلى الاعتدال . لكنني ملتزم لك من النصيحة ما يستوجبه الملك على رعيته ، فمن ذلك خبر وقع في أذني من بعض أصحاب ضيفك هذا يوسف بن تاشفين يدل على أنهم يرون أنفسهم وملكهم أحق بهذه النعمة منك . وقد رأيت رأيا فإن آثرت الإصغاء إليه قلته ؛ قال له المعتمد : قله . قال : رأيت أن هذا الرجل الذي أطلعت على ملكك رجل مستأسد على الملوك . قد حطّم بير العدو زَنَاتة وأخذ الملك من أيديهم ولم يبق على أحد منهم . ولا يؤمن أن يطمح إلى الطماعية في ملكك ، بل في ملك جزيرة الأندلس كلها بما قد عاينه من بلهنية

عيشك ، وإنه لم تخيل في مثل حالك سائر ملوك الأندلس ، وإن له من الولد والأقارب ممن يؤثر مسراتهم من يودّ له الحلول بما أنت فيه من خصب الجنب ، وقد أودى الأذفونش وجيشه واستأصل شأفتهم وأعدمك منه أقوى ناصر عليه لو احتجت إليه ، فقد كان لك منه أقوى عضد وأوقى محن ، وبعد أن فات الأمر في الأذفونش لا يفتك الحزم فيما هو ممكن اليوم ، قال له المعتمد : وما هو الحزم اليوم ؟ قال : ان تجمع أمرك على قبض ضيفك هذا واعتقاله في قصرك ، وتجزم انك لا تطلقه حتى يأمر كل من بجزيرة الأندلس من عسكره أن يرجع من حيث جاء حتى لا يبقى منهم بالجزيرة طفل ، ثم تتفق أنت وملك الجزيرة على حراسة هذا البحر من سفينة تجري فيه بغزاة له ، ثم بعد ذلك تستحلفه بأغلظ الإيمان ألا يضمّر في نفسه عوداً إلى هذه الجزيرة إلا باتفاق منكم ومنه ، وتأخذ منه على ذلك رهائن ، فإنه يعطيك من ذلك ما تشاء ، فنفسه أعز عليه من جميع ما تلتمس منه ، فعند ذلك يقنع هذا الرجل ببلاؤه التي لا تصلح إلا له ، وتكون قد استرحت منه بعدما استرحت من الأذفونش ، وتقيم في موضعك على خير حال ، ويرتفع ذكرك عند ملوك الأندلس وأهل الجزيرة ، ويتسع ملكك وتنسب بهذا الاتفاق لك إلى سعادة وحزم ، وتهابك الملوك ، ثم اعمل بعد هذا ما يقتضيه حزمك في محاورة من عاملته هذه المعاملة ، واعلم أنه قد تهيأ لك من هذا أمر سماوي تنفاني الأمم وتجري بحار الدم دون حصول مثله .

فلما سمع المعتمد كلام الرجل استصوبه وجعل يفكر في انتهاز هذه الفرصة . وكان للمعتمد ندماء قد أنهمكوا معه في اللذات ، فقال أحدهم لهذا الرجل الناصح : ما كان المعتمد على الله ، وهو إمام أهل المكرمات ، ممن يعامل بالحييف ويغدر بالضييف ، فقال له الرجل : إنما الغدر أخذ الحق من يد صاحبه لا دفع الرجل عن نفسه المحذور إذا ضاق به ؛ قال ذلك النديم : لضمّ مع وفاء خير من حزم مع جفاء . ثم إن ذلك الناصح استدرك الأمر وتلافاه ، فشكر له المعتمد ووصله بصلة ، وانصرف . واتصل هذا الخبر بيوسف بن تاشفين فأصبح غادياً ، فقدم له المعتمد الهدايا السنية والتحف الفاخرة فقبلها ،

ثم رحل فعبر من الجزيرة الخضراء إلى سبتة - قلت : وهو المكان المعروف بزقاق سبتة يعدي الناس فيه من أحد البرين إلى الآخر ، أعني بر الأندلس وبر العدو ، وقد تقدم الكلام على هذا المكان .

قال : ولما عبر يوسف إلى بر العدو أقام عسكره بجزيرة الأندلس ريثما استراح ثم تبع آثار الأذفونش فتوغل في بلاده . ولما رجع الأذفونش إلى موضعه سأل عن أصحابه وشجعانه وأبطال عسكره فوجد أكثرهم قد قتلوا ، ولم يسمع إلا نياح الثكالى عليهم ، فلم يأكل ولم يشرب حتى مات هما وغماً ، ولم يخلف إلا بنتا جعل الأمر إليها ، فتحصنت بمدينة طليطلة .

وأما عسكر ابن تاشفين فأنهم في غارتهم هذه كسبوا من المغانم ما لا يحصى ولا يوصف وأنفذوا ذلك إلى بر العدو ، واستأذن أميرهم سير ابن أبي بكر يوسف بن تاشفين في المقام بجزيرة الأندلس وأعلمه أنه قد افتتح معاقل في الثغور ورتب بها مستحفظين ورجالاً يغنون فيها ، وأنه لا يستقيم لهذه الجيوش أن تقيم بالثغور في ضحك من العيش تصابح العدو وتماسيه ، وتحظى ملوك الأندلس من الأرياف برغد العيش ، فكتب إليه ابن تاشفين يأمره باخراج ملوك الأندلس من بلادهم ولحاقهم بالعدو ، فمن استعصى عليه منهم قاتله ولا ينفس عنه حتى يخرج ، وليبدأ منهم بمجاوري الثغور ، ولا يتعرض للمعتمد بن عباد ما لم يستول على البلاد ، ثم يولي تلك البلاد أمراء عسكره وأكابرهم . فابتدأ سير ابن أبي بكر بملوك بني هود من ملوك الأندلس ليستنزلهم من معقلهم وهي روضة - قلت : هي بضم الراء وسكون الواو ثم طاء مهملة بعدها هاء ، قلعة منيعة من عاصمات الذرا ، ماؤها ينبوع في أعلاها ، وكان بها من الأقوات والذخائر المختلفات ما لا تفنيه الأزمان - فلم يقدر عليها فرحل عنها ، ثم جند أجناداً على صور الفرنج وأمرهم أن يقصدوا هذه القلعة مغيرين عليها ، ويكمن هو وأصحابه بالقرب منها ، ففعلوا ذلك ، فرآهم صاحب القلعة فاستضعفهم ونزل في طلبهم ، فخرج سير ابن أبي بكر فقبض عليه وتسلم القلعة . ثم نازل بني طاهر بشرق الأندلس ، فسلدوا إليه ولحقوا بالعدو . ثم نازل بني صمادح بالمرية وكانت قلعتهم حصينة ،

إلا أنهم لم يكن عندهم أجناد ولا أنجاد من الرجال فزحفوا عليهم وغلبوهم ، فلما علم المعتصم بن صمادح أنه مغلوب دخل قصره فأدركه أسف قضى عليه ، فمات من ليلته فاشتغل أهله به ، فسلموا المدينة . ثم نازلوا المتوكل عمر بن الأفطس ببَطْلَيْسُوس ، وكان رجلاً شجاعاً عظيم القدر كبير البيت - وكان أبوه المظفر بالله أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة التجيبي من فحول العلماء ، وكان ملكاً له تصانيف أعظمها وأشهرها الكتاب المنسوب إليه وهو « المظفري » في علم التاريخ ، [وكانت] مدينته ببَطْلَيْسُوس من أجمل البلاد - لم يدعن ولا أقبل على غير المدافعة والقتال إلى أن خامر عليه أصحابه فقبض عليه باليد وعلى ولدين له ، فقتلوا صبراً ، وحمل أولاده الأصاغر إلى مراکش ؛ وسائر ملوك الجزيرة سلموا وتحولوا إلى بر العدو إلا ما كان من المعتمد بن عباد ، فإن سير ابن أبي بكر لما فرغ من ملوك الجزيرة ، كتب إلى يوسف بن تاشفين أنه لم يبق بالجزيرة من ملوكها غير المعتمد بن عباد ، فارسم في أمره بما تراه ، فأمره بقصده وأن يعرض عليه التحول إلى بر العدو بأهله وماله ، فإن فعل فيها ونعمت ، وإن أبي فنازلهُ ، فلما عرض عليه سير ابن أبي بكر ذلك لم يعطه جواباً ، فنازله وحاصره أشهراً ثم دخل عليه البلد قهراً واستخرجه من قصره قسراً ، فحمل إلى العدو مقيداً ، فأنزل بأغमत وأقام بها إلى أن مات ، ولم يعتقل من ملوك الأندلس غيره . وتسلم سير ابن أبي بكر الجزيرة كلها واستحوذ عليها ، فمات يوسف بن تاشفين في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وأفضى الملك إلى ولده أبي الحسن علي بن يوسف ، وكان رجلاً حليماً وقوراً صالحاً عدلاً منقاداً للحق والعلماء ، تجبى إليه الأموال من البلاد ، لم يزعه عن سريره قط حادث ولا طاف به مكروه - قلت : قد تقدم في ترجمة أبي نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي صاحب «قلائد العقيان»^١ أنه جمع الكتاب المذكور باسم إبراهيم بن يوسف بن تاشفين .

وأن الذي أشار بقتل الفتح المذكور هو علي بن يوسف بن تاشفين المذكور .

ثم ولي بعده ولده تاشفين بن علي بن يوسف وعلى يده انقضى ملكهم ،
وسياقي شرح ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى . وقد تقدم في أوائل هذه الترجمة
أن يوسف بن تاشفين هو الذي اختط مدينة مراکش ؛ قال صاحب هذا الكتاب
الذي نقلت منه هذه الترجمة في آخر الكتاب : إن مراکش^١ مدينة عظيمة
بناها الأمير يوسف بن تاشفين بموضع كان اسمه مراکش - معناه : امش
مسرعاً بلغة المصامدة - كان ذلك الموضع مأوى اللصوص وكان المارون
فيه يقولون لرفقائهم هذه الكلمة ، فعرف الموضع بها . وقال غير مؤلف
هذا الكتاب : بنى ابن تاشفين مدينة مراکش في سنة خمس وستين وأربعمائة ،
قاله أبو الخطاب ابن دحية في كتابه الذي سماه « النبراس » في خلافة القائم
بأمر الله . قال : وكانت مزرعة لأهل نفيس^٢ ، فاشتراها منهم بماله الذي خرج
به من الصحراء - ونفيس^٢ : بفتح النون وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من
تحتها ، جبل مٌطل على مراکش ، قلت : وهي بنواحي أعماط في المغرب الأقصى - .
وذلك أنه لما توطنت نفسه على الملك ، وأطاعته قبائل البربر وذهب من يخالفه
من لُمُتُونَةٍ سمت همته إلى بناء هذه المدينة ، وكان في موضعها قرية صغيرة
في غابة من الشجر ، وبها قوم من البربر ، فاخططها يوسف وبنى بها القصور
والمساكن الأنيقة . وهي في مرج فسيح . وحولها جبال على فراسخ منها ،
وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو الذي يعدل مزاجها وحرها .

وفي سنة أربع وستين وأربعمائة نزل يوسف على مدينة فاس ، وكانت
إذ ذاك من قواعد بلاد المغرب العظام ، وضيق على أهلها ثم أخذها فأقر
العامة بها . ونهى البربر والجنود ، بعد أن حبس بعضهم وقتل بعضهم ، فعند
ذلك قوي شأنه وتمكن بالمغرب الأقصى والأدنى سلطانه ، مع ما صار بيده
من بلاد جزيرة الأندلس كما شرحناه . وكان حازماً سائساً للأُمُور ضابطاً

١ انظر الاستبصار في الحديث عن مراکش ص : ٢٠٨ والحاشية .

٢ راجع لمصدر السابق .

لمصالح مملكته ، مؤثراً لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم ، وبلغني أن الإمام حجة الإسلام أبا حامد الغزالي ، تغمدته الله تعالى برحمته ، لما سمع ما هو عليه من الأوصاف الحميدة وميله إلى أهل العلم عزم على التوجه إليه ، فوصل إلى الإسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج إليه ، فوصله خبر وفاته ، فرجع عن ذلك العزم ، وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب ، وقد ذهب عني في هذا الوقت أين وجدته .

وكان يوسف معتدل القامة أسمر اللون نحيف الجسم خفيف العارضين دقيق الصوت ، وكان يخطب لبني العباس ، وهو أول من تسمى بأمر المسلمين ، ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه إلى أن توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمسماية ، وعاش تسعين سنة ملك منها مدة خمسين سنة ، رحمه الله تعالى .

وذكر شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير ما مثاله^١ : سنة خمسماية فيها توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المغرب والأندلس ، وكان حسن السيرة خيراً عادلاً ، يميل إلى أهل العلم والدين ويكرمهم ويحكمهم في بلاده ويصدر عن آرائهم ، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام ، فمن ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا ، فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها ، وتمنى الآخر عملاً يعمل فيه لأمر المسلمين ، وتمنى الآخر زوجته ، وكانت من أحسن النساء ، ولها الحكم في بلاده ، فبلغه الخبر ، فأحضرهم وأعطى متمني المال ألف دينار ، واستعمل الآخر ، وقال للذي تمنى زوجته : يا جاهل ، ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه ؟ ثم أرسله إليها ، فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه في كل يوم طعاماً واحداً ، ثم أحضرته وقالت له : ما أكلت في هذه الأيام ؟ قال : طعاماً واحداً ، فقالت له : كل النساء شيء واحد ، وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته .

(385) وأما ولده علي المذكور فانه توفي لسبع خلون من رجب سنة سبع وثلاثين وخمسماية ، ومولده في حادي عشر رجب سنة ست وسبعين وأربعمائة ،

١ ابن الأثير ١٠ : ٤١٧ .

وقد سبق ذكر طرف من حديثه في ترجمة محمد بن تومرت المهدي ،
فيكشف عنه .

ولما خرج عبد المؤمن بن علي - المقدم ذكره^١ - قاصداً جهة البلاد المغربية
ليأخذها من علي بن يوسف بن تاشفين المذكور ، كان مسيره على طريق الجبال فسير
علي بن يوسف ولده تاشفين ليكون في قبالة عبد المؤمن ، ومعه جيش فصاروا
في السهل وأقاموا على هذا مدة ، فتوفي علي بن يوسف في أثنائها في التاريخ
المذكور ، فقدم أصحابه ولده إسحاق بن علي وجعلوه نائب أخيه تاشفين على
مراكش ، وكان صبياً ، وظهر أمر عبد المؤمن ودانت له الجبال ، وفيها غمارة
وتالدة والمصامدة ، وهم أمم لا تحصى ، فخاف تاشفين بن علي واستشعر
القهر ، وتيقن أن دولتهم ستزول ، فأتى مدينة وهران ، وهي على البحر ،
وقصد أن يجعلها مقره ، فإن غلب عن^٢ الأمر ركب منها في البحر إلى بر
الأندلس يقيم بها كما أقامت بنو أمية بالأندلس عند انقراض دولتهم بالشام
وبقية البلاد ، وفي ظاهر وهران رُبوة على البحر تسمى صلب الكلب ، وبأعلاها
رباط يأوي إليه المتعبدون . وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة
تسع وثلاثين وخمسمائة صعد تاشفين إلى ذلك الرباط ليحضر الختم في
جماعة يسيرة من خواصه ، وكان عبد المؤمن يجتمع في تاجرة - وهي
وطنه كما ذكرته في ترجمته - واتفق أنه أرسل منسراً إلى وهران فوصلوها
في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان ، ومقدمهم الشيخ أبو حفص
عمر بن يحيى صاحب المهدي ، فكمنوا عشية ، وأعلموا بانفراد تاشفين
في ذلك الرباط ، فقصدوه وأحاطوا به ، وأحرقوا بابه ، فأيقن الذين فيه
بالهلاك ، فخرج تاشفين راكباً فرسه ، وشد الركض عليه ليثب الفرس النار
وينجو ، فترامى الفرس نازياً لروعته ، ولم يملكه اللجام حتى تردى من جرف
هنالك إلى جهة البحر على حجارة في وعْر ، فتكسر تاشفين وهلك في الوقت ،
وقتل الخواص الذين كانوا معه ، وكان عسكره في ناحية أخرى لا علم لهم
بما جرى في الليل .

١ انظر ج ٣ : ٢٣٧ . ٢ هكذا في المسودة .

وجاء الخبر بذلك إلى عبد المؤمن ، فوصل إلى وهران ، وسمى ذلك الموضع الذي فيه الرباط صلب الفتح ، ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل إلى السهل. ثم توجه إلى تلمسان وهي مدينتان قديمة ومحدثة بينهما شوط فرس ، ثم توجه إلى فاس فحاصرها ، وأخذها في سنة أربعين وخمسمائة ، ثم قصد مراکش في سنة إحدى وأربعين فحاصرها أحد عشر شهراً وفيها إسحاق بن علي وجماعة من مشايخ دولتهم قدموه بعد موت أبيه علي بن يوسف بن تاشفين نائباً عن أخيه تاشفين ، فأخذها وقد بلغ القحط من أهلها الجهد ، وأخرج إليه إسحاق بن علي ومعه سير بن الحاج ، وكان من الشجعان وخواص دولتهم ، وكانا مكتوفين ، وإسحاق دون البلوغ ، فعزم عبد المؤمن أن يعفو عن إسحاق لصغر سنه فلم يوافق خرواصه ، وكان لا يخالفهم ، فخلى بينهم وبينهما فقتلوهما ، ثم نزل عبد المؤمن في القصر ، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وانقرضت دولة بني تاشفين .

قلت : وقد ذكرت في ترجمة المعتمد بن عباد أن يوسف بن تاشفين عاد إلى الأندلس في العام الثاني من وقعة الزلافة ، وذكرت ها هنا ما يدل على أنه ما عاد إليها ، وإنما نوابه هم الذين أخذوا بلاد الأندلس له ، فقد يعتقد الواقف على هذا الكتاب أن هذا متناقض ، والعذر في هذا أنني وجدته في ترجمة ابن عباد على تلك الصورة ووجدته في هذه الترجمة على هذه الصورة ، والله أعلم بالصواب .

ثم رأيت في كتاب « تذكير العاقل » تأليف أبي الحجاج يوسف البياسي أن ابن تاشفين لما جاز البحر قصد إشبيلية ، فخرج ابن عباد إلى لقائه ومعه الضيافة والإقامة ، ثم خرج من إشبيلية بقضه وقضيضه قاصداً بطليوس ، وجرت الواقعة المذكورة ، ثم عاد ابن تاشفين إلى بلاده ، وإن ابن عباد جاز البحر ومضى إليه في سنة إحدى وثمانين واستنجدته على ما يجاوره من بلاد العدو ، فأكرمه ابن تاشفين وأجابه إلى إنجاده ، ثم عاد ابن عباد إلى بلاده واستعد للعدو ، ولحقه ابن تاشفين في رجب من سنة إحدى وثمانين ، ثم خرج الأذفونش في جيش كثيف ، وكان ملوك الأندلس قد اجتمعوا عند

ابن تاشفين فلما رأى ما فعله من الاستعداد بالجمع الكثير رحل عن مكانه ، وأوهمه خواصه أن ملوك الأندلس يفرون عنه ويخلون بينه وبين الأذفونش فأصغى إلى كلامهم وعمل في نفسه قولهم ، فأخذ في الحركة إلى البرية ، وتحرك الجميع بحركته وجاز البحر عائداً إلى بلاده ، وقد وغر صدره على ملوك الأندلس ، وتبين لهم تغيره عليهم وخافوه ، فشرعوا في تحصين بلادهم وتحصيل الأقوات ، وراسل بعضهم الأذفونش ليكون عوناً له خوفاً من ابن تاشفين ، فأجاب الأذفونش بالإعانة والمساعدة ، وكان قد سير له هدايا وألطافاً كثيرة فقبلها منه ، وحلف له على جميع ما التمس منه ، واتصل ذلك بابن تاشفين فاستشاط غيظاً .

ثم إن ابن تاشفين جاز البحر مرة ثالثة وقصد قرطبة وهي لابن عباد ، فوصلها في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقد سبقه إليها ابن عباد ، فخرج إليه بالضيافة وجرى معه على عادته . ثم ان ابن تاشفين أخذ غرناطة من صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس وحبسه ، فطمع ابن عباد في غرناطة وأن ابن تاشفين يعطيه إياها ، فعرض له بذلك ، فأعرض عنه ابن تاشفين، وخاف ابن عباد منه ، وعمل على الخروج عنه فقال له : إنه جاءته كتب من إشبيلية ، وهم خائفون من العدو المجاور لهم واستأذنه في العود إليها ، فأذن له فعاد . ثم رجع ابن تاشفين إلى بلاده وجاز البحر في شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين ، وأقام ببلاده إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين ، ثم عزم على العبور إلى الأندلس لمنازلة ابن عباد ، وبلغ ذلك ابن عباد فأخذ في التأهب والاستعداد ، ووصل ابن تاشفين إلى سبتة وجمع العساكر الكثيرة وقدم عليهم سير بن أبي بكر فجازوا البحر وضابقوا بلاد ابن عباد ، فاستصرخ بالأذفونش فلم يلتفت إليه ، وكان ما ذكرته ، والله أعلم .

وفي هذه الترجمة ذكر المثلثين فيحتاج إلى الكلام عليه ، والذي وجدته أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ ، وهم أصحاب خيل وإبل وشاء ، ويسكنون الصحارى الجنوبية ويتنقلون من ماء إلى ماء كالعرب ، وبيوتهم من الشعر والوبر ، وأول من جمعهم وحرضهم على القتال وأطعمهم في تملك

البلاد عبد الله بن ياسين الفقيه ، وقتل في حرب جرت مع برغواطة ، وقام مقامه أبو بكر ابن عمر الصنهاجي الصحراوي - المقدم ذكره - ومات في حرب السودان ، وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه ، وهو الذي سمي أصحابه المرابطين ، وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم ، فلذلك سموهم المثلثين ، وذلك سنة لهم يتوارثونها خلقاً عن سلف ، وسبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد يفعلها الخواص منهم ، فكثرت ذلك حتى صار يفعلها عامتهم . وقيل كان سببه أن قوماً من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحلي فيأخذون المال والحريم ، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية ويقعدوا هم في البيوت مثلثين في زي النساء ، فإذا أتاهم العدو ظنوهن النساء فيخرجون عليهم ، ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيف فقتلوهن ، فلزموا اللثام تبركاً بما حصل لهم من الظفر بالعدو .

وقال شيخنا الحافظ عز الدين ابن الأثير في تاريخه الكبير ما مثاله :
وقيل إن سبب اللثام لهم أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو إلى بيوتهم ، ولم يكن بها إلا المشايخ والصبيان والنساء ، فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن تلبس ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ، ويلبسن السلاح ، ففعلن ذلك ، وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت ، فلما أشرف العدو رأى جمعاً عظيماً فظنه رجالاً وقالوا : هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت ، والرأي أن نسوق النعم ونمضي ، فإن اتبعونا قاتلناهم خارجاً عن حريمهم . فبينما هم في جمع النعم من المراعي إذ أقبل رجال الحلي ، فبقي العدو بينهم وبين النساء ، فقتلوا من العدو وأكثروا وكان من قبل النساء أكثر ، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلاً ولا نهاراً .

ومما قيل في اللثام :

قوم لهم درك العلا في حمير وإن انتموا صنهاجة فهم هم^١
لما حووا إحراز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

وكان يوسف بن تاشفين مقدم جيش أبي بكر ابن عمر الصنهاجي ،
وخرج من سجلماسة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وكان أبو بكر ابن
عمر قد أتى سجلماسة في سنة ثلاث وخمسين وحاصرها ، وقاتل أهلها أشد
قتال وأخذها ، ثم رتب عليها يوسف بن تاشفين فكان ما كان .

٨٤٥

يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب

أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي
صاحب المغرب - وقد تقدم ذكر أبيه عبد المؤمن في حرف العين ، وذكر
ولده يعقوب قبل هذا ؛ ولما توفي والده في التاريخ المذكور في ترجمته وخلع
محمد بن عبد المؤمن استقل ولده يوسف بالملك ، وكان ولي العهد قبله أخوه
محمد بن عبد المؤمن ، ونقش على الدنانير اسمه ، وكان ذلك باستخلاف
أبيه وتحليفه الجند له ، فظهر منه اشتغال بالراحة وإهمالك في البطالة فخلعه
يوسف ، وكان له أخ آخر اسمه أبو حفص عمر ولاه جزيرة الأندلس .

وكان يوسف المذكور فقيهاً حافظاً متقناً لأن أباه هذبه وقرن به وبأخوته
أكمل رجال الحرب والمعارف ، فنشأوا في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان ،
وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء . وكان ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر

١ هامش المختار : خ وإذا دعوا لمتونة .

٨٤٥ - أخباره في الحلل المؤشبة والمن بالإمامة وروض القرطاس ونظم الجمان والمعجب وأعمال
الأعلام وتاريخ ابن خلدون والأنيس المطرب والاستقصا والبيان المغرب (ج : ٣ ط
تطوان) ... الخ .

من ميله إلى الأدب وبقية العلوم ، وكان جَماعاً مناعاً ضابطاً لخراج مملكته عارفاً بسياسة رعيته ، وكان ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر ، وله في غيبته نواب وخلفاء وحكام قد فوض الأمور إليهم لما علم من صلاحهم لذلك ، والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة إليه .

فلما مهدت له الأمور واستقرت قواعد ملكه ، دخل إلى جزيرة الأندلس لكشف مصالح دولته وتفقد أحوالها ، وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة ألف فارس من العرب والموحدين ، فنزل باشبيلية .

(386) فخافه الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش صاحب شرق الأندلس : مرسية وما انضاف إليها ، وحمل على قلبه فمرض مرضاً شديداً ومات ، وقيل إن أمه سقته السم ، لأنه كان قد أساء العشرة مع أهله وخواصه وكبراء دولته ، فنصحته وأغلظت عليه في القول فتهددها وخافت بطشه ، فعملت عليه فقتلته بالسم . وكان موته في التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة باشبيلية ، ومولده في سنة ثمان عشرة وخمسمائة في قلعة من أعمال طرطوشة يقال لها بُنْشُكْلَة ، وهي من الحصون المنيعة . ولما مات محمد بن سعد جاء أولاده ، وقيل لإخوته ، إلى الأمير يوسف ابن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس التي كانت لأبيهم ، وقيل لأخيهم ، فأحسن إليهم الأمير يوسف وتزوج أختهم ، وأصبحوا عنده في أعز مكان .

ثم إن الأمير يوسف شرع في استرجاع بلاد المسلمين من أيدي الفرنج . وكانوا قد استولوا عليها ، فاتسعت مملكته بالأندلس وصارت سراياه تصل مغيرة إلى باب طليطلة ، وهي كرسي بلادهم وأعظم قواعدهم . ثم إنه حاصرها ، فاجتمع الفرنج كافة عليه واشتد الغلاء في عسكره ، فرجع عنها وعاد إلى مراکش .

وفي سنة خمس وسبعين قصد بلاد إفريقية وفتح مدينة قفصة ، ثم دخل جزيرة الأندلس في سنة ثمانين ومعه جمع كثيف ، وقصد غربي بلادها

أن عبد المؤمن كان في حياته قد عهد إلى أكبر أولاده وهو محمد ، وبإيعه الناس وكتب ببيعته إلى البلاد ، فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الأمر لأنه كان على أمور لا يصلح معها للمملكة من إدمان شرب الخمر واختلال الرأي وكثرة الطيش وجبن النفس ويقال إنه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام . واضطرب أمره واختلف الناس عليه فخلع ، وكانت مدة ولايته خمسة وأربعين يوماً ، وذلك في شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكان الذي سعى في خلعه أخويه يوسف وعمر ابني عبد المؤمن . ولما تم خلعه دار الأمر بين الأخوين المذكورين ، وهما من نجباء أولاد عبد المؤمن ومن ذوي الرأي، وتأخر عنهما أبو حفص عمر ، وسلم الأمر إلى أخيه يوسف فباعه الناس واتفقت عليه الكلمة .

وكان^١ أبيض تعلوه حمرة، شديد سواد الشعر مستدير الوجه أفوه أعين ، إلى الطول ما هو ، في صوته جَهارة ، رقيق حواشي اللسان حلو الألفاظ حسن الحديث طيب المجالسة أعرف الناس كيف تكلمت العرب وأحفظهم لأيامها في الجاهلية والإسلام ، صرف عنايته إلى ذلك ، ولقي فضلاء إشبيلية أيام ولايته لها ، ويقال إنه كان يحفظ صحيح البخاري . وكان شديد الملوكة بعيد الهمّة سخياً جواداً استغنى الناس في أيامه، وكان يحفظ القرآن العظيم مع جملة من الفقه ، ثم طمح إلى علم الحكمة وبدأ من ذلك بعلم الطب وجمع من كتب الحكمة شيئاً كثيراً .

(388) وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشأن أبو بكر محمد بن الطفيل^٢، كان متحقيقاً لجميع أجزاء الحكمة ، قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة^٣ وغيره. ولابن الطفيل هذا تصانيف كثيرة ، وكان

١ هذا النص ملخص عن المعجب للمراكشي ، انظر ص : ٣٠٩ .

٢ هو صاحب «حي بن يقظان» ، له ترجمة في المغرب ٢ : ٨٥ وابن أبي أصيبعة ٢ : ٧٨ والمقتضب من تحفة القادام : ٧٢ واليدر السافر ، الورقة : ١٢٨ والمعجب : ٣١١ - ٣١٥ وقد كتبت عنه بحوث ودراسات متعددة .

٣ مرت ترجمته ، انظر ج ٤ : ٤٢٩ .

حريصاً على الجمع بين علم الشريعة والحكمة وكان مفتناً .

ولم يزل يجمع إليه العلماء من كل فن من جميع الأقطار ومن جملتهم أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي .

ولما استوثق ليوسف الأمر وملك بلاد مردنيش من الأندلس خرج من إشبيلية قاصداً بلاد الأذفونش من الأندلس أيضاً فنزل على مدينة له تسمى وبدة^١ فأقام محاصراً لها شهوراً إلى أن اشتد عليهم الحصار وعطشوا، فراسلوه في تسليم المدينة وأن يعطيهم الأمان على نفوسهم ، فامتنع من ذلك ، فلما اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض الليالي لغط عظيم وأصوات هائلة ، وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله تعالى ، فجاءهم مطر عظيم ملأ ما كان عندهم من الصهاريج ، فارتووا وتقووا على المسلمين ، فانصرف عنهم إلى إشبيلية بعد أن هادهم مدة سبع سنين .

وكان يرتفع إليه في كل سنة من خراج إشبيلية وقرمائة وخمسين بغلاً ، خارجاً عما يرتفع إليه من خراج بقية البلاد في بر العدو وفي بر الأندلس .

وفي سنة تسع وسبعين^٢ تجهز للغزو في جيش عظيم وعبر إلى جزيرة الأندلس ونزل إشبيلية كعادتهم في إصلاح شأنهم ، ثم رحل إلى شترين ، وهي بلدة في غرب الأندلس . وهي في غاية المنعة والحصانة ، فحاصرها وضيق عليها ، فلم يقدر عليها ، وهجم الشتاء . وخاف المسلمون من البرد وزيادة مدّ النهر فلا يقدرّون على العبور وتنقطع عنهم المأدّة ، فأشاروا عليه بالرجوع إلى إشبيلية ، فاذا طاب الزمان عاد إليها ، فقبل ذلك منهم وقال: نحن راحلون غداً إن شاء الله تعالى ، ولم ينتشر هذا الحديث لأنه قاله في مجلس الخاصة ، فكان أول من قوض ورحل أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الرحمن الخطيب

١ ر و المختار : ربة .

٢ قارن بما في المعجب : ٣٣٠ وما بعدها ؛ وأورد صاحب البيان المغرب الخبر عن هذه المعركة مفصلاً (ص ١٢٨ - ١٣٨) .

المالقي^١، وكان من أهل العلم والفضل ، فلما رآه الناس قد قوض خبائه قوضوا أيضاً ثقة به، لمكانه من الدولة ومعرفته بأسرارها، فعبر تلك الليلة أكثر العسكر على النهر خشية الزحام وطلباً لجيد المنازل ، ولم يبق إلا من كان بقرب خباء الأمير يوسف بن عبد المؤمن ، ولا علم له بذلك ، فلما رأى الروم عبور العسكر وبلغهم من جواسيسهم ما عزم عليه الأمير يوسف وأصحابه خرجوا منتهزين الفرصة وحملوا حتى انتهوا إلى جهة الأمير يوسف ، فقتل على بابهِ خلق كثير من أعيان الجند ، وخلصوا إلى الأمير يوسف فطعنوه تحت سترته طعنة كانت سبب منيته ، وتداركهم الناس ، فأنهزم الروم ، وجعل الأمير يوسف في محفة ، وعبر به النهر ، ولم يسر به سوى ليلتين ومات في الثالثة ، فلما وصلوا به إلى إشبيلية صبروه وصبروه في تابوت وحملوه إلى تين مل ، ودفن هناك عند أبيه عبد المؤمن والمهدي محمد بن تومرت .

وكانت وفاته يوم السبت لسبع خلون من رجب سنة ثمانين وخمسمائة ، وكان قبل موته بأشهر ينشد هذا البيت ويردده في أوقات كثيرة :

طوى الحديدان ما قد كنت أنشره وأنكرتني ذوات الأعين النجل

وقام بعده بالأمر ولده أبو يوسف يعقوب ، بويع في حياة أبيه ، وقيل إن أشياخ الدولة اتفقوا على تقديمه بعد وفاة أبيه ، والله أعلم .

(389) وكان الأديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكوراني^٢ - وكورايا قبيلة من البربر منازلهم بضواحي مدينة فاس ، وقيل إن هذه القبيلة إنما يقال لها جرّاوة : بفتح الجيم وقد تبدل الجيم كافاً فيقال لها كراوة ، والنسبة إليها جراوي وكراوي - وكان هذا الأديب نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثه ، وتقدم في هذا الشأن وجالس به عبد المؤمن ، ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب ،

١ شرح المراكشي في المعجب : ٣٣٣ ما حل بأبي الحسن المالقي هذا ، فقد هرب خوفاً من الخليفة الموحي ، ولجأ إلى ابن الريق ، ثم دس كتاباً إلى الموحيين يدلهم فيه على عورات الروم ، فكشف أمره ، وعوقب بالموت حرقاً ، ولكن صاحب البيان المغرب (٣ : ١٣٧) عده ممن استشهد في المعركة .

٢ قد مر التعريف به ، انظر ما تقدم ص : ١٢ .

وجمع كتاباً يحتوي على فنون الشعر على وضع « الحماسة » لأبي تمام الطائي ،
وسماه « صفوة الأدب وديوان العرب » وهو كثير الوجود بأيدي الناس ،
وهو عند أهل المغرب كالحماسة عند أهل المشرق . والمقصود من ذكر هذا
الأديب أنه كانت له نواذر نادرة وملح مستظرفة عند أهل الأدب ، فمن
ذلك أنه حضر يوماً إلى باب دار الأمير يوسف المذكور ، وهناك الطبيب سعيد
الغماري - وغمارة ، بضم الغين المعجمة ، قبيلة من البربر أيضاً - فقال الأمير
يوسف لبعض خدمه : انظر مَنْ بالباب من الأصحاب ، فخرج الخادم
إلى الباب ثم عاد إليه فقال : أحمد الكوراني وسعيد الغماري ، فقال الأمير
يوسف : من عجائب الدنيا شاعر من كورايا وطبيب من غمارة . فبلغ ذلك
الكوراني ، فقال ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ﴾ (يس : ٧٨) أعجب
منهما والله خليفة من كومية . فيقال إن الأمير يوسف لما بلغه ذلك قال :
أعاقبه بالحلم عنه والعفو فيه تكذيبه .

ومن شعره من جملة قصيدة مدح بها الأمير يوسف المذكور . وهو
بديع غريب :

إن الإمام هو الطبيبُ وقد شفى عللَ البريةَ ظاهراً ودخلاً
حمل البسيطةَ وهي تحملُ شخصه كالروح توجدُ حاملاً محمولا
ومن شعره أيضاً في ذم أهل فاس ، وهي مدينة بالمغرب فيما بين سبتة
ومراكش :

مشى اللومُ في الدنيا طريداً مشرداً يحوب بلاد الله شرقاً ومغرباً
فلما أتى فاساً تلقاه أهلها وقالوا له : أهلاً وسهلاً ومرحباً

وله كل شعر مليح . وكان شيخاً مسناً جاوز ثمانين سنة ، وتوفي في آخر
أيام الأمير يعقوب ابن الأمير يوسف - وقد ذكرت وفاة الأمير يعقوب في
ترجمته فيكشف منها - وله مديح في الأمير عبد المؤمن بن علي وأولاده إلى
آخر زمنه ، رحمه الله تعالى .

وأما شنترين : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وفتح التاء المثناة من فوقها وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، فهي مدينة في غرب الأندلس ، وذكر ابن حوقل في كتاب « المسالك والممالك » أن شنترين على البحر المحيط ، وبها يقع العنبر ، ولا يعلم ببلد الروم والمحيط عنبر يقع في غير هذا الموضع وشيء وقع بالشام . ويقع بشنترين في وقت من السنة دابة تحك الحجارة في وسط البحر ، فيقع بها وبرة في لين الخبز ولون الذهب ، فيجمع منه ما يغزل وينسج ثياباً ، ويتلون الثوب ألواناً ، وتحجر عليه ملوك بني أمية بالأندلس ، فلا ينقل ولا يشتري ، فتزيد قيمة الثوب على ألف دينار لعزته وحسنه ، والله أعلم .

قلت : وحكى لي بعض الفضلاء من أهل الأندلس أنه رأى قطعة من هذه الثياب هناك ، وأراد أن يصفها لي فما قدر أن يعبر عنها ، ثم قال : لكنها أرفع وأنعم من نسج العنكبوت ، فتعالى الله ما أجل قدرته وألطف حكمته وأحسن صنعته ، وكيف خص كل صقع بنوع من الغرائب سبحانه وتعالى ، والله در أبي نواس حيث قال :

وفي كل شيء له آيةٌ تدلّ على أنه واحدٌ

السلطان صلاح الدين

أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ، الملقب الملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمينية ؛ قد تقدم في هذا الكتاب ذكر أبيه أيوب وجماعة من أولاده وعمه أسد الدين شيركوه أخيه الملك العادل أبي بكر محمد ، وجماعة من أولاده وغيرهم من أهل بيته ؛ وصلاح الدين كان واسطة العقد ، وشهرته أكبر من أن تحتاج إلى التنبية عليه .

اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من دُوَيْن ، بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، وهي بلدة في آخر عمل أذربيجان من جهة أرّان وبلاد الكرج ، وأنهم أكرّاد رَوَادِيَّة ، بفتح الراء والواو وبعده الألف دال مهملة ثم ياء مثناة من تحتها مشددة وبعدها هاء - والروادية : بطن من الهذبانية - بفتح الهاء والذال المعجمة وبعده الألف نون مكسورة ثم ياء مشددة مثناة من تحتها وبعدها هاء ، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد . وقال لي رجل فقيه عارف بما يقول ، وهو من أهل دُوَيْن : إن على باب دُوَيْن قرية يقال لها أجدّ أنقّان ، بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة وبعده الألف نون مفتوحة وقاف مفتوحة وبعده الألف الثانية نون أخرى ، وجميع أهلها أكراد رَوَادِيَّة ، ومولد أيوب والد صلاح الدين

٨٤٦ - من المتعذر حصر المصادر الأصلية عنه وعن أخباره ، ويكفي أن نذكر تاريخ ابن الأثير وسيرة ابن شداد والروضتين ومفرج الكروب والفتح القسي والبرق الشامي ومضمار الحقائق ورسائل القاضي الفاضل ومرآة الزمان والسلوك ... الخ ، هذا عدا عما كتب عنه في اللغات الأجنبية ، والدراسات التي تناولته (تخصيصاً أو تميمياً) للحروب التي سميت باسم الحروب الصليبية) .

بها ، وشاذي أخذ ولديه أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ، ومن هناك نزلوا تكريت ، ومات شاذي بها ، وعلى قبره قبة داخل البلد .

ولقد تتبعت نسبتهم كثيراً فلم أجد أحداً ذكر بعد شاذي أباً آخر، حتى إنني وقفت على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك باسم شيركوه وأيوب ، فلم أر فيها سوى شيركوه بن شاذي ، وأيوب بن شاذي ، لا غير ؛ وقال لي بعض كبراء بيتهم : هو شاذي بن مروان ، وقد ذكرت ذلك في ترجمة أيوب وشيركوه ؛ ورأيت مُدْرِجاً رتبة الحسن بن غريب بن عمران الحرشي^١ يتضمن أن أيوب بن شاذي بن مروان بن أبي علي بن عنتر بن الحسن بن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز بن هذبة بن الحُصَيْن بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عوف بن أسامة بن بيهس بن الحارث صاحب الحمالة ابن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نُشْبَة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد ابن ذبيان^٢ بن بغيض بن رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ثم رفع بعد هذا في النسب حتى انتهى إلى آدم عليه السلام . ثم ذكر بعد ذلك أن علي بن أحمد بن أبي علي بن عبد العزيز يقال إنه ممدوح المتنبي ، ويعرف بالخراساني ، وفيه يقول من جملة قصيدته^٣ :

شَرَقَ الجَسُوءُ بالغبارِ إذا سا ر عليّ بن أحمد القمقامُ

وأما حارثة بن عوف بن أبي حارثة صاحب الحمالة، فهو الذي حمل الدماء بين عبس وذبيان ، وشاركه في الحمالة خارجة بن سنان أخو هرم بن

١ المختار : الحرشي ، وقد ضبط المؤلف الاسم برسم صورة الهاء تحت الحرف ، كما جرى به الضبط .

٢ بضم الذال أو كسرهما ، وكتب فوقه «مأ» في المسودة .

٣ ديوان المتنبي : ١٠٥ .

٤ كذا كتبه المؤلف هنا ، وقيل أسطر كتبه «الحارث» ، والمشهور أن اسمه الحارث .

سنان ، وفيهما قال زهير بن أبي سلمى المزني قصائد منها قوله^١ :

على مكربهم حقّ من يعترهمُ وعند المُقلّين السّاحة والبَدَلُ
وهل ينبتُ الخطيَّ إلا وشيجهُ وتُغرسُ إلا في منابتها النّخلُ

هذا آخر ما ذكره في المدرج ، وكان قد قدمه إلى الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، وسمعه عليه هو وولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود ابن الملك المعظم ، وكتب لهما بسماعهما عليه في آخر رجب سنة تسع عشرة وستمائة . والله أعلم ؛ انتهى ما نقلته من المدرج .

ورأيت في « تاريخ حلب » الذي جمعه القاضي كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبي بعد أن ذكر الاختلاف في نسبهم فقال : وقد كان المعز لإسماعيل بن سيف الإسلام ابن أيوب ملك اليمن ادعى نسباً في بني أمية وادعى الخلافة . وسمعت شيخنا القاضي بهاء الدين عرف بابن شدا^٢ يحكي عن السلطان صلاح الدين أنه أنكر ذلك وقال : ليس لهذا أصل أصلاً .

قلت : ذكر شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري صاحب التاريخ الكبير في تاريخه الصغير الذي صنّفه للدولة الأتابكية ملوك الموصل . في فصل يتعلق بأسد الدين شيركوه ، ومسيره إلى الديار المصرية فقال^٣ : كان أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب ، وهو الأكبر ، ابنا شاذي من بلد دُوين ، وأصلهما من الأكراد الروادية قد قدما العراق . وخرجا مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثي شحنة بالعراق .

(390) قلت : وهذا مجاهد الدين كان خادماً رومياً أبيض اللون تولى شحنة بالعراق من جهة السلطان مسعود بن غياث الدين محمد بن ملكشاه السلاجوقي — المقدم

١ دبران زهير ١١٤٠ - ١١٥٠ .

٢ علق ابن المؤيد هنا بأن هذا ورد أيضاً في ترجمة نجم الدين أيوب . قلت : انظر ج ١ :

٢٥٥ وم بعدها . وانصر البهر : ١١٩ .

ذكره وذكر والده وجماعة من أهل بيته - وكان صاحب همة في عمل المصالح
الخليلة وعمارة البلاد ، واسع الصدر والصبر في البذل والإنفاقات والمطاولة
والمراجعة إذا امتنع عليه الغرض ، وكانت تكريرت لإقطاعاً له ، وكان خادماً
السلطان محمد والد مسعود المذكور ، وبني في بغداد رباطاً وقف عليه وفقاً
جيداً ، ومات يوم الأربعاء الثالث والعشرين من رجب سنة أربعين وخمسمائة .
وبهروز : بكسر الباء الموحدة وسكون الهاء وضم الراء وسكون الواو
وبعدها زاي ، وهو لفظ عجمي ، معناه يوم جيد ، على التقديم والتأخير على
عادة كلام العجم .

قال شيخنا ابن الأثير : فرأى مجاهد الدين في نجم الدين أيوب عقلاً
ورأياً حسناً وحسن سيرة ، فجعله دُزدار تكريرت إذ هي له - قلت :
دزدار ، بضم الدال المهملة وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الألف
راء ، وهو لفظ عجمي معناه حافظ القلعة ، وهو الوالي ، ودزه^١ بالعجمي
القلعة ، ودار : الحافظ - فسار إليها ومعه أخوه أسد الدين شيركوه ، فلما أنهزم
أتابك الشهيد عماد الدين زنكي بالعراق من قراجا - قلت : وهي وقعة مشهورة
خلاصتها أن مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، المقدم ذكره^١ ، وعماد
الدين زنكي صاحب الموصل قصدا حصار بغداد في أيام الإمام المسترشد ،
فأرسل إلى قراجا الساقى واسمه برس صاحب بلاد فارس وخوزستان ، يستنجد
به ، فأتاه وكبس عسكرهما وأنهزما بين يديه وانكسرا . وذكر في تاريخ
الدولة السلجوقية أنها كانت في شهر ربيع الآخر يوم الخميس ثاني عشر الشهر
المذكور من سنة ست وعشرين وخمسمائة على تكريرت . وقال أسامة بن منقذ
المقدم ذكره في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها الذين كانوا في زمانه :
إنه حضر هذه الواقعة مع زنكي في التاريخ المذكور ، ذكر ذلك في موضعين
أحدهما في ترجمة إربل ، والثاني في ترجمة تكريرت -

١ انظر ج ٥ : ٢٠٠ .

رجعنا إلى ما كنا فيه :

فوصل زنكي إلى تكريت ، فعلمه نجم الدين أيوب وأقام له السفن ، فعبّر دجلة هناك وتبعه أصحابه ، فأحسن نجم الدين إليهم وسيرهم ، وبلغ ذلك بهروز ، فسير إليه وأنكر عليه وقال له : كيف ظفرت بعدونا فأحسنست إليه وأطلقتته !! ثم إن أسد الدين قتل إنساناً بتكريت لكلام جرى بينهما ، فأرسل مجاهد الدين إليهما فأخرجهما من تكريت ، فقصدنا عماد الدين زنكي - قلت : وكان إذ ذاك صاحب الموصل - قال : فأحسن عماد الدين إليهما وعرف لهما خدمتهما ، وأقطعهما إقطاعاً حسناً وصاراً من جملة جنده . فلما فتح عماد الدين زنكي بعلبك جعل نجم الدين دذارها ، فلما قتل زنكي - قلت : وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته - قال : فحصره عسكر دمشق - قلت : وكان صاحب دمشق يومئذ مجير الدين أبق بن محمد بن بوري ابن الأتابك ظهير الدين طغتكين ، وهو الذي حاصره نور الدين محمود بن زنكي في دمشق ، وأخذها منه - قال شيخنا ابن الأثير : فأرسل نجم الدين أيوب إلى سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل ، وقد قام بالملك بعد والده يُنهي إليه الحال ، ويطلب منه عسكراً ليرحل صاحب دمشق عنه ، وكان سيف الدين في ذلك الوقت في أول ملكه^١ ، وهو مشغول باصلاح ملوك الأطراف المجاورين له ، فلم يتفرغ له ، وضاق الأمر على من في بعلبك من الحصار ، فلما رأى نجم الدين أيوب الحال وخاف أن تؤخذ قهراً أرسل في تسليم القلعة ، وطلب إقطاعاً ذكره ، فأجيب إلى ذلك ، وحلف له صاحب دمشق عليه وسلم القلعة ، ووفى له صاحب دمشق بما حلف عليه من الإقطاع والتقدم وصار عنده من أكبر الأمراء ، واتصل أخوه أسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل أبيه زنكي .

قلت : هو نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب^٢ ، وكان يخدمه في أيام والده ، فقربه نور الدين وأقطعه ، وكان يرى منه في الحروب آثاراً

١ المختار : مملكته .

٢ زاد في المختار : يومئذ .

يعجز عنها غيره لشجاعته وجراته ، فصارت له حمص والرحبة وغيرهما ، وجعله مقدم عسكره .

قلت : ثم خرج شيخنا ابن الأثير بعد هذا إلى حديث سفر أسد الدين إلى الديار المصرية ، وما تجدد لهم هناك ، وليس هذا موضع هذا الفصل ، بل تم حديث صلاح الدين صاحب هذه الترجمة من مبدأ أمره حتى نصير إلى آخره إن شاء الله تعالى ، ويندرج فيه حديث المملكة وما صار حالهم إليه ، وإن كان قد سبق في ترجمة أسد الدين شيركوه طرف من أخبارهم ، لكن ما استوفيته هناك اعتماداً على استيفائه ها هنا إن شاء الله تعالى .

قلت : اتفق أرباب التواريخ أن صلاح الدين مولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكرت لما كان أبوه وعمه بها ، والظاهر أنهم ما أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة ، لأنه قد سبق القول أن نجم الدين وأسد الدين لما خرجا من تكرت، كما شرحناه، وصلا إلى عماد الدين^١ زنكي فأكرمهما وأقبل عليهما ، ثم إن عماد الدين زنكي قصد حصار دمشق فلم تحصل له ، فرجع إلى بعلبك فحصرها أشهراً ، وملكها في رابع عشر صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، كما ذكره أسامة بن منقذ - المقدم ذكره - في كتابه الذي ذكر فيه البلاد وملوكها . وذكر أبو يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي الدمشقي في تاريخه الذي جعله ذيلاً على تاريخ أبي الحسين هلال ابن الصابي^٢ : أن عماد الدين حاصر بعلبك يوم الخميس العشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ثم ذكر في مستهل سنة أربع وثلاثين أنه ورد الخبر بفراغ عماد الدين من ترتيب بعلبك وقلعتها وترميم ما تشعث منها ، والله أعلم . وإذا كان كذلك فيكون قد خرجوا من تكرت في بقية سنة اثنتين وثلاثين التي ولد فيها صلاح الدين ، أو في سنة ثلاث وثلاثين ؛ لأنهما أقاما عند عماد الدين بالموصل . ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب ، وذلك في أوائل سنة أربع وثلاثين .

١ المختار : اتصال بخدمة عماد الدين .

٢ ذيل تاريخ دمشق : ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

كما شرحته ، فيتعين أن يكون خروجهم من تكريت في المدة المذكورة تقديراً ،
والله أعلم - قلت : ثم أخبرني بعض أهل بيتهم ، وقد سألته : هل تعرف
متى خرجوا من تكريت ؟ فقال : سمعت جماعة من أهلنا يقولون : لأنهم
أخرجوا منها في الليلة التي ولد فيها صلاح الدين ، فتشاءموا به وتطيروا منه ،
فقال بعضهم : لعل فيه الخيرة وما تعلمون ، فكان كما قال ، والله أعلم .

ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع . ولما ملك نور الدين
محمود بن عماد الدين زنكي دمشق في التاريخ المذكور في ترجمته لازم نجم
الدين أيوب خدمته ، وكذلك ولده صلاح الدين ، وكانت مخايل السعادة عليه
لائحة ، والنجابة تقدّمه من حالة إلى حالة ، ونور الدين يرى له ويؤثره ،
ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في أمور الجهاد ،
حتى تجهز للمسير مع عمه شيركوه إلى الديار المصرية ، كما سنشرحه إن
شاء الله تعالى .

وجدت في بعض تواريخ المصريين أن شاور - المقدم ذكره^١ - هرب
من الديار المصرية من الملك المنصور أبي الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار
الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري لما استولى على الدولة المصرية وقهره
وأخذ مكانه في الوزارة كغادتهم في ذلك ، وقتل ولده الأكبر طي بن شاور ،
فتوجه شاور إلى الشام مستغيثاً بالملك العادل نور الدين أبي القاسم محمود بن
زنكي ، وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، ودخل دمشق
في الثالث والعشرين من ذي القعدة من السنة ، فوجه نور الدين معه الأمير
أسد الدين شيركوه بن شاذي في جماعة من عسكره كان صلاح الدين في
جملتهم في خدمة عمه ، وهو كاره للسفر معهم . وكان لنور الدين في إرسال
هذا الجيش غرضان : أحدهما قضاء حق شاور لكونه قصده ودخل عليه
مستصرخاً ، والثاني أنه أراد استعلام أحوال مصر فإنه كان يبلغه أنها ضعيفة
من جهة الجند وأحوالها في غاية الاختلال ، فقصده الكشف عن حقيقة ذلك ،

١ انظر ج ٢ : ٤٣٩ .

وكان كثير الاعتماد على شيركوه لشجاعته ومعرفته وأمانته ، فانتدبه لذلك ، وجعل أسد الدين شيركوه ابن أخيه صلاح الدين مقدم عسكره، وشاور معهم ، فخرجوا من دمشق في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين فدخلوا مصر واستولوا على الأمر في رجب من السنة .

وقال شيخنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف المعروف بابن شداد — المقدم ذكره — في كتابه الذي وسمه بـ «سيرة صلاح الدين»^١ : إنهم دخلوا مصر في ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسائة ، والقول الأول أصح ؛ لأن الحافظ أبا طاهر السلفي ذكر في «معجم السّفَر» أن الضرغام بن سوار قتل في سنة تسع وخمسين وخمسائة ، وزاد غيره فقال : يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة من السنة عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها ، فيما بين القاهرة ومصر ، واحتز رأسه وطيف به على رمح ، وبقيت جثته هناك ثلاثة أيام تأكل منها الكلاب ، ثم دفن عند بركة الفيل ، وعمرت عليه قبة — قلت : والقبة إلى الآن باقية في موضعها تحت الكيش^٢ المستجد بناؤه، ورأيت فيها جماعة من الفقراء الجوالقية مقيمين. وقد قيل إن الضرغام إنما قتل في رجب من سنة تسع وخمسين . وقد اتفقوا على أن الضرغام إنما قُتل عند قدوم أسد الدين شيركوه وشاور إلى مصر، فما يمكن أن يكون دخولهم مصر في سنة ثمان وخمسين؛ لأن الضرغام لاخلاف في قتله في سنة تسع وخمسين ، وأنه كان في أول وصولهم ، والحافظ السلفي أخبر بذلك لأنه كان مقيماً في البلاد أول وصولهم، وهو أضبط لهذه الأمور من غيره . لأن هذا فته ، وهو من أقعد الناس به .

ولما وصل أسد الدين وشاور إلى الديار المصرية واستولوا عليها وقتلوا

١ سيرة صلاح الدين : ٣٦ .

٢ ذكر المقرئ (المخطوط ٢ : ١٣٣) أن مناظر الكيش بين بركة الفيل وبركة قارون أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل في أعوام بضع وأربعين وستائة ، وظلت بعده من المنازل الملكية حتى خرب الكيش بعد سنة ٧٦٨ وظل خراباً لا ساكن فيه حتى سنة ٧٧٥ ثم بني فيه الناس دوراً لهم .

الضرغام ، وحصل لشاور مقصوده وعاد إلى منصبه وتمهدت قواعده واستمرت أموره ، غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد بالفرنجة عليه ، وحصلوه في بلبس . وكان أسد الدين قد شاهد البلاد وعرف أحوالها ، وأنها مملكة بغير رجال ، تمشي الأمور فيها بمجرد الإيهام والمحال ، فطمع فيها ، وعاد إلى الشام في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وخمسين ، وقال شيخنا ابن شداد : في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ، بناء على ما قرره أولاً أن دخولهم البلاد كان في سنة ثمان وخمسين. وأقام أسد الدين بالشام مدة مفكراً في تدبير عودته إلى مصر ، محدثاً نفسه بالملك لها ، مقررّاً قواعد ذلك مع نور الدين ، إلى سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وبلغ شاور حديثه وطمعه في البلاد فخاف عليها ، وعلم أن أسد الدين لا بد له من قصدها ، فكتب الفرنج وقرر معهم أنهم يحيثون إلى البلاد ويمكنهم منها تمكيناً كلياً ليعينوه على استئصال أعدائه .

وبلغ نور الدين وأسد الدين مكاتبة شاور للفرنج وما تقرر بينهم ، فخافا على الديار المصرية أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد ، فتجهز أسد الدين ، وأنفذ معه نور الدين العساكر ، وصالح الدين في خدمة عمه أسد الدين . وكان توجههم من الشام في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، وكان وصول أسد الدين إلى البلاد مقارناً لوصول الفرنج إليها . واتفق شاور والمصريون بأسرهم والفرنج على أسد الدين ، وجرت حروب كثيرة ووقعات شديدة ، وانفصل الفرنج عن البلاد ، وانفصل أسد الدين أيضاً راجعاً إلى الشام .

وكان سبب عود الفرنج أن نور الدين جرد العساكر إلى بلادهم ، وأخذ المنيطرة منهم في رجب من هذه السنة ، وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم فعادوا إليها . وكان سبب عود أسد الدين إلى الشام ضعف عسكره بسبب موازنة الفرنج والمصريين^١ وما عانوه من الشدائد . وعابنوه من الأهوال ، وما

١ المختار : بسبب الحروب التي جرت .

عاد حتى صالح الفرنج على أن ينصرفوا كلهم عن مصر . وعاد إلى الشام في بقية السنة ، وقد انضاف إلى قوة الطمع في الديار المصرية شدة الخوف عليها من الفرنج لعلمه بأنهم قد كشفوها كما قد كشفها وعرفوها كما عرفها ، فأقام بالشام على مَضَض وقلبه قلق ، والقضاء يقوده إلى شيء قُدّر لغيره وهو لا يشعر بذلك ، وكان عوده في ذي القعدة من هذه السنة إلى الشام ، وقيل إنه عاد في ثامن عشر شوال من السنة ، والله أعلم^١.

ورأيت في بعض المسودات التي بخطي ، ولا أعلم من أين نقلته ، أن أسد الدين لما طمع في الديار المصرية توجه إليها في سنة اثنتين وستين ، وسلك طريق وادي الغزلان ، وخرج عند إطفيج ، فكانت فيها وقعه البابين عند الأشمونيين ، وتوجه صلاح الدين إلى الإسكندرية فاحتفى بها ، وحاصره شاور في جمادى الآخرة من السنة ، ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد إلى بليس ، وتم الصلح بينه وبين المصريين ، وسيروا له صلاح الدين ، فساروا إلى الشام .

ثم إن أسد الدين عاد إلى مصر مرة ثالثة ، قال شيخنا ابن شداد^٢: «وكان سبب ذلك أن الفرنج جمعوا فارسهم وراجلهم ، وخرجوا يريدون الديار المصرية ناكثين لجميع ما استقر مع المصريين وأسد الدين طمعاً في البلاد ، فلما بلغ ذلك أسد الدين ونور الدين لم يسعهما الصبر دون أن سارعا إلى قصد البلاد ، أما نور الدين فبالمال والرجال ، ولم يمكنه المسير بنفسه خوفاً على البلاد من الفرنج . ولأنه كان قد حدث له نظر إلى جانب الموصل بسبب وفاة علي بن بكتكين» — قلت : هو زين الدين والد السلطان مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل وقد تقدم ذكره في ترجمة ولده كوكبوري — قال : «فإنه توفي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسائة ، وسلم ما كان في يده من الحصون لقطب الدين أتابك ما عدا إربل فإنها كانت له من أتابك زنكي . وأما أسد الدين فبنفسه وماله وإخوته وأهله ورجاله . ولقد

١ - وأقام أسد الدين ... أعلم : أكثره منقول عن سيرة صلاح الدين : ٣٧ - ٣٨ .

٢ - سيرة صلاح الدين : ٣٨ - ٤٠ .

قال لي السلطان صلاح الدين قدس الله روحه : كنت أكره الناس للخروج في هذه الدفعة وما خرجت مع عمي باختيارى ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ (البقرة : ٢١٦) .

« وكان شاور لما أحس بخروج الفرنج إلى مصر على تلك القاعدة سير إلى أسد الدين يستصرخه ويستنجده ، فخرج مسرعاً ، وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة . ولما علم الفرنج بوصول أسد الدين إلى مصر على اتفاق بينه وبين أهلها رحلوا راجعين على أعقابهم ناكسين ، وأقام أسد الدين بها يتردد إليه شاور في الأحيان ، وكان وعدهم بمال في مقابلة ما خسروه من النفقة ، فلم يوصل إليهم شيئاً ، وعلقت غاليب أسد الدين في البلاد ، وعلم أنه متى وجد الفرنج رخصة أخذوا البلاد ، وأن شاور يلعب به تارة وبالفرنج أخرى ، ومثلاً كما فقد كانوا على البدعة المشهورة ، وتحقق أسد الدين أنه لا سبيل إلى الاستيلاء على البلاد مع بقاء شاور ، فأجمع رأيه على القبض عليه إذا خرج إليه . وكان الأمراء الواصلون مع أسد الدين يترددون إلى خدمة شاور ، وهو يخرج في الأحيان إلى أسد الدين يجتمع به ، وكان يركب على عادة وزرائهم بالطلل والبوق والعلم ، ولم يتجاسر على قبضه أحد من الجماعة إلا السلطان بنفسه ، وذلك أنه لما سار إليهم تلقاه راكباً ، وسار إلى جانبه وأخذ بتلايبيه ، وأمر العسكر بأن قصدوا أصحابه ، ففروا ونهبهم العسكر ، وأنزل شاور إلى خيمة مفردة . وفي الحال ورد توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول : لا بد من رأسه ، جرياً على عادتهم في وزرائهم ، فحز رأسه وأرسل إليهم ، وسيروا إلى أسد الدين خلعت الوزارة فلبسها ، وسار ودخل القصر وترتب وزيراً ، وذلك في سابع عشر ربيع الأول سنة أربع وستين وخمسمائة ، ودام أمراً ونهاياً . والسلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى مباشر الأمور مقرر لها لمكان كفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته ، إلى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة . فمات أسد الدين » — قلت : وقد تقدم حديث أسد الدين

١ في السيرة : وأمر العسكر أن يخلوا أصحابه .

وصورة موته ، فلا حاجة إلى شرحها هنا ، وكذلك وفاة شاور ، وهذا كله نقلته من كلام شيخنا ابن شداد في « سيرة صلاح الدين » ولكنني أتيت منه بالمقصود وحذفت الباقي .

ورأيت بخطي في جملة مسوداتي أن أسد الدين دخل القاهرة يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين وخمسائة ، وخرج إليه العاضد عبد الله العبيدي آخر ملوك مصر - المقدم ذكره^١ - وتلقاه ، وحضر يوم الجمعة التاسع من الشهر إلى الإيوان ، وجلس إلى جانب العاضد وخلع عليه ، وأظهر له شاور ودأً كثيراً ، فطلب منه أسد الدين مالاً ينفقه في عسكره ، فدافعه ، فأرسل إليه أن الجند تغيرت قلوبهم عليه بسبب عدم النفقة ، فإذا خرجت فكن على حذر منهم ، فلم يكثرث شاور بكلامه ، وعزم أن يعمل دعوة يستدعي إليها أسد الدين والعساكر الشامية ويقبض عليهم ، فأحس أسد الدين بذلك ، فاتفق صلاح الدين وعز الدين جورديك النوري وغيرهما على قتل شاور ، وأعلموا أسد الدين فنهاهم عنه . وخرج شاور إلى أسد الدين ، وكانت خيامهم على شاطئ النيل بالمقس ، فلم يجده في جهته^٢ ، وكان قد راح إلى زيارة تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه بالقرافة ، فقال شاور : نمضي إليه ، فالتقوه فساروا جميعاً ، فاكتنفه صلاح الدين وجورديك وأنزلاه عن فرسه وكتفوه ، فهرب أصحابه ، فأخذوه أسيراً ، ولم يمكنهم قتله بغير إذن نور الدين ، وجعلوه في خيمة ورسوموا عليه جماعة ، فأرسل العاضد يأمرهم بقتله فقتلوه ، وسيروا رأسه على رمح إلى العاضد ، وذلك يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة . وقيل إن أسد الدين لم يحضر ذلك ، بل لما قصد شاور جهة أسد الدين لقيه صلاح الدين وجورديك ومعهما بعض العسكر ، فسلم بعضهم على بعض وساروا ، ثم فعلا به هذه الفعلة ، والله أعلم .

ثم إن العاضد استدعى أسد الدين عقيب قتل شاور ، وكان في الحيم

١ انظر ج ٣ : ١٠٩ . ٢ ربما قرئت في المسودة « خيمته » .

فدخل القاهرة ، فرأى جمعاً كبيراً من من العامة فخافهم فقال لهم : إن مولانا العاضد أمركم بنهب دار شاور ، فتفرقوا ومضوا لنهبها ، ودخل على العاضد فتلقاه وأفاض عليه خلّع الوزارة ، ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش . ثم إنه مات يوم الأحد لسبع بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بعلّة الخوانيق ، وقيل إنه سم في حنك الوزارة لما خلّع عليه . وكانت وفاته بالقاهرة ودفن بدار الوزارة ، ثم نقل إلى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فكانت مدة وزارته شهرين وخمسة أيام . وقيل إن أسد الدين دخل على العاضد يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، والله أعلم .

قلت : قد تقدم في ترجمة كل واحد من شاور وأسد الدين ذكر شيء من هذه الأمور التي ذكرتها ها هنا ، وإنما أعدت الكلام فيها لأني استوفيتها ها هنا أكثر من هناك ، وأيضاً فإن المقصود في هذا كله ذكر سيرة صلاح الدين وتنقلاته وما جرى له من أول أمره إلى آخره ، فأحببت ذكر ذلك على سياقة واحدة كي لا ينقطع الكلام فيبقى أتر ، فأقول :

ذكر المؤرخون^١ أن أسد الدين لما مات استقرت الأمور بعده للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وتمهدت القواعد ومشى الحال على أحسن الأوضاع ، وبذل الأموال وملك قلوب الرجال ، وهانت عنده الدنيا فملكها ، وشكر نعمة الله تعالى عليه ، فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو ، وتقمص بقميص الجلد والاجتهاد ، وما زال على قدم الخير وفعل ما يقربه إلى الله تعالى ، إلى أن مات .

قال شيخنا ابن شداد^٢ : «سمعت يقول رحمه الله تعالى : لما يسر لي الله الديار المصرية علمت أنه أراد فتح الساحل لأنه أوقع ذلك في نفسي . ومن حين استتب له الأمر ما زال يشن الغارات على الفرنج إلى الكرك والشوبك وبلادهما

١ انظر سيرة صلاح الدين : ٤٠

٢ المصدر السابق : ٤١ .

وغشي الناس من سحائب الإفضال والإنعام ما لم يؤرخ عن غير تلك الأيام ، وهذا كله وهو وزير متابع القوم ، لكنه يقول بمذهب أهل السنة ، غارس^١ في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين ، والناس يهرعون إليه من كل صوب ويفدون عليه من كل جانب ، وهو لا يخيب قاصداً ولا يعدم وافداً إلى سنة خمس وستين وخمسمائة .

«ولما عرف نور الدين استقرار أمر السلطان بمصر أخذ حمص من نواب أسد الدين وذلك في رجب سنة أربع وستين .»

«ولما علم الفرنج ما جرى من المسلمين وعساكرهم وما تم للسلطان من استقامة الأمر بالديار المصرية ، علموا أنه يملك بلادهم ويخرب ديارهم ويقطع آثارهم ، لما حدث له من القوة والملك ، واجتمع الفرنج والروم جميعاً وقصدوا الديار المصرية ، فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاجون إليه من العُدَد . ولما سمع فرنج الشام ذلك اشتد أمرهم ، فسرقوا حصن عكار من المسلمين وأسروا صاحبها ، وكان مملوكاً لنور الدين يقال له خُطْلُخُ العلم دار ، وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة خمس وستين . ولما رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم ، فنزل على الكرك محاصراً لها في شعبان من السنة المذكورة ، فقصدته فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاءهم فلم يقفوا له ، ثم بلغه وفاة مجد الدين ابن الداية ، وكانت وفاته بحلب في شهر رمضان سنة خمس وستين ، فاشتغل قلبه لأنه كان صاحب أمره ، وعاد يطلب الشام ، فبلغه أمر الزلازل بحلب التي أخرجت كثيراً من البلاد ، وكانت في ثاني عشر شوال منها ، فسار يطلب حلب ، فبلغه خبر موت أخيه قطب الدين بالموصل - قلت : وقد ذكرت ذلك في ترجمته واسمه مودود^١ - قال : وبلغه الخبر وهو بتل باشر ، فسار من ليلته طالباً بلاد الموصل .»

«ولما بلغ صلاح الدين قصد الفرنج دمياط استعد لهم بتجهيز الرجال وجميع

١ انظر ج ٥ : ٣٠٢ - ٣٠٣ .

الآلات إليها ، ووعدهم بالإمداد بالرجال إن نزلوا عليهم ، وبالعطايا والهبات ، وكان وزيراً متحكماً لا يرد أمره في شيء . ثم نزل الفرنج عليها واشتد زحفهم وقتلهم عليها ، وهو رحمه الله يشن عليهم الغارات من خارج ، والعسكر يقاتلهم من داخل ، ونصر الله تعالى المسلمين به وبحسن تدبيره ، فرحلوا عنها خائبين ، فأحرقت مناجيقهم ونهبت آلاتهم ، وقتل من رجالهم خلق كثير ، واستقرت قواعد صلاح الدين ، وسير طلب والده نجم الدين أيوب ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف الصديق عليه السلام ، فوصل والده إليه في جمادى الآخرة من سنة خمس وستين - قلت : هكذا ذكر ابن شداد تاريخ وصوله إلى مصر ، والصواب فيه هو الذي ذكرته في ترجمته - وسلك معه من الأدب ما جرت به عادته ، وألبسه الأمر كله ، فأبى أن يلبسه وقال : يا ولدي ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفء له ، ولا ينبغي أن يُغيّر موضع السعادة ، فحكّمه في الخزان كلها ، ولم يزل وزيراً حتى مات العاضد في التاريخ المقدم ذكره - قلت : أكثر ما ذكرته في هذا الفصل منقول من كلام شيخنا ابن شداد في «سيرة صلاح الدين» ، وفيه زوائد من غيرها .

والذي ذكره شيخنا الحافظ عز الدين ابن الأثير المذكور قبل هذا في تاريخه الأتابكي^٢ أن كيفية ولاية صلاح الدين « أن جماعة من الأمراء النورية الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولاية الوزارة ، يعني بعد موت أسد الدين ، منهم الأمير عين الدولة الياروقي ، وقطب الدين خسرو بن تكليل وهو ابن أخي أبي الهيجاء الهذباني الذي كان صاحب إربل - قلت : هو صاحب المدرسة القطبية التي بالقاهرة - ومنهم سيف الدين علي بن أحمد الهكاري ، وجده كان صاحب القلاع الهكارية - قلت : هو المعروف بالمشطوب والد عماد الدين أحمد بن المشطوب ، وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة^٣ -

١ ذكر في ترجمته أنه دخل القاهرة لست بقين من رجب سنة خمس وستين وخمسمائة (٢٥٧ : ١) .

٢ التاريخ الباهر : ١٤١ وما بعدها .

٣ ترجمة عماد الدين ابن المشطوب في ج ١ : ١٨٠ .

قال : ومنهم شهاب الدين محمود الحارمي ، وهو خال صلاح الدين ، وكل واحد من هؤلاء يخطبها لنفسه ، وقد جمع ليغالب عليها ، فأرسل العاضد صاحب مصر إلى صلاح الدين ، وأمره بالحضور في قصره ليخلع عليه خلع الوزارة ويؤليه الأمر بعد عمه ، وكان الذي حمل العاضد على ذلك ضعف صلاح الدين ، فإنه ظن أنه إذا ولي صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته مستضعفاً يحكم عليه ولا يجسر على المخالفة ، وأنه يضع على العسكر الشامي من يستميلهم إليه ، فاذا صار معه البعض أخرج الباقين ، وتعود البلاد إليه ، وعنده من العساكر الشامية من يحميها من الفرنج ونور الدين ، والقصة مشهورة ، أردت عمراً وأراد الله خارجه» - قلت : هذا المثل مشهور بين العلماء وسيأتي الكلام عليه بعد الفراغ من هذه الترجمة إن شاء الله تعالى .

عُدنا إلى تمام الكلام الأول :

«فامتنع^١ صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فألزمه وأخذ كارهاً، إن الله ليعجب من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل . فلما حضر في القصر خلع عليه خلع الوزارة: الجبة والعمامة وغيرهما ، ولقب الملك الناصر وعاد إلى دار أسد الدين فأقام بها ، ولم يلتفت إليه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ولا خدموه ، وكان الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري معه» - قلت : وقد سبق ذكره في ترجمة مفردة^٢ - قال ابن الأثير : «فسعى مع سيف الدين علي بن أحمد حتى أماله إليه، وقال له: إن هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين الدولة والحارمي وابن تليل ، فمال إلى صلاح الدين . ثم قصد شهاب الدين الحارمي وقال له : إن هذا صلاح الدين هو ابن أختك ومملكه لك ، وقد استقام الأمر له ، فلا تكن أول من يسعى في إخراجه عنه ، ولا يصل إليك، ولم يزل به حتى أحضره أيضاً عنده وحلفه له؛ ثم عدل إلى

١ النقل مستمر عن التاريخ الأتابكي : ١٤٢ .

٢ انظر ج ٣ : ٤٩٧ .

قطب الدين وقال له : إن صلاح الدين قد أطاعه الناس ، ولم يبق غيرك وغير
الباروقي ، وعلى كل حال فيجمع بينك وبين صلاح الدين أن أصله من الأكراد
فلا يخرج الأمر عنه إلى الأتراك ، ووعدته وزاد في إقطاعه فأطاع صلاح
الدين أيضاً ، وعدل إلى عين الدولة الباروقي ، وكان أكبر الجماعة وأكثرهم
جمعاً ، فلم تنفعه رُقاه ولا نفذ فيه سحره ، وقال : أنا لا أخدم يوسف أبداً ،
وعاد إلى نور الدين ومعه غيره ، فأنكر عليهم فراقه ، وقد فات الأمر ليقضي
الله أمراً كان مفعولاً » .

« وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه ، وهو نائب عن الملك العادل
نور الدين ، والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ، ولا يتصرفون إلا عن أمره ،
وكان نور الدين يكتب صلاح الدين بالأمير الإصفهسلار^١ ، ويكتب علامته
في الكتب تعظيماً أن يكتب اسمه ، وكان لا يفرد في كتاب ، بل يكتب :
الأمير الإصفهسلار صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية يفعلون كذا
وكذا . واستمال صلاح الدين قلوب الناس ، وبذل الأموال مما كان أسد الدين
قد جمعه ، وطلب من العاضد شيئاً يخرج به فلم يمكنه منعه ، فمال الناس إليه
وأحبوه ، وقويت نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه ، وضعف أمر
العاضد ، فكان كالباحث عن حتفه بظلفه » .

[قال ابن الأثير في تاريخه الكبير^٢ : « قد اعتبرت التواريخ ، ورأيت كثيراً
من التواريخ الإسلامية فرأيت كثيراً من يتندىء الملك تنتقل الدولة عن صلبه
إلى بعض أهله وأقاربه ، منهم في أول الإسلام معاوية بن أبي سفيان أول من
ملك من أهل بيته ، فانتقل الملك عن أعقابه إلى بني مروان من بني عمه ، ثم
من بعده السفاح أول من ملك من بني العباس انتقل الملك من أعقابه إلى أخيه
المنصور ، ثم السامانية أول من استبد فيهم نصر بن أحمد فانتقل الملك عنه
إلى أخيه إسماعيل بن أحمد وأعقابه ، ثم يعقوب بن الليث الصفار وهو أول

١ الإصفهسلار (أو الإصفهسلار) : مقدم العسكر .

٢ تاريخ ابن الأثير ١١ : ٣٤٤ .

من ملك من أهل بيته وانتقل الملك عنه إلى أخيه عمرو وأعقابيه ، ثم عماد الدولة بن بويه أول من ملك من أهل بيته ، ثم انتقل الملك عنه إلى أخويه معز الدولة وركن الدولة ، ثم السلجوقية أول من ملك منهم طغرل بك ثم انتقل الملك إلى أولاد أخيه داود ، ثم هذا شيركوه كما ذكرناه انتقل الملك إلى ولد أخيه نجم الدين أيوب ، ولولا خوف الإطالة لذكرنا أكثر من هذا ، والذي أظنه السبب في ذلك أن الذي يكون أول دولته يكثر القتل فيأخذ الملك وقلوب من كان فيه متعلقة به ، فلهذا يحرم الله أعقابيه ، ويفعل ذلك لأجلهم عقوبة له .

نعود إلى ذكر صلاح الدين^١ .

« وأرسل^٢ صلاح الدين يطلب من نور الدين أن يرسل إليه إخوته فلم يجبه إلى ذلك ، وقال : أخاف أن يخالف أحد منهم عليك فتفسد البلاد » .

« ثم إن الفرنج اجتمعوا ليسيروا إلى مصر ، فسيّر نور الدين العساكر وفيهم إخوة صلاح الدين ، منهم شمس الدولة توران شاه بن أيوب » - قلت : وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة^٣ - قال : « وهو أكبر من صلاح الدين ، فلما أراد أن يسير قال له نور الدين : إن كنت تسير إلى مصر وتنظر إلى أخيك أنه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وأنت قاعد ، فلا تسر فانك تفسد البلاد ، وأحضرك حينئذ وأعاقبك بما تستحقه ، وإن كنت تنظر إليه صاحب مصر وقائم مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني ، فسر إليه واشدد أزره وساعده على ما هو بصدده ، فقال : أفعل معه من الخدمة والطاعة ما يتصل بك إن شاء الله تعالى ، فكان معه كما قال » .

ثم قال شيخنا ابن الأثير بعد هذا بأوراق في فصل يتعلق بانقراض الدولة المصرية وإقامة الدولة العباسية بها في المحرم سنة سبع وستين وخمسائة فقال^٤ :

١ لم يرد في المسودة .

٢ عاد إلى متابعة النقل عن التاريخ الأتابكي : ١٤٢ .

٣ انظر ج ١ : ٣٠٦ .

٤ الباهر : ١٥٦ .

« قطعت خطبة العاضد صاحب مصر ، وخطب فيها للإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ، وكان السبب في ذلك أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه في مصر وزال المخالفون له ، وضعف أمر العاضد ، ولم يبق من العساكر المصرية أحد ، كتب إليه الملك العادل نور الدين محمود بأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة العباسية ، فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب أهل مصر ، وامتناعهم من الإجابة إلى ذلك لميلهم إلى دولة المصريين ، فلم يصغ نور الدين إلى قوله ، وأرسل إليه يلزمه بذلك إلزاماً لا فسحة له فيه ، واتفق أن العاضد مرض ؛ وكان صلاح الدين قد عزم على قطع الخطبة ، فاستشار أمراءه كيف الابتداء بالخطبة العباسية ، فمنهم من أقدم على المساعدة وأشار بها ، ومنهم من خاف ذلك ، إلا أنه لا يمكنه إلا امتثال أمر نور الدين . وكان قد دخل إلى مصر إنسان عجمي يعرف بالأمير العالم ، وقد رأيناه بالموصل كثيراً ، فلما رأى ما هم فيه من الإحجام قال : أنا أبتدىء بها ، فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ، ودعا للمستضيء بأمر الله فلم ينكر أحد ذلك ، فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء بأمر الله ، ففعلوا ذلك ، ولم ينتطح فيها عتزان ، وكتب بذلك إلى سائر ديار^١ المصرية . وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أهله وأصحابه بذلك ، وقالوا : إن سلم فهو يعلم وإن توفي فلا ينبغي أن ننقص عليه هذه الأيام التي بقيت من أجله^٢ ، فتوفي يوم عاشوراء ولم يعلم . ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء ، واستولى على قصره وجميع ما فيه ، وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قراقوش وهو خصي يحفظه^٣ — قلت : وقد تقدم ذكره في ترجمة أيضاً^٢ — قال : وجعله كأستاذ دار العاضد ، فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ، ونقل أهل العاضد إلى مكان منفرد ووكّل بحفظهم ، وجعل أولاده وعمومته وأبناءهم

١ كذا في المسودة ؛ وفي المختار والباهر : « الديار » .

٢ المختار : صره .

٣ انظر ج ٤ : ٩١ .

شوقُ المغربِ شَرَدَتْهُ يدُ البعادِ عن الوطنِ
 ولقد عهدتكَ والزمنا نُبشملنا بك ما قَطَنُ
 وثرارك ما اغبرتْ مسا رحه وماوك ما أجن
 وظباوك الأترابُ لي وطرُ، وتربك لي وطن
 لام العذولُ وما درى وجدي وبلبالي بمن
 وجدي بمن فضح القضيــــــــبَ وأخجل الرشا الأغن
 ما ضرَّ مَنْ هو فتنتي لو كان يرحمُ من فن
 دمعي طليقٌ في محبة وقلبي مرتَهَن
 يا محنتي أودى الصدو دُبعاشق بك ممتحن
 غادرته وقفاً على الســـــــــعـــــــــبـــــــــراتِ بعدك والحزن
 كلفَ الفؤادِ معذباً بين الإقامة والظعن
 عطفاً على قريح الجفو ن بعيدِ عهدٍ بالوسن
 لا تبخلي فالبخلُ يذُ هبُ بهجة الوجه الحسن
 ولربَّ ليلٍ بتَ فيـــــــــسه صريعَ باطية ودن
 أختالُ من مرحٍ وأســـــــــحبُ فضل ذيلي والرْدُن
 معَ مُخطفٍ لدن القوا م إذا انثنى رخص البدن
 لكنني كفرتُ لـــــــــســـــــــلة زرته غني وعن
 بمسداحي للمستضي ء أبي محمد الحسن
 المستقرَّ من الحللا فة في الشواهي والقنن

ومنها :

يا جارياً في العدل من سنن النبي على سنن
 يا جامعاً خلُقَ النبو ة والخلافة في قرن

١ المختار : بالوطن .

دانت لهيتك المما لكُ والمعقلُ والمدن
 بالمشرفيات الصوا رم والمُثقف اللدن
 وأنتك أسلابُ المدو لك من الصعيد إلى عدن
 سَلَبُ الدعي بأرض مصر والمضل في اليمن
 مما اقتناه ذو رُعَين في القديم وذو يَزَن
 وشفيت منهم بالظبا تلك الضغائن والاحسن
 لم تغن عنهم حين رُعِستهمُ الحصونُ ولا الجُننُ
 أمست سباياهم تقا دُ أذلة قودَ البدُن
 غادرت عُرُضُ بلادهم غَرَضُ النوايب والمحن
 في كل يوم من جيو شك غارة فيها تُشَن
 وأعدت سرّ الأوليا ء المؤمنين بها علن
 ورحضت ما أبقت آ ثار الخوارج^١ من دَرَن
 فكان دعوتهم على تلك المناير لم تكن

وهي طويلة فنقتصر منها على هذا القدر ففيه كفاية . ومدحه أيضاً بقصيدة
 أخرى أشار فيها إلى هذا المعنى ، وليس على خاطري من هذه القصيدة سوى
 غزلها فأحييت ذكره لكونه في غاية الحسن واللطافة ، وهو^٢ :

أهلا بطلعة زائري فَضَحَ الدجى بضياها
 سمح الزمانُ بوصلها فدنّت على عدواها^٣
 باتت تعاطيني المدام كنت من أكفائها
 فسكرتُ من الحاظها وغنيتُ عن صهبائها
 بيضاء قتلي دأبها في نأبها وثوابها

١ ر : وملكها ورحضت ما أبقي الخوارج . . .

٢ انظر ديوان التماويني : ٤٧١ .

٣ بهامش المسودة بخط المؤلف : العدو : البعد ، والعدواء أيضاً الاشغال المانعة .

فاذا دنت يجفونها وإذا نأت يجفأها
 لا تلتقي أبداً موا عدوها بيوم وفأها
 الشمس من ضرأتها والبدر من رقبأها
 والصبح فوق لثامها والليل تحت رداها
 مضربة تنمى إذا انستتبت إلى حمراءها
 بانت وأطراف الرماح تجول حول خباها
 فالموت دون فراقها والموت دون لقاءها
 ولقد مررت بربعها بعد النوى وفأها
 والعين في الأطلال ساكنة على أطلأها
 فوقفت أنشد في مطأها لها بدور سماءها
 وبكيت حتى كدت أعطف بانتتي جرعأها
 يا موحش العين التي أنست بطول بكأها
 غادرت بين جوانحي نفساً تموت بدأها
 تشتاق عيني أن ترا لك وأنت في سودأها
 فاذا بخلت بنظرة سمحت بجمعة مأها
 فكأنها كف الخليفة أسبلت بعطأها

وبعد هذا شرع في المديح وأبدع فيها جميعها . وسأذكر بعد هذا عند
 أواخر هذه الترجمة شيئاً من مدائحه في صلاح الدين إن شاء الله تعالى ، فقد
 كان يسيّر قصائده إليه من بغداد فتصل أولاً إلى القاضي الفاضل ، ومعها
 مديح للفاضل ، وهو الذي يعرض قصائده على صلاح الدين ، رحمه الله تعالى .
 ثم ذكر شيخنا ابن الأثير بعد هذا فصلاً يتضمن حصول الوحشة بين
 نور الدين وصلاح الدين باطناً فقال^١ : « وفي سنة سبع وستين أيضاً حدث

١ ابن الأثير ١١ : ٣٧١ - ٣٧٣ والباهر : ١٥٨ وأنقل عن الثاني ، والنص في وأقرب
 إلى « الكامل » .

ما أوجب تفرقة نور الدين عن صلاح الدين ، وكان الحادث أن نور الدين أرسل إلى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية والمسير بها إلى بلد الفرنج والتزول على الكرك ومحاصرتة ليجمع هو أيضاً عساكره ويسير إليه ، ويجتمعاً هناك على حرب الفرنج والاستيلاء على بلادهم ؛ فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم ، وكتب إلى نور الدين يعرفه أن رحيله لا يتأخر . وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز ، وأقام ينتظر ورود الخبر من صلاح الدين برحيله ليرحل هو ، فلما أتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازماً على قصد الكرك ، فوصل إليه وأقام ينتظر وصول صلاح الدين إليه ، فأرسل كتابه يحتل فيه عن الوصول باختلال البلاد [المصرية لأموه بلغته عن بعض شيعة العلويين ، وأنهم عازمون على الوثوب بها]^١ وأنه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد إليها ، فلم يقبل نور الدين عذره . وكان سبب تقاعده أن أصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين . فحيث لم يمثل أمر نور الدين شق ذلك عليه وعظم عنده ، وعزم على الدخول إلى مصر وإخراج صلاح الدين عنها ، فبلغ الخبر إلى صلاح الدين ، فجمع أهله ، وفيهم والده نجم الدين أيوب وخاله شهاب الدين الحارمي ، ومعهم سائر الأمراء ، وأعلمهم ما بلغه عن عزم نور الدين على قصده وأخذ مصر منه ، واستشارهم فلم يجبه أحد منهم بشيء ، فقام تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين - قلت : وقد تقدم ذكره في ترجمة مستقلة^٢ - قال : وقال : إذا جاء قاتلناه وصددناه عن البلاد ، ووافقته غيره من أهله ، فشتهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه ، وكان ذا رأي ومكر وعقل ، وقال لتقي الدين : اقعد ، وسبه ، وقال لصلاح الدين : أنا أبوك وهذا شهاب الدين خالك ، أنتظن أن في هؤلاء كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا ؟ فقال : لا ، فقال : والله لو رأيت أنا وهذا خالك شهاب الدين نور الدين لم يمكننا إلا أن نترجل له ونقبل الأرض بين يديه ، ولو أمرنا أن نضرب عنقك

١ لم يرد في المسودة .

٢ ج ٣ : ٤٥٦

بالسيف لفلنا ، فاذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا ؟ وكل من تراه من الأمراء والعساكر لو رأى نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على سرجه ، ولا وسعه إلا النزول وتقييل الأرض بين يديه ، وهذه البلاد له وقد أقامك فيها ، وإن أراد عزلك فأى حاجة له إلى المجيء ؟ يأمر بكتاب مع نجات حتى تقصد خدمته ويولي بلاده من يريد ، وقال للجماعة كلهم : قوموا عنا ، ونحن ممالك نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد ، فتفرقوا على هذا . وكتب أكثرهم إلى نور الدين بالخبر .

«ولما خلا أيوب بابنه صلاح الدين قال له : أنت جاهل قليل المعرفة ، تجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على ما في نفسك ، فاذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه عن البلاد جعلك أهم الأمور إليه ، وأولاه بالقصد ، ولو قصدك لم تر معك أحداً من هذا العسكر وكانوا أسلموك إليه ، وأما الآن بعد هذا المجلس فسيكتبون إليه ويعرفونه قولي ، وتكتب أنت إليه وترسل في المعنى ، وتقول : أي حاجة إلى قصدي ؟ يجي نجات يأخذني بحبل يضعه في عنقي ، فهو إذا سمع هذا عدل عن قصدك واستعمل ما هو أهم عنده ، والأيام تدرج ، والله في كل وقت في شان [والله لو أراد نور الدين قسبة من قصب سكرنا لقاتلته أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل]^١ ففعل صلاح الدين ما أشار به والده . فلما رأى نور الدين الأمر هكذا عدل عن قصده ، وكان الأمر كما قال نجم الدين أيوب . وتوفي نور الدين ولم يقصده ، وهذا كان من أحسن الآراء وأجودها » ؛ انتهى ما ذكره ابن الأثير .

وقال شيخنا ابن شداد في «السيرة»^٢ : «لم يزل صلاح الدين على قدم بسط العدل ونشر الإحسان ، وإفاضة الإنعام على الناس إلى سنة ثمان وستين وخمسائة ، فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك ، وإنما بدأ بها لأنها كانت أقرب إليه ، وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية ، وكان لا يمكن أن تعبر قافلة حتى يخرج هو بنفسه يعبرها ، فأراد

١ لم يرد في المسودة والمختار والتاريخ الباهر .

٢ السيرة : ٤٥ .

توسيع الطريق وتسهيلها ، فحاصرها في هذه السنة ، وجرى بينه وبين الفرنج وقعات ، وعاد ولم يظفر منها بشيء ، ولما عاد بلغه خبر وفاة والده نجم الدين أيوب قبل وصوله إليه - قلت : وقد ذكرت تاريخ وفاته في ترجمته - قال^١ : « ولما كانت سنة تسع وستين رأى قوة عسكره وكثرة عدده ، وكان بلغه أن باليمن إنساناً استولى عليها وملك حصونها ، يسمى عبد النبي بن مهدي ، فسير أخاه توران شاه ، فقتله وأخذ البلاد منه » - وقد بسطت القول في ذلك في ترجمته - ثم توفي نور الدين في سنة تسع وستين حسبما شرحته في ترجمته فلا حاجة إلى الإعادة .

وبلغ صلاح الدين أن إنساناً يقال له « الكنز » جمع بأسوان خلقاً عظيماً من السودان ، وزعم أنه يعيد الدولة المصرية ، وكان أهل مصر يؤثرون عودهم ، فانضافوا إلى الكنز المذكور ، فجهز صلاح الدين إليه جيشاً كثيفاً وجعل مقدمه أخاه الملك العادل ، وساروا فالتقوا وكسروهم ، وذلك في السابع من صفر سنة سبعين وخمسمائة ، واستقرت له قواعد الملك .

وكان^٢ نور الدين رحمه الله قد خلف ولده الملك الصالح إسماعيل - المذكور في ترجمة أبيه - وكان بدمشق عند وفاة أبيه ، وكان بقلعة حلب شمس الدين علي بن الداية وشاذبخت ، وكان ابن الداية قد حدث نفسه بأمور ، فسار الملك الصالح من دمشق إلى حلب ، فوصل إلى ظاهرها في المحرم من سنة سبعين ، ومعه سابق الدين ، فخرج بدر الدين حسن ابن الداية فقبض على سابق الدين ، ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين وأخيه حسن المذكور وأودع الثلاثة السجن ، وفي ذلك اليوم قتل أبو الفضل ابن الحشاش لفتنة جرت بحلب ، وقيل بل قتل قبل قبض أولاد الداية بيوم ، لأنهم تولوا تدبير ذلك .

ثم^٣ إن صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم أن ولده الملك الصالح صبي

١ السيرة : ٤٦ .

٢ السيرة : ٤٩ .

٣ السيرة : ٥٠ .

لا يستقل بالأمر ولا ينهض بأعباء الملك ، واختلفت الأحوال بالشام ، وكاتب شمس الدين ابن المقدم صلاح الدين ، فتجهز^١ من مصر في جيش كثيف ، وترك بها من يحفظها ، وقصد دمشق مظهراً أنه يتولى مصالح الملك الصالح ، فدخلها بالتسليم في يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة وتسلم قلعتها ، وكان أول دخوله دار أبيه - قلت : وهي الدار المعروفة بالشريف العقيقي ، وهي اليوم في قبالة المدرسة العادلية مشهورة هناك بالعقيقي - قال : واجتمع الناس إليه وفرحوا به ، وأنفق في ذلك اليوم مالا^٢ جليلاً وأظهر السرور بالدمشقيين ، وصعد القلعة ، وسار إلى حلب فنازل حمص وأخذ مدينتها في جمادى الأولى من السنة ولم يشتغل بقلعتها ، وتوجه إلى حلب ونازلها في يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى من السنة ، وهي الوقعة الأولى .

ثم إن سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل لما أحس بما جرى علم أن الرجل قد استفحل أمره وعظم شأنه ، وخاف إن غفل عنه استحوذ على البلاد واستقرت قدمه في الملك وتعدى الأمر إليه ، فأنفذ عسكرياً وافرأ وجيشاً عظيماً وقدم عليه أخاه عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود ، وساروا يريدون لقاءه ليردوه عن البلاد ، فلما بلغ صلاح الدين ذلك رحل عن حلب في مستهل رجب من السنة عائداً إلى حماة ، ورجع إلى حمص فأخذ قلعتها ، ووصل عز الدين مسعود إلى حلب وأخذ معه عسكري ابن عمه الملك الصالح بن نور الدين صاحب حلب يومئذ ، وخرجوا في جمع عظيم ، فلما عرف صلاح الدين بمسيرهم سار حتى وافاهم على قرون حماة ، وراسلهم وراسلوه واجتهد أن يصلحوه فما صالحوه ، ورأوا أن ضرب المصاف معه ربما نالوا به غرضهم ، والقضاء يجر إلى أمورهم وهم بها لا يشعرون ، فتلاقوا فقضى الله تعالى أن انكسروا بين يديه ، وأسر جماعة منهم فمن^٣ عليهم ، وذلك في تاسع شهر رمضان من

١ المختار : فخرج .

٢ المختار : جزيل .

السنة عند قرون حماة . ثم سار عقيب كسرتهم ونزل على حلب ، وهي
الدفعة الثانية ، فصالحوه على أخذ المعرة وكفرطاب وبارين ، ولما جرت هذه
الوقعة كان سيف الدين غازي يحاصر أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار ،
وعزم على أخذها منه ، لأنه كان قد انتمى إلى صلاح الدين ، وكان قد قارب
أخذها ، فلما بلغه الخبر وأن عسكره انكسر خاف أن يبلغ أخاه عماد الدين
الخبر فيشتد أمره ويقوى جأشه ، فراسله وصالحه . ثم سار من وقته إلى نصيبين
واهتم بجمع العساكر والإتفاق فيها ، وسار إلى البيرة وعبر الفرات ، وخيم
على الجانب الشامي ، وراسل ابن عمه الصالح بن نور الدين صاحب حلب حتى
تستقر له قاعدة يصل عليها ، ثم إنه وصل إلى حلب وخرج الملك الصالح إلى
لقائه ، وأقام على حلب مدة وصعد قلعتها جريدة ، ثم نزل وسار إلى تل
السلطان - قلت : وهي منزلة بين حماة وحلب - قال : ومعه جمع كبير ،
وأرسل صلاح الدين إلى مصر طلب عسكرها ، فوصل إليه ، وسار به حتى
نزل على قرون حماة^١ ، ثم تصافوا بكرة نهار الخميس العاشر من شوال
سنة إحدى وسبعين ، وجرى قتال عظيم وانكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر
الدين بن زين الدين - قلت : هو صاحب إربل المقدم ذكره^٢ - قال : فإنه
كان على ميمنة سيف الدين ، فحمل صلاح الدين بنفسه فانكسر القوم ، وأسر
منهم جمعا من كبار الأمراء فمن عليهم وأطلقهم ، وعاد سيف الدين إلى
حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتى عبر الفرات وعاد إلى بلاده . ومنع صلاح
الدين من تتبع القوم ، ونزل في بقية ذلك اليوم في خيامهم ، فانهم تركوا
أثقالهم وانهزموا ، ففرق صلاح الدين الاصطبلات ، ووهب الخزائن وأعطى
خيمة سيف الدين لابن أخيه عز الدين فرخشاه - قلت : هو ابن شاهان شاه
ابن أيوب ، وهو أخو تقي الدين عمر صاحب حماة وفرخشاه صاحب بعلبك
وهو والد الملك الأمجد بهرام شاه ، صاحب بعلبك - .

قال : وسار إلى منبج فتسلمها ، ثم سار إلى قلعة عزاز يحاصرها ، وذلك

١ في متن المسودة : على تل السلطان ، وفي الحاشية : على قرون حماة .

٢ انظر ج ٤ : ١١٣

في رابع ذي القعدة من سنة إحدى وسبعين ، وعليها وثب جماعة من الإسماعيلية على صلاح الدين فنجاه الله سبحانه منهم وطفّره بهم ، وأقام عليها حتى أخذها في رابع عشر ذي الحجة من السنة ، ثم سار فنزل على حلب في سادس عشر الشهر المذكور ، وأقام عليها مدة ثم رحل عنها ، وكانوا قد أخرجوا له ابنة صغيرة لنور الدين سألته عزاز فوهبها لها ، ثم عاد صلاح الدين إلى مصر ليتفقد أحوالها ، وكان مسيره إليها في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين . وكان أخوه شمس الدولة توران شاه قد وصل إليه من اليمن فاستخلفه بدمشق . ثم تأهب للغزاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة ، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك اليوم - قلت : وذلك لأمر يطول شرحه - قال : فلما انهزموا لم يكن لهم حصن قريب يأوون إليه ، فطلبوا جهة الديار المصرية وضلوا في الطريق ، وتبددوا وأسروا منهم جماعة منهم الفقيه عيسى الهكاري وكان ذلك وهناً عظيماً جبره الله تعالى بوقعة حطين المشهورة .

وأما الملك الصالح صاحب حلب فانه تخبط أمره ، وقبض على كشتكين صاحب دولته ، وطلب منه تسليم حارم إليه فلم يفعل ، فقتله ، فلما سمع الفرنج بقتله نزلوا على حارم طمعاً فيها ، وذلك في جمادى الآخرة من السنة . فلما رأى أهل قلعتها الخطر من جهة الفرنج سلموها إلى الملك الصالح في العشر الأواخر من شهر رمضان من السنة ، فرحل الفرنج عنها .

وأقام صلاح الدين بمصر حتى لم شعثه وشعث أصحابه من أثر كسرة الرملة ، ثم بلغه تخبط الشام فعزم على العود إليه ، واهتم بالغزاة فوصله رسول قليج أرسلان صاحب الروم يلتمس الصلح ويتضرر من الأرمن ، فعزم على قصد بلاد ابن لاون - قلت : وهي بلاد سبيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل - قال : لينصر قليج أرسلان عليه ، فتوجه إليه واستدعى عسكر حلب لأنه كان في الصلح أنه متى استدعاه حضر إليه ، ودخل بلد ابن لاون ، وأخذ في طريقه حصناً وأخره ، ورغبوا إليه في الصلح فصالحهم ورجع عنهم . ثم سأله قليج أرسلان في صلح الشرقيين بأسرهم فأجاب إلى

ذلك ، وحلف صلاح الدين في عاشر جمادى الأولى سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ودخل في الصلح قليج أرسلان والمواصلَة وعاد بعد تمام الصلح إلى دمشق ثم منها إلى مصر .

ثم توفي الملك الصالح بن نور الدين في التاريخ المذكور في ترجمة والده ، وكان قد استحلف أمراء حلب وأجنادها لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل — قلت : وقد تقدم ذكره ، وهو ابن قطب الدين مودود^١ — فلما مات سيف الدين في التاريخ المذكور في ترجمته قام مقامه أخوه عز الدين مسعود المذكور — قال : فلما بلغ عز الدين خبر موت الملك الصالح وأنه أوصى له بحلب بادر إلى التوجه إليها خوفاً أن يسبقه صلاح الدين في أخذها ، فكان أول قادم إليها مظفر الدين بن زين الدين — قلت : هو صاحب إربل ، وكان إذ ذاك صاحب حران ، وهو مضاف إلى المواصلَة لأن تلك البلاد كانت لهم — قال : فوصلها مظفر الدين في ثالث شعبان سنة سبع وسبعين ، وفي العشرين منه وصلها عز الدين مسعود وصعد إلى القلعة فاستولى على ما فيها من الخواصل ، وتزوج أم الملك الصالح في خامس شوال من السنة .

قلت : ثم إن شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا أموراً ذكرتُها في ترجمة عز الدين مسعود بن مودود و ترجمة أخيه عماد الدين زنكي و ترجمة تاج الملوك بوري أخي صلاح الدين ، فلا حاجة إلى إعادتها هنا ، فمن أراد الوقوف عليها يكشفها في هذه التراجم^١ .

قلت : وحاصل الأمر أن عز الدين مسعوداً قايض أخاه عماد الدين زنكي

١ انظر ج ٥ : ٢٠٣

٢ انظر ج ٥ : ٢٠٣ ، ٢ : ٣٣٠ ، ١ : ٢٩٠ .

صاحب سنجار عن حلب بسنجان ، وخرج عز الدين عن حلب ودخلها عماد الدين زنكي فجاءه صلاح الدين وحاصره ، فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب ، وكان نزول صلاح الدين على حلب في السادس والعشرين من المحرم سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وقال ابن شداد : نزل عليها في سادس عشر المحرم ، والله أعلم . فتحدث عماد الدين زنكي مع الأمير حسام الدين طمان بن غازي بن يلبي بن تنجول من جبل سلور بحلب في السر بما يفعله ، فأشار عليه بأن يطلب منه بلاداً ويتزل له عن حلب ، بشرط أن يكون له جميع ما في القلعة من الأموال ، فقال له عماد الدين : وهذا كان في نفسي . ثم اجتمع حسام الدين طمان بصلاح الدين في السر على تقرير القاعدة في ذلك ، فأجابه صلاح الدين إلى ما طلب ، ودفع له سنجان والخابور ونصيبين وسروج ، ودفع لطمان الرقة لسفارته بينهما ، وحلف صلاح الدين على ذلك في سابع عشر صفر من السنة . وكان صلاح الدين قد نزل على سنجان وأخذها في ثامن شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأعطاه لابن أخيه تقي الدين عمر ، فلما جرى الصلح على هذه الصورة أعطاها عماد الدين ، وتسلم صلاح الدين قلعة حلب وصعد إليها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وأقام بها حتى رتب أمورها ثم رحل عنها في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وجعل فيها ولده الملك الظاهر — المقدم ذكره في ترجمة مستقلة — وكان صبيّاً ، وولى القلعة سيف الدين يازكوج الأسدي وجعله يرتب مصالح ولده .

ثم سار صلاح الدين إلى دمشق في التاريخ المذكور ، قال ابن شداد : وتوجه من دمشق لقصد محاصرة الكرك في الثالث من رجب من السنة ، وسيّر إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر يستدعيه ليجتمع به على الكرك ، فسار إليه بجمع كثير وجيش عظيم ، واجتمع به على الكرك في رابع شعبان من السنة ، فلما بلغ الفرنج الخبر حشدوا خلقاً كثيراً ، وجاءوا إلى الكرك ليكونوا في

١ انظر ج ٤ : ٦ وهو غازي الملقب أيضاً غياث الدين .

قبة عسكر المسلمين ، فخاف صلاح الدين على الديار المصرية ، فسير إليها ابن أخيه تقي الدين عمر . ورحل عن الكرك في سادس عشر شعبان من السنة ، واستصحب أخاه الملك العادل معه ، ودخل دمشق في الرابع والعشرين من شعبان من السنة ، وأعطاه حلب ، ودخلها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر رمضان من السنة ، وخرج الملك الظاهر ويازكوج ودخلا دمشق في يوم الاثنين الثامن والعشرين من شوال من السنة . وكان الملك الظاهر أحب أولاده إليه لما فيه من الخلال الحميدة ، ولم يأخذ منه حلب إلا لمصلحة رآها في ذلك الوقت ، وقيل إن العادل أعطاه على أخذ حلب ثلثمائة ألف دينار يستعين بها على الجهاد ، والله أعلم .

ثم إن صلاح الدين رأى أن عود الملك العادل إلى مصر وعود الملك الظاهر إلى حلب أصلح ؛ قيل كان سبب ذلك أن الأمير علم الدين سليمان بن جندب قال لصلاح الدين - وكان بينهما مؤانسة قبل أن يملك البلاد ، وقد سار به يوماً ، وكان من أمراء حلب ، والملك العادل لا ينصفه ويقدم عليه غيره ، وكان صلاح الدين قد مرض على حصار الموصل وحمل إلى حران وأشفى على الهلاك ، فلما عوفي رجع إلى الشام ، واجتمعا في المسير ، قال له وكان صلاح الدين ، قد أوصى لكل واحد من أولاده بشيء من البلاد - : بأي رأي كنت تظن أن وصيتك تُمضى ، كأنك كنت خارجاً إلى الصيد وتعود فلا يخالفونك ؟ أما تستحي أن يكون الطائر أهدى منك إلى المصلحة ؟ قال : وكيف ذلك ؟ وهو يضحك ، قال : إذا أراد الطائر أن يعمل عشاءً لفراخه قصد أعالي الشجر ليحمي فراخه ، وأنت سلمت الحصون إلى أهلِكَ ، وجعلت أولادك على الأرض : هذه حلب ، وهي أم البلاد ، بيد أخيك ، وحماة بيد ابن أخيك تقي الدين ، وحمص بيد ابن أسد الدين ، وابنك الأفضل مع تقي الدين بمصر يخرجهم متى شاء ، وابنك الآخر مع أخيك في خيمة يفعل به ما أراد ، فقال له : صدقت ، واكتم هذا الأمر ، ثم أخذ حلب من أخيه وأعطاه ابنه الملك الظاهر ، وأعطى الملك العادل بعد ذلك حران والرها

المختار : بيد ابن ابن عمك .

وميافارقين ليخرجه من الشام ويتوفر الشام على أولاده ، فكان ما كان .

قلت : وقد تقدم في ترجمة عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود صاحب الموصل فصل يتعلق بنزول صلاح الدين على الموصل وحصارها ثلاث مرار ، ولم يقدر عليها . قال شيخنا ابن الأثير في تاريخه^١ : إنه نزل عليها في الدفعة الثالثة وكان زمن الشتاء ، وعزم على المقام وإقطاع جميع بلاد الموصل ، وكان نزوله في شعبان من سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، فأقام شعبان وشهر رمضان ، وترددت الرسل بينه وبين صاحبها ، فبينما هو كذلك مرض صلاح الدين فعاد إلى حران ، ولحقته الرسل بالإجابة إلى ما طلب ، وتم الصلح على أن يسلم إليه صاحب الموصل شهرزور وأعمالها وولاية القرابلي^٢ وما وراء الزاب من الأعمال ، وأن يخطب له على المنابر وينقش اسمه على السكة ، فلما حلف أرسل صلاح الدين نوابه وتسلم البلاد التي استقرت القاعدة على تسليمها . وطال المرض على صلاح الدين بحران ، واشتد به ، حتى آيسوا منه ، فحلف الناس لأولاده ، وكان عنده منهم الملك العزيز عماد الدين عثمان ، وأخوه العادل جاءه من حلب وهو ملكها يومئذ ، وجعل لكل واحد شيئاً من البلاد ، وجعل الملك العادل وصياً على الجميع . ثم إنه عوفي وعاد إلى دمشق في المحرم من سنة اثنتين وثمانين ، ولما كان مريضاً بحران ، كان عنده ناصر الدين محمد ابن عمه [شيركوه]^٣ وله من الإقطاع حمص والرحبة ، فسار من عنده إلى حمص واجتاز بحلب ، وأحضر جماعة من الأحداث ووعدهم وأعطاهم مالا ، ولما وصل إلى حمص راسل جماعة من أهل دمشق ووعدهم على تسليم دمشق إليه إذا مات صلاح الدين ، فعوفي ، ولم يمض قليل حتى مات ناصر الدين ليلة عيد النحر من السنة ، فإنه شرب

١ تاريخ ابن الأثير ١١ : ٥١٧ .

٢ هي بالبلاء الموحدة بخط المؤلف ، وكذلك في تاريخ ابن الأثير ، وقرأها دي سلاي قرايلي بالبلاء المشناة ، وقال أنها مرجبي في ولاية كركور على الشاطئ الشرقي من دجلة واعتمد في قراءتها على نسخة أبي الفدا من تاريخه .

٣ زيادة من المختار .

الخمر فأكثر منه فأصبح ميتاً ، وقيل إن صلاح الدين وضع^١ عليه إنساناً فحضر عنده ، وناداه وسقاه سماً ، فلما أصبحوا من الغد لم يروا ذلك الشخص ، وكان يقال له الناصح بن العميد ، فسألوا عنه ، فقالوا إنه سار من ليلته ، وكان هذا مما قوى الظن ، والله أعلم . فلما توفي أعطى لإقطاعه لولده شريكه وعمره اثنتا عشرة سنة ، وخلف من الأموال والدواب والأثاث شيئاً كثيراً ، فحضر صلاح الدين إلى حمص واستعرض تركته وأخذ أكثرها ، ولم يترك إلا ما لا خير فيه . ثم قال شيخنا بعد هذا كله : وبلغني أن شريكه حضر عند صلاح الدين بعد موت أبيه بسنة فقال له : إلى أين بلغت في القرآن ؟ فقال له : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا ﴾ (النساء : ١٠) فعجب الجماعة وصلاح الدين من ذكائه ، والله أعلم بصحة ذلك .

قال ابن شداد^٢ : ولما وصل صلاح الدين إلى دمشق عقيب مرضه وإبلاله سير طلب أخاه الملك العادل ، فخرج من حلب جريدة ليلة السبت الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين ، ومضى إلى دمشق فأقام في خدمة السلطان صلاح الدين ، وجرت بينهما أحاديث ومراجعات وقواعد تتقرر إلى جمادى الآخرة من السنة ، فاستقر الأمر على عود الملك العادل إلى مصر ، وأخذت حلب منه وسار الملك الظاهر إليها فدخل قلعتها يوم السبت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ؛ وقد ذكرت في ترجمة الملك الظاهر أنه دخل حلب مالكاً لها في مثل يوم وفاته ، وعينت هناك التاريخ واسم اليوم ، هكذا وجدته ، وما أدري من أين نقلته .

وسلم السلطان ولده الملك العزيز إلى العادل وجعله أتابكه ، قال ابن شداد^٣ قال لي الملك العادل : لما استقرت هذه القاعدة اجتمعت بخدمة

١ المختار : دس .

٢ السيرة : ٧٢ .

٣ السيرة : ٧٢ - ٧٣ .

الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما ، وقلت للملك العزيز : اعلم يا مولاي أن السلطان أمرني أن أسير في خدمتك إلى مصر ، وأنا أعلم أن المقدمين كثير ، وما يخلو أن يقال عني ما لا يجوز ، ويخوفوك^١ مني ، فإن كان لك عزم أن تسمع منهم فقل لي حتى لا أجيء ، فقال : كيف يتهيأ لي أن أسمع منهم أو أرجع إلى رأيهم ؟ ثم التفت إلى الملك الظاهر وقلت له : أنا أعرف أن أخاك ربما سمع في أقوال المقدمين ، وأنا فما لي إلا أنت ، وقد قنعت منك بمنجى متى ضاق صدري من جانبه ، فقال : مبارك ، وذكر لي كل خير .

وزوج السلطان ولده الملك الظاهر غازية خاتون^٢ ابنة أخيه الملك العادل ، ودخل بها يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة .

ثم كانت وقعة حطين المباركة على المسلمين ، قال^٣ : وكانت في يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في وسط نهار الجمعة ، وكان كثيراً ما يقصد لقاء العدو في يوم الجمعة عند الصلاة تبركاً بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر ، فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الإسلامية ، وكانت تجوز العدو والحصار ، على تعبئة حسنة وهيئة جميلة ، وكان قد بلغه عن العدو أنه اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفورية بأرض عكا عندما بلغهم اجتماع العساكر الإسلامية ، فسار ونزل على بحيرة طبرية ثم رحل ونزل على طبرية على سطح الجبل ينتظر قصد الفرنج له ، إذا بلغهم نزوله بالموضع المذكور ، فلم يتحركوا ولا خرجوا من منزلتهم ، وكان نزولهم بالموضع المذكور يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر ، فلما رأهم لا يتحركون نزل جريدة على طبرية ، وترك الأطلاب على حالها قبالة العدو ، ونازل طبرية وهجمها وأخذها في ساعة واحدة ، وانتهب الناس ما بها وأخذوا في القتل والسبي والحريق ، وبقيت القلعة محتمية بمن فيها .

١ المختار : ويخوفونك .

٢ انظر ذيل المرأة ١ : ٧٥ .

٣ السير : ٧٥ .

ولما^١ بلغ العدو ما جرى على طبرية قلقوا لذلك ورحلوا نحوها ، فبلغ السلطان ذلك فترك على طبرية من يحاصر قلعتها ولحق بالعسكر ، فالتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها ، وذلك في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر ، وحال الليل^٢ بين العسكرين قياماً^٣ على مصاف إلى بكرة يوم الجمعة الثالث والعشرين منه ، فركب العسكران وتصادما ، والتحم القتال واشتد الأمر ، وذلك بأرض قرية تعرف بلوبيا ، وضاق الخناق بالعدو وهم سائرون كأنهم يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، وقد أيقنوا بالويل والثبور ، وأحست نفوسهم أنهم في غد يومهم ذلك من زوار القبور ، ولم تزل الحرب تضطرم ، والفارس مع قرنه يصطدم ، ولم يبق إلا الظفر ، ووقع الوبال على من كفر ، فحال بينهم الليل بظلامه ، وبات كل واحد من الفريقين في سلاحه إلى صبيحة يوم السبت ، فطلب كل من الفريقين مقامه ، وتحقق المسلمون أن من ورأهم الأردن ومن بين أيديهم بلاد العدو ، وأنهم لا ينجيهم إلا الاجتهاد في الجهاد ، فحملت أطلاب المسلمين من جميع الجوانب ، وحمل القلب^٤ ، وصاحوا صيحة رجل واحد ، فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين ، وكان حقاً عليه نصر المؤمنين ، ولما أحس القومص^٥ بالخذلان هرب منهم في أواقل الأمر وقصد جهة صور ، وتبعه جماعة من المسلمين ، فنجوا منهم وكفى الله شره ، وأحاط المسلمون بالكافرين من كل جانب ، وأطلقوا عليهم السهام ، وحكموا فيهم السيوف وسقوهم كأس الحمام ، وانهمزمت طائفة منهم فتبعها أبطال المسلمين فلم ينج منها أحد ، واعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل حطين ، وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام ، فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران ، واشتد بهم العطش وضاق بهم الأمر ، حتى كانوا يستسلمون للأسر خوفاً من القتل ، لما مر بهم ، فأسر

١ السيرة : ٧٦ .

٢ السيرة : فتايتا .

٣ القومص Comes هو ريموند صاحب طرابلس (Raimond)

مقدموهم وقتل الباقون، وكان ممن سلم^١ من مقدميهم الملك جفري، وأخوه^٢، والبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك، وابن الهنفرى^٣ وابن صاحبة طبرية، ومقدم الديوية، وصاحب جُبيل، ومقدم الاستار، قال ابن شداد^٤ : ولقد حكى لي من أتق به أنه رأى بحوران شخصاً واحداً معه نيف وثلاثون أسيراً قد ربطتهم بطُنْب خيمة لما وقع عليهم من الخلدان .

ثم إن القومص الذي هرب في أول الأمر وصل إلى طرابلس، فأصابه ذات الجنب فهلك منها، وأما مقدما الاستار والديوية فإن السلطان قتلها وقتل من بقي من صنفهما حياً، وأما البرنس أرناط فإن السلطان كان قد نذر أنه إن ظفر به قتله، وذلك لأنه كان قد عبر به عند الشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم، فناشدوه الصلح الذي بينه وبين المسلمين، فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبلغ السلطان فحملته حميته ودينه على أن يهدر دمه .

ولما فتح الله تعالى عليه بنصره جلس في دهليز الخيمة لأنها لم تكن نصبت بعد، وعرضت عليه الأسارى، وسار الناس يتقربون إليه بمن في أيديهم منهم، وهو فرح بما فتح الله تعالى على يده للمسلمين، ونصبت له الخيمة فجلس فيها شاكرًا لله تعالى على ما أنعم به عليه . واستحضر الملك جفري وأخاه والبرنس أرناط، وناول السلطان جفري شربة من جلاب وثلج فشرب منها، وكان على أشد حال من العطش، ثم ناوها البرنس، وقال السلطان للترجمان: قل للملك أنت الذي سقيته، وإلا أنا فما سقيته . وكان من جميل عادة العرب وكريم أخلاقهم أن الأسير إذا أكل أو شرب من مال من أسره أمن، فقصد السلطان بقوله ذلك، ثم أمر بمسيرهم إلى موضع عينه لهم، فمضوا بهم إليه فأكلوا شيئاً، ثم عادوا بهم، ولم يبق عنده سوى بعض الخدم فاستحضرهم،

١ يعني سلم وأسر، كما جاء في سيرة ابن شداد .

٢ كان حقه أن يقول : الملك (جاي) وجفري أخوه (جفري = Geoffri de Lusignan) وقد نبه دي سلان إلى ذلك، ولكن المؤلف هنا يتابع ابن شداد .

٣ البرنس أرناط هو Prince Renaud de Chatillon وابن الهنفرى Humphrey of Thoron

٤ السيرة : ٧٧ .

وأقعد الملك في دهليز الخيمة ، واستحضر البرنس أرناط وأوقفه بين يديه . وقال له : ها أنا أنتصر لمحمد منك ، ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل ، فسلّ النيمجاه فضربه بها فحل كتفه وتم قتله من حضر ، وأخرجت جثته ورميت على باب الخيمة . فلما رآه الملك على تلك الحال لم يشك في أنه يلحقه به ، فاستحضره وطيب قلبه وقال له : لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك ، وأما هذا فإنه تجاوز الحد وتجراً على الأنبياء صلوات الله عليهم . وبات الناس في تلك الليلة على أتم سرور ، ترتفع أصواتهم بحمد الله وشكره وتهليله وتكبيره ، حتى طلع الفجر . ثم نزل السلطان على طبرية يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، وتسلم قلعتها في ذلك النهار وأقام عليها إلى يوم الثلاثاء .

ثم رحل طالباً عكا فكان نزوله عليها يوم الأربعاء سلبخ شهر ربيع الآخر ، وقاتلها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين فأخذها ، واستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس ، واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع لأنها كانت مظنة التجار ، وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعه ، فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصره ، وكان ذلك لحلولها من الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيراً منهم . ولما استقرت قواعد عكا وقسم أموالها وأسارها ، سار يطلب تبين ، فنزل عليها يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى ، وهي قلعة منيعة ، فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها ، وكان فيها أبطال معدودون وفي دينهم متشددون ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، ونصره الله سبحانه عليهم ، فتسلمها منهم يوم الأحد ثامن عشره عنوة ، وأسر من بقي فيها بعد القتل . ثم رحل عنها إلى صيدا فنزل عليها ، وتسلمها في غد يوم نزوله عليها ، وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الأولى ، وأقام عليها ريثما قرر قواعدها . وسار حتى أتى بيروت فنازلها ليلة الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى وركب عليها المجانيق ، وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور

وتسلم أصحابه جليل ، وهو على بيروت .

ولما فرغ باله من هذا الجانب رأى قصد عسقلان ، ولم ير الاشتغال بصور بعد أن نزل عليها . ثم رأى أن العسكر قد تفرق في الساحل وذهب كل واحد يحصل لنفسه ، وكانوا قد ضرسوا من القتال وملازمة الحرب والنزال ، وكان قد اجتمع في صور من بقي في الساحل من الفرنج ، فرأى أن قصده عسقلان أولى لأنها أيسر من صور ، فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخرة من السنة ، وتسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة كالرملة والداروم ، وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالاً شديداً ، وتسلمها في يوم السبت سلخ جمادى الآخرة من السنة ، وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه غزة وبيت جبريل والنطرون بغير قتال . وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة ، فانهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، هكذا ذكره شيخنا ابن شداد في « السيرة » ، وذكر الشهاب ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه « المشترك وضعاً المختلف صقعا » أنهم أخذوها من المسلمين في رابع عشر جمادى الآخرة من السنة .

قال ابن شداد^١ : لما تسلم عسقلان والأماكن المحيطة بالقدس شمس عن ساق الجدد والاجتهاد في قصد القدس المبارك ، واجتمعت إليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل ، فسار نحوه معتمداً على الله تعالى مفوضاً أمره إليه ، متنهزاً الفرصة في فتح باب الخير الذي حث على انتهازه بقوله صلى الله عليه وسلم « من فتح له باب خير فليتنهزه فإنه لا يعلم متى يغلق دونه » ، وكان نزوله عليه في يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وكان نزوله بالجانب الغربي ، وكان مشحوناً بالمقاتلة من الحيلة والرجالة ، وحزّر أهل الخبرة ممن كان معه من كان فيه من المقاتلة فكانوا يزيدون على ستين ألفاً خارجاً عن النساء والصبيان ، ثم انتقل

١ السيرة : ٨١ .

لمصلحة رأيها إلى الجانب الشمالي في يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب المناجيق ، وضايق البلد بالزحف والقتال حتى أخذ القرب في السور مما يلي وادي جهنم . ولما رأى أعداء الله ما نزل بهم من الأمر الذي لا مدفع له عنهم ، ظهرت لهم أمارات فتحت المدينة وظهور المسلمين عليهم ، وكان قد اشتد روعهم لما جرى على أبطالهم وحماهم من القتل والأسر وعلى حصونهم من التخريب والهدم ، وتحققوا أنهم صائرون إلى ما صار أولئك إليه ، فاستكانوا وأخذوا إلى طلب الأمان ، واستقرت القاعدة بالمراسلة من الطائفتين ، وكان تسلمه في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب ، وليته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القرآن الكريم . فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب ، كيف يسر الله تعالى عوده إلى المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى . وكان فتحه عظيماً شهده من أهل العلم خلق ، ومن أبواب الحرق والزهد عالم ، وذلك أن الناس لما بلغهم ما يسره الله تعالى على يده من فتوح الساحل وقصده القدس ، قصده العلماء من مصر والشام ، بحيث لم يتخلف أحد منهم ، وارتفعت الأصوات بالصفير بالدعاء والتهليل والتكبير ، وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وخطب الخطيب - قلت : وقد تقدم في ترجمة القاضي محيي الدين محمد بن علي المعروف بابن الزكي ذكر الخطبة التي خطب بها ذلك اليوم ، فيكشف منه . ورأيت في رسالة القاضي الفاضل المعروفة بالقدسسية أن الخطبة أقيمت يوم الجمعة رابع شعبان ، والله أعلم.

[وإذ قد ذكرنا فتوح القدس ، وقد تقدم ذكر الخطبة التي خطب يوم الجمعة بها ، يليق أن نذكر الرسالة التي كتبها القاضي الفاضل إلى الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ابن الإمام المستضيء بأمر الله ، تتضمن الفتوح فإنها بديعة بليغة في بابها ، ولم أذكرها بكاملها بل اخترت منها أحسنها ، وتركت الباقي لأنها طويلة ، وهي :

أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز النبوي ، ولا زال مظفر الجدد بكل جاحد ، غنياً بالتوفيق عن رأي كل رائد ، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد ، مستيقظ النصر والنصل في جفنه راقداً ، وارد الجود والسحاب على الأرض غير وارد ، متعدد مساعي الفضل وإن كان لا يلقى إلا بشكر واحد ، ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي إلا بنبل غوي وریش^١ راشد ، لا زالت غيوث فضله إلى الأولياء أنواء إلى المراتع وأنواراً إلى المساجد ، وبعوث رعبه إلى الأعداء خيلاً إلى المراقب وخيلاً إلى المراقداً .

كتب الخادم هذه الخدمة ، تلو ما صدر عنه مما كان يجري مجرى التباشير لصبح هذه العزمة ، والعنوان لكتاب وصف النعمة ، فأنها بحر للأقلام فيه سبح طويل ، ولطف لحمل الشكر فيه عبء ثقیل ، وبشرى للخواطر في شرحها مآرب ، ويسرى للأسرار في إظهارها مسارب ، والله تعالى في إعادة شكره رضا ، وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه : هذا مضي . ولقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصايرها ، وقد استتبت عقائد أهله على آيين بصائرهما ، وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط ، وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط ، وكان الدين غريباً فهو الآن في وطنه ، والفوز معروضاً فقد بذلت الأنفس في ثمنه ، وأمر أمر الحق وكان مستضعفاً ، وأهل ربه وكان قد عيف حين عفا ، وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمة ، وأدبجت السيوف إلى الآجال وهي نائمة ، وصدق وعد الله في إظهار دينه على كل دين ، واستطارت له أنوار أبانت أن الصباح عندها جستان الجنين ، واسترد المسلمون ترائاً كان عنهم أبقاء ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفاً على النأي طارقاً ، واستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم ، وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما تشفى بالماء غللكهم ، ولما قدم الدين عليها عرف منها سويداء قلبه ، وهناً كفوها الحجر الأسود بيت عصمتها من الكافر بحربه .

١ المختار : ورشد ؛ ع : في ريش .

وكان الخادم لا يسعى سعيه إلا لهذه العظمى ، ولا يقاسي تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى ، ولا يناجز من يستمطله في حربته^١ ، ولا يعاتب بأطراف القنا من يتعادى في عتبه ، إلا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا ، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الأدنى من الدنيا ، وكانت الألسن ربما سلقته فأنضج قلوبها بالاحتقار ، وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فأطفأها بالاحتمال والاصطبار ، ومن طلب خطيراً خاطر ، ومن رام صفقة رابحة جاسر^٢ ، ومن سما لأن يحتمي غمرة غامر ، وإلا فإن القعود يلين تحت نيوب الأعداء المعاجم فيعضها ، ويضعف في أيديها مهز القوائم فيفضها ، هذا إلى كون القعود لا يقضى به فرض الله في الجهاد^٣ ، ولا يرمى به حقه في العباد ، ولا يوفى به واجب التقليد الذي يطوّقه الخادم من أئمة قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، وخلفاء كانوا في مثل هذا اليوم يسألون ، لا جرم أنهم أورثوا سرهم وسريرهم خلفهم الأطهر ، ونجلهم الأكبر ، وبقيتهم الشريفة ، وظليعتهم المنيفة ، وعنوان صحيفة فضلهم لا عدم سواد القلم وبياض الصحيفة ، فما غابوا لما حضر ، ولا غضوا لما نظر ، بل وصلهم الأجر لما كان^٤ به موصولا ، وشاطرروه العمل لما كان عنه منقولا ، ومنه مقبولا^٥ ، وخلص إليهم إلى المضاجع فاطمأنت به^٥ جنوبها ، وإلى الصحائف ما عبت به جيوبها ، وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميراً ، والنهار به بصيراً ، والشرق يهتدي بأنواره ، بل إن بدا نور من ذاته هتف به الغرب بأن واره^٦ ، فإنه نور لا تكنه أغساق السدف ، وذكر لا توازيه أوراق الصحف .

وكتب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظّت قناته شققا ، وطار

١ من : ولا يحارب من يستمطله إلا لتكون الكلمة... الخ .

٢ من : خاسر .

٣ ق والمختار : لا يقضى به فرض الجهاد .

٤ من : بل وصلهم بما كان ...

٥ المختار : بها .

٦ المختار : أنوار .

فرَّقَهُ فَرَقًا ، وفل سيفه فصار عصا ، وصدعت حصاته وكان الأكثر عدداً وحصى ، وكلَّت حملاته وكان قدراً يضرب فيه العنان بالعنان^١ ، وعقوبة من الله ليس لصاحب يديها يدان ، وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفة ، وغضبت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة ، ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق نُطفَ الكرى من الجفون ، وجدعت أنوف رماحه وطالما كانت شاحخة بالملئى أو راعفة بالمنون ، وأصبحت الأرض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث ، والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث ، وبيوت الكفر مهدومة ، ونيوبُ الشرك مهتومة ، وطوائفه المحامية ، مجمعة على تسليم القلاع الحامية ، وشجعائه المتوافية ، مذعنة لبذل القطائع الوافية ، لا يرون في ماء الحديد لهم عصرة . ولا في نار الأنفة^٢ لهم نصرة ، قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وبدل الله مكان السيئة الحسنة ، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنة .

وقد كان الخادم لقيهم اللقاء الأولى فأمدّه الله بمداركته ، وأنجده بملائكته ، فكسرهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشيئة الله كفر ، وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من قتلت به المناصل ، وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار ، وعن أصناف يخيل بأنه قتلهم^٣ بالسيوف الأفلاق والرماح الأكسار ، فنيّلوا بثار من السلاح ونالوه أيضا بثار ، فكم أهلة سيوف تقارضن الضراب بها حتى عادت كالعراجين ، وكم أنجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين ، وكم فارسية ركض عليها فارسها الشهم إلى أجل فاختلسه ، وفغرت تلك القوس فاها فاذا فوها قد نهش القرن على بعد المسافة واقترسه ، فكان اليوم مشهوداً ، وكانت الملائكة شهوداً ، وكان الضلال صارخاً وكان الإسلام

١ س : وكانت قدراً يصرف فيه العنان .

٢ ق والمختار : الأكفة ؛ س : الأنف .

٣ وعن أصناف يخيل بأنه قتلهم : هذه هي قراءة ر ، وقد جاءت مضطربة في سائر النسخ ؛ وربما قرئت « وعن أنصاف » .

مولوداً ، وكانت ضلوع الكفار لئارجهم وقوداً . وأسر الملك ويده أوثق
 وثاقه ، وآكد وصله بالدين وعلاقته ، وهو صليب الصليبوت ، وقائد أهل
 الجيروت ، ما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دهماًهم يبسط لهم باعه ، وكان
 مد اليدين في هذه الدفعة^١ وداعه ، لا جرم أنهم يتهافت على ناره فراشهم ،
 ويجتمع في ظل ضلاله خشاشهم ، ويقاثلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال
 وأصدق ، ويرونه ميثاقاً بينون عليه أشد عهد وأوثقه ، ويعدونه سوراً
 تحفر حوافر الخيل خندقه ، وفي هذا اليوم أسرت سراهم ، ودُهِيت دهاهم ،
 ولم يفلت منهم معروف إلا القومص ، وكان لعنه الله ملياً يوم الظفر بالقتال ،
 وملياً يوم الخذلان بالاحتياي ، فنجوا ولكن كيف ، وطار خوفاً من أن يلحقه
 منسر الرمح أو جناح السيف ، ثم أخذه الله تعالى بعد أيام بيده ، وأهلكه
 لموعده ، فكان لعدتهم فذلك^٢ ، وانتقل من ملك الموت إلى مالك .

وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية
 السوداء صبغاً ، البيضاء صنعاً ، الخافقة هي وقلوب أعدائها ، الغالبة هي وعزائم
 أوليائها ، المستضاء بأنوارها إذا فتح عينها النشر ، وأشارت بأنامل العذبات
 إلى وجه النصر ، فافتتح بلاد كذا وكذا ، وهذه كلها أمصار ومدن ، وقد
 تسمى البلاد بلاداً وهي مزارع وفدن ، كل هذه ذوات معاقل ومعاقر ، وبحار
 وجزائر ، وجوامع ومنابر ، وجموع وعساكر ، يتجاوزها الخادم بعد أن
 يحرزها ، ويتركها وراءه بعد أن ينتهزها ، ويحصده منها كفرأ ويزرع إيماناً ،
 ويحيط من جوامعها صلباً ويرفع أذاناً ، ويبدل المذابح منابر والكنائس مساجد .
 ويبوء أهل القرآن بعد أهل الصليبان للقتال عن دين الله مقاعد ، ويقر عينه
 وعيون أهل الإسلام أن يعلق النصر منه ومن عسكره بجائر ومجرور ، وأن يظفر
 بكل سور . ما كان يخاف زلزاله ولا زياله إلى يوم النفخ في الصور .

ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليه كل طريد منهم وشريد ، واعتصم

١ س : الوقعة .

٢ س : فكان من عدتهم فذلك .

بمنعتها كل قريب منهم وبعيد ، وظنوا أنها من الله مانعهم ، وأن كنيستها إلى الله شافعتهم ، فلما نزلها الخادم رأى بلداً كبلاد ، وجمعاً كيوم التناد ، وعزائم قد تألبت وتألفت على الموت فنزلت بعرضته ، وهان عليها مورد السيف وأن تموت بخصته ، فزاول البلد من كل جانب ، فاذا أودية عميقة ، ولحج وعر غريقة ، وسور قد انعطف عطف السوار ، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقر الدار ، فعدل إلى جهة أخرى كان للطالع عليها معرج ، وللخيل فيها متولج^١ ، فنزل عليها وأحاط بها وقرب منها ، وضرب خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه ، ويزاحمه السور بأكتافه ، وقابلها ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها [وبرز إليها ثم بارزها]^٢ ، وحاجزها ثم ناجزها ، وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح ، وصدع جمعها فاذا هم لا يصبرون على عبودية الحد عن عنق الصفح ، فراسلوه ببذل قطيعة إلى مدة ، وقصدوا نظرة من شدة وانتظاراً لنجدة ، فعرفهم الخادم في لحن القول ، وأجابهم بلسان الطول ، وقدم المنجنقات^٣ التي تتولى عقوبات^٤ الحصون عصيها وحبالها ، وأوتر لهم قسيها التي ترمي ولا تفارقها سهامها ولكن تفارق سهامها نصالها ، فصافحت السور فإذا سهمها في ثنايا شرفاتها سواك ، وقدم النصر نسرأ من المنجنق يخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه إلى السماك ، فشج مرادع أبراجها ، وأسمع صوت عجيجها صم أعلاجها ، ورفع منار عجاجها^٥ ، فأخلى السور من السيارة ، والحرب من النظارة . وأمكن النقب ، أن يسفر للحرب النقب ، وأن يعيد الحجر إلى سيرته الأولى من التراب ، فتقدم إلى الصخر فمضغ سرده بأنياب معوله ، وحل عقده بضربه الأخرق الدال على لطافة أنمله ، وأسمع الصخرة الشريفة أنينه واستغاثته إلى أن كادت ترق لمقتله ، وتبرأ بعض الحجارة من بعض . وأخذ الخراب عليها موثقاً فلن تبرح الأرض ، وفتح من السور باباً سد من نجاتهم أبواباً .

١ متولج : هذه قراءة ر ع س ، وفي ق والمختار : متوج .

٢ زيادة من س ر .

٣ خ بها مش المختار : المجانيق .

٤ ر : عقوبة .

٥ س : ورفع المرداع ما بين العنق إلى المرفق منار عجاجها .

وأخذ ينقب في حجره فقال عنده الكافر : يا ليتني كنت ترابا ، فحيثذ ينس الكفار من أصحاب الدور ، كما ينس الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور ، وفي الحال خرج طاغية كفرهم ، وزمام أمرهم ، ابن بارزان أسائلاً أن يؤخذ البلد بالسلم لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسطوة ، وألقى بيده إلى التهلكة ، وعلاه ذل الهلكة بعد عز المملكة ، وطرح جنبه على التراب وكان جنباً لا يتعاطاه طارح ، وبذل مبلغاً من القطيعة لا يطمح إليها أمل^١ طامح ، وقال : ها هنا أسارى مسلمون يتجاوزون الألوف ، وقد تعاقد الفرنج على أنهم إن هجمت عليهم الدار ، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار ، بدى بهم فجعلوا ، وثني بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا ، ثم استقتلوا بعد ذلك ، فلا يقتل خصم إلا بعد أن يتنصف ، ولا يفل سيف من يد إلا بعد أن تقطع أو ينقص ، فأشار الأمراء بأخذ الميسور ، من البلد المأسور ، فانه لو أخذ حرباً فلا بد أن يتقمح الرجال الأنجاد ، ويقال كفوا عنها^٢ في آخر أمر قد نبيل من أوله المراد ، وكانت الجراح في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتكات ، وأثقل الحركات ، فقبل منهم المبدول عن يد وهم صاغرون ، وانصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون ، وملك الإسلام خطة كان عهده بها دمنة سكان ، فخدمها الكفر إلى أن صارت روضة جنان ، لا جرم أن الله تعالى أخرجهم منها وأهبطهم ، وأرضى أهل الحق وأسخطهم ، فانهم ، خذلهم الله ، حموها بالأسل والصفاح ، وبنوها بالعمد والصفاح ، وأودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والاستبارية فيها بكل غريبة من الرخام الذي يطرد ماؤه ، ولا ينطرد لألأؤه ، قد لطف الحديد في تجزيه ، وتفنن في توشيعه ، إلى أن صار الحديد الذي فيه بأس شديد ، كالذهب الذي فيه نعيم عتيق ، فما ترى إلا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق ، وعمداً كالأشجار لها من التنييت أوراق .

وأوعز الخادم برد الأقصى إلى عهده المعهود ، وأقام له من الأئمة من

١ يعني هنا : Baléan d'Ibelin

٢ س : طرف أمل .

٣ س : وتبدل نفوسها .

يوفيه ورده المورد ، وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السموات
يتفطرن للسجود لا للوجوم ، والكواكب منها تنتثر للطرب لا للرجوم ،
ورفعت إلى الله كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدودة ، وطهرت قبور
الأنبياء وكانت بالنجاسات مكدودة ، وأقيمت الخمس وكان التلث يقعدها ،
وجهرت الألسنة بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدها ، وجهر باسم أمير
المؤمنين في وطنه الأشرف من المنبر ، فرحب به ترحيب من بر بمن بر ،
وخفق علماه في حفافيه ، فلو طار سروراً لطار بجناحيه .

وكتاب الخادم وهو مجده في استفتاح بقية الثغور ، واستشراح ما ضاق
بتمادي الحرب من الصدور ، فان قوى العساكر قد استنفدت مواردها ، وأيام
الشقاء قد مردت مواردها ، والبلاد المأخوذة المشار إليها قد جاست العساكر
خلالها ، ونهبت ذخائرها وأكلت غلالها ، فهي بلاد ترفد ولا تسترفد ،
وتجّم ولا تستنفد ، ينفق عليها ولا ينفق منها ، وتجهز الأساطيل لبحرها ،
وتقام المرباط بساحلها ، ويدأب في عمارة أسوارها وممرات معاقلها ، وكل
مشقة بالإضافة إلى نعمة الفتح محتملة ، وأطماع الفرنج بعد ذلك غير مرجئة
ولا معتزلة ، فان يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله أنها لا تسمع ، ولن يكفوا^١
أيديهم من أطراف البلاد حتى تقطع ، وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من
غير الألسنة تشخص ، ولا بما سوى المشافهة تتخلص ، فلذلك نفذ الخادم
لساناً شارحاً ، ومبشراً صادقاً^٢ ، يطالع بالخبر على سياقته ، ويعرض جيش
المسرة من طليعته إلى ساقته ، وهو فلان ، والله الموفق .

هذا آخر الرسالة الفاضلية ، وكان في عزمي اختصارها والاقتصار على
محاسنها فلما شرعت فيها قلت في نفسي : عسى أن يقف عليها من يؤثر
الوقوف على جميعها فأكملتها ورجعت عن الرأي الأول ، وهي قليلة الوجود

١ س : استنفدت ؛ ع : وأيام الشتاء .

٢ س ق ع : يفكوا .

٣ س : صالحا .

في أيدي الناس ، وكانت النسخة التي نقلتها منها سقيمة ، ولقد اجتهدت في تحريرها حتى صحت على هذه الصورة حسب الإمكان .

وقد عمل عماد الدين الأصبهاني الكاتب رسالة في فتح القدس أيضاً فلم أر التطويل بكتابتها فتركها ، وجمع كتاباً سماه « الفتح القسي في الفتح القدسي » وهو في مجلدين ذكر فيه جميع ما جرى في هذه الواقعة . ورأيت منذ زمان رسالة مليحة أنشأها ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الجزري رحمه الله تعالى - المقدم ذكره في حرف النون^١ - تتضمن فتح القدس أيضاً ، وكل واحد من أرباب صناعة الإنشاء كان يريد يمتحن خاطره بما يعمل في ذلك ، والقاضي الفاضل رئيس هذا الفن ، وإذا شرع في شيء من هذا الباب لا يستطيع أحد أن يجاريه ولا يباريه ، فلهذا أثبت رسالته ورفضت غيرها خوفاً للإطالة .

وكان قد حضر الرشيد أبو محمد عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن مفرج النابلسي الشاعر المشهور ، هذا الفتح ، فأنشد السلطان صلاح الدين قصيدته التي أولها :

هذا الذي كانت الآمال تنتظر فليوف الله أقوام بما نذروا

وهي طويلة تزيد على مائة بيت ، يمدحه ويهنيه بالفتح .

وإذ قد نجز المطلوب من هذا الأمر فلنرجع إلى تنمة ما ذكره شيخنا بهاء الدين بن شداد في « السيرة الصلاحية »^١ قال^٢ : ونكس الصليب^٣ الذي كان على قبة الصخرة ، وكان شكلاً عظيماً ، ونصر الله الإسلام على يده نصراً عزيزاً .

١ انظر ج ٥ : ٣٨٩ .

٢ ما بين معقنين لم يرد في المسودة ، وهو ثابت في المختار والنسخ ق ع ر س ، وقد تأخر في ر عن هذا الموضع ، وورد بعد الآيات التي مطلعها « الله أكبر جاء القوس بارها » .

٣ السيرة : وحط الصليب (ص : ٨٢) .

قلت : وقد تقدم في ترجمة أرتق طرف من أخبار القدس وأن الأفضل أمير الحيوش بمصر أخذه من ولديه سقمان ولبل غازي ، ثم إن الفرنج استولوا عليه يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنين وتسعين وأربعمائة ، وقيل في ثاني شعبان ، وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة ؛ ولم يزل بأيديهم حتى استنقذه منهم صلاح الدين في التاريخ المذكور .

نعود إلى كلام ابن شداد^١ : وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرين ديناراً ، وعن كل امرأة خمسة دنانير صورية ، عن كل صغير ذكر أو أنثى ديناراً واحداً ، فمن أحضر قطيعته نجاً بنفسه ، وإلا أخذ أسيراً ، وأفرج عمن كان بالقدس من أسارى المسلمين ، وكانوا خلقاً عظيماً ، وأقام به يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والرجال ، ويحبو بها الفقهاء والعلماء والزهاد والوافدين عليه ، وتقدم بايصال من قام بقطيعته إلى مأمنه ، وهي مدينة صور ، ولم يرحل عنه ومعه من المال الذي جُبي له شيء ، وكان يقارب مائتي ألف دينار وعشرين ألفاً ، وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان من السنة .

ولما فتح القدس حسن عنده قصد صور ، وعلم أنه إن أخر أمرها ربما عسر عليه ، فسار نحوها حتى أتى عكا فنزل عليها ونظر في أمورها ، ثم رحل عنها متوجهاً إلى صور في يوم الجمعة خامس شهر رمضان من السنة ، فنزل قريباً منها ، وسيّر لإحضار آلات القتال ، ولما تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور ، وقاتلها وضايقها قتالاً عظيماً ، واستدعى أصطول^٢ مصر ، فكان يقاتلها في البر والبحر . ثم سيّر من حاصر هونين فسلمت في الثالث والعشرين من شوال من السنة .

ثم خرج أصطول صور في الليل ، فكبس أصطول المسلمين ، وأخذوا

١ السيرة : ٨٢ .

٢ اصطول : يكتبها المؤلف بالصاد .

المقدم والريّس وخمس قطع للمسلمين ، وقتلوا خلقاً كثيراً من رجال المسلمين ، وذلك في السابع والعشرين من الشهر المذكور ، وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره ، وكان الشتاء قد هجم وتراكت الأمطار ، وامتنع الناس من القتال لكثرة الأمطار ، فجمع الأمراء واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال ويجتمعوا للقتال ، فرحل عنها . وحملوا من آلات الحصار ما أمكن وأحرقوا الباقي الذي عجزوا عن حمله لكثرة الوحل والمطر ، وكان رحيله يوم الأحد ثاني ذي القعدة من السنة ، وتفرقت العساكر ، وأعطى كل طائفة منها دُستوراً ، وسار كل قوم إلى بلادهم ، وأقام هو مع جماعة من خواصه بمدينة عكا إلى أن دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

ثم نزل على كوكب في أوائل المحرم من السنة ، ولم يبق معه من العسكر إلا القليل ، وكان حصناً حصيناً وفيه الرجال والأقوات ، فعلم أنه لا يؤخذ إلا بقتال شديد ، فرجع إلى دمشق ودخلها في سادس عشر شهر ربيع الأول من السنة . قال ابن شداد^١ : ولما كان على كوكب وصلت إلى خدمته ، ثم فارقتهم ومضيت لزيارة القدس والخليل عليه أفضل الصلاة والسلام ، ودخلت دمشق يوم دخول السلطان إليها - قلت : وقد ذكرت هذا في ترجمته .

قال : وأقام بدمشق خمسة أيام ، ثم بلغه أن الفرنج قصدوا جبّيل واغتالوها ، فخرج مسرعاً ، وكان قد سير يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل ، فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا^٢ عن ذلك .

وكان بلغه وصول عماد الدين صاحب سنجار ومظفر الدين بن زين الدين وعسكر الموصل إلى حلب قاصدين خدمته والغزاة معه ، فسار نحو حصن الأكراد .

١ السيرة : ٨٥ .

٢ ورد في س ق والمسودة : « كف » .

قال ابن شداد في السيرة^١ : إنه اتصل بخدمة السلطان في مستهل جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين ، وجميع ما ذكرته فهو بروايتي عن أثق به ، ومن ها هنا ما أسطر إلا ما شاهدته أو أخبرني به من أثق إليه خبراً يقارب العيان.

قال : لما كان يوم الجمعة رابع^٢ جمادى الأولى دخل السلطان بلاد العدو على تعبئة حسنة ورتب الأطلاب ، وسارت الميمنة أولاً ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط ، والميسرة في الأخير ومقدمها مظفر الدين ابن زين الدين ، فوصل إلى انطرسوس ضاحي نهار الأحد سادس جمادى الأولى ، فوقف قبالتها ينظر إليها لأن قصده كان جبلة ، فاستهان بأمرها وعزم على قتالها ، فسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول على جانب البحر ، والميسرة على الجانب الآخر ، ونزل هو موضعه ، والعساكر محدة بها من البحر إلى البحر ، وهي مدينة راكبة على البحر ولها برجان كالقلعتين ، فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وباغتوها ، فما استم نصب الخيام حتى صعد مسلمون سورها ، وأخذوها بالسيف ، وغنم المسلمون جميع من بها وما بها ، وأحرق البلد ، وأقام عليها إلى رابع عشر جمادى الأولى ، وسلم أحد البرجين إلى مظفر الدين ، فما زال يحاربه حتى أخربه ، واجتمع به ولده الملك الظاهر لأنه كان قد طلبه ، فجاءه في عسكر عظيم .

ثم سار يريد جبلة ، وكان وصوله إليها في ثاني عشر جمادى الأولى ، وما استم نزول العسكر عليها حتى أخذ البلد ، وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم ، وقوتلت القلعة قتالاً شديداً ، ثم سلمت بالأمان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى من السنة ، وأقام عليها إلى الثالث والعشرين منه .

ثم سار عنها إلى اللاذقية ، وكان نزوله عليها يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى ، وهو بلد مليح خفيف على القلب ، غير مسور ، وله ميناء مشهور ، وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد . واشتد القتال إلى

١ السيرة : ٨٧ .

٢ السيرة : رابع عشر .

آخر النهار ، فأخذ البلد دون القلعتين ، وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لأنه كان بلد التجار ، وجدّوا في أمر القلعتين بالقتال والنقوب حتى بلغ طول النقب ستين ذراعاً وعرضه أربعة أذرع ، فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الأمان ، وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر ، والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم وذرائعهم ونسائهم وأموالهم ، ما خلا الغلال والذخائر والسلاح وآلات الحرب ، فأجابهم إلى ذلك ، ورفع العلم الإسلامي عليها يوم السبت ، وأقام عليها إلى يوم الأحد السابع والعشرين من الشهر .

فرحل عنها إلى صهيون، فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر واجتهد في القتال ، فأخذ البلد يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة . ثم تقدموا إلى القلعة ، وصدقوا القتال ، فلما عاينوا الهلاك طلبوا الأمان ، فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنائير ومن المرأة خمسة دنائير ومن كل صغير ديناران ، الذكر والأنثى سواء . وأقام السلطان بهذه الجهة حتى أخذ عدداً قلاع منها بـكـلاطـنـس وغيرها من الحصون المنيعة المتعلقة بصهيون .

ثم رحل عنها وأتى بكاس وهي قلعة حصينة على العاصي ولها نهر يخرج من تحتها ، وكان النزول عليها يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة ، وقتلوا قتالاً شديداً إلى يوم الجمعة تاسع الشهر ، ثم يسر الله فتحها عنوة ، فقتل أكثر من بها وأسر الباقون ، وغنم المسلمون جميع ما كان فيها ، ولها قلعة تسمى الشُّغْر ، وهي في غاية المنعة يعبر إليها منها بجسر وليس عليها طريق ، فسلطت المناجيق عليها من جميع الجوانب ، ورأوا أنهم لا ناصر لهم فطلبوا الأمان ، وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر ، ثم سألوا المهلة ثلاثة أيام فأملوها ، وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قُلَّتِها يوم الجمعة سادس عشر الشهر .

ثم سار إلى بُرْزَيْه ، وهي من الحصون المنيعة في غاية القوة يضرب بها

المثل في بلاد الفرنج تحيط بها أودية^١ من جميع جوانبها ، وعلوها خمسمائة ونيف وسبعون ذراعاً ، وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر ، ثم أخذها عنوة يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه .

ثم سار إلى درّيساك فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب ، وهي قلعة منيعة ، وقاتلها قتالاً شديداً ، ورقى العلم الإسلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب ، وأعطاه الأمير علم الدين سليمان بن جندَر ، وسار عنها بكرة يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر .

ونزل على بَغْراس ، وهي قلعة حصينة بالقرب من أنطاكية ، وقاتلها مقاتلة شديدة ، وصعد العلم الإسلامي عليها في ثاني شعبان . وراسله أهل أنطاكية في طلب الصلح ، فصالحهم لشدة ضجر العسكر من البيكار ، وكان الصلح معهم لا غير ، على أن يطلقوا كل أسير عندهم ، والصلح إلى سبعة أشهر ، فإن جاءهم من ينصرهم ، وإلا سلموا البلد .

ثم رحل السلطان ، فسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب أن يحتاز به ، فأجابه إلى ذلك ، فوصل حلب في حادي عشر شعبان وأقام بالقلعة ثلاثة أيام ، وولده يقوم بالضيافة حتى القيام .

وسار من حلب ، فاعترضه تقي الدين عمر ابن أخيه وأصعبه إلى قلعة حماة وصنع له طعاماً ، وأحضر له سماعاً من جنس ما تعمل الصوفية ، وبات فيها ليلة واحدة ، وأعطاه جبلة واللاذقية .

وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة .

ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ، ولم يزل القتال حتى تسلمها بالأمان في رابع عشر شوال .

وفي شهر رمضان المذكور سلمت الكرك ، سلمها نواب صاحبها ، وخلصوه بذلك ، لأنه كان في الأسر من نوبة حطين .

١ المختار : الأودية .

قلت : هكذا ذكره ، وهذا لا ينتظم مع ما قبله ، فقد تقدم قبل هذا أن البرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك أسر في وقعة حطين ، ثم قتله السلطان بيده ، فيكشف عن ذلك في مكان آخر ليحقق .

[قال] : ثم سار إلى كوكب وضايقوها وقتلوا مقاتلة شديدة ، والأمطار متواترة والوحول متضاعفة والرياح عاصفة ، والعدو متسلط بعلو مكانه ، فلما تيقنوا أنهم مأخوذون طلبوا الأمان فأجابهم إليه ، وتسلمها منهم في منتصف ذي القعدة من السنة^١.

ثم نزل إلى الغور ، وأقام بالمخيم بقية الشهر وأعطى الجماعة دستورا ، وسار مع أخيه الملك العادل يريد زيارة القدس ووداع أخيه لأنه كان متوجهاً إلى مصر ، ودخل القدس في ثامن ذي الحجة وصلى بها العيد .

وتوجه في حادي عشر ذي الحجة إلى عسقلان لينظر في أمورها ، وأخذها من أخيه العادل ، وعوضه عنها الكرك .

ثم مر على بلاد الساحل يتفقد أحوالها ، ثم دخل عكا فأقام بها معظم المحرم من سنة خمس وثمانين يصلح أمورها ، ورتب بها الأمير بهاء الدين قراقوش^٢ والياً وأمره بعمارة سورها .

وسار إلى دمشق فدخلها في مستهل صفر من السنة ، وأقام بها إلى شهر ربيع الأول من السنة .

ثم خرج إلى شقيف أرنون ، وهو موضع حصين فخيم في مرج عيون بالقرب من الشقيف ، في سابع عشر شهر ربيع الأول ، وأقام أياماً يباشر قتاله كل يوم ، والعساكر تتواصل إليه ، فلما تحقق صاحب الشقيف أنه لا طاقة له به نزل إليه بنفسه ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على باب خيمته ، فأذن له

١ علق صاحب المختار هنا بقوله : « قلت ، أعني كاتبها موسى بن أحمد لطف الله به : وكتب القاضي الفاضل بطاقة إلى بعض الجهات يبشر فيها بفتح كوكب هذه ، فمن جملتها ... » وقد وردت القطعة في ترجمة القاضي الفاضل ٣ : ١٥٩ .

٢ زاد في المختار : الخصي .

في دخوله إليه وأكرمه واحترمه ، وكان من أكبر الفرنج وعقلاهم ، وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شيء من التواريخ والأحاديث ، وكان حسن التأني لما حضر بين يدي السلطان وأكل معه الطعام ، ثم خلا به وذكر أنه مملوكه وتحت طاعته ، وأنه يسلم إليه المكان من غير تعب ، واشترط أن يعطى موضعاً يسكنه بدمشق فإنه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج ، وإقطاعاً يقوم به وبأهله ، وشروطاً غير ذلك ، فأجابه إلى ذلك .

وفي أثناء شهر ربيع الأول وصله الخبر بتسليم الشوبك ، وكان السلطان قد أقام عليه جمعاً يحاصرونه مدة سنة كاملة إلى أن نفذ زاد من كان فيه ، فسلموه بالأمان .

ثم ظهر للسلطان بعد ذلك أن جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة ، فرسم عليه .

ثم بلغه أن الفرنج قصدوا عكا ، ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة خمس وثمانين . وفي ذلك اليوم سير صاحب الشقيف إلى دمشق بعد الإهانة الشديدة .

وأى عكا ، ودخلها بغتة لتقوى قلوب من بها ، وسيّر استدعى العساكر من كل ناحية فجاءته . وكان العدو بمقدار ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ، ثم تكاثر الفرنج واستفحل أمرهم وأحاطوا بعكا ، ومنعوا من يدخل إليها ويخرج ، وذلك يوم الخميس سلخ رجب ، فضاق صدر السلطان لذلك ، ثم اجتهد في فتح الطريق إليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة ، وشاور الأمراء فاتفقوا على مضايقة العدو لينفتح الطريق ، ففعلوا ذلك ، وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ، ودخل السلطان عكا فأشرف على أمورها ، ثم جرى بين الفريقين مناوشات في عدة أيام ، وتأخر الناس إلى تل العياضية ، وهو مشرف على عكا . وفي هذه المنزلة توفي الأمير حسام الدين طمان — المقدم ذكره في هذه الترجمة — وذلك ليلة نصف شعبان من سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وكان من الشجعان .

ثم إن شيخنا ابن شداد ذكر بعد هذا وقعات ليس لنا غرض في ذكرها ، وتطول هذه الترجمة باستيفاء الكلام فيها . إذ ليس الغرض سوى المقاصد لا غير ، وإنما ذكرت فتوحات هذه الحصون لأن الحاجة قد تدعو إلى الوقوف على تواريخها ، مع أنني لم أذكر إلا ما يكثر التطلع إلى الوقوف عليه وأضربت عن الباقي .

قال ابن شداد^١ : سمعت السلطان ينشد وقد قيل له : إن الوخم قد عظم بمرج عكا وإن الموت قد فشا في الطائفين :

اقتلاني ومالكاً واقتلا مالكا معي

يريد بذلك أنه قد رضي أن يتلف إذا أتلف الله أعداءه .

قلت : وهذا البيت له سبب يحتاج إلى شرح . وذلك أن مالك بن الحارث المعروف بالأشتر النخعي . كان من الشجعان والأبطال المشهورين . وهو من خواص أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه . تماسك في يوم وقعة الجمل المشهورة هو وعبد الله بن الزبير بن العوام ، وكان أيضاً من الأبطال ، وابن الزبير يومئذ مع خالته عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين . وكانوا يحاربون علياً رضي الله عنه . فلما تماسكا صار كل واحد منهما إذا قوي على صاحبه جعله تحته وركب صدره ، وفعلاً ذلك مراراً . وابن الزبير ينشد :

اقتلاني ومالكاً واقتلا مالكا معي

يريد الأشتر النخعي ، هذه خلاصة القول في ذلك وإن كانت القصة طويلة ، وهي في التواريخ مبسطة .

وقال عبد الله بن الزبير : لاقيت الأشتر النخعي يوم الجمل . فما ضربته ضربة حتى ضربني ستاً أو سبعة ، ثم أخذ برجلي فألقاني في الخندق وقال :

١ السيرة : ١٥٠ .

والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو إلى عضو أبداً .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : أعطت عائشة رضي الله عنها الذي بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الأشتر عشرة آلاف درهم .

وقيل أيضاً إن الأشتر دخل على عائشة رضي الله عنها بعد وقعة الجمل ، فقالت له : يا أشتر أنت الذي أردت قتل ابن أخي يوم الوقعة ، فأشدها : أعائش ، لولا أنني كنت طاوياً ثلاثاً لألفيت ابنَ أختك هالكا غداة ينادي والرماح تنوشه بآخر صوتٍ اقتلوني ومالكا فنجاه مني أكله وشبابه وخلوة جوف لم يكن متماسكا

وقال زجر بن قيس : دخلت مع عبد الله بن الزبير الحمام ، فاذا في رأسه ضربة لو صب فيها قارورة دهن لاستقر ، فقال لي : أتدري من ضربني هذه الضربة ؟ قلت : لا ، قال : ابن عمك الأشتر النخعي .

رجعنا إلى ما كنا عليه :

قال ابن شداد : ثم إن الفرنج جاءهم الأمداد من داخل البحر واستظهروا على الجماعة الإسلامية بعكا ، وكان فيهم الأمير سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمشطوب الهكاري ، والأمير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحي ، وضايقوهم أشد مضايقة إلى أن غلبوا عن حفظ البلد . فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من سنة سبع وثمانين وخمسمائة خرج من عكا رجل عوام ، ومعه كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه ، وأنهم قد تيقنوا الهلاك ، ومتى أخذوا البلد عتوةً ضربت رقابهم ، وأنهم صالحوا على أن يسلموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والعتدة والأسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار ، وخمسمائة أسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جهتهم

١ السيرة : ١٧٠ .

وصليب الصليبوت ، على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين ، وما معهم من الأموال والأقمشة المختصة بهم وذرائعهم ونسائهم ، وضمنوا للمركيس — لأنه كان الواسطة في هذا الأمر — أربعة آلاف دينار . ولما وقف السلطان على الكتب المشار إليها أنكر ذلك إنكاراً عظيماً وعظم عليه هذا الأمر ، وجمع أهل الرأي من أكابر دولته وشاورهم فيما يصنع ، واضطربت آراؤه وتقسم فكره وتشوش حاله ، وعزم على أن يكتب في تلك الليلة مع العوام وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه ، وهو يتردد في هذا ، فلم يشعر إلا وقد ارتفعت أعلام العدو وصلبانه وناره وشعاره على سور البلد ، وذلك في ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من السنة ، وصاح الفرنج صيحة عظيمة واحدة ، وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزنهم ، ووقع فيهم الصباح والعويل والبكاء والنحيب .

ثم ذكر ابن شداد^١ بعد هذا أن الفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان ليأخذوها ، وساروا على الساحل ، والسلطان وعساكره في قبالتهم ، إلى أن وصلوا إلى أرسوف ، فكان بينهما قتال عظيم ، ونال المسلمين منه وهن شديد ، ثم ساروا على تلك الهبة تنمة عشر منازل من مسيرهم من عكا ، فأقى السلطان الرملة ، وأتاه من أخبره بأن القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات ، فأحضر السلطان أرباب مشورته وشاورهم في أمر عسقلان وهل الصواب خرابها أم بقاءها ؟ فاتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل في قبالة العدو ، ويتوجه هو بنفسه ويخربها خوفاً من أن يصل العدو إليها ويستولي عليها وهي عامرة ، ويأخذ بها القدس وتنقطع بها طريق مصر . وامتنع العسكر من الدخول وخافوا مما جرى على المسلمين بعكا ، ورأوا أن حفظ القدس أولى ، فتعين خرابها من عدة جهات ، وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، فسار إليها سحرة الأربعاء ثامن عشر الشهر . قال ابن شداد^٢ : وتحدث معي في معنى خرابها بعد أن تحدث

١ السيرة : ١٧٥ .

٢ السيرة : ١٨٦ .

مع ولده الملك الأفضل في أمرها أيضاً ثم قال : لأن أفقد ولدي جميعهم أحب إلي من أن أهدم منها حجراً ، ولكن إذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة في ذلك ؟ قال : ولما اتفق الرأي على إخراجها أوقع الله تعالى في نفسه ذلك ، وأن المصلحة فيه ، لعجز المسلمين عن حفظها . وشرع في إخراجها سحرة يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة ، وقسم السور على الناس ، وجعل لكل أمير وطائفة من العسكر بدنة معلومة وبرجاً معيناً يخربونه ، ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكاء ، وكان بلداً خفيفاً على القلب محكم الأسوار عظيم البناء ، مرغوباً في سكنه ، فلحق الناس على خرابه حزن عظيم ، وعظم عويل أهل البلد عليه لفراق أوطانهم ، وشرعوا في بيع ما لا يقدرون على حمله ، فباعوا ما يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد ، وباعوا اثني عشر طير دجاج بدرهم واحد ، واختبط البلد ، وخرج الناس بأهلهم وأولادهم إلى المخيم وتشتتوا ، فذهب قوم منهم إلى مصر وقوم إلى الشام ، وجرت عليهم أمور عظيمة . واجتهد السلطان وأولاده في خراب البلد كي لا يسمع العدو فيسرع إليه ولا يمكن من إخراجها ، وبات الناس على أصعب حال وأشد تعب مما قاسوه في خرابها . وفي تلك الليلة وصل من جانب الملك العادل من أخبر أن الفرنج تحدثوا معه في الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية ، فرأى السلطان أن ذلك مصلحة لما علم من نفس الناس من الضجر من القتال وكثرة ما عليهم من الديون ، وكتب إليه يأذن له في ذلك ، وفوض الأمر إلى رأيه ، وأصبح يوم الجمعة العشرين من شعبان وهو مصر على الخراب ، واستعمل الناس عليه ، وحثهم على العجلة فيه ، وأباحهم ما في الهري الذي كان مدخراً للميرة خوفاً من هجوم الفرنج والعجز عن نقله . وأمر باحراق البلد فأضرمت النيران في بيوته ، وكان سورها عظيماً ، ولم يزل الخراب يعمل في البلد إلى سلخ شعبان من السنة ، وأصبح يوم الاثنين مستهل شهر رمضان أمر ولده الملك الأفضل أن يباشر ذلك بنفسه وخواصه ، ولقد رأيت يحمي الخشب بنفسه لأجل الاحراق .

١ المختار : للميرة مدخراً .

وفي يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان أتى الرملة ثم خرج إلى لُدَّة ، وأشرف عليها وأمر باخرابها وإخراب قلعة الرملة ، ففعل ذلك ، وفي يوم السبت ثالث عشر شهر رمضان تأخر السلطان بالعسكر إلى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسير دوابهم لإحضار ما يحتاجون إليه^١ ، ودار السلطان حول النطرون ، وهي قلعة منيعة ، فأمر باخرابها ، وشرع الناس في ذلك .

ثم ذكر ابن شداد^٢ بعد هذا أن الانكثار ، وهو من أكابر ملوك الفرنج ، سير رسوله إلى الملك العادل يطلب الاجتماع به ، فأجابه إلى ذلك واجتماع يوم الجمعة ثامن عشر شوال من السنة وتحادثا معظم ذلك النهار ، وانفصلا عن مودة أكيدة . والتمس الانكثار من العادل أن يسأل السلطان أن يجتمع به . فذكر العادل ذلك للسلطان ، فاستشار أكابر دولته في ذلك ، ووقع الاتفاق على أنه إذا جرى الصلح بيننا يكون الاجتماع بعد ذلك ، ثم وصل رسول الانكثار ، وقال : إن الملك يقول : إني أحب صداقتك ومودتك ، وأنت تذكر أنك أعطيت هذه البلاد الساحلية لأخيك ، فأريد أن تكون حكماً بيني وبينه وتقسم البلاد بيني وبينه ولا بد أن يكون لنا عُلقة بالقدس ، وأطال الحديث في ذلك ، فأجابه السلطان بوعده جميل ، وأذن له في العود في الحال وتأثر لذلك تأثراً عظيماً .

قال ابن شداد : وبعد انفصال الرسول قال لي السلطان : متى صالحناهم لم تؤمن غائلتهم ، ولو حدث بي حادث الموت ما كانت تجتمع هذه العساكر ، وتقوى الفرنج ، والمصلحة أن لا نزول عن الجهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتينا الموت ، هذا كان رأيه وإنما غلب على الصلح .

قال ابن شداد : ثم ترددت الرسل بينهم في الصلح ، وأطال القول في ذلك فتركته إذ لا حاجة إليه . وجرت بعد ذلك وقعات أضربت عن ذكرها لطول الكلام فيها ، وحاصل الأمر أنه تم الصلح بينهم ، وكانت الأيمان يوم

١ السيرة : ليتمكن الناس من انفاذ دوابهم إلى العلوقه .

٢ السيرة : ١٩٣ .

الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ونادى
المنادي بانتظام الصلح ، وأن البلاد الإسلامية والنصرانية واحدة في الأمن
والمسالمة ، فمن شاء من كل طائفة يتردد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير
خوف ولا محذور ، وكان يوماً مشهوداً نال الطائفتين فيه من المسرة ما لا يعلمه
إلا الله تعالى. وقد علم الله تعالى أن الصلح لم يكن عن مرضاته وإيثاره ، ولكنه
رأى المصلحة في الصلح لسأمة العسكر ومظاهرتهم بالمخالفة ، وكان مصلحة
في علم الله تعالى ، فانه اتفقت وفاته بعد الصلح ، فلو اتفق ذلك في أثناء
وقعته كان الإسلام على خطر .

ثم أعطى للعساكر الواردة عليه من البلاد البعيدة برسم النجدة دُستوراً
فساروا عنه ، وعزم على الحج لما فرغ باله من هذه الجهة . وتردد المسلمون
إلى بلادهم ، وجاءوا هم إلى بلاد المسلمين ، وحملت البضائع والمتاجر إلى
البلاد ، وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس .

وتوجه السلطان إلى القدس ليتفقد أحوالها ، وأخوه الملك العادل إلى
الكرك ، وابنه الملك الظاهر إلى حلب ، وابنه الأفضل إلى دمشق . وأقام
السلطان بالقدس يُقطع الناس ويعطيهم دستوراً ، ويتأهب للمسير إلى الديار
المصرية ، وانقطع شوقه عن الحج ، ولم يزل كذلك إلى أن صح عنده مسير
مركب الانتكثار متوجهاً إلى بلاده في مستهل شوال ، فعند ذلك قوي عزمه
أن يدخل الساحل جريدة يتفقد القلاع البحرية إلى بانياس ، ويدخل دمشق
ويقیم بها أياماً قلائل ، ويعود إلى القدس ومنه إلى الديار المصرية .

قال شيخنا ابن شداد^١ : وأمرني بالمقام في القدس إلى حين عوده لعمارة
مارستان أنشأه به ، وتكميل المدرسة التي أنشأها فيه . وسار منه ضاحي
نهار الخميس السادس من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . ولما
فرغ من افتقاد أحوال القلاع وإزاحة خللها دخل دمشق بكرة

١ السيرة : ٢٣٩ .

٢ المختار : تفقد .

الأربعاء سادس عشر شوال ، وفيها أولاده : الملك الأفضل ، والملك الظاهر ، والملك الظافر مظفر الدين الخضر المعروف بالمشمر ، وأولاده الصغار . وكان يحب البلد ويؤثر الإقامة فيه على سائر البلاد . وجلس للناس في بكرة يوم الخميس السابع والعشرين منه ، وحضروا عندهم وبلوا شوقهم منه ، وأنشده الشعراء ، ولم يتخلف أحد عنه من الخاص والعام ، وأقام ينشر جناح عدله ويهطل سحاب إنعامه وفضله ، ويكشف مظالم الرعايا . فلما كان يوم الاثنين مستهل ذي القعدة عمل الملك الأفضل دعوة للملك الظاهر ، لأنه لما وصل إلى دمشق وبلغه حركة السلطان أقام بها ليمتلي بالنظر إليه ثانياً ، وكأن نفسه كانت قد أحست بدنو أجله ، فودعه في تلك الدفعة مراراً متعددة . ولما عمل الملك الأفضل الدعوة أظهر فيها من الهمم العالية ما يليق بهيمته ، وكأنه أراد بذلك مجازاته عما خدمه به حين وصل إلى بلده ، وحضر الدعوة المذكورة أرباب الدنيا والآخرة ، وسأل السلطان الحضور فحضر جبراً لقلبه ، وكان يوماً مشهوداً على ما بلغني .

ولما تصفح الملك العادل أحوال الكرك وأصلح ما قصد إصلاحه فيه ، سار قاصداً إلى البلاد الفراتية ، فوصل إلى دمشق في يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة وخرج السلطان إلى لقائه ، وأقام يتصيد حوالي غباغب إلى الكسوة حتى لقيه ، وسارا جميعاً يتصيدان . وكان دخولهما إلى دمشق آخر نهار يوم الأحد حادي عشر ذي الحجة^١ سنة ثمان وثمانين ، وأقام السلطان بدمشق يتصيد هو وأخوه وأولاده ، ويتفرجون في أراضي دمشق ومواطن الصبا ، وكأنه وجد راحة مما كان به من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل ، وكان ذلك كالوداع لأولاده ومراتع نزهه ، ونسي عزمه إلى مصر ، وعرضت له أمور آخر وعزمات غير ما تقدم .

قال ابن شداد^٢ : ووصلني كتابه إلى القدس يستدعيني لخدمته ، وكان شتاء شديداً ووحلاً عظيماً ، فخرجت من القدس في يوم الجمعة الثالث والعشرين

١ كتب فوقها في المسودة : القعدة ؛ وهو لا يتفق مع ما تقدم .

٢ السيرة : ٢٤١ .

من المحرم سنة تسع وثمانين ، وكان الوصول إلى دمشق في يوم الثلاثاء ثاني عشر صفر من السنة . وركب السلطان للالتقى الحاج يوم الجمعة خامس عشر صفر ، وكان ذلك آخر ركوبه .

ولما^١ كان ليلة السبت وجد كسلاً عظيماً ، وما تنصف الليل حتى غشيتة حمى صفراوية ، وكانت في باطنه أكثر منها في ظاهره ، وأصبح يوم السبت متكسلاً عليه أثر الحمى ، ولم يظهر ذلك للناس ، لكن حضرت عنده أنا والقاضي الفاضل ، ودخل ولده الملك الأفضل وطال جلوسنا عنده ، وأخذ يشكو قلقه في الليل ، وطاب له الحديث إلى قريب الظهر ، ثم انصرفنا وقلوبنا عنده ، فتقدم إلينا بالحضور على الطعام في خدمة ولده الملك الأفضل ، ولم تكن للقاضي الفاضل في ذلك عادة فانصرف ، ودخلت إلى الإيوان القبلي وقد مد السماط ، وابنه الملك الأفضل قد جلس في موضعه ، فانصرفت ، وما كانت لي قوة في الجلوس استيحاشاً له ، وبكى في ذلك اليوم جماعة تفاؤلاً بالجلوس ولده في موضعه . ثم أخذ المرض يتزايد من حيثئذ ونحن نلازم التردد طرفي النهار ، وندخل إليه أنا والقاضي الفاضل في النهار مراراً ، وكان مرضه في رأسه ، وكان من أمارات انتهاء العمر غيبة طيبه الذي كان قد عرف مزاجه سفيراً وحضراً ، ورأى الأطباء فصدده ففصدوه في الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه ، وكان يغلب عليه اليبس ، ولم يزل المرض يتزايد حتى انتهى إلى غاية الضعف . واشتد مرضه في السادس والسابع والثامن ، ولم يزل يتزايد ويغيب ذهنه . ولما كان التاسع حدثت له غشية وامتنع من تناول المشروب واشتد الخوف في البلد ، وخاف الناس ونقلوا أقمشتهم من الأسواق ، وعلا الناس من الكآبة والحزن ما لا تمكن حكايته . ولما كان العاشر من مرضه حُقن دفتين ، وحصل من الحقن بعض الراحة وفرح الناس بذلك ، ثم اشتد مرضه وأيس منه الأطباء ، ثم شرع الملك الأفضل في تخليف الناس .

ثم إنه توفي بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر

١ السيرة : ٢٤٣ .

سنة تسع وثمانين وخمسمائة . وكان يوم موته يوماً لم يُصَبَّ الإسلام والمسلمون بمثله منذ فُتقَد الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ، وغشي القلعة والملك والدنيا وحشةٌ لا يعلمها إلا الله تعالى . وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنهم يتمنون فداء من يعز عليهم بنفوسهم ، وكنت أتوهم أن هذا الحديث على ضرب من التجوز والترخص ، إلى ذلك اليوم فاني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قبل الفداء لفدي بالأنفس .

ثم جلس ولده الملك الأفضل للعزاء ، وغسله الدولي .

(391) قلت: الدولي المذكور^١، هو ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد ابن ياسين بن زيد بن قائد بن جميل التغلبيّ الأرقمي الدولي الشافعي ، خطيب جامع دمشق . توفي في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وسئل عن مولده فقال : في سنة سبع وخمسمائة ، ثم ذكر غير هذا ، والله أعلم ؛ ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير .

قال : وأخرج بعد صلاة الظهر ، رحمه الله ، في تابوت مسجي بثوب فُوط ، فارتفعت الأصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج وأخذ الناس في البكاء والعيول ، وصلوا عليه أرسالا ، ثم أعيد إلى الدار التي في البستان ، وهي التي كان متمرضا بها ، ودفن في الصُفّة الغربية منها ، وكان نزوله في حفرة قريباً من صلاة العصر .

ثم أطال ابن شداد القول في ذلك فحذفته خوفاً من الملالة ، وأنشد في آخر « السيرة »^٢ بيت أبي تمام الطائي ، وهو :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلامُ

١ ترجمة الدولي في معجم البلدان (دولع) والذيل على الروضتين : ٣١ وعبر الذهبي ٤ : ٣٠٣ والبداية والنهاية ١٣ : ٣٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ٨١ والاسنوي ١ : ٥١٣ وشذرات الذهب ٤ : ٣٣٦ وابن قاضي شعبة : ١٥١ .
٢ السيرة : ٢٤٧ .

رحمه الله تعالى وقدس روحه ، فلقد كان من محاسن الدنيا وغرائبها .
وذكر سبط ابن الجوزي في تاريخه في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة
ما مثاله ^١ : وفي خامس المحرم خرج صلاح الدين من مصر ، فنزل البركة
قاصداً الشام ، وخرج أعيان الدولة لوداعه ، وأنشده الشعراء أبياتاً في الوداع ،
فسمع قائلاً يقول في ظاهر الخيمة :

تمتع من شميم عرار نجد فمسا بعد العشية من عرار
فطلب القاتل فلم يوجد ، فوجم السلطان وتطير الحاضرون ، فكان كما
قال ، فإنه اشتغل ببلاد الشرق والفرنج ، ولم يعد بعدها إلى مصر .

قلت : وهذا البيت من جملة أبيات في « الحماسة » في باب النسب ^٢ .
وذكر شيخنا عز الدين ابن الأثير في تاريخه الكبير هذه القضية على
صورة أخرى ، فقال ^٣ : ومن عجب ما يحكي من التطير أنه لما برز عن
القاهرة أقام بخيمته حتى تجتمع العساكر ، وعنده أعيان دولته والعلماء وأرباب
الآداب ، فمن بين مودع له وسائر معه ، وكل واحد منهم يقول شيئاً في
الوداع والفراق ، وفي الحاضرين معلم لبعض أولاده ، فأخرج رأسه من بين
الحاضرين ، وأنشد هذا البيت ، فانقبض صلاح الدين وتطير بعد انبساطه
وتنكد المجلس على الحاضرين ، فلم يعد إليها إلى أن مات مع طول المدة .

وذكر ابن شداد أيضاً في أوائل « السيرة » أنه مات ولم يخلف في خزانته
من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية ، وجرمماً واحداً ذهباً
صورياً ، ولم يخلف ملكاً : لاداراً ولا عقاراً ولا بستاناً ولا قرية ولا مزرعة .

وفي ساعة موته كتب القاضي الفاضل إلى ولده الملك الظاهر صاحب
حلب بطاقة مضمونها ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (الأحزاب : ٢١)

١ مرآة الزمان : ٣٦٨ - ٣٦٩ .

٢ الحماسة رقم : ٤٦٦ (شرح المرزوقي) .

٣ تاريخ ابن الأثير ١١ : ٤٧٨ .

(٢١) ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (الحج : ١) كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه ، وجعل فيه الخلف في الساعة المذكورة ، وقد زلزل المسلمون زلزالاً شديداً ، وقد حفرت الدموع المحاجر ، وبلغت القلوب الحناجر ، وقد ودعت أبائك ومخدومي وداعاً لا تلاقي بعده ، وقد قبلت وجهه عني وعنك ، وأسلمته إلى الله تعالى مغلوب الحيلة ضعيف القوة ، راضياً عن الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وبالباب من الجنود المجتدة والأسلحة المعدة ما لم يدفع البلاء ، ولا ملئك يرد القضاء ، وتدمع العين ويخشع القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا عليك لمحزونون يا يوسف . وأما الوصايا فما تحتاج إليها ، والآراء فقد شغلني المصائب عنها ، وأما لائح الأمر فإنه إن وقع اتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم ، وإن كان غيره فالمصائب المستقبلية أهونها موته وهو الهول العظيم ، والسلام .

قلت : لله دره ، فلقد أبدع في هذه الرسالة الوجيزة ، مع ما تضمنته من المقاصد السديدة ، في مثل تلك الحالة التي يذهل فيها الإنسان عن نفسه .

قلت : وقد ذكرت كل واحد من أولاده المذكورين ، وهم الأفضل والظاهر والعزيز في ترجمة مستقلة ، وعينت تاريخ مولده وموته ، سوى الملك الظاهر المشهور بالمشمر ، فإني لم أذكر له ترجمة مستقلة ، وقد ذكرته ها هنا فيحتاج إلى ذكر شيء من أحواله ، فأقول :

(392) لقبه مظفر الدين وكنيته أبو الدوام، وأبو العباس الخضر، وإنما قيل له المشمر لأن أباه، رحمه الله تعالى ، لما قسم البلاد بين أولاده الكبار قال : وأنا مشمر ، فغلب عليه هذا اللقب . وكان مولده بالقاهرة في سنة ثمان وستين وخمسائة ، في خامس شعبان ، وهو شقيق الملك الأفضل ، وتوفي في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وستمائة بجران ، عند ابن عمه الملك الأشرف ابن الملك العادل ، ولم يكن الأشرف يومئذ ملكاً وإنما كان مجتازاً بها عند دخوله بلاد الروم لأجل الخوارزمية .

قال غير ابن شداد : ثم إن السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، بقي مدفوناً بقلعة دمشق إلى أن بنيت له قبة في شمالي الكلاسة التي هي شمالي جامع دمشق ، ولها بابان أحدهما إلى الكلاسة والآخر في زقاق غير نافذ ، وهو مجاور المدرسة العزيزية — قلت : ولقد دخلت إلى هذه القبة من الباب الذي في الكلاسة ، وقرأت عنده وترحمت عليه ، وأحضر لي القيم ومتولي القبة بقجة فيها ملبوس بدنه وكان في جملته قباء أصفر قصير ورأس كميه بأسود فتبركت به — قال : ثم نقل من مدفنه بالقلعة إلى هذه القبة في يوم عاشوراء ، وكان الخميس من سنة اثنتين وتسعين وخمسائة ، ورتب عنده القراء ومن يخدم المكان . ثم إن ولده الملك العزيز عماد الدين عثمان — المقدم ذكره^١ — لما أخذ دمشق من أخيه الملك الأفضل بنى إلى جانب هذه القبة المدرسة العزيزية^٢ ، ووقف عليها وقفاً جيداً . وللقبة المذكورة شباك إلى هذه المدرسة ، وهي من أعيان مدارس دمشق .

وزرت قبره في أول جمعة من شهر رمضان سنة ثمانين وستمائة فقرأت على صندوق قبره بعد تاريخ وفاته ما مثاله : اللهم فارض عن تلك الروح ، وافتح له أبواب الجنة فهي آخر ما كان يرجوه من الفتوح ؛ وذكر قيم المكان أن هذا من كلام القاضي الفاضل .

قلت : ولما ملك السلطان صلاح الدين الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس ، فإن الدولة المصرية كان مذهبها مذهب الإمامية ، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء ، فعمّر في القرافة الصغرى المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه — وقد تقدم ذكرها في ترجمة نجم الدين الحبوشاني — وبنى مدرسة بالقاهرة في جوار المشهد المنسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وجعل عليها وقفاً كبيراً ، وجعل دار سعيد السعداء خادم المصريين خانقاه ، ووقف عليها وقفاً طائلاً ، وجعل دار عباس المذكور في ترجمة الظاهر العبيدي والعاقل ابن السلار مدرسة للحنفية ، وعليها وقف جيد أيضاً ،

١ انظر ج ٣ : ٢٥١ .

٢ انظر عن هذه المدرسة كتاب المدارس ١ : ٣٨٢ .

والمدرسة التي بمصر المعروفة بزين التجار وقفاً على الشافعية ووقفها جيد أيضاً ،
وبنى بالقاهرة داخل القصر مارستانا ، وله وقف جيد ، وله بالقدس مدرسة
أيضاً ، وقفها كثير ، وخانقاه بها أيضاً ، وله بمصر مدرسة للمالكية .

ولقد فكرت في نفسي في أمور هذا الرجل وقلت : إنه سعيد في الدنيا
والآخرة ، فإنه فعل في الدنيا هذه الأفعال المشهورة من الفتوحات الكبيرة
وغيرها ، ورتب هذه الأوقاف العظيمة ، وليس فيها شيء منسوباً إليه في
الظاهر ، فإن المدرسة التي في القرافة ما يسميها الناس إلا بالشافعي ، والمجاورة
للمشهد لا يقولون إلا المشهد ، والخانقاه لا يقولون إلا خانقاه سعيد السعداء ،
والمدرسة الخفية لا يقولون أيضاً إلا مدرسة السيوفية ، والتي بمصر لا يقولون
إلا مدرسة زين التجار ، والتي بمصر مدرسة المالكية ، وهذه صدقة السر على
الحقيقة . والعجب أن له بدمشق في جوار البيمارستان النوري مدرسة يقال
لها الصلاحية فهي منسوبة إليه وليس لها وقف ، وله بها مدرسة للمالكية أيضاً
ولا تعرف به ، وهذه النعم من ألطاف الله تعالى به .

وكان ، مع هذه المملكة المتسعة والسلطنة العظيمة ، كثير التواضع والطف
قريباً من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة ، وكان يحب العلماء
وأهل الخير ويقربهم ويحسن إليهم ، وكان يميل إلى الفضائل ، ويستحسن
الأشعار الجيدة ، ويرددها في مجالسه ، حتى قيل إنه كان كثيراً ما ينشد قول
أبي منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن إسحاق الحميري ، وقيل
لإنها لأبي محمد أحمد بن علي بن خيران العامري ، كان أميراً بالمرية من بلاد
الأندلس ، وكان جده خيران من سبي المنصور بن أبي عامر فنسب إليه ،
والله أعلم ، وهي هذه :

وزارني طيفُ مَنْ أهوى على حَدَرٍ من الوشاةِ وداعي الصبحِ قد هتفا
فكدت أوقظُ مَنْ حولي به فرحاً وكاد يهلكُ سترَ الحبِ بي شعفا
ثم انتبهتُ وآمالِي تخيّل لي نيلَ المنى فاستحالت غبطتي أسفا
وقيل إنه كان أيضاً يعجبه قول نشؤ الملك أبي الحسن علي بن مفرج

المعروف بابن المنجم المعري الأصل المصري الدار والوفاة ، وهو في خضاب
الشيب ، ولقد أحسن فيه :

وما خَضَبَ الناسُ البياضَ لقبحه وأقبحُ منه حينَ يظهرُ ناصِلُهُ
ولكنه مات الشبابُ فسودت^١ على الرسم من حزن عليه منازلُه
قالوا : فكان إذا قال ولكنه مات الشباب يمسك كرمته وينظر إليها
ويقول : أي والله مات الشباب .

وذكر العماد الكاتب الأصبهاني في كتاب « الخريدة » أن السلطان صلاح
الدين في أول ملكه كتب إلى بعض أصحابه بدمشق هذين البيتين :

أيها الغائبون عنا وإن كنتم لقلبي بذكركم جيرانا
لاني منذ فقدتكم لأراكم بعيونِ الضميرِ عندي عيانا
وأما القصيدتان اللتان ذكرت أن سبط ابن التعاويذي أنقلهما إليه من
بغداد ، فإن إحداهما وازن بها قصيدة صَرَدُرَّ - المقدم ذكره - وقد ذكرت
منها أبياتاً في ترجمة الوزير الكُنْدُري ، وأولها :

أكذا يجازى ود كل قرين

وقصيدة سبط ابن التعاويذي أولها^٢ :

فقفِ المطيَّ برمَلَتِي يبريسنِ	إن كان دينك في الصبابة ديسني
أيدي المطيَّ لثمته يجفوني	والثم ثرى لو شارفتُ بي هَضْبَهُ
فبغير غزلانِ الصريمِ جنوني	وانشدُ فوادي في الظباءِ معرّضاً
غالطُ عنها بالظباءِ العيينِ	ونشيدتي بين الخيام ، وإنما
وقدودِها يجوازي غصون	لولا العدا لم أكن عن الحاظها

١ بهامش المودة ، خ : فحمت .

٢ ديوانه : ٤٢٠ .

لله ما اشتملت عليه قباهم
من كل تأنه على أترابها
خود ترى قمر السماء إذا بسدت
غادين ما لمعت بروق ثغورهم
إن تنكروا نفوس الصبا فلأنها
وإذا الركائب في الجبال تلفتت
يا سلم إن ضاعت عهددي عندكم
أو عدت مغبوناً فما أنا في الهوى
رفقاً فقد عسف الفراق بمطلق السعيرات
في أسير الغرام رهين
ما لي ووصل الغانيات أرومه
وعلام أشكو والدماء مطاحة
هيهات ما للبيض في ود امرئ
ومن البلية أن تكون مطالبي
ليت الضنين على المحب بوصله
وأما القصيدة الثانية فهي ١ :

يوم النوى من لؤلؤ مكنون
في الحسن غانية عن التحسين
ما بين سالفه لها وجبين
إلا استهلت بالدموع شوؤني
مرت بزفرة قلبي المحزون
فحنينها لتلفي وحنيني
فأنا الذي استودعت غير أمين
لكم بأول عاشق مغبون
ولقد بخلن علي بالماعون
بلحاظهن إذا لوين ديوني
أرب وقد أربي على الحمسين
جدوى بخيل أو وفاء خوون
لن السماحة من صلاح الدين

حتام أرضي في هواك وتغضب
ما كان لي لسولا ملالك زلة
خذ في أفانين الصدود فإن لي
أظنني أضمرت بعدك سلوة
لي فيك نار جوانح ما تنظفي
أنسيت أياماً لنا وليالياً
أيام لا الواشي يعد ضلالة

ولم متى تجني علي وتغضب
لما مللت زعمت أني مذنب
قلبا على العلات لا يتقلب
هيهات عطفك من سلوي أقرب
حرقاً وماء مدامع ما تنضب
للهم فيها والبطالة ملعب
ولهي عليك ولا العذول يؤنب

١ ديوانه : ٢٢ . ٢ بضم التاء الثانية وكسرهما ، وفوقها «معاً» في المسودة .

قد كنتَ تنصفني المسودةَ راكباً في الحبّ من أخطاره ما أركب
واليومَ أقنعُ أن يمرَّ بمضجعي في النوم طيفُ خيالك المتأوّب
ما خلتُ أن جديداً يسام الصبا يبلى ولا ثوبَ الشبيبة يسلب
حتى انجلي ليلُ الغواية واهتدى ساري الدجى وانجاب ذاك الغيب
وتنافر البيضُ الحسانُ فأعرضت عنيّ سعادُ وأنكرتني زينب
قالت وريعتُ من بياضٍ مفسارقي ونحول جسمي : بان منك الأطيب
إن تنقمي سقمي فخصرك ناحلٌ أو تنكري شبي ففغرك أشنب

قلت : لله دره ، فلقد أجاد في هذا المعنى كل الإجادة ، غير أنه قد ظن أن الشنب بياض الثغر ، وعليه بنى هذا المعنى حتى تم له مقصوده ، فانها لما غيرته بالسقم قابلها بنحول الحصر ، فقال لها : إن كنت نحيلاً فخصرك أيضاً نحيل ، فلما أنكرت شبيه قابلها بأن ثغرها أشنب ، فكأنه قال لها : بياض شبيبي في مقابلة ثغرك الأشنب ، وليس الأمر كما ظن ، فان الشنب في اللغة ليس البياض ، وإنما هو حدة الأسنان ، ويقال : بردها وعذوبتها ، والصحيح أنه حدثها ، وهو دليل على الحداثة ، لأن الأسنان في أول طلوعها تكون حادة ، فاذا مرت عليها السنون احتكت وذهبت حداثتها . وهذا المعنى ينظر إلى قول النابغة الذبياني في جملة قصيدته المشهورة وهو^١ :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب
وقد تقدم ذكر هذا البيت في ترجمة عروة بن الزبير فيكشف هناك^٢.
ومثله أيضاً ما أنشدني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب - المقدم ذكره -
لنفسه من جملة أبيات ، وهو قوله^٣ :

ما فيه من عيب سوى فتورٍ عينيّسه فقط

١ ديوان النابغة : ٦٠ .

٢ انظر ج ٣ : ٢٥٧ .

٣ ديوان البها زهير : ١٩٠ وترجمته ٢ : ٣٣٢ .

رجع :

يا طالباً بعد المشيب غضارة من عيشه ذَهَبَ الزمانُ المذهبُ
أُترومُ بعد الأربعين تعدّها وصل الدّمي؟ هيهات عز المطلب
ومن السفاه وقد شاك طِلابُهُ يَفْعاً تطلبُهُ وفؤدك أشيب
لولا الهوى العذري يا دار الهوى ما هاج لي طرباً وميضٌ مُخلّب
كلا ولا استجديتُ أخلافَ الحيا وندي صلاح الدين هامٍ صيّب

وقد مدحه جميع شعراء عصره وانتجعوه من البلاد ؛ فمنهم العلم الشاتاني ،
واسمه الحسن — وقد تقدم ذكره^٢ — مدحه بقصيدته الرائية التي أولها :

أرى النصرَ مقروناً برايتك الصفرا فسرّ وأملك الدنيا فأنت بها أخرى

ومدحه المذهب أبو حفص عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر المعروف بابن
الشحنة الموصلّي الشاعر المشهور^٣ بقصيدته التي أولها :

سلامٌ مشوقٍ قد بسراه التشوقُ على جيرةٍ الحيّ الذين تفرقوا

وعدة أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتاً ، وفيها البيتان السائران ، أحدهما :

وإني امرؤٌ أحببتكسّم لمكارمٍ سمعتُ بها، والأذن كالعين تعشق

وقد أخذته من قول بشار بن برد — المقدم ذكره — وهو :

يا قوم أذني لبعضِ الحيّ عاشقةٌ والأذن تعشقُ قبلَ العين أحياناً

والبيت الثاني من قصيدة ابن الشحنة قوله :

وقالت لي الآمال إن كنت لاحقاً بأبناءِ أيوبٍ فأنت الموفّقُ

[ومما قيل فيه لبعض أهل المشرق :

١ بهامش المسودة : اللمى جمع دمية وهي الصورة من العاج ونحوه .

٢ ج ٢ : ١١٣ ، وانظر الروضتين ١/٢ : ٦٩٦ .

٣ ألبدر السافر : ٤٧ وتوفي سنة ٦٠٦ .

الله أكبر ، جاء القوس باريها ورام أسهم دين الله رامها
فكم لمصر على الأمصار من شرف باليوسفين فهل أرض تدانيها
فباين يعقوب هزت جيدها طربا وباين أيوب هزت عطفها تيبها
قل للملوك تخلى عن ممالكها فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها
فلما أنشدتها إياه أعطاه ألف دينار^١ .

ومدحه ابن قلاقس وابن الذروي وابن المنجم وابن سناء الملك وابن
الساعاتي والبحراني الإربلي ، وابن دُهن الحصى الموصل^٢ ، ومحمد بن إسماعيل
ابن حمدان الحميزاني وغير هؤلاء ، وقد ذكرت أكثر هذه الجماعة في هذا
التاريخ . وعذري في تطويل هذه الترجمة قول المتنبي :

وقد أظال ثنائي طول^٣ لابس^٤ إن الثناء على التنبال^٥ تنبال^٦
التنبال : الرجل القصير ، وهو بكسر التاء المثناة من فوقها وبعدها نون
ساكنة وباء موحدة وبعد الألف لام .

قلت : قد تقدم في هذه الترجمة عند ذكر إرسال العاضد إلى صلاح الدين
وطلبه إياه ليخلع عليه ويوليه الوزارة ذكر المثل المشهور ، وهو « أردت عمراً
وأراد الله خارجة » وقد يقف عليه من لا يعرف سبب هذا المثل ، ولا المراد
منه ، فأحييت أن أشرحه كيلا يحتاج مَنْ يقف عليه إلى كشفه من مكان
آخر ، فأقول :

(393) عمرو المذكور^٣ هو عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سَعِيد بن
سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لُؤي القرشي السهمي .

١ لم يرد في المسودة والمختار .

٢ ابن دهن الحصى : الحسن بن هبة الله بن دهن الحصى الموصل ، كان بالموصل يمدح صاحبها .
فلما حاصرها صلاح الدين مدحه بقصيدة ، فتغير عليه صاحب الموصل ، فهرب ولحق بصلاح
الدين وكانت وفاته سنة ٦٠٣ (انظر الفصول الیائمة : ٨١ - ٨٢) .

٣ له ترجمة في كتب الصحابة ، وأخباره في كتب التاريخ العامة .

كنيته أبو عبد الله ، وقيل أبو محمد ، أحد الصحابة رضي الله عنهم ، أسلم سنة ثمان من الهجرة قبل فتح مكة ، ومكة فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان من هذه السنة ، وقيل بل أسلم بين الحديبية وخيبر ، والأول أصح ، وقدم هو وخالد بن الوليد المخزومي وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي العبدري على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسلمين ، فلما دخلوا عليه ونظر إليهم قال لهم : قد رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . وقال الواقدي : قدم عمرو بن العاصي مسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلم عند النجاشي ملك الحبشة ، وقدم معه عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد ، فقدموا المدينة في صفر سنة ثمان من الهجرة ، وقيل إنه لم يأت من أرض الحبشة إلا معتقداً الإسلام ، وذلك أن النجاشي قال له : يا عمرو ، كيف يعزب عنك أمر ابن عمك ؟ فوالله إنه لرسول الله حقاً ، قال : أتتحقق ذلك ؟ قال : اي والله ، فأطعني ، فخرج من عنده مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية إلى الشام يدعو أحوال أبيه إلى الإسلام ، فبلغ السلاسل من بلاد قضاة ، وهو ماء بأرض جذام ، وبذلك سميت تلك الغزوة « ذات السلاسل » وكان معه ثلاثمائة رجل ، فخاف عمرو ، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ، فأمدته بجيش مائتي فارس من المهاجرين والأنصار أهل الشرف ، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، فلما قدموا على عمرو بن العاصي قال : أنا أميركم وإنما أنتم مددي ، فقال أبو عبيدة : بل أنت أمير من معك وأنا أمير من معي ، فأبى عمرو ، فقال أبو عبيدة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي إذا قدمت على عمرو فتطاوعا ولا تختلفا ، فان خالفتني أطعتك ، قال عمرو : فاني أخالفك ، فسلم إليه أبو عبيدة ، وصلى خلفه في الجيش كله ، وكانوا خمسمائة . وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاصي على عُمَان . فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة اثنتي عشرة بعث أبو بكر رضي الله عنه عمرو بن العاصي ويزيد

ابن أبي سفيان الأموي ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، إلى الشام . وسار إليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه من العراق ، وأول شيء فتحوا من الشام بصرى صلحاً . وتوفي أبو بكر رضي الله عنه ، واستخلف عمر رضي الله عنه فولى أبا عبيدة على الجيش ، وفتح الله تعالى عليه الشام ، فولى يزيد بن أبي سفيان على فلسطين ، وهي كورة قصبتها الرملة . ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل ، ومات معاذ فاستخلف يزيد بن أبي سفيان ، ومات يزيد فاستخلف أخاه معاوية بن أبي سفيان ، وكتب إليه عمر رضي الله عنه بعهدده على ما كان عليه أخوه يزيد ، وكان موت هؤلاء كلهم في طاعون عَمَوَاس ، في سنة ثمانٍ عشرة للهجرة .

وعَمَوَاس : بفتح العين المهملة والميم وفي آخرها سين مهملة ، وهي قرية بالشام بين نابلس والرملة ، وكان الطاعون بها في العام المذكور . وقيل بل مات يزيد بن أبي سفيان في ذي الحجة من سنة تسع عشرة بدمشق ، والله أعلم . وذلك بعد فتح قيسارية .

وكان عمر رضي الله عنه قد ولي عمرو بن العاصي بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين والأردن . وولى معاوية دمشق وبلبك والبلقاء ، وولى سعيد بن عامر بن حذيم حمص . ثم جمع الشام كلها لمعاوية ، وكتب إلى عمرو فسار إلى مصر فافتتحها في سنة عشرين للهجرة ، فلم يزل عليها والياً حتى مات عمر رضي الله عنه ، فأقره عثمان رضي الله عنه عليها أربع سنين أو نحوها ، ثم عزله وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وكان أخا عثمان رضي الله عنه من الرضاعة ، فاعتزل عمرو بن العاصي في ناحية فلسطين وكان يأتي المدينة أحياناً .

فلما قتل عثمان رضي الله عنه سار إلى معاوية باستجلاب معاوية إياه ، وشهد صفين مع معاوية وكان منه في صفين وقضية التحكيم ما هو مشهور عند أهل العلم بهذا الفن . وكان قد طلب من معاوية أنه إذا تم له الأمر يوليه مصر ، وكتب إليه في بعض أيام طلبه :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنسل^١ به منك دنيا فانظُرَنَّ كيف تصنعُ
فان تعطني مصرأ فأربحْ بصفقةٍ أخذتَ بها شيخاً يضرّ وينفع

ثم ولاه معاوية مصر، فلم يزل بها أميراً إلى أن مات يوم عيد الفطر من سنة
ثلاث وأربعين للهجرة ، وقيل سنة اثنتين وأربعين ، وقيل سنة ثمان وأربعين ،
وقيل سنة إحدى وخمسين ، والأول أصح ، وعمره تسعون سنة . ودفن
بسفح المقطم ، وصلى عليه ابنه عبد الله . ولما رجع صلى بالناس العيد . ثم
عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن العاصي ، وولى أخاه عتبة بن أبي سفيان ،
فمات عتبة بعد سنة أو نحوها فولى معاوية مسلمة بن مخلد .

وكان عمرو بن العاصي من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية ، وكان من
الدهاة في أمور الدنيا المقدمين في الرأي . وكان عمر رضي الله عنه إذا استضعف
رجلاً في رأيه قال : أشهد أن خالقتك وخالق عمرو واحد ، يريد خالق
الأضداد .

وذكر أبو العباس المبرد في كتاب « الكامل »^١ أن عمرو بن العاصي لما
حضرته الوفاة دخل عليه ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال له : يا أبا عبد الله ،
كنت أسمعك كثيراً ما تقول : وددت لو رأيت رجلاً عاقلاً حضرته الوفاة
حتى أسأله عما يجد ، فكيف تجد ؟ فقال : أجد كأن السماء مطبقة على الأرض
وكأني بينهما ، وكأنما أتنفس من خُرَّتِ إبرة ، ثم قال : اللهم خذ مني حتى
ترضى . فدخل عليه ولده عبد الله فقال له : يا ولدي ، خذ ذلك الصندوق
قال : لا حاجة لي به ، فقال : إنه مملوء مالا ، فقال : لا حاجة لي به ،
فقال : لبيته مملوء بعراً ، ثم رفع يديه وقال : اللهم إنك أمرت فعصينا .
ونهيته فارتكبنا ، فلا بريء فأعتذر ، ولا قويّ فأنتصر ، ولكن لا إله إلا
أنت ، ثم فاض .

قلت : يقال فاض وفاض ، بالطاء والضاد ، أي مات ، قال الشاعر :

١ الكامل ١ : ٢٦٧ .

لا يدفنون منهم من فاظا

(394) وأما خارجة المذكور في هذا المثل فانه خارجة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب القرشي العدوي، شهد فتح مصر واختط بمصر، وكان أمير ربيع المدد الذين أمد بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاصي في فتح مصر، وكان على شرط مصر في إمرة عمرو ابن العاصي لمعاوية بن أبي سفيان الأموي. قتله خارجي بمصر سنة أربعين للهجرة، وهو يحسب أنه عمرو بن العاصي، هكذا قاله ابن يونس في « تاريخ مصر » .

وذكره في كتاب « الاستيعاب »^١ لابن عبد البر، وساق نسبه على هذه الصورة. ثم قال: يقال إنه كان يعد بألف فارس؛ ذكر بعض أهل النسب والأخبار أن عمرو بن العاصي كتب إلى عمر رضي الله عنه يستمده بثلاثة آلاف فارس، فأمره بخارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن الأسود الكندي، وشهد خارجة فتح مصر. وقيل إنه كان قاضياً لعمرو بن العاصي بها، وقيل إنه كان على شرطة عمرو، ولم يزل بها إلى أن قتل، قتله أحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا انتدبوا لقتل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاصي، فأراد الخارجي قتل عمرو فقتل خارجة هذا وهو يظنه عمرًا، وذلك أنه كان استخلفه عمرو بن العاصي على صلاة الصبح ذلك اليوم، فلما قتله أخذ وأدخل على عمرو فقال: من هذا الذي أدخلتموني عليه. فقالوا: عمرو بن العاصي، فقال: ومن قتلت؟ فقالوا: خارجة، فقال: أردت عمرا وأراد الله خارجة. وقد قيل إن الخارجي الذي قتله لما أدخل على عمرو، قال له عمرو: أردت عمرًا وأراد الله خارجة، والله أعلم من قال ذلك منهما. والذي قتل خارجة هذا رجل من بني العنبر بن عمرو بن تميم، يقال له داذويه. وقيل إنه مولى لبني العنبر. وقد قيل إن خارجة الذي قتله الخارجي بمصر،

١ الاستيعاب : ٤١٨ .

على أنه عمرو بن العاصي ، رجل يسمى خارجة من بني سهم رهط عمرو بن العاصي ، وليس بشيء ؛ انتهى ما قاله صاحب « الاستيعاب » .

وقال غيره : إن عمرو بن العاصي أصابه شيء في بطنه فتخلف في منزله تلك الليلة . وكان خارجة يعشي الناس ، فضربه الخارجي ، وكان عمرو يقول : ما نفعتني بطني قط إلا تلك الليلة .

قلت : فهذا أصل المثل في قولهم « أردت عمراً وأراد الله خارجة » . وإلى هذا أشار أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الأندلسي في قصيدته التي رثى بها بني الألفطس ملوك بطليوس وأولها :

الدهر يفجع بعد العين بالآثر

بقوله :

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة
فدّت علياً بمن شاءت من البشر
وهي من غرر القصائد جمعت تاريخاً كثيراً ، وشرحها الأديب أبو مروان عبد الملك بن عبد الله بن بُدْرون الحضرمي الشليبي ، شرحاً مستوفياً .
وهذا البيت يحتاج إلى شرح أيضاً وهو من تنمة الكلام على المثل المذكور لكنني أذكره مختصراً فانه طويل :

ذكر أهل علم التاريخ أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما بويع بالخلافة في اليوم الذي قتل فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج عليه من قاتله في وقعة الجمل - وقد ذكرت طرفاً من هذه الوقعة في ترجمة يموت بن المزروع ، ساقها الكلام هناك فذكرت المقصود منه - ثم كانت وقعة صفين عند خروج معاوية بن أبي سفيان الأموي ، وعمرو بن العاصي ، على علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه فتوجه إليهم من العراق ، وجاءوه من الشام ، والتقوا على صفين ، وهو موضع على شاطئ الفرات بالقرب من الرحبة ، وهي واقعة مشهورة ، وكانت في سنة سبع وثلاثين من الهجرة . ولما غلب

أهل الشام طلبوا من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه التحكيم ، فأجابهم إليه بعد معاودات كثيرة ، فخرج عليّ عليّ جماعة من أصحابه ، وقالوا : حكمت في دين الله ، ولا حكم إلا الله ، ورحلوا إلى النهروان ، فمضى إليهم وقاتلهم واستأصلهم إلا اليسير منهم ، وهي أيضاً واقعة مشهورة بقتال الخوارج . ولما طال الأمر في ذلك اجتمعوا وقالوا : إن علياً ومعاوية وعمرو بن العاصي قد أفسدوا أمر هذه الأمة ، فلو قتلناهم لعاد الأمر إلى حقه ، فقال عبد الرحمن ابن ملجم المرادي : أنا أقتل علياً ، قالوا : فكيف لك بذلك ؟ قال : أغتاله ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي : أنا أقتل معاوية ، ويعرف هذا الصريمي بالبُرك ، وقال داؤويه ، وقيل زاذويه — وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على خارجة بن حذافة — : أنا أقتل عمرأ ، وأجمعوا آراءهم على أن يكون ذلك في ليلة واحدة ، فدخل ابن ملجم الكوفة ، وعليّ رضي الله عنه بها ، فاشترى سيفاً بألف درهم وسقاه السم حتى لفظه ، فلما خرج عليّ لصلاة الصبح ، كان ابن ملجم قد كن له فضربه على رأسه وقال : الحكم لله يا علي ، لا لك ، وقبل إنه ضربه وهو في صلاة الصبح ، وذلك في صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة أربعين للهجرة ، وقيل غير هذا التاريخ .

وقدم البرك الصريمي على معاوية بدمشق فضربه فجرح أليته ، وهو في الصلاة ، ويقال إنه قطع عرق النسل ، فما أحبل بعدها .

وأما عمرو فقد سبق الكلام عليه عند قتل خارجة ، وهذا تفسير المثل والبيت الشعر على سبيل الاختصار ، والله أعلم .

الموفق بن الخلال الكاتب

أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال ، الملقب بالموفق ، صاحب ديوان الإنشاء بمصر في دولة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد العُبيدي - المقدم ذكره^١ - وَمَنْ بعده ، قال عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب «الخريدة» في حقه^٢: «هو ناظر مصر وإنسان ناظره ، وجامع مفاخره ، وكان إليه الإنشاء ، وله قوة على الترسُّل يكتب كما يشاء ، عاش كثيراً وعطل في آخر عمره وأضر ، ولزم بيته إلى أن تعوض منه القبر ، وتوفي بعد مُلك الملك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين» وذكر له عدة مقاطيع من الشعر نورد شيئاً منها بعد هذا إن شاء الله تعالى .

وذكره ضياء الدين أبو الفتح نصر الله المعروف بابن الأثير الجزري ثم الموصلي - المقدم ذكره^٣ - في الفصل الأول من كتابه الذي سماه «الوشي المرقوم في حل المنظوم» فقال : حدثني القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ، رحمه الله تعالى ، بمدينة دمشق في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وكان إذ ذاك كاتب الدولة الصلاحية فقال : كان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غصاً طرياً ، وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأسُ

٨٤٧- ترجمته في الخريدة (قسم مصر) ١ : ٢٣٥ ونكت الهيمان : ٣١٤ ووسرأة الجنتان ٣ : ٣٧٩ والشذرات ٤ : ٢١٩ وحسن المحاضرة ١ : ٣٢٤ .

١ انظر ج ٣ : ٢٣٥

٢ الخريدة ١ : ٢٣٥ .

٣ انظر ج ٥ : ٣٨٩

مكانا وبيانا ، ويقوم لسلطانه بقلمه سلطانا ، وكان^١ من العادة أن كلا من أرباب الدواوين إذا نشأ له ولد وشدا شيئا من علم الأدب أحضره إلى ديوان المكاتب ليتعلم فن الكتابة ويتدرب ويرى ويسمع^٢ قال : فأرسلني والذي ، وكان إذ ذاك قاضيا بشعر عسقلان ، إلى الديار المصرية في أيام الحافظ ، وهو أحد خلفائها ، وأمرني بالمصير إلى ديوان المكاتب ، وكان الذي يرأس به في تلك الأيام رجلا يقال له « ابن الحلال » ؛ فلما حضرت الديوان ومثلتُ بين يديه وعرفته من أنا وما طليعتي ، رَحَّبَ بي وسهل ، ثم قال لي : ما الذي أعددتَ لفن الكتابة من الآلات ؟ فقلت : ليس عندي شيء سوى أني أحفظ القرآن الكريم ، وكتاب « الحماسة » فقال^٣ : في هذا بلاغ ، ثم أمرني بملازمته ، فلما ترددت إليه وتدربت بين يديه : أمرني بعد ذلك أن أحل شعر الحماسة ، فحللته من أوله إلى آخره ، ثم أمرني أن أحله مرة ثانية فحللته ؛ انتهى ما ذكره ابن الأثير .

قلت : وبعد أن نقلت ما قاله ضياء الدين ابن الأثير على هذه الصورة ، اجتمع بي مَنْ له عناية بالأدب خصوصا هذا الفن ، وهو من أعرف الناس بأحوال القاضي الفاضل ، وقال لي : هذا الذي ذكره ابن الأثير ما يمكن تصحيحه ولعله قد غلط في النقل ، فان القاضي الفاضل لم يدخل إلى الديار المصرية إلا في أيام الظاهر ابن الحافظ ، وكان وصوله إليها مع أبيه في أمر يختص بهم . ثم إنني وجدت في بعض تعاليقي بخطي ، وما أدري من أين نقلته ، أن القاضي الأشرف والد القاضي الفاضل كان من أهل عسقلان ، وكان ينوب في الحكم والنظر^٤ بمدينة بيسان ، فدخل إلى مصر في زمان الظاهر بن الحافظ لكلام جرى بينه وبين والي الناحية من أجل كُند^٥ كبير كان عندهم

١ س : فكان

٢ زاد في المطبوعة المصرية هنا : أشياء من علم الأدب ؛ ولا وجود لهذه العبارة في المسودة وسائر المخطوطات .

٣ س : فقال لي إن ...

٤ س : النظر والحكم .

٥ كذا هو في المسودة والنسخة ق ؛ وفي س ع : كيد ، وسقط التعليق كله من ر . ووردت =

له قيمة كثيرة ، فداجى الوالي في حقه وأطلقه ، فاستدعي الوالي إلى مصر لذلك وطولب بمال طائل ، فاحتج ببعض أمراء الدولة ، وجعلوا الأقاويل في حق القاضي الأشرف ، فاستدعي وصور إلى أن لم يبق له شيء ، ولم يكن معه من الأولاد سوى القاضي الفاضل ، فحمل على قلبه وتوفي بالقاهرة ليلة الأحد حادي عشر شهر ربيع الأول من سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ودفن بسفح المقطم . ثم توجه القاضي الفاضل إلى ثغر الإسكندرية ، وحضر عند ابن حديد قاضي البلد وناظره ، فعرفه بوالده ، فعرفه بالسمعة واستكتبه ، وأخذ الفرنج عسقلان فحضر إخوته إليه . وكانت مكاتبات ابن حديد ترد إلى مصر بخطه ، وهي في غاية البلاغة ، فحسده كتاب الإنشاء بها^١ على فضله وخافوا من تقدمه عليهم ، فسعوا إلى الظافر به فقالوا : إنه قصر في المكاتبه ، وكان صاحب ديوان الإنشاء القاضي الأثير ابن بَنَّان ، فيحكى أنه دخل على الظافر فقال له : تكتب إلى ابن حديد بقطع يد كاتبه ، فتعصب له ابن بَنَّان وقال : يا مولانا هذا الرجل ما منه تقصير ، وإنما حسده هؤلاء الكتاب فسعوا به ليؤذيه مولانا ، قال له الظافر : فتكتب إلى ابن حديد ليرسله إلينا ويكتب لنا .

قال ابن بَنَّان : وكنت بعد ذلك في مجلس الظافر ، فرأيت القاضي الفاضل وقد حضر وهو قائم بين يديه ، ثم استخدمه ، والله أعلم .

وقال العماد في « الخريدة » : أنشدني مرهف بن أسامة بن منقذ قال ، أنشدني الموفق بن الحلال لنفسه من قصيدة :

عذبت ليال بالعُدَيْب حوالي وخلت مواقف بالوصال خوالي^٢

= اللفظة غير معجمة في : من ، ولم أعرف معنى الكلمة بالضبط ، ولكن دي سلان وضع في ترجمتها كلمة estate ؛ والمعروف أن كلمة « كند » تعريب للفظه « كونت » وهي لقب لبعض أمراء الفرنجة ؛ وقوله « أطلقه » ربما عني أن ذلك الكند كان أسيراً عندهم .
١ من : كتاب انشائها .

٢ الخريدة ١ : ٢٣٥ ؛ وهذا البيت جاء ثانياً في س .

ومضت لذاذات تقضى ذكرها تصبي الخليّ وتستهم السالي
وجلت موردة الحدود فأوثقت في الصبوة الخالي بحسن الحال
قالوا سراة بني هلال أصلها صدقوا كذاك البدرُ فرعُ هلال

قال العماد في «الخريدة» أيضاً^١ : ونقلت من كتاب «جنان الجنان
ورياض الأذهان» - قلت : وهو تأليف الرشيد بن الزبير المقدم ذكره^٢ -
من شعر ابن الحلال قوله :

وأغنّ سيف لحاظه يقرّي الحسام بحده
فضح الصوارم واللدّا ن بقره وبقره
عجب الورى لما حييت وقد منيت^٣ ببعده
وبقاء جسمي ناحلاً يصلى بوقدة صده
كبقاء عنبر خاله في نارِ صفحة خده

وقوله^٤ :

أما اللسان فقد أخفى وقد كتبا لو أمكن الجفن كف الدمع حين همى
أصبتُ بسهام اللحظ مهجته فهل يلام إذا أجرى الدموع دما؟
قد صار بالسقم من تعذيبكم علماً ولم يبع بالذي من جوركم علماً
فما على صامت أبدى لصدكم في كل جارحة منه السقام فما
وأورد له في الشمعة^٥ :

وصحيحة بيضاء تطلع في الدجى صباحاً وتشفي الناظرين بدائها

١ المصدر نفسه .

٢ انظر ج ١ : ١٦٠ .

٣ المختار : بليت .

٤ الخريدة ١ : ٢٣٦ .

٥ المصدر نفسه .

شابت ذوائبها أوانَ شبابها واسودَ مفرقها أوانَ فناءها
كالعين في طبقاتها ودموعها وسوادها وبياضها وضيائها
وذكر العماد في « الخريدة » أيضاً في ترجمة القاضي أبي المعالي عبد
العزيز بن الحسين بن الجبّاب^١ أبياتاً كتبها ابن الجبّاب المذكور إلى الرشيد
ابن الزبير في نكبة جرت للموفق^٢ بن الخلال المذكور، وقال العماد : كان
خاله - ولم يذكر أيهما خال الآخر - وكان ابن الجبّاب قد حصل له بسبب
نكبة ابن الخلال صداع ، والأبيات المشار إليها^٣ :

تَسْمَعُ مَقَالِي يَا ابْنَ الزَّبِيرِ فَأَنْتَ خَلِيقٌ بِأَنْ تَسْمَعَهُ
بَلِينَا بِنْدِي نَسِبِ شَابِكِ قَلِيلِ الْجَدَى فِي زَمَانِ الدَّعَى
إِذَا نَالَهُ الْخَيْرُ لَمْ تَرْجُهُ وَإِنْ صَفَعُوهُ صَفَعْنَا مَعَهُ
وهذا من قول حصين بن خَصَفَةَ السعدي الخارجي يخاطب قَطْرِي بن
الْفُجَّاءَ رئيس الخوارج - المقدم ذكره^٤ - :

وَأَنْتَ الَّذِي لَا نَسْتَطِيعُ فِرَاقَهُ حَيَاتُكَ لَا نَفْعٌ وَمَوْتُكَ ضَائِرٌ
ثم إني كشفت عن قول العماد: كان خاله، ولم يبينه، فوجدت ابن الخلال
المذكور خال ابن الجبّاب المذكور . وذكر العماد أيضاً في كتاب « السيل
والذيل » الذي جعله ذيلًا على كتاب « الخريدة » ابن الخلال أيضاً ، وأورد له :

وَعِزَّالِ نَارُ وَجَتَّتْهُ أَذْكَتِ النَّيْرَانُ فِي كِبْدِي
وَلَهُ طَرَفٌ لَوَاحِظُهُ نَصَرَتْ شَوْقِي عَلَى جِلْدِي
قَذَفْتُ عَيْنِي سَوَافِهِ فَتَوَارَتْ مِنْهُ بِالزَّرْدِ

- ١ ورد هذا الاسم في الخريدة (١ : ١٨٩) ابن الجبّاب - بالحاء المهملة - وكذلك هو في بعض نسخ الوفيات . والشكل الذي أثبتته هنا بخط المؤلف ، أي بالميم والباء المشددة .
- ٢ الخريدة ١ : ١٩١ .
- ٣ انظر ج ٤ : ٩٣ .
- ٤ وهذا من قول ... ضائر : لم يرد في س ؛ وانظر شعر الخوارج : ٤٥ .

والبيت الأخير مأخوذ من قول أبي محمد الحسن بن جكين^١ البغدادي
الشاعر المشهور :

طرفك يرمي قلبي بأسهمه فما لخديك تلبس الزردا
وقد روي لغيره أيضاً ، والله أعلم .

ثم وجدت في كتاب « خريدة القصر » تأليف عماد الدين الكاتب الأصفهاني
لعبد السلام بن الحكمر^٢ المعروف بابن الصواف الواسطي :

لو كان أمري إليّ أو بيدي أعددتُ لي قبل بينك العددا
طرفك يرمي قلبي بأسهمه فما لخديك تلبسُ الزردا
ريقتَه الشهد والدليلُ على ذلك نَمَلٌ بخدّه صعدا

وذكر أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي المصري في كتاب « بدائع البدائع »^٣
أن أبا القاسم ابن هاني^٤ الشاعر المتأخر هجا ابن الخلال المذكور ، وبلغه هجوه
فأضمر له حقداً ، واتفق بعض المواسم التي جرت عادة ملوك مصر بالحضور
فيه لاستماع المدائح ، فجلس الحافظ أبو الميمون عبد المجيد ملك مصر إذ ذاك ،
فأنشده الشعراء ، وانتهت النوبة إلى ابن هاني المذكور ، فأنشد وأجاد فيما
قاله ، فقال الحافظ للموفق المذكور : كيف تسمع ؟ فأثنى عليه واستجاد شعره
وبالغ في وصفه ، ثم قال له : ولو لم يكن له ما يمت به إلا انتسابه إلى أبي القاسم
ابن هاني شاعر هذه الدولة ومظهر مفاخرها وناظم مآثرها ، لولا بيت أظهره
منه الضجر عند دخوله هذه البلاد ، فقال له الحافظ : ما هو ؟ فتحرج من إنشاده ،
فأثنى الحافظ إلا أن ينشده ، وفي أثناء ذلك صنع بيتاً ، وهو :

١ ثابت بالجيم بخط المؤلف ، وقد ضبطه الزبيدي في التاج ١٨٣:٩ بالخاء المهملة .

٢ س : الحكمر .

٣ بدائع البدائع : ٣٨٩ - ٤٩٠ .

٤ ترجم العماد في الخريدة ١ : ٢٤٨ (قسم مصر) لمحمد بن هاني ولكنه جعل كنيته « أبا
عبد الله » وهو أندلسي الأصل ، سكن مصر وتوفي في آخر أيام الصالح بن رزيق قبل
سنة ستين (وخمسائة) .

تباً لمصر فقد صارت خلافتها عظماً تَنَقَّلَ من كلبٍ إلى كلبٍ
 فعظم ذلك على الحافظ ، وقطع صلته وكاد يفرط في عقوبته ، والله أعلم .
 ولم يزل ابن الخلال بديوان الإنشاء إلى أن طعن في السن وعجز عن
 الحركة ، فانقطع في بيته . ويقال إن القاضي الفاضل كان يرعى له حق الصحبة
 والتعليم ، فكان يجري عليه ما يحتاج إليه إلى أن مات في الثالث والعشرين من
 جمادى الآخرة سنة ست وستين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٨٤٨

الرمادي الشاعر

أبو عمرو يوسف بن هارون الكندي، المعروف بالرمادي ، الشاعر المشهور؛
 ذكره الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس » فقال^١ :
 أظن أحد آبائه كان من أهل رمادة ، موضع بالمغرب ؛ شاعر قرطبي كثير
 الشعر سريع القول مشهور عند الخاصة والعامة هنالك لسلوكه في فنون من
 المنظوم مسالك تنفق عند الكل ، حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته
 يقولون : فتح الشعر بكندة وختم بكندة ، يعنون امرأ القيس والمنتبي
 ويوسف بن هرون، وكانا متعاصرين ، واستدللت على ذلك بمدحه أبا علي

٨٤٨ - ترجمته في بنية الملتبس رقم : ١٤٥١ والصلة : ٦٣٧ والمطرب : ٤ والمطمح :

٦٩ والمغرب ١ : ٣٩٢ ومسالك الأبيصار ١١ : ١٧٥ واليتيمة ٢ : ١٢ ، ١٠٠
 والمقتبس : ٧٤ ، ٧٥ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٦٢ وله أشعار في البديع في وصف الربيع
 للحميري وفي التشبيهات من أشعار أهل الأندلس والنفع وشرح الشريشي على المقامات، وفي
 كتابي « تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة » : ١٥٥ - ١٦٩ (الطبعة الأولى)
 دراسة عنه .

١ الجذوة : ٣٤٦ .

إسماعيل بن القاسم القالي عند دخوله الأندلس بالقصيدة التي أولها :
 من حاكم^١ بيني وبين عدولي الشجور^٢ شجوي والعويل^٣ عويلي
 وكان وصول أبي علي القالي إلى الأندلس في سنة ثلاثين وثلثمائة - قلت :
 وقد سبق ذكر ذلك في ترجمته^١ - ثم ذكر له الحميدي وقائع وعدة مقاطيع من
 الشعر ، وأنه ألف كتاباً في الطير ، وسجن مدة .

قلت : وقد ذكر أبو منصور الثعالبي في كتاب « بتيمة الدهر »^٢ الأبيات
 التي مدح بها يوسف بن هرون أبا علي القالي ، وأورد له بعد البيت المذكور
 قوله :

في أي جارحة أصون معذب^١ي سلمت من التعذيب والتنكيل
 إن قلت في بصري فشم^٢ مدامعي أو قلت في كبدي فثم غليلي
 وثلاث شيبات نزلن^٣ بمفرقي فعلمت أن نزولهن رحيلي
 طلعت ثلاثاً في نزول ثلاثة^٤ واش^٥ ووجه مراقب^٦ وثقيل
 فعزلنني عن صبوتي فلئن ذللت لقد سمعت بذلة المعزول

قلت : ثم خرج بعد هذا إلى المدح ، وكان قد وصف الصيد والروض
 فقال :

روض^١ تعاوده السحاب كأنه متعاهد^٢ من عهد إسماعيل
 قسه^٣ إلى الأعراب تعلم أنه أولى من الأعراب بالتفضيل
 حازت قبائلهم لغات^٤ فرقت فيهم ، وحاز لغات كل قبيل
 فالشرق^٥ خال بعده فكأنما نزل الخراب^٦ بربعه المأهول
 وكأنه شمس^٧ بدت في غربنا وتغيبت^٨ عن شرقهم^٩ بأقول

١ انظر ج ١ : ٢٢٧ .

٢ اليتيمة ٢ : ١٠٠ - ١٠١ .

٣ س : شرقها .

يا سيدي هذا ثنائي لم أقل زوراً ولا عرّضتُ بالتنويل
من كان يأملُ نائلاً فأنا امروءٌ لم أرجُ غيرَ القربِ في تأميلي

وله في غلام ألغى من جملة أبيات :

لا الرأء تطمع في الوصال ولا أنا المهجرُ يجمعنا فنحن سواءُ
فاذا خلوتُ كتبته في راحتي وبكيتُ متحجاً أنا والرأء

وله فيه أيضاً :

أعدتُ لثغةً في الرأء لو أن واصلاً تسمعها ما أسقطتُ الرأءَ واصلُ

قلت : وهذا واصل هو واصل بن عطاء - المقدم ذكره في حرف الواو
وقد ذكرت هناك هذا الشاعر وشيئاً من شعره^٢ .

قلت : وذكره ابن بشكوال في كتاب « الصلة » ، فقال : « يوسف بن
هرون الرمادي الشاعر من أهل قرطبة ، يكنى أبا عمر ، كان شاعر أهل
الأندلس المشهور المقدم على الشعراء ، روى عن أبي علي البغدادي - يعني
القالي - كتاب « النوادر » من تأليفه ، وقد أخذ عنه أبو عمر ابن عبد البر
قطعة من شعره رواها عنه وضمنها بعض تواليفه . قال ابن حيان : وتوفي
سنة ثلاث وأربعمائة يوم العنصرة ، فقيراً معدماً ، ودفن بمقبرة كَلَع » .
انتهى كلامه .

قلت : يوم العنصرة يوم مشهور ببلاد الأندلس ، وهو موسم للنصارى ،
كالميلاد وغيره ، وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران ، فيه ولد يحيى بن
زكريا عليهما السلام - والعنصرة : بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح
الصاد المهملة والرأء وفي آخرها هاء - وفي هذا اليوم حبس الله تعالى الشمس
على يوشع بن نون عليه السلام حين بعثه موسى عليه الصلاة والسلام ، وكان

١ س : من .

٢ انظر ج ٦ : ٧ ، ٩ .

يوشع ابن أخته ، إلى أريحا لقتال الجبابرة فقتلهم وبقيت منهم بقية ، فخشى أن يحول الليل بينه وبينهم ، فسأل الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس حتى يفرغ ، فحبسها بدعائه ، وقد ذكر الشعراء ذلك في أشعارهم كثيراً ، فقال أبو تمام الطائي الشاعر المشهور من جملة قصيدة طويلة^١ :

فردت علينا الشمس والليل راغم^٢ بشمس لهم من جانب الخدر تطلع^٣
نضاً ضوءها صبح الدجنة وانطوى لبهجتها ثوب السماء المجزع^٤
فوالله ما أدري أحلام نسائم^٥ ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

وقال أبو العلاء المعري من جملة قصيدة طويلة أيضاً^٦ :

ويوشع ردّ بوحاً بعض يوم وأنت متى سفرت رددت بوحاً
وبوح : بالباء الموحدة وسكون الواو وبعدها حاء مهملة ، اسم من أسماء الشمس ، وكذلك « يوح » بالياء المثناة من تحتها .

وأريحا : بفتح الهمزة وكسر الراء ثم ياء ساكنة وبعدها حاء مهملة ثم ألف مقصورة ، بلدة بين القدس والشرية من أرض الشام ، وهي قريبة من مدائن لوط عليه السلام .

والرمادي : بفتح الراء والميم وبعد الألف دال مهملة وبعدها ياء النسب ، هذه النسبة إلى الرمادة ، قال ياقوت الحموي في كتابه الذي سماه « المشترك وضعاً المختلف صقاً »^١ في باب الرمادة : الرمادة عشرة مواضع ، وعدها

١ ديوان أبي تمام ٢ : ٣٢٠ .

٢ شروح السقط : ٢٧٨ ؛ وقال التبريزي : وهذه الكلمة صحف فيها ابن الأنباري فقال « يوح » بالباء ، فرد عليه أبو عمر الزاهد وقال : هي يوح ، بالياء ، فأبى أن يقبل منه ، وبقيت الرواية عنه بوح ، والصحيح بنقطتين .

٣ المشترك : ٢٠٩ ؛ قلت : وربما لم يكن هذا سوى وهم : فالرمادة التي في المغرب إلى الشرق من عقبة السلطان بركة . وإنما الرمادي ترجمة لكنيته أبو جنش ؛ وجنش بالاسبانية تعني الرماد .

فقال : الثالث رمادة المغرب ، ينسب إليها يوسف بن هارون الكندي
الرمادي الشاعر القرطبي .

وككّع : بفتح الكاف واللام وبعدها عين مهملة ، وهي مقبرة قرطبة
والله أعلم .

وذكر ابن سعيد^١ في كتاب « المغرب في أشعار أهل المغرب » أن الرمادي
المذكور اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبي بكر يحيى بن هذيل الكفيف^٢
علّم أدباء الأندلس ، وهو القائل :

لا تلمني على الوقوف بدارٍ أهلها صيروا السقام ضجيجي
جعلوا لي إلى هسواهم سبيلاً ثم سدوا علي باب الرجوع

ثم قال : وتوفي يحيى بن هذيل المذكور في سنة ست أو خمس وثمانين
وثلاثمائة وهو ابن ست وثمانين ، رحمه الله تعالى .

١ أضاف المؤلف هذا النص في هامش المسودة ، وخطه يدل على أنه متأخر في التاريخ ، ولم
يعودنا المؤلف النقل عن ابن سعيد المغربي ، مع أنه معاصره ؛ ومن الغريب أن س أوردت
هذا النص أيضاً .

٢ ولد يحيى بن هذيل سنة ٣٠٥ وتلمذ على علماء قرطبة ثم غلب عليه الشعر ، وطال عمره
وكف بصره وتوفي سنة ٣٨٩ حسب قول ابن الفرضي ، وهو أدق في هذا من ابن سعيد
الذي نقل عنه المؤلف (انظر الجذوة : ٣٥٨ وبغية الملتبس رقم : ١٩٤٥ وابن الفرضي
٢ : ١٩٢ ونكت الهميان : ٣٠٧ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٣٩) ولابن هذيل شعر في التهمة
ومسالك الأبصار وعنوان المرقصات والتشبيهات من أشعار أهل الأندلس .

٨٤٩ ابن الدري

يوسف بن درة ، الشاعر المعروف بابن الدري ، الموصلي الأصل ؛ كان شاباً ذكياً ، ذكره أبو شجاع محمد بن علي بن الدهان في تاريخه وقال : إنه هلك مع الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة لما خرجت عليهم زعْب ، وقد ذكره عماد الدين الكاتب الأصبهاني في كتاب « خريدة القصر » وذكره أبو المعالي سعد بن علي الخطيري - المقدم ذكره - في كتاب « زينة الدهر » ومن مشهور شعره قوله في رجل أرجلٍ وقد أحسن فيه^٢ :

مُدَوَّرُ الكعبِ فاتخذهُ لتلَّ غَرْسٍ وتلَّ عرشٍ
لو نَظَرَتْ^٣ عينه الثريا أخرجها في بنات نعش^٤
وله غير هذا أشياء حسنة .

قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري في مختصر كتاب الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني الذي عمله

٨٤٩- ترجمته في الخريدة (قسم العراق) ٢ : ٣٢٦ - ٣٢٩ وفيه ابن الدري .

١ انظر ج ٢ : ٣٦٦

٢ الخريدة ٢ : ٣٢٧ .

٣ الخريدة : رمقت .

٤ علق صاحب المختار هنا بقوله : « قلت أعني كاتبها موسى بن أحمد ، لطف الله به : ومثل هذا المعنى قول بعض الأدباء المصريين في صلاح ابن بهاء الدين زهير الكاتب المقدم ذكره ، وكُلِّينِ أرجل ، من جملة أبيات :

قد صح أنك كعب لأنك ابن زهير »

في الأنساب ، ما مثاله^١ : قلت : الزعبي : بكسر الزاي وسكون العين المهملة وآخره باء موحدة ، نسبة إلى زَعْب بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ، بطن مشهور من سليم ، وهذه زعب هي التي أخذت الحاج سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، فهلك منهم خلق كثير قتلاً وجوعاً وعطشاً ، ثم إن الله تعالى رمى زَعْباً بالقلة والذلة بعده إلى الآن .

وَدُرّة : بضم الدال المهملة ، والدّرى : بفتحها وتشديد الراء وبعدها ألف مقصورة .

٨٥٠

أبو المحاسن الشّوّاء

أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم المعروف بالشّوّاء ، الملقب شهاب الدين ، الكوفي الأصل الحلبي المولداً والمنشأ والوفاة ؛ كان أديباً فاضلاً متقناً لعلم العروض والقوافي شاعراً ، يقع له في النظم معان بديعة في البيتين والثلاثة ، وله ديوان شعر كبير يدخل في أربع مجلدات ، وكان زيه على زي الحلبيين الأوائل في اللباس والعمامة المشقوقة . وكان كثير الملازمة للحلقة الشيخ تاج الدين أبي القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد الله بن سعيد بن سعد بن مقلّد المعروف بابن الخبراني الحلبي النحوي

١ الباب (١) : ٥٠٢

٨٥٠- ترجمته في ابن الشعار ١٠ : ٢٣٧ قال : قصد الملك الناصر صلاح الدين مادحاً وبعده ولده الملك الظاهر غازي ثم الملك العزيز ولده ، ولم يكن من يرتزق بشعره على عادة الشعراء إلا يقوله تولماً ، وكانت نفسه ترفعه عن الاستجداء به والاستماعة ، وديوان شعره يحتوي على عشرين ألف بيت ؛ وانظر ابن المديم ٩ : ١٨٨ ، وإنباء الأمراء : ١٣٣ ومراة الجنان ٤ : ٨٩ .

٢ س : الحلبي الدار .

اللغوي الفاضل ، وأكثر ما أخذ الأدب عنه وبصحبته انتفع ، وعاشر التاج
أبا الفتح مسعود بن أبي الفضل النقاش الحلبي^١ الشاعر المشهور زماناً ،
وتخرج عليه في عمل الشعر .

وكان بيني وبين الشهاب الشواء مودة أكيدة وموانسة كثيرة ، ولنا
اجتماعات في مجالس نتذكر فيها الأدب ، وأنشدني كثيراً من شعره ،
وما زال صاحبي منذ أواخر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة إلى حين وفاته ،
وقبل ذلك كنت أراه قاعداً عند ابن الجبراني المذكور في موضع تصدّره
بجامع حلب ، وكان يكثر التمشي في الجامع أيضاً على جاري عاديهم في ذلك
كما يعملون^٢ في جامع دمشق ، ولم يكن بيننا إذ ذاك معرفة . وكان حسن
المحاوره مليح الإيراد مع السكون والتأني وجميل التأني ، وأول شيء أنشدني
من شعره قوله :

هاتيك يا صاحِ رباً لعلع ناشدتكَ الله فعرّجْ معي
وانزلْ بنا بين بيوت النقا فقد غَدَتْ أهلة المربع
حتى نطيلَ اليومَ وقفاً على الساكنِ أو عطفاً على الموضع

١ النقاش الحلبي : هو مسعود بن أبي الفضل بن أبي الحصين بن كامل بن أبي الفتح بن
أبي غانم بن أبي المجد بن أبي النار علي ، يعرف بابن فطيس ، لقيه سبط ابن الجوزي
سنة ٦٠٣ وأنشده مقطعات من شعره وكتبها له وأخبره أن مولده سنة ٥٤٠ ، وكان من
مداح الملك الأمجد صاحب بعلبك ، قال سبط ابن الجوزي : وعهدي بالنقاش في سنة ٦٠٨
في الحياة ، وقدم دمشق في سنة ٦٠٩ وأنشد الجماعة قطعاً من قصائده وأفادهم من فرائد فوائده ،
إلا أنه كان باطنه كالزناد الوقاد ، وظاهره كالخليد والجماد ، ومن رآه نسب إلى البلاهة
وعدم الذكاء والفقاهة ، فإذا أنشد تساقط من ألفاظه مثل الجمان (مرآة الزمان : ٥٣٠ -
٥٣١) وقد ترجم له الزركشي أيضاً في عقد الجمان (الورقة ٣٢٩ ب) وأثنى على شعره
وقال إنه وقف على ديوانه وهو في مجلدين ، قال : وكان من أكابر الشيعة ، ثم صار حنبلياً ،
وكان ينقش سكك الدراهم وغيرها ، أخذ الأدب عن التاج الكندي ومدح الملك المعظم
وطلب منه العماد الكاتب شيئاً من شعره ليضمته تصنيفه المسمى بذيّل الخريدة وسيل الخريدة
فاختار له ألف بيت من شعره ؛ توفي بحلب في شوال سنة ٦١٢ (باختصار) .

٢ من : يفعلون .

وأنشدني لنفسه أيضاً :

ومفهمف عُنِّيَ الزمان بخده فكساه ثوبِي ليله ونهاره
لا مهدتْ عذري محاسنُ وجهه إن غضّ عندي منه غضّ عذاره
وأنشدته يوماً في أثناء مناشدة جرت بيننا قول شرف الدين أبي المحاسن
محمد المعروف بابن عنين الدمشقي - المقدم ذكره^١ - في صدر جهان المعروف
بابن مازه البخاري وقيل السرخسي^٢ :

مالُ ابن مازة دونَه لعُفّاته خَرَطُ القَتادةِ أو منال الفرقدِ
مالُ لزومُ الجمعِ يمنعُ صرفَه في راحةٍ مثلِ المنادى المفردِ

فقال : هذا ليس بجيد ، فقلت له : ولم ذاك ؟ فقال : ليس من شرط
المنادى المفرد أن يكون مضموماً ، ولا بد ، فقد يكون المنادى مفرداً ولا
يكون مضموماً بأن يكون نكرة غير معين كما تقول : يا رجلاً ، ولكن أنا
أعمل في هذا شيئاً . ثم إننا اجتمعنا بعد ذلك في الجامع فقال : قد عملت في
ذلك المعنى شيئاً فاسمعه ، ثم أنشد :

لنا خليل له خلال تُعَرِّبُ عن أصله الأَخَسَ
أُضَحْتُ له مثلَ حيثُ كَفَّ وددت لو أنها كأَمَسِ

فقلت له : وهذا أيضاً فيه كلام ، فقال : وما هو ؟ فقلت : حيث فيها
لغات ، فمن العرب من يبينها على الضم ، ومنهم من يبينها على الفتح ، ومنهم
من يبينها على الكسر ، وفيها لغات آخر غير هذه ، وأما أمَسَ فمنهم من
يبينها على الكسر ، ومنهم من يقول : إنها اسم معرب لكنه لا ينصرف ،
وأنشدوا على هذه اللغة :

لقد رأيت عجباً مذ أمسا عجائزاً مثل السعالي خمسا

١ انظر ج ٥ : ١٤ .

٢ ديوانه : ٢٢١ ، وابن مازة هو محمد بن أحمد بن عبد العزيز البخاري (ابن الاثير ،
حوادث ٦٠٣) .

هذا إذا كانت^١ معرفة ، فأما إذا كانت نكرة فإنها معربة قولاً واحداً ، فسكت .

وكان كثيراً ما يستعمل العربية في شعره ، فمن ذلك قوله ، ولا أدري هل أنشدني أم لا ، فانه أنشدني شيئاً كثيراً من شعره وما ضبطت كل ما أنشدني ، وكذلك كل شيء أذكره بعد هذا لا أتحقق الحال في سماعي منه ، فأورده مهملاً فمته :

وكنا خمسَ عشرةَ في الشامِ على رغم الحسودِ بغير آفةٍ
فقد أصبحتُ تنويناً وأضحى حبيبي لا تفارقه الإضافه
وله أيضاً في غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر :

أرسل صدغاً ولوى قاتلي صدغاً فأعيا بهما واصفه
فخلتُ ذا في خدّه حيةً تسمى وهذا عقرباً واقفه
ذا ألفٌ ليست لوصلٍ ، وذا واوٌ ولكن ليست العاطفه

ومن هذا النمط ما أنشدني بهاء الدين زهير بن محمد الكاتب - المقدم ذكره^٢ - رحمه الله تعالى ، لنفسه من جملة أبيات وهو :

عسى عطفةً بالوصل يا واو صدغُه عليّ فلإني أعرف الواو تعطفُ
ولأني المحاسن الشواء أيضاً قوله :

ناديتُ وهو الشمسُ في شهرة والجسمُ للخفيّة كالقَيءِ
يا زاهياً أعرفَ من مضميرٍ صل واهياً أنكر من شيءٍ
وله في المديح^٣ :

١ س : كانت أمس .

٢ انظر ج ٢ : ٣٣٢ .

٣ ابن الشعار ١٠ : ٢٧٥ .

فتى فاق الورى كرمأ وبأسأ عزيزُ الجارِ مخضرَ الجَنابِ
 ترى في السلم منه غيثَ جود وفي يوم الكريمة ليثَ غاب
 إذا ما سَلَّ صارمه لحربٍ أراك البرقَ في كفِّ السحابِ
 وله أيضاً في شخص لا يكتم السراً :

لي صديقٌ غدا وإن كان لا ينطقُ إلا بغيبةٍ أو محالٍ
 أشبهُ الناسَ بالصنْدِ إن تحدَّثَـهُ حديثاً أعاده في الحالِ
 وله أيضاً ٢ :

قالوا جيبك قد تضوِّعَ نشره حتى غدا منه الفضاءُ معطراً
 فأجبتهم والخالُ يعلو خدَّه أو ما ترون النارَ تحرقُ عنبراً

قلت : وقد تقدم في ترجمة يحيى بن نزار المنبجي ٣ عدة مقاطيع من شعر
 العماد المحلي وغيره وفيها إلام بهذا المعنى . ولأبي المحاسن أيضاً :

هواك يا من له اختيالُ ما لي على مثله اختيالُ
 قسمةُ أفعاله لحيني ثلاثةٌ ما لها انتقالُ
 وعدك مستقبل ، وصبري ماضٍ ، وشوقي إليك حالُ

وله أيضاً :

فدبتُ بنفسِي رأسَ عينٍ ومن فيها وبيضَ السواقي حول زرق سواقِها
 إذا راقني منها جوارِي عيونها أراق دمي منها عيونُ جوارِها

وله أيضاً :

إن كان قد حجبه عني غيرةٌ منهم عليه فقد قنعتُ بذكره

١ ابن الشعار ١٠ : ٢٦٢ .

٢ ابن الشعار ١٠ : ٢٥٠ .

٣ أنظر ج ٦ : ٢٤٩ .

كالمسك ضاع لنا وضاع مكانه عنا فأغنى نشره عن نشره
وله في غلام قد ختن :

هنأت من أهواه عند ختانه فرحاً وقلبي قد عراه وجومُ
يفديك من ألم أَلَمَّ بك امروُ يخشى عليك إذا ثنالك نسيم
أمعذبني كيف استطعت على الأذى جلداً ، وأجزعُ ما يكون الريم ؟
لو لم تكن هذي الطهارةُ سنةً قد سنّها من قبل إبراهيم
لفتكتُ جهدي بالمزين إذ غدا في كفّه موسى وأنت كلیم
ومعظم شعره على هذا الأسلوب ، وقد أوردت منه أنموذجاً فيه كفاية .

وكان من المغالين في التشيع .

وأكثر أهل حلب ما كانوا يعرفونه إلا بمحاسن الشواء ، والصواب فيه
هو الذي ذكرته ها هنا ، وأن اسمه يوسف ، وكنيته أبو المحاسن . وبعد هذا
رأيت في كتاب « عقود الجمان » الذي وضعه صاحبنا الكمال ابن الشعار
الموصلي ، وقد بنى ترجمة المذكور على يوسف ، وكنيته أبو المحاسن ،
وكان صاحبه وأخذ عنه كثيراً من شعره ، وهو من أخبر الناس بحاله وأعلم
ذلك في وقته^١ .

وكان مولده تقديراً في سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، فإنه كان لا يحقق
مولده . وتوفي يوم الجمعة تاسع عشر المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة .
بحلب ، ودفن ظاهرها بمقبرة باب أنطاكية غربي البلد . ولم أحضر الصلاة
عليه لعذر عرض لي في ذلك الوقت ، رحمه الله تعالى ، فلقد كان نعم الصاحب .

١ بهامش س : خ للثامن .

٢ وبعد هذا ... في وقته : لم يرد في س .

(395) وأما شيخه ابن الجبراني المذكور^١ : فهو طائي بحثري، وكان من قرية من أعمال عزاز ، يقال لها جبرين قُورسَطايا ، نسب إليها ، هكذا أخبر عن نفسه ، وكان متضلعا من علم الأدب ، خصوصاً اللغة فإنها كانت غالبية عليه ، وكان متبحراً فيها ، وكان له تصدر في جامع حلب في المقصورة الشرقية على صحن الجامع قبالة المقصورة التي يصلي فيها قضاة حلب يوم الجمعة . ولقد كنت يوماً قاعداً في هذه المقصورة ، عند الدرابزين الذي إلى جهة الصحن ، وإذا به قد حضر ومعه جماعة من أصحابه ، وفيهم الشهاب أبو المحاسن الشواء المذكور ، وجلس إلى المحراب الصغير الذي في هذه المقصورة ، وهو موضع تصدره ، فجعلت بالي من كلامه ، وأنا في ذلك الوقت مشغول بالأدب ، فسمعتة يتكلم في قاعدة الأفعال الثلاثية التي أولها واو ، وهي على فَعْلٍ ، بكسر العين ، مثل وجل وغيره ، وأن مضارعه فيه أربع لغات : يَوْجَل ، وَيَسْجَل ، وَيَاجَل ، وَيَسْجَلُ ، إلا ما شذ من الأفعال الثمانية التي هي : ورم ، وورث ، وورع ، ووري ، وومق ، ووثق ، ووفق ، وولي ، فإن مضارعه أيضاً بالكسر كماضيها ، وشذ من ذلك قولهم : وَسِعَ يَسْعَ ، ووطىء يَطْءُ ، وإنما انفتح هذان الفعلان في المضارع لأجل حرفي الحلق ، وأطال الكلام في ذلك بما لم أقدر على حفظه في ذلك الوقت ، ولم أسمع منه غير هذا الفصل .

وكان مولده يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شوال سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وتوفي يوم الاثنين سابع^٢ رجب من سنة ثمان وعشرين وستمائة بحلب ، ودفن في سفح جبل جَوْشَن ، رحمه الله تعالى .

١ ترجمة ابن الجبراني في بغية الوعاة : ١٧٢ وابن شمار ٢٨١ : ١ وقال ابن شمار : كان رجلاً فاضلاً مقرأً مجوداً عارفاً بعلوم القرآن العزيز واللغة والنحو معرفة جيدة ، وذكره القفطي في كتاب النحاة من تصنيفه (قلت : لم يرد له ذكر في الإنباه المطبوع) وكان شديد الكلب للدنيا يدخل في دنيا الأمور ويعامل المعاملات المخالفة للشريعة ، ويحتمل من ضيق العيش والمأكَل والمشرب والملبس ما لا يوجد من مثله ، إلى أن حصل له جملة من الدنيا ما انتفع بها ، وخلفها لولده ، وكان بخيلاً بما عنده فما استفاد منه أحد ، ولا صار له تلميذ معروف ، وكان إذا لوحح في السؤال تضجر وتشيط لضيق عطشه .

٢ ابن شمار : سابع عشر .

البياسي صاحب الحماسة

أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي ، أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المتقنين ، كان أديباً بارعاً فاضلاً ، مطلعاً على أقسام كلام العرب من النظم والنثر ، وراوياً لوقائعها وحروبها وأيامها ، بلغني أنه كان يحفظ كتاب « الحماسة » تأليف أبي تمام الطائي ، والأشعار الستة ، وديوان أبي تمام المذكور ، وديوان أبي الطيب المتنبي ، و « سقط الزند » ديوان أبي العلاء المعري ، إلى غير ذلك من الأشعار من شعراء الجاهلية والإسلام.

وتنقل في بلاد الأندلس وطاف بأكثرها . ولما قدم من جزيرة الأندلس إلى مدينة تونس ، جمع للأmir أبي زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر ، صاحب إفريقية ، رحمهم الله أجمعين ، كتاباً سماه « الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام »^١ ابتداء فيه بمقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وختمه بخروج الوليد بن طريف الشاري على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية — وقد ذكرت ترجمة الوليد المذكور وخبره وما جرى له ومقتله على يد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وذكرت يزيد المذكور في ترجمة مستقلة أيضاً قبل هذا ، واستوفيت القصة في الترجمتين^٢ — ورأيت هذا الكتاب وطالعت ، وهو في مجلدين ، أجاد في تصنيفه وكلامه فيه كلام عارف بهذا الفن .

٨٥١ — ترجمته في اختصار القلح : ٩٤ والنفع ٣ : ٣١٦ ، ٣٩٠ والمغرب ٢ : ٧٣

وبغية الوعاة : ٣٢٤ و امرأة الجنان ٤ : ١٢٩ .

١ بقيت من هذا الكتاب قطعة محفوظة بدار الكتب المصرية .

٢ انظر ج ٦ : ٣١ ، ٣٢٧ .

ورأيت له أيضاً كتاب « الحماسة » في مجلدين ، وقد قرئت النسخة عليه وعليها خطه ، كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة خمسين وستمائة ، وقال في آخر الكتاب : وكان الفراغ من تأليفه وترتيبه بمدينة تونس ، حرسها الله تعالى ، في شوال سنة ست وأربعين وستمائة ، ونقلت من أوله بعد الحمدلة ما مثاله : أما بعد فاني قد كنت في أوان حدائي وزمان شيبتي ، ذا ولوع بالأدب ومحبة في كلام العرب ، ولم أزل متتبّعاً لمعانيه ، ومفتشاً عن قواعده ومبانيه ، إلى أن حصلت لي جملة منه لا يسع الطالب المجتهد جهلها ، ولا يصلح بالنظر في هذا العلم إلا أن يكون عنده مثلها ، وحملتني المحبة في ذلك العلم والولوع به على أن جمعت مما اخترته واستحسنته من أشعار العرب : جاهليها ومخزوميها وإسلاميها ومولدها ، ومن أشعار المحدثين من أهل المشرق والأندلس وغيرهم ، ما تحسن به المحاضرة وتجمل عليه المناظرة . ثم إنني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها ، وديوان يؤلفها ، مؤذن بنذاتها وموّد إلى فسادها ، فرأيت أن أضم مختارها وأجمع مستحسنها ، تحت أبواب تقيد نأقرها وتضم نادرها ، ونظرت في ذلك ، فلم أجد أقرب تبويب ، ولا أحسن ترتيب ، مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب « الحماسة » وحسن الاقتداء به والتوخي لمذهبه ، لتقدمه في هذه الصناعة ، وانفراده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة ، فاتبعت في ذلك مذهبه ونزعت منزعه ، وقرنت الشعر بما يجانسه ، ووصلته بما يناسبه^١ ونقحت ذلك ، واخترته على قدر استطاعتي ، وبلوغ جهدي وطاقي .

قلت : وأطال القول بعد هذا بما لا حاجة بنا إلى ذكره . ونقلت منه شيئاً ، فمن ذلك ما ذكره في باب المراثي : قال أبو علي القالي البغدادي ، أنشدنا أبو بكر ابن دريد قال : أنشدنا أبو حاتم السجستاني^٢ :

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت بطونُ الثرى واستودعَ البلدُ الفقرُ

١ إلى هنا ينتهي ما هو مقيد بخط المؤلف ، رحمه الله ، وكل ما يلي من بعد حتى نهاية الكتاب فإنه ليس بخطه ، وقيته في ذلك قيمة سائر النسخ التي اعتمداها في التحقيق .

٢ الأمالي ٢ : ١١٥ .

بدور إذا الدنيا دجت أشرقتم بهم وإن أجديت يوماً فأيديهم القطرُ
 فيا شامتاً بالموت لا تشمتن بهم حياتهم فخرٌ وموتهم ذكر
 حياتهم كانت لأعدائهم عمية وموتهم للفاخرين بهم فخر
 أقاموا بظهر الأرض فاخضرت عودها وصاروا بطن الأرض فاستوحش الطهر^١

ونقلت من باب النسب قول العباس بن الأحنف^٢ - المقدم ذكره^٣ - :

تحمّل عظيم الذنب ممن تحبه وإن كنت مظلوماً فقل أنا ظالمٌ
 فانك إن لم تغفر الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم
 وقول الواواء الدمشقي ، هكذا قال ، وغالب ظني أنها لأبي فراس ابن
 حمدان ، والله أعلم^٤ :

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتياه لعل العتب يعطفه
 وعرضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
 فإن تبسم قولاً في ملاطفة ما ضرّ لو بوصول منك تسعفه
 وإن بدا لكما من سيدي غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقول المجنون^٥ :

تعلقت ليلي وهي بكرٌ صغيرة ولم يبدُ للأتراب من ثديها حجمٌ
 صغيرين نرعى البهائم يا ليت أننا إلى اليوم لم تكبر ولم تكبر البهائم

البهائم : الصغار من أولاد الضأن ، الواحدة بهيمة ، بفتح الباء الموحدة

١ سقط البيت من م .

٢ ديوانه : ٢٤٣ .

٣ انظر ج ٣ : ٢٠ .

٤ انظر ديوان الواواء : ١٤٦ .

٥ ديوان المجنون : ٢٣٨ .

٦ م : غر .

وسكون الهاء . وهذان البيتان يستدل بهما النحاة على انتصاب الحال^١ من الفاعل والمفعول به معاً بلفظ واحد ، فان « صغيرين » انتصب على الحال من التاء في قوله « تعلقت » وهي فاعلة ، ومن ليل ، وهي مفعولة ، ومثله قول عنتره العبسي^٢ :

متى ما تلقني فردين ترَجُفُ روائفُ أليتيك وتستطارا

نصب « فردين » على الحال من ضمير الفاعل والمفعول في « تلقني » ، ذكره ابن الأنباري في كتاب « أسرار العربية » في باب الحال^٣.

وقال الواواء الدمشقي أيضاً، ذكره في حماسه البياسي المذكور أيضاً:

وزائر راع كلّ الناس منظرهُ أحلى من الأمن عند الخائفِ الوجلهُ
ألقى على الليل ليلاً من ذوائبه فها به الصبح أن يبدو من الحجل
أراد بالقتل هجري فاستجرتُ به فاستلّ بالوصل روعي من يدي أجلي
فصرتُ فيه أميرَ العاشقين فقد صارت ولايةُ أهل العشق من قبلي

وقال علي بن عطية البلنسي ابن الزقاق^٤ :

ومرتجة الأعطاف أما قوامها فلدنٌ وأما ردفها فَرَدَّاحُ
أملتُ فباتَ الليل من قصرِها يطيرُ وما غير السرور جناح
وبتَ وقد زارتُ بأنعمِ ليلةٍ تعانقني حتى الصباح صباح
على عاتقي من ساعديها حمائلٌ وفي خصرها من ساعديّ وشاح

وقال أحمد بن الحسين بن خلف المعروف بابن النبي اليعمري - قلت :

١ س : الفعل ؛ وهو خطأ .

٢ ديوان عنتره : ٧٥ .

٣ انظر أسرار العربية : ١٩٠ - ١٩١ .

٤ ديوان الواواء : ١٨٠ .

٥ ديوان ابن الزقاق : ١٢٩ .

هو المقدم ذكره في ترجمة يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب^١ - وكان قد أخرجه صاحب ميورقة ، وسيره في البحر ، فساروا يومهم ، فهبت عليهم الريح فردتهم فقال :

أحبّتنا الأولى عتبوا علينا فأقصونا وقد أزفَ الوداعُ
لقد كنتم لنا جدلاً وأنساً فهل في العيش بعدكم انتفاع ؟
أقولُ وقد صدرنا بعدَ يومٍ أشوقُ بالسفينة أم نزاع
إذا طارتُ بنا حامتْ عليكم كأنّ قلوبنا فيها شراع
وقال الواصل بالله وله فيه غناء :

ما كنت أعرف مافي البين من حزنٍ حتى تنادوا بأنّ قد جيء بالسفنِ
قامتُ تودعني والدمعُ يغلبها فجمجت بعض ما قالت ولم تبين
مالت عليّ تفديني وترشفي كما يميلُ نسيمُ الريح بالغصنِ
فأعرضت ثم قالت وهي باكية : يا ليت معرفتي إياك لم تكن
وأورد في باب القرى والأضياف والفخر والمدح قول أبي الحسن جعفر بن إبراهيم بن الحاج اللورقي^٢ :

عجباً لمن طلب المحامد مدّ وهو يمنع ما لديه
ولباسط آماله للمجد لم يبسط يديه
لم لا أحبّ الضيف أو أرتاح من طرب إليه
والضيف يأكل رزقه عندي ويحمدني عليه

ومما ينسب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال حين كف بصره^٣ :

- ١ انظر ما تقدم ص : ١٣٢ .
- ٢ المختار : ابن الحاج الميورقي ؛ وانظر الأبيات في النسخ ٣ : ٥٩٦ والمغرب ٣ : ٢٨٠ والقلائد : ١٤٢ .
- ٣ نكت الحميان : ٧١ .

إن يأخذ الله من عيني نورهما فقي لساني وقلبي منهما نورُ
 قلبي ذكي وذهني غير ذي دَخلٍ وفي فمي صارمٌ كالسيف مطرور
 وذكر في باب الهجاء والعتاب وما يتعلق بهما لأبي العالية أحمد بن مالك
 الشامي^١ :

أدم بغدادَ والمقام بهما من بعد ما خبرةٍ وتجريبٍ
 ما عند أملاكها المرتقب رُفد ولا فرجةٌ لمكروب
 خلوا سبيل العلى لغيرهم ونازعوا في الفسوق والحب
 يحتاجُ راجي النجاح عندهم إلى ثلاثٍ من بعد تقرب
 كنوزُ قارونَ أن تكون له وعمرُ نوحٍ وصبرُ أيوب
 وأنشد أبو بكر محمد بن يحيى الصولي لأبي العطف الكوفي صالح بن
 عبد الرحمن بن نشيط :

يا ابن الوليدِ ابنُ لنا إن البيانَ له حدودُ
 مالي أراك مسيئاً أين السلاسلُ والقيودُ
 أغلاً الحديد بأرضكم أم ليس يَضْبِطُكَ الحديد

قلت : إلى هنا نقلت من كتاب « الحماسة » المذكور ، وفيه كفاية ،
 إذ كان الغرض إيراد شيء من أخبار هذا الرجل ليستدل به على معرفته
 في الشعر .

وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث
 وسبعين وخمسمائة . وتوفي يوم الأحد الرابع من ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين
 وستمائة ، بمدينة تونس ، رحمه الله تعالى .

والبياسي : بفتح الباء الموحدة والياء المشددة المثناة من تحتها ، هذه النسبة

١ وردت الأبيات في معجم البلدان ١ : ٦٩١ دون نسبة وجاء بعدها ص ٦٩٢ أبيات أخرى
 لأبي العالية في ذم بغداد .

إلى بياسة^١ ، وهي مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جَيَّان ، هكذا قاله ياقوت الحموي في كتابه «المشترك وضعا»^٢ .

٨٥٢

يونس بن حبيب

أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحوي ؛ قال أبو عبيد الله المرزباني في كتابه «المقتبس في أخبار النحويين»^٣ : هو مولى ضبة ، وقيل هو مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل مولى بلال بن هرمي من بني ضبيعة بن بجالة ، وهو من أهل جبل ، ومولده سنة تسعين ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان يقول : أذكر موت الحجاج ، وقيل مولده سنة ثمانين وانه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وستين ، وقيل عاش ثمانيا وتسعين سنة .

وقال غير المرزباني : أخذ يونس الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وحماد ابن سلمة ، وكان النحو أغلب عليه ، وسمع من العرب ، وروى سيبويه عنه كثيرا ، وسمع منه الكسائي والفراء ، وله قياس في النحو ومذهب ينفرد بها ، وكان من الطبقة الخامسة في الأدب ، وكانت حلقة بالبصرة يتتابها الأدباء وفصحاء العرب وأهل البادية .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : اختلفت إلى يونس أربعين سنة

١ بياسة Baeza : تقع على مسافة عشرين ميلا من جيان وتطل على النهر الكبير .

٢ المشترك : ٧٣ .

٨٥٢- ترجمته في معجم الأدباء ٢٠ : ٦٤ والفهرست : ٤٢ وصفحات متفرقة من المزهر

وطبقات الزبيدي : ٤٨ ومراتب النحويين : ٢١ والبيان والتبيين ١ : ٧٧ ومرآة الجنان

١ : ٣٨٨ وبغية الوعاة : ٤٢٦ ونزهة الألباء : ٣١ والمعارف : ٥٤١ وتهذيب

التهذيب ٥ : ٣٤٦ .

٣ انظر نور القيس : ٤٨ - ٥٥ .

أَمْلاً كل يوم ألواحي من حفظه . وقال أبو زيد الأنصاري النحوي :
جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين ، وجلس إليه قبلي خلف الأحمر
عشرين سنة . وقال يونس ، قال لي ربيعة بن العجاج : حتام تسألني عن هذه
البواطل ، وأزخر فيها لك ؟ أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك ؟

وليونس من الكتب التي صنفها كتاب « معاني القرآن الكريم » وكتاب
« اللغات » وكتاب « الأمثال » وكتاب « النوادر » الصغير . وقال إسحاق بن
إبراهيم الموصلي : عاش يونس مائة سنة وستين . وقيل عاش ثمانياً وتسعين
سنة ، وقيل ثمانياً وثمانين سنة ، لم يتزوج ولم يتسر ، ولم تكن له همة إلا طلب
العلم ومحادثة الرجال .

وقال يونس : لو تمنيت أن أقول الشعر لما تمنيت أن أقول إلا مثل قول
عدي بن زيد العبادي^١ :

أيها الشامت المعير بالدهـر أنتَ المبرأ الموفورُ

قلت : وهذا البيت من جملة أبيات سائرة بين الأدباء فيها مواضع وعبر ،
وبعد هذا البيت :

أم لديك العهدُ القديمُ من الأيام بل أنت جاهلٌ مغرور
من رأيت المنون أخلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوكُ السروم لم يبقَ منهمُ مذكور
وأخو الخضر إذ بناه وإذ دجلةُ تجي إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلُّ ساء فللطير في ذراه وكور
لم يهبه صرفُ الزمان فباد السملك عنه فبابه مهجور
وتفكرَ ربّ الخورنق إذا أشرفَ يوماً وللهدي تفكير

١ ديوان عدي : ٨٤ .

سرّه^١ ملكه وكثرة^٢ ما يملك^٣ والبحر^٤ معرضاً والسدير
 فارغوى قلبه فقال : وما غبطة^٥ حيّ إلى الممات^٦ يصير
 ثم بعد الفلاح^٧ والملك^٨ والأمة^٩ وارتهم^{١٠} هناك القبور
 ثم صاروا كأنهم ورق^{١١} جفّ فألوت^{١٢} به الصبا والدبور

قلت : وهذه الأبيات تحتاج إلى تفسير طويل^١ ، ولو شرعت فيه لطال
 الكلام وخرجنا عن المقصود ، فإن أكثرها يتعلق بالتاريخ ، وفيها شيء يتعلق
 بالأدب ، فاقصرت على الإتيان بالغرض^٢ وتركت الباقي خوفاً من الإطالة ،
 فلعل الشرح يدخل في أربع خمس كراريس ، وليس هذا موضعه .

وروى محمد بن سلام الجمحي عن يونس أنه قال : ما بكت العرب
 على شيء في أشعارها كبكائها على الشباب ، وما بلغت كنهه ، فاتبع هذا الكلام
 منصور النمرى فقال من جملة قصيدة طويلة يمدح بها هارون الرشيد بيتاً وهو :

ما كنت أوفي شبابي كُنْهَ غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع^١

وقال يونس : تقول العرب : فرقة الأحباب سقم الألباب ، وأنشد :

شيثان لو بكت الدماء^١ عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب^٢
 لم يبلغا المعشاة^٣ من حقيهما شرح^٤ الشباب وفرقة^٥ الأحباب

وقال يونس : لم يقل لبيد في الإسلام سوى بيت واحد وهو :

١ س : غره .

٢ طويل : سقطت من م .

٣ س : الأبيات بالعرض .

٤ هو أبو الفضل منصور بن سلمة بن الزبرقان من رأس العين ، وهو من فحولة المحدثين
 (انظر طبقات ابن المعتز : ٢٤٢ وتاريخ بغداد ١٣ : ٦٥ والأغاني ١٣ : ١٤٠) وقد
 مر ذكره في ترجمة يزيد بن مزيد ٦ : ٣٤٠ .

٥ ورد البيت في طبقات ابن المعتز : ٢٤٥ ، وهو من قصيدة مطلعها :

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شباباً ليس يرتجع

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى لبستُ من الإسلام سربالا^١

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : قدم جعفر بن سليمان العباسي من عند المهدي الخليفة ، فبعث إلى يونس بن حبيب فقال له : أنا وأمير المؤمنين اختلفنا في هذا البيت^٢ :

والشيبُ ينهضُ في السواد كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبيه نهارُ

فما الليل والنهار ؟ فقال يونس : الليل الليل الذي تعرف ، والنهار النهار الذي تعرف ، فقال : زعم المهدي أن الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى ، فقال أبو عبيدة : القول في البيت ما قاله يونس ، والذي قاله المهدي معروف في الغريب من اللغة .

وقال يونس : كان جبلة بن عبد الرحمن^٣ يخرج إلى طبابخه الرقاع يستدعي بها الطعام ، وفيها الألفاظ الغريبة الحوشية ، فلا يدري الطباخ ما فيها ، حتى يمضي بها إلى ابن أبي إسحاق ويحيى بن يعمر وغيرهما يفسرون ما فيها من الألفاظ ، فإذا عرف الطباخ ما فيها أتاه بما استدعاه ، فقال له يوماً : ويحك ، إني أصوم معك ، فقال له الطباخ : سهل كلامك حتى يسهل طعامك ، فيقول : يا ابن اللخناء أفأدع عربيتي لعيك ؟

وكان يونس من أهل جبّل ، وهي بليدة على دجلة بين بغداد وواسط ، وكان لا يؤثر أن ينسب إليها ، فلقبه رجل من بني أبي عمير فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، ما تقول في جبّل أنتصرف أم لا ؟ فشتمه يونس . فالتفت العميري فلم ير أحداً يشهده عليه ، حتى إذا كان من الغد وجلس للناس أتاه العميري فقال : يا أبا عبد الرحمن ، ما تقول في جبّل . أنتصرف أم لا ؟ فقال له يونس : الجواب ما قلته لك أمس .

١ راجع مقدمة ديوان لبيد ، ففيها مناقشة تدحض هذا القول .

٢ البيت للفرزدق . ديوانه ١ : ٣٧٢

٣ ورد عند الطبري (٢ : ١٤٥٨) اسم جبلة بن عبد الرحمن مولد باهلة وأنه ولي كرمان (حوادث سنة ١٠٤) .

وجبل : بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة ، كذا قاله الحافظ ابن السمعاني في كتاب « الأنساب »^١ .

وهذه جبل منها أبو الخطاب الجبلي الشاعر المشهور^٢ ، ومن شعره قوله :
كم جبتُ نحوك مَهْمَهَا لولم يعنْ شوقي عليه لما قدرت أجوبهُ
وركبتُ أخطاراً إليك مخوفةً ولحبذا خطرٌ إليك ركوبه

قال السمعاني : وتوفي أبو الخطاب المذكور في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وكان بينه وبين أبي العلاء المعري مشاعرة ، وكتب إليه أبو العلاء قصيدته التي أولها :

غير مجد في ملتي واعتقادي

قلت : وهذا غلط منه ، بل كتبها أبو العلاء المعري إلى أبي حمزة الحسن بن عبد الله الفقيه الحنفي قاضي منبج ، كان ، وقد ذكر ذلك الفقيه القاضي كمال الدين عرف بابن العديم الحلبي^٣ .

وحبيب : اسم أمه ولهذا لا يصرفونه ، فانه لا يعرف له أب ، ويقال إنه ولد ملاعنة ، ويقال إنه اسم أبيه فينصرف ، والله أعلم ، وكذلك محمد ابن حبيب النسابة أيضاً .

ودخل يونس المسجد يوماً وهو يتَهَادَى بين اثنين من الكبر ، فقال له رجل كان يتهمه في مودته : بلغت ما أرى يا أبا عبد الرحمن ، فقال :

١ الأنساب ٣ : ١٩٥ .

٢ هو محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبلي (ياقوت : جبل) ؛ وقد أورد ياقوت ما ذكره ابن السمعاني حول إرسال قصيدة أبي العلاء له ، وهو ما استدركه المؤلف والصحيح أن الجبلي مدح أبا العلاء فأجابه أبو العلاء بقصيدة مطلعها : (شروح السقط : ١٥٣)
أشفقت من عبء البقاء وعابه وملت من أري الزمان وصابه

وانظر في ترجمته تاريخ بغداد ٣ : ١٠١ وابن الأثير ٩ : ٥٤٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ٤٤ .

٣ وهذه جبل ... الحلبي : لم يرد في س ؛ قلت : وانظر بغية الطلب ٤ : ٢٦٣ وقد توفي الفقيه قبل الأربعمائة .

هو الذي ترى ، لا بلغته ، فأخذ هذا المعنى جماعة من الشعراء فنظموه .
 وقال أبو الخطاب زياد بن يحيى : مثل يونس كمثل كوز ضيق الرأس
 لا يدخله شيء إلا بعسر ، فإذا دخله لم يخرج منه ، يعني أنه لا ينسى شيئاً .
 وقد ذكرت تاريخ مولده وموته في أول الترجمة ، وقيل إنه توفي سنة
 ثلاث وثمانين ، وقيل خمس وثمانين ، وقال عبد الباقي بن قانع : سنة أربع
 وثمانين ومائة ، والله أعلم . وقيل إنه عاش ثمانياً وتسعين سنة ، رحمه
 الله تعالى .

٨٥٣

يونس بن عبد الأعلى الصديقي

أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة بن حفص بن حيان .
 الصديقي المصري الفقيه الشافعي ؛ أحد أصحاب الشافعي رضي الله عنه ،
 والمكثرين في الرواية عنه والملازمة له ، وكان كثير الورع متين الدين .
 وكان علامة في علم الأخبار والصحيح والسقيم ، لم يشاركه في زمانه في هذا
 أحد - وقد سبق في هذا الكتاب ذكر حفيده أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد
 ابن يونس^١ ، وهو المنجم المشهور ، صاحب الزيج ، وكل واحد منهما إمام
 في فنه - .

٨٥٣ - ترجمته في تهذيب التهذيب ١١ : ٤٤٠ وغاية النهاية ٢ : ٤٠٦ وطبقات السبكي
 ١ : ٢٧٩ والانتقاء ١١١ : ١٧٦ وطبقات الشيرازي : ٩٩ وطبقات
 العبادي : ١٨ وابن قاضي شعبة : ٤٦ والاسنوي ١ : ٣٣ والعبر ٢ : ٢٩ والحسيبي : ٧
 والشذرات ٢ : ١٤٩ واللباب (الصديقي) .
 ١ انظر ٣ : ١٣٧ .

وأخذ يونس القراءة عرضاً عن ورش وسقلاب بن شيبة^١ ومعل^٢ بن دحية^٣، عن نافع وعن علي بن أبي كيسة^٤ عن سليم^٥ عن حمزة بن حبيب الزيات. وسمع سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب المصري. وروى القراءة عنه مواس بن سهل ومحمد بن الربيع وأسامة بن أحمد ومحمد بن إسحاق بن خزيمة^٦ ومحمد ابن جرير الطبري وغيرهم. وكان محدثاً جليلاً.

وذكره أبو عبد الله القضاعي في كتاب «خطط مصر»، فقال: كان من أفضل أهل زمانه وكان من العقلاء، يروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: ما رأيت بمصر أعقل من يونس بن عبد الأعلى. وصحب الشافعي وأخذ عنه الحديث والفقه، وحدث بهما عنه جماعة، وله حُبُس في ديوان الحكم وعقب، وله دار مشهورة في خطة الصدف مكتوب عليها اسمه، وتاريخها سنة خمس عشرة ومائتين، وكان أحد الشهود بمصر، أقام شاهداً ستين سنة. وذكر غير القضاعي أن يونس بن عبد الأعلى روى عنه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري وأبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله ابن ماجه وغيرهم.

وقال أبو الحسن ابن زولاق في كتاب «أخبار قضاة مصر»: إن القاضي بكار بن قتيبة لما تولى قضاء مصر وتوجه إليها من بغداد لقي في طريقه محمد ابن الليث، قاضي مصر كان قبله، بالبحفار خارجاً من مصر إلى العراق مصروفاً، فقال له بكار: أنا رجل غريب، وأنت قد عرفت البلد فدلني على من أشاوره وأسكن إليه، فقال له: عليك برجلين: أحدهما عاقل وهو

١ في س: ابن أبي شينة، ق ع: ابن شينة؛ ر: سنية؛ وفي غاية النهاية (١: ٣٠٨)

سقلاب بن شيبة أبو سعيد المصري، مات سنة ١٩١.

٢ معل بن دحية بن قيس أبو دحية المصري (غاية النهاية ٢: ٣٠٤).

٣ علي بن يزيد بن كيسة أبو الحسن الكوفي نزيل مصر، توفي سنة ٢٠٢ (غاية النهاية ١: ٥٨٤).

٤ هو سليم بن عيسى بن سليم الكوفي (غاية النهاية ١: ٣١٨).

٥ مواس بن سهل أبو القاسم المدفري المصري (غاية النهاية ٢: ٣١٦) ومحمد بن الربيع

الجزبي (٢: ١٤٠) وأسامة بن أحمد بن عبد الرحمن التجيبي (١: ١٥٥) ومحمد بن

إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (٢: ٩٧).

يونس بن عبد الأعلى ، فاني سمعت في دمه فقدر عليّ فحقن دمي ، والآخر أبو هارون موسى بن عبد الرحمن بن القاسم فانه رجل زاهد . فقال له بكار : صف لي الرجلين فقال له : أما يونس فرجل طوال أبيض ، ووصفه ووصف موسى . فلما دخل بكار مصر ودخل الناس إليه دخل شيخ فيه صفة يونس . فرفعه بكار وأقبل يحدثه ، ويقول : يا أبا موسى في كل حديثه ، فبينما بكار كذلك إذ قيل له : قد جاء يونس ، فأقبل على الرجل وقال له : يا هذا من أنت ؟ وما سكوتك كذا لو أفشيت إليك سرّاً لي ! ثم دخل يونس فأكرمه ورفعه ، وأناه موسى بن عبد الرحمن فاختص بهما وأخذ رأيهما .

وقيل إن موسى المذكور اختص به القاضي بكار ، وكان يتبرك به لزمهده ، فقال له يوماً : يا أبا هارون من أين المعيشة ؟ قال : من وقف وقفه أبي ، فقال له بكار : أيكفيك ؟ قال : قد تكفيت به ، وقد سألتني القاضي فأريد أن أسأله ، قال : سل ، قال : هل ركب القاضي ديناً بالبصرة حتى تولى بسببه القضاء ؟ قال : لا ، قال : فهل رزق ولدأ أخوجه إلى ذلك ، قال : لا ، ما نكحت قط ، قال : فهل لك عيال كثيرة ؟ قال : لا ، قال : فهل أجبرك السلطان وعرض عليك العذاب وخوفك ؟ قال : لا ، قال : فضربت آباط الإبل من البصرة إلى مصر لغير حاجة ولا ضرورة ، لله عليّ لادخلت عليك أبداً . فقال : يا أبا هارون أظني ، قال : أنت بدأت بالمسألة ، ولو سكنت لسكت . ثم انصرف عنه ولم يعد إليه بعدها .

وقال يونس : رأيت في المنام قاتلاً يقول لي : إن اسم الله الأكبر « لا إله إلا الله » .

ونقلت من كتاب « المنتظم في أخبار من سكن المقطم » قال في ترجمة يونس المذكور : ومن حكاياته التي حكاها عن غيره ، أن رجلاً جاء إلى نحاس ، فقال له : أسلفني ألف دينار إلى أجل ، فقال له النحاس : من يضمن المبلغ ؟ قال : الله تعالى ، فأعطاه ألف دينار ، فسافر بها الرجل

يتجر^١ ، فلما بلغ الأجل أراد الخروج إليه ، فحبسه عدم الريح ، فعمل تابوتاً وجعل فيه ألف دينار ، وأغلقه وسمره وألقاه في البحر ، فقال : اللهم هذا الذي ضمنت لي ، فخرج صاحب المال ينتظر قدوم الذي معه المال ، فرأى سواداً في البحر فقال : ايتوني بهذا ، فأتي بالتابوت ففتحه ، فإذا فيه ألف^٢ دينار .

ثم إن الرجل جمع ألفاً بعد ذلك ، وطابت الريح ، فجاء إلى النحاس وسلم عليه ، فقال له النحاس : من أنت ؟ فقال : أنا صاحب الألف ، هذه ألفتك ، فقال النحاس : لا أقبلها منك حتى تخبرني ما صنعت بها ، فأخبره بالذي صنع ، وأن الريح لم تطب ، فقال له النحاس : قد أدى الله عز وجل عنك الألف ووصلت .

وله أخبار كثيرة ، وروايات مأثورة . وكان يونس يروي للشافعي رضي الله عنه :

ما حكَ جلدَكَ مثلُ ظفرك فتولَّ أنتَ جميعَ أمركُ
وإذا قصدتَ حاجةً فاقصدْ لمعرفٍ بقدرِكَ

وقال يونس : قال لي الشافعي رضي الله عنه : يا يونس ، دخلت بغداد ؟ قلت : لا ، قال : ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس .

وقال يونس : سمعت من الشافعي كلمة لا تسمع إلا من مثله ، وهي « رضى الناس غاية لا تدرك ، فانظر ما فيه صلاح نفسك في أمر دينك ودنياك فالزمه » .

وقال علي بن قديد : كان يونس بن عبد الأعلى يحفظ الحديث ويقوم به . وذكره أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسوي فقال : هو ثقة ؛ وقال غيره : ولد يونس في ذي الحجة سنة سبعين ومائة ، وتوفي يوم الثلاثاء ليومين

١ س : ليتجر .

٢ س : فإذا هو بألف .

بقيا من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين ، وهي السنة التي مات فيها المزني رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته بمصر ، ودفن بمقابر الصدف ، وقبره مشهور بالقرافة .

(396) وأما أبوه عبد الأعلى فانه يكنى أبا سلمة، وكان رجلا صالحاً، ومن كلامه : من اشترى ما لا يحتاج إليه باع ما يحتاج إليه ، وقال ولده يونس : والأمر عندي كما قال . وتوفي عبد الأعلى المذكور في المحرم سنة إحدى ومائتين ، ومولده سنة إحدى وعشرين ومائة .

(397) وأما ابنه أبو الحسن أحمد بن يونس، والد أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد صاحب « تاريخ مصر » ، فان ابنه أبا سعيد عبد الرحمن بن أحمد ذكر في تاريخه أنه ولد في ذي القعدة سنة أربعين ومائتين ، وتوفي يوم الجمعة أول يوم من رجب سنة اثنتين وثلاثمائة ، وقال : هو عديد للصدف ، وليس من أنفس الصدف ، ولا من مواليهم .

والصدفي : بفتح الصاد والdal المهملتين وبعدهما فاء ، هذه النسبة إلى الصّدْف ، بكسر الدال ، وذكر السهيلي أنه بكسر الدال وفتحها ، وإنما فتحوا الدال في النسب مع كسرها في غير النسب كي لا يوالوا بين كسرتين قبل ياعين كما قالوا في النسبة إلى النمر نمري وغير ذلك . واختلفوا في اسم الصدف فقيل : هو مالك بن سهيل بن عمرو بن قيس ، هكذا قاله القضاعي في كتاب « الخطط » وزاد السمعاني في كتاب « الأنساب »^١ على هذا النسب ، فقال : الصدف بن سهيل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع ابن حمير بن سبأ ، وقال الدارقطني : واسم الصدف شهال^٢ بن دعي بن زياد بن حضرموت ، وقال الحازمي في كتاب « العجالة في النسب »^٣ : هو

١ الباب ٢ : ٥١ .

٢ س ر : سهال .

٣ العجالة : ٨٠ .

عمرو بن مالك والله أعلم . وقال القضاعي : دعوتهم مع كندة ، وإنما سمي الصدف لأنه صدف بوجهه عن قومه حين أتاها سبل العرم ، فأجمعوا على ردمه ، فصدف عنهم بوجهه تلقاء حضرموت فسمي الصدف . وقيل إنما سمي الصدف لأنه كان رجلاً شجاعاً لا يدعن لأحد من العرب ، فبعث إليه بعض ملوك غسان رسولا ليقدم به عليه ، فعدا على الرسول فقتله وخرج هارباً ، فبعث الملك إليه رجلاً في خيل عظيمة ، فكان كلما جاء حياً من أحياء العرب سأل عن الصدف ، فيقولون : صدف عنا ، وما رأينا له وجهاً ، فسمي الصدف من يومئذ ، ثم لحق بكندة فترل فيهم ، قال أرباب علم النسب : أكثر الصدف بمصر وبلاد المغرب ، والله أعلم .

قلت : قد خرجنا عن المقصود لكنه ما يخلو عن فائدة .

٨٥٤

رضي الدين الإربلي

أبو الفضل يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم بن عائذ بن كعب بن قيس ، الملقب رضي الدين الإربلي ، والد الشيخين عماد الدين أبي حامد محمد ، وقال الدين أبي الفتح موسى — وقد تقدم ذكرهما — قلت : هكذا وجدت نسبه بخط بعض أصحابنا المتأدبين ، ولم أعلم من أين له هذه الزيادة ، والذي أعرفه من نسبه هو الذي ذكرته في ترجمة ولديه ، والله أعلم .

كان الشيخ يونس المذكور من أهل إربل ومولده بها ، وقدم الموصل

٨٥٤ = ترجم له الاسنوي ٥٦٩: ٢ وابن قاضي شعبة: ١٤٨ ، ولم ترد هذه الترجمة في المختار .

١ انظر ج ٤ : ٢٥٣ : ٥٤ : ٣١١ .

فتفقه بها على تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر المعروف بابن خميس الكعبي الجهنّي - المقدم ذكره^١ - وسمع عليه كثيراً من كتبه ومسموعاته ، ثم انحدر إلى بغداد وتفقه بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن محمد بن عمر المعروف بابن الرزاز مدرس النظامية ، ثم أّصعد إلى الموصل وتديّرّها وصادف بها قبولاً تاماً عند المتولي بها الأمير زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل - المقدم ذكره في حرف الكاف^٢ - وفوّض له تدريس مسجده المعروف به وجعل نظره إليه ، فكان يدرس ويفتي وينظر ، وتقصده الطلبة للاشتغال عليه والمباحثة مع ولديه المذكورين ، ولم يزل على قدم الفتوى والتدريس والمناظرة إلى أن توفي بالموصل يوم الاثنين سادس المحرم سنة ست وسبعين وخمسمائة . وسمعت بعض خواصهم يقول : توفي سنة خمس وسبعين . وأما ولده الشيخ كمال الدين فكان يقول : بل توفي سنة ست وسبعين ، وهو أعلم بذلك . ودفن بترابته المجاورة لمسجد زين الدين المذكور ، رحمه الله تعالى ، وكان عمره ثمانياً وستين سنة .

وقد تقدم ذكر حفيده أيضاً شرف الدين أحمد بن الشيخ كمال الدين موسى بن يونس المذكور^٣ ، رحمهم الله تعالى . وعلى الجملة فإنه خرج من بيتهم جماعة من الفضلاء ، وانتفع بهم أهل تلك البلاد وغيرهم ، وكانوا مقصودين من بلاد العراق والعجم وغيرها ، رحمهم الله تعالى أجمعين^٤ .

وله شعر ، فمن ذلك قوله :

لها زَوْرَةٌ في كلّ عامٍ وتارةٌ تمرّ شهورُ الحول لا نتجمعُ
وصالٌ وصدٌّ لا لشيءٍ سوى أنّها على خلقِ الدنيا تجودُ وتمنعُ
وله غير ذلك ، والله أعلم .

١ ج ٢ : ١٣٩ .

٢ ج ٤ : ١١٣ .

٣ ج ١ : ١٠٨ .

٤ هنا تنتهي الترجمة في س .

يونس المخارقي

يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني ثم المخارقي ، شيخ الفقهاء اليونسية ، وهم منسوبون إليه ومعروفون به ؛ كان رجلاً صالحاً وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه من كان فقالوا : لم يكن له شيخ ، بل كان مجذوباً ، وهم يسمون من لا شيخ له بالمجذوب ، يريدون بذلك أنه جُذِبَ إلى طريق الخير والصلاح ، ويذكرون له كرامات .

أخبرني الشيخ محمد بن أحمد بن عبيد ، كان قد رآه وهو صغير ، وذكر أن أباه أحمد كان صاحبه ، فقال : كنا مسافرين والشيخ يونس معنا ، فترلنا في الطريق على عين بوار ، وهي التي يجلب منها الملح البواري ، وهي بين سنجار وعانة ، قال : وكانت الطريق مخوفة ، فلم يقدر أحد منا أن ينام من شدة الخوف ونام الشيخ يونس ، فلما انتبه قلت له : كيف قدرت تنام ؟ فقال لي : والله ما نمت حتى جاء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وتذكر القفل . فلما أصبحنا رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس .

قال : وعزمت مرة على دخول نصيبين ، وكنت عند الشيخ يونس في قريته ، فقال : إذا دخلت البلد فاشتر لأم مساعد كفنّاً ، قال : وكانت في عافية ، وهي أم ولده ، فقلت له : وما بها حتى تشتري لها كفنّاً ؟ فقال : ما يضر ، فذكر أنه لما عاد وجدها قد ماتت . وذكر له غير هذا من الأحوال والكرامات .

٨٥٥ - انظر ترجمته في مرآة الجنان ٤ : ٤٦ والشذرات ٥ : ٨٧ والدارس ٢ : ٢١٣ ، ولم ترد هذه الترجمة في النسخة س ؛ وذكر في ر أن هذه الترجمة توجد في بعض النسخ في آخر الكتاب وربما عني أنها قد وضعت هنالك بعد الخاتمة ، وقد وردت في المختار وهذا يدل على أنها من عمل المؤلف . وذكر المقرئ في الخطط ٢ : ٣٥ أن الشيخ يونس توفي سنة ٧١٩ ، ولعله سبق قلم ، إذ لا يمكن أن يكون ممن يترجم لهم ابن خلكان ، وقد علق الشيخ نصر المهوريني بحاشية الطبعة البولاقية بأن ما جاء في المقرئ خطأ محض .

وأنشد له مواليا ، وهو :

أنا حميت الحمى وانا سكنتو فيه وأنا رميت الخلايق في بحار التيه
من كان يبغي العطا مني أنا أعطيه أنا فقى ما أداني من به تشبيه

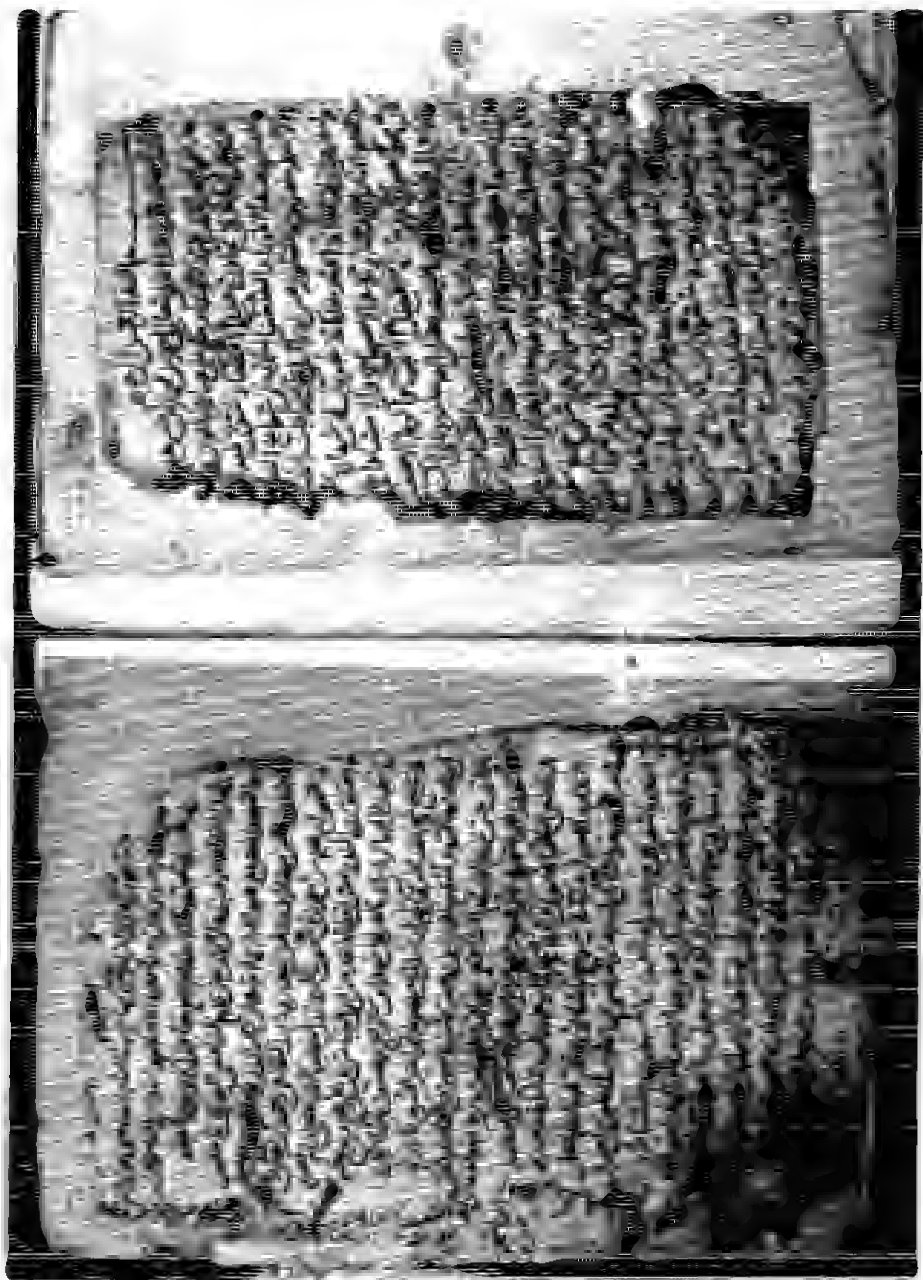
وذكر لي الشيخ محمد المذكور أن الشيخ يونس توفي سنة تسع عشرة
وستمئة في قريته ، وهي القُنَيْيَّة من أعمال دارا ، وهي بضم القاف وفتح النون
وتشديد الياء المثناة من تحتها ، تصغير قناة ، وقبره مشهور بها يزار ، وكان
قد ناهز تسعين سنة من عمره ، رحمه الله تعالى .

قال المصنف ما مثاله : نَجَزَ الكتاب الذي سميته « وفيات الأعيان » ،
وأبناء أبناء الزمان » بحمد الله ومنه ، وذلك في يوم الاثنين العشرين من جمادى
الآخرة سنة اثنين وسبعين وستمائة بالقاهرة المحروسة .

يقول الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان
مؤلف هذا الكتاب : لأنني كنت قد شرعت في هذا الكتاب في التاريخ المذكور
في أوله على الصورة التي شرحتها هناك ، مع استغراق الأوقات في فصل
القضايا الشرعية والأحكام الدينية بالقاهرة المحروسة ، فلما انتهيت فيه إلى
آخر ترجمة يحيى بن خالد ابن برمك حصلت لي حركة إلى الشام المحروس
في خدمة الركاب العالي المولوي السلطاني المجاهدي المرابطي المفاخري المويدي
المنصوري الغياثي المنعمي المحسني الملكي الظاهري ، ركن الدنيا والدين ،
سلطان الإسلام والمسلمين ، أبي الفتح بيارس قسيم أمير المؤمنين ، خلد الله
سلطانه ، وشيد بدوام دولته قواعد الملك وثبت أركانه ، وكان الخروج
من القاهرة المحروسة يوم الأحد سابع شوال سنة تسع وخمسين وستمائة ،
ودخلنا دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة من السنة المذكورة ، وقلدني
الأحكام بالبلاد الشامية يوم الخميس ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة ،
فراكت الأشغال ، وكثرت الموانع الصارفة عن إتمام هذا الكتاب ،
فاقتصرت على ما كنت قد أثبتته من ذلك ، وختمت الكتاب ، واعتذرت
في آخره بهذه الشواغل عن إكماله وقلت : إن قدر الله تعالى مهلة في
الأجل وتسهيلا في العمل ، أستأنف كتاباً يكون جامعاً لجميع ما تدعو
الحاجة إليه في هذا الباب .

ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع إلى الديار المصرية ، وكان مدة المقام بدمشق المحروسة مدة عشر سنين كوامل لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً ، فإني دخلتها في التاريخ المذكور ، وخرجت منها بكرة نهار الخميس ثامن ذي القعدة من سنة تسع وستين وستمائة . فلما وصلت إلى القاهرة صادفت بها كتباً كنت أوتر الوقوف عليها ، وما كنت أتفرغ لها ، فلما صرت أفرغ من حجاج ساباط بعد أن كنت أشغل من ذات النحيين^١ ، كما يقال في هذين المثليين ، طالعت تلك الكتب ، وأخذت منها حاجتي ثم تصديت لإتمام هذا الكتاب حتى أكمل على هذه الصورة ، وأنا على عزم الشروع في الكتاب الذي وعدت به إن قدر الله تعالى ذلك ، والله يعين عليه ويسهل الطرق المؤدية إليه ، فمن وقف على هذا الكتاب من أهل العلم ، ورأى فيه شيئاً من الخلل ، فلا يعجل بالمؤاخذه فيه ، فإني توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لي ، مع أنه كما يقال : أبي الله أن يصح إلا كتابه ، لكن هذا جهد المقل ، وبذل الاستطاعة ، وما يكلف الإنسان إلا ما تصل قدرته إليه ، وفوق كل ذي علم عليم ؛ وقد تقدم في أول هذا الكتاب الاعتذار عن الدخول في هذا الأمر والحامل عليه ، فأغنى عن إعادته ها هنا ، والله يستر عيوبنا بستر كرمه الصافي ، ولا يكدر علينا ما منحنا من مشرع اغضائه النмир الصافي ، إن شاء الله تعالى .

١ مجمع الأمثال : ٢٢:٢ ، ٢٥٥:١ ، ومن قصة الحجاج أنه كان ملازماً لسباط المدائن ، وكان يحجم الجند الذاهبين إلى الفزو نصيحة إلى حين رجوعهم ، ويظل فارغاً دون عمل أثناء غيابهم ، أما ذات النحيين فلها قصة أخرى تراجع في الأمثال .

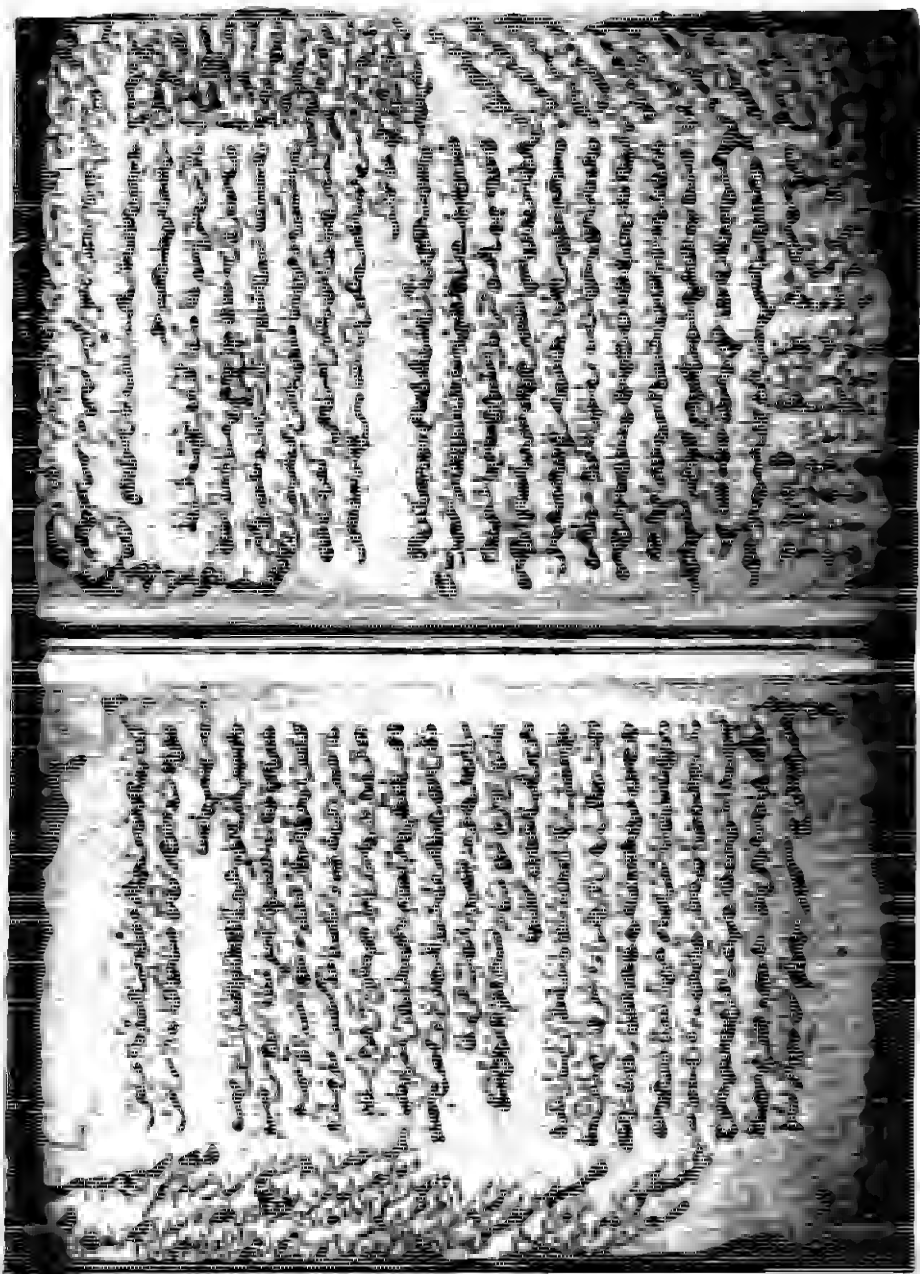


الورقة ٧ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني

(رقم Add. 25735)



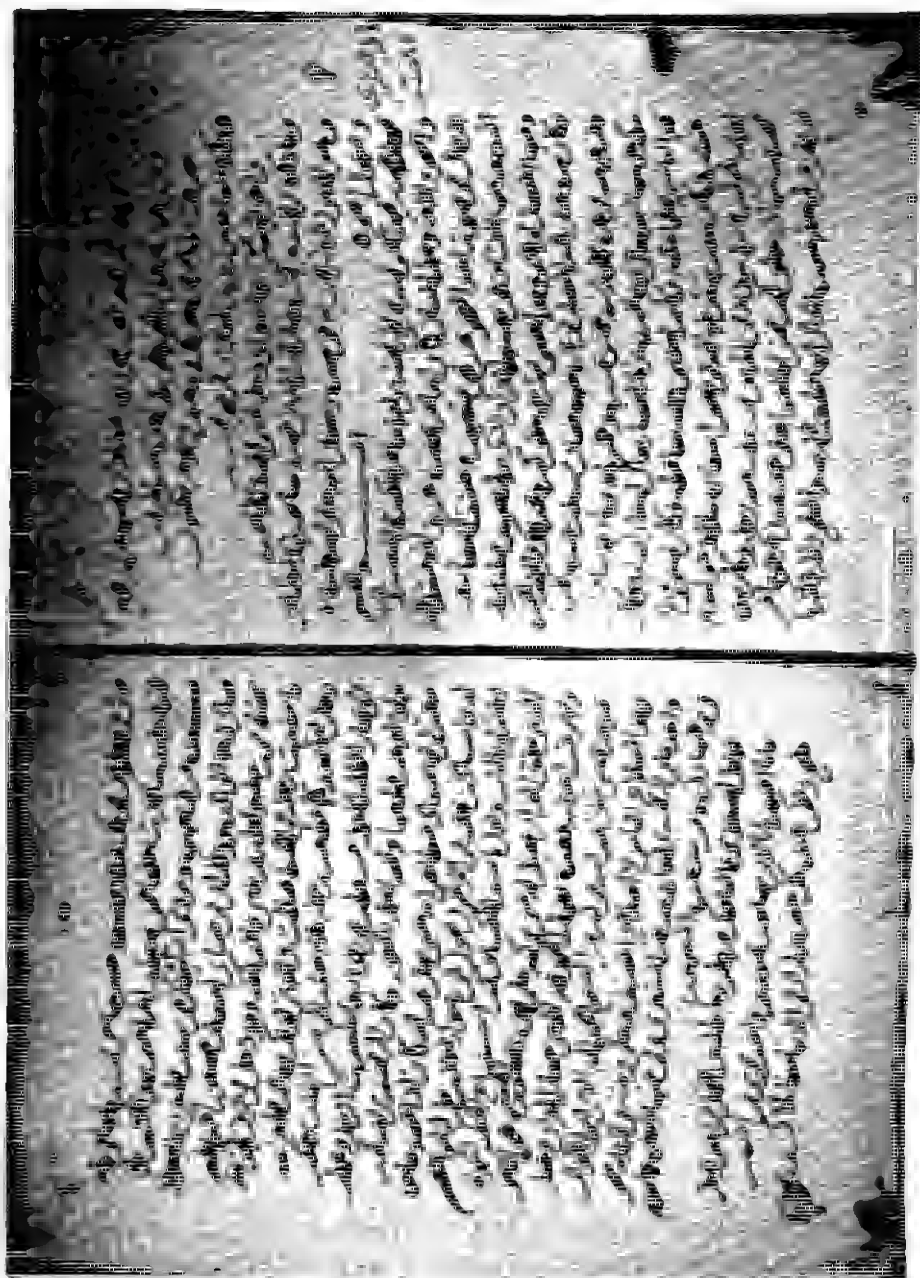
الورقة ١٣١ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني
(رقم : 2070)



الورقة ١٦٦ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني
(رقم : Add. 25735)



الورقة ٢٩٩ من مسودة المؤلف ، نسخة المتحف البريطاني
(رقم : Add. 25735)



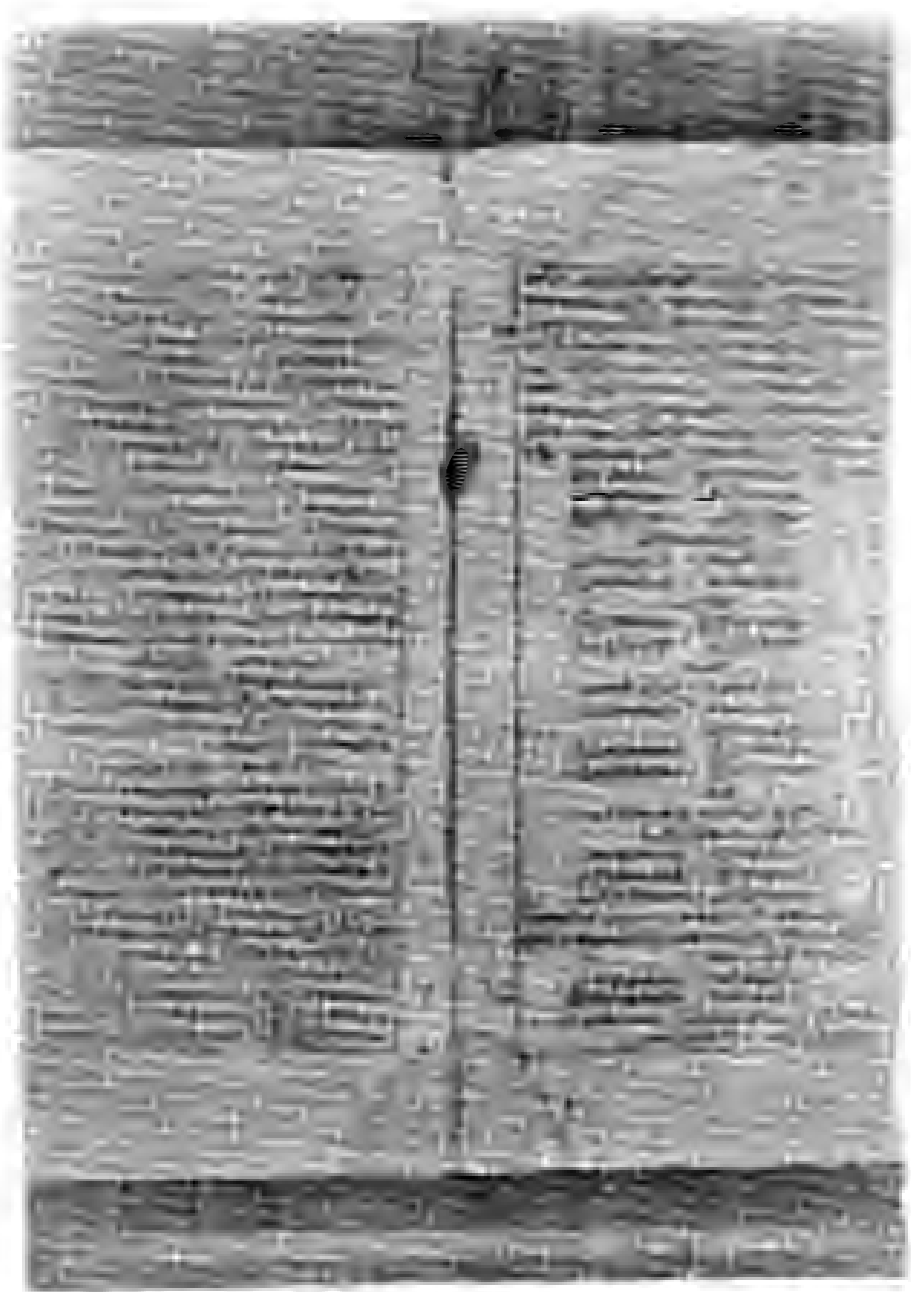
نموذج ثانٍ من مختار الوفيات لابن المؤلف
(نسخة مكتبة وزارة شؤون الهند رقم: ٧٠٥. Loth.)



نموذج ثالث من مختار الوفيات لابن المؤلف
(نسخة مكتبة وزارة شؤون الهند رقم : ٧٠٥ Loth.)



الورقة الأولى من مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (ر) ، رقم : ٥٤١٨



الورقة ٨ من مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (ر) . رقم : ٥٤١٨



الورقة ٣٨٨ من مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق (ر) ، رقم : ٥٤١٨



الورقة ٢٢٠ من نسخة آياصوفيا (ص) ، رقم : ٣٥٣٢



الورقة الأخيرة من نسخة طوبقبو سراي (س) ، رقم : ٢٩١٩



الورقة ٢ من نسخة ولي الدين (ن) ، رقم : ٢٤٦٠

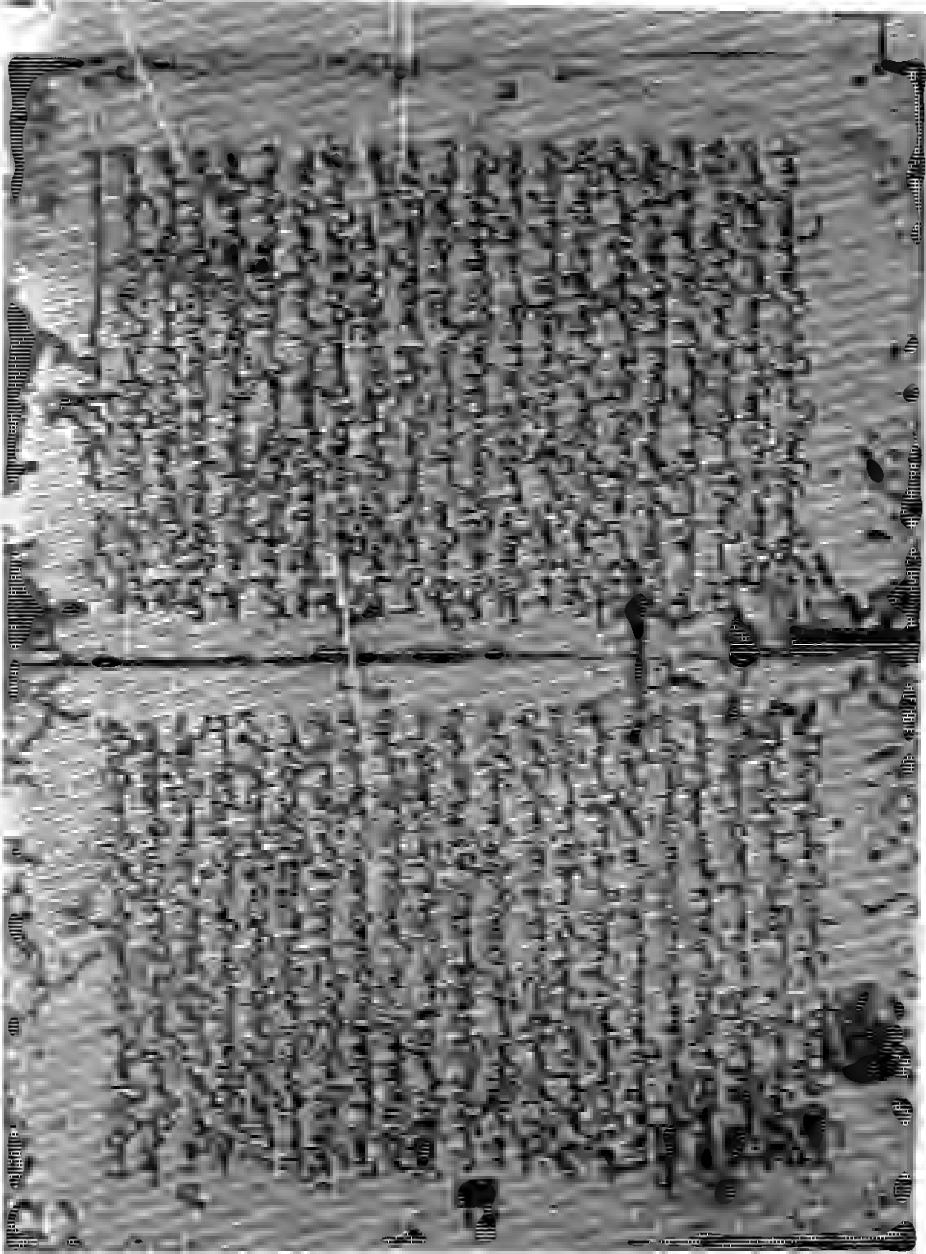
١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠
 ٢٠١
 ٢٠٢
 ٢٠٣
 ٢٠٤
 ٢٠٥
 ٢٠٦
 ٢٠٧
 ٢٠٨
 ٢٠٩
 ٢١٠
 ٢١١
 ٢١٢
 ٢١٣
 ٢١٤
 ٢١٥
 ٢١٦
 ٢١٧
 ٢١٨
 ٢١٩
 ٢٢٠
 ٢٢١
 ٢٢٢
 ٢٢٣
 ٢٢٤
 ٢٢٥
 ٢٢٦
 ٢٢٧
 ٢٢٨
 ٢٢٩
 ٢٣٠
 ٢٣١
 ٢٣٢
 ٢٣٣
 ٢٣٤
 ٢٣٥
 ٢٣٦
 ٢٣٧
 ٢٣٨
 ٢٣٩
 ٢٤٠
 ٢٤١
 ٢٤٢
 ٢٤٣
 ٢٤٤
 ٢٤٥
 ٢٤٦
 ٢٤٧
 ٢٤٨
 ٢٤٩
 ٢٥٠
 ٢٥١
 ٢٥٢
 ٢٥٣
 ٢٥٤
 ٢٥٥
 ٢٥٦
 ٢٥٧
 ٢٥٨
 ٢٥٩
 ٢٦٠
 ٢٦١
 ٢٦٢
 ٢٦٣
 ٢٦٤
 ٢٦٥
 ٢٦٦
 ٢٦٧
 ٢٦٨
 ٢٦٩
 ٢٧٠
 ٢٧١
 ٢٧٢
 ٢٧٣
 ٢٧٤
 ٢٧٥
 ٢٧٦
 ٢٧٧
 ٢٧٨
 ٢٧٩
 ٢٨٠
 ٢٨١
 ٢٨٢
 ٢٨٣
 ٢٨٤
 ٢٨٥
 ٢٨٦
 ٢٨٧
 ٢٨٨
 ٢٨٩
 ٢٩٠
 ٢٩١
 ٢٩٢
 ٢٩٣
 ٢٩٤
 ٢٩٥
 ٢٩٦
 ٢٩٧
 ٢٩٨
 ٢٩٩
 ٣٠٠
 ٣٠١
 ٣٠٢
 ٣٠٣
 ٣٠٤
 ٣٠٥
 ٣٠٦
 ٣٠٧
 ٣٠٨
 ٣٠٩
 ٣١٠
 ٣١١
 ٣١٢
 ٣١٣
 ٣١٤
 ٣١٥
 ٣١٦
 ٣١٧
 ٣١٨
 ٣١٩
 ٣٢٠
 ٣٢١
 ٣٢٢
 ٣٢٣
 ٣٢٤
 ٣٢٥
 ٣٢٦
 ٣٢٧
 ٣٢٨
 ٣٢٩
 ٣٣٠
 ٣٣١
 ٣٣٢
 ٣٣٣
 ٣٣٤
 ٣٣٥
 ٣٣٦
 ٣٣٧
 ٣٣٨
 ٣٣٩
 ٣٤٠
 ٣٤١
 ٣٤٢
 ٣٤٣
 ٣٤٤
 ٣٤٥
 ٣٤٦
 ٣٤٧
 ٣٤٨
 ٣٤٩
 ٣٥٠
 ٣٥١
 ٣٥٢
 ٣٥٣
 ٣٥٤
 ٣٥٥
 ٣٥٦
 ٣٥٧
 ٣٥٨
 ٣٥٩
 ٣٦٠
 ٣٦١
 ٣٦٢
 ٣٦٣
 ٣٦٤
 ٣٦٥
 ٣٦٦
 ٣٦٧
 ٣٦٨
 ٣٦٩
 ٣٧٠
 ٣٧١
 ٣٧٢
 ٣٧٣
 ٣٧٤
 ٣٧٥
 ٣٧٦
 ٣٧٧
 ٣٧٨
 ٣٧٩
 ٣٨٠
 ٣٨١
 ٣٨٢
 ٣٨٣
 ٣٨٤
 ٣٨٥
 ٣٨٦
 ٣٨٧
 ٣٨٨
 ٣٨٩
 ٣٩٠
 ٣٩١
 ٣٩٢
 ٣٩٣
 ٣٩٤
 ٣٩٥
 ٣٩٦
 ٣٩٧
 ٣٩٨
 ٣٩٩
 ٤٠٠
 ٤٠١
 ٤٠٢
 ٤٠٣
 ٤٠٤
 ٤٠٥
 ٤٠٦
 ٤٠٧
 ٤٠٨
 ٤٠٩
 ٤١٠
 ٤١١
 ٤١٢
 ٤١٣
 ٤١٤
 ٤١٥
 ٤١٦
 ٤١٧
 ٤١٨
 ٤١٩
 ٤٢٠
 ٤٢١
 ٤٢٢
 ٤٢٣
 ٤٢٤
 ٤٢٥
 ٤٢٦
 ٤٢٧
 ٤٢٨
 ٤٢٩
 ٤٣٠
 ٤٣١
 ٤٣٢
 ٤٣٣
 ٤٣٤
 ٤٣٥
 ٤٣٦
 ٤٣٧
 ٤٣٨
 ٤٣٩
 ٤٤٠
 ٤٤١
 ٤٤٢
 ٤٤٣
 ٤٤٤
 ٤٤٥
 ٤٤٦
 ٤٤٧
 ٤٤٨
 ٤٤٩
 ٤٥٠
 ٤٥١
 ٤٥٢
 ٤٥٣
 ٤٥٤
 ٤٥٥
 ٤٥٦
 ٤٥٧
 ٤٥٨
 ٤٥٩
 ٤٦٠
 ٤٦١
 ٤٦٢
 ٤٦٣
 ٤٦٤
 ٤٦٥
 ٤٦٦
 ٤٦٧
 ٤٦٨
 ٤٦٩
 ٤٧٠
 ٤٧١

الاعتقاد على البرهان انما هو الجهد الكبير لكي لا يفتقد سكان العالم راحة
بعد عبور قوتل من دون وعي اليه على القسطنطينة ولا على القوص ولا على القلطن
لا يذهب دون ما يزينون به الحج والاسلام ولا يفتقر على جدار القدس من عرض
عليه اذن كتابته اجد اجمعها على القسطنطينة ولا وقعت باستنوف
واثران للاقتناع الا ان وزيرنا اعلم وقال انه ارسل احد الانبياء وروا
وجعل الحق والامانة لا تفر من الصفح من نفس كتاب له بالقرن الثاني
اعلمنا في وقت من اوقاتنا ان ابن ابراهيم احملي احد علماء فخر حميد
تفاد سمعت من غير ان يكون يدعي على علم الرجل سواد من علمه وان كان
على راسه وكشده يوم ما توفد له رجل فساد اليه المومنين فجلست
واثنتي فنادى الرشيد بيدي فجلسا به في دم فخره على فساد الرجال له
الرشيد لا يجزى كونه في العلم ولا عزمه فكانت شدة الحق له على هذا القول
له انه اذا ذكره في شكك حصة الا ان عزمه ان لا يثبات فقال اذ ان شئت
شك بدا انك اتولى انك تشيرون له اذ لم يزل يجلدنا من احسانهم ثم اشبه
بما فعلت بهذا الخبر الامانة اكثر من هذا انك تفتل في دون الرشيد وهو
يزعمه البرهان كما ذكرناه في حرف الجبر من هذا الكتاب فليكن البرهان
وتوضيحه هي رايته الفصل الثاني في حرف العباس بن ابي الاكابر
وهي البرهان على الزندة وهي الزندة الفارسية وما عاينها وما عاينها
احد الامم على الاخر كما بين الامم والفرزات وغيره ذلك في ارجل
المهشاذي في كتابه ابن ابراهيم على بن ابي اسبي في رسالته الاولى
في جلسته وهو يعطين عليه كتابه كما يطلع اهل العلم الا انه لم يزل
فرغ منها فستقلت العذر من يد الخديجه انكسرت له فشدت من يدها
بها الدين وتغنوا بها من قطع الاطراف والبرهان على بعض الامم

[illegible][illegible]

الورقة ٩٩ من نسخة لاله لي (لي) ، رقم : ٢١١٣

[illegible]



الورقة الأولى من نسخة كوبر يليلي (ل) رقم : ١١٩٢

[illegible][illegible]



الورقة ٤ من نسخة قاضي زاده (ق) ، رقم : ٣٧١

[illegible]

[illegible]



الورقة ١٢٨ من ————— في تاريخ صليبيات (ج) ١ - رقم = ٣١٧٦



نموذج ثالث من نسخة مكتبة جامعة ادنبره (بر) ، رقم : ٢٢

[illegible]

١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠



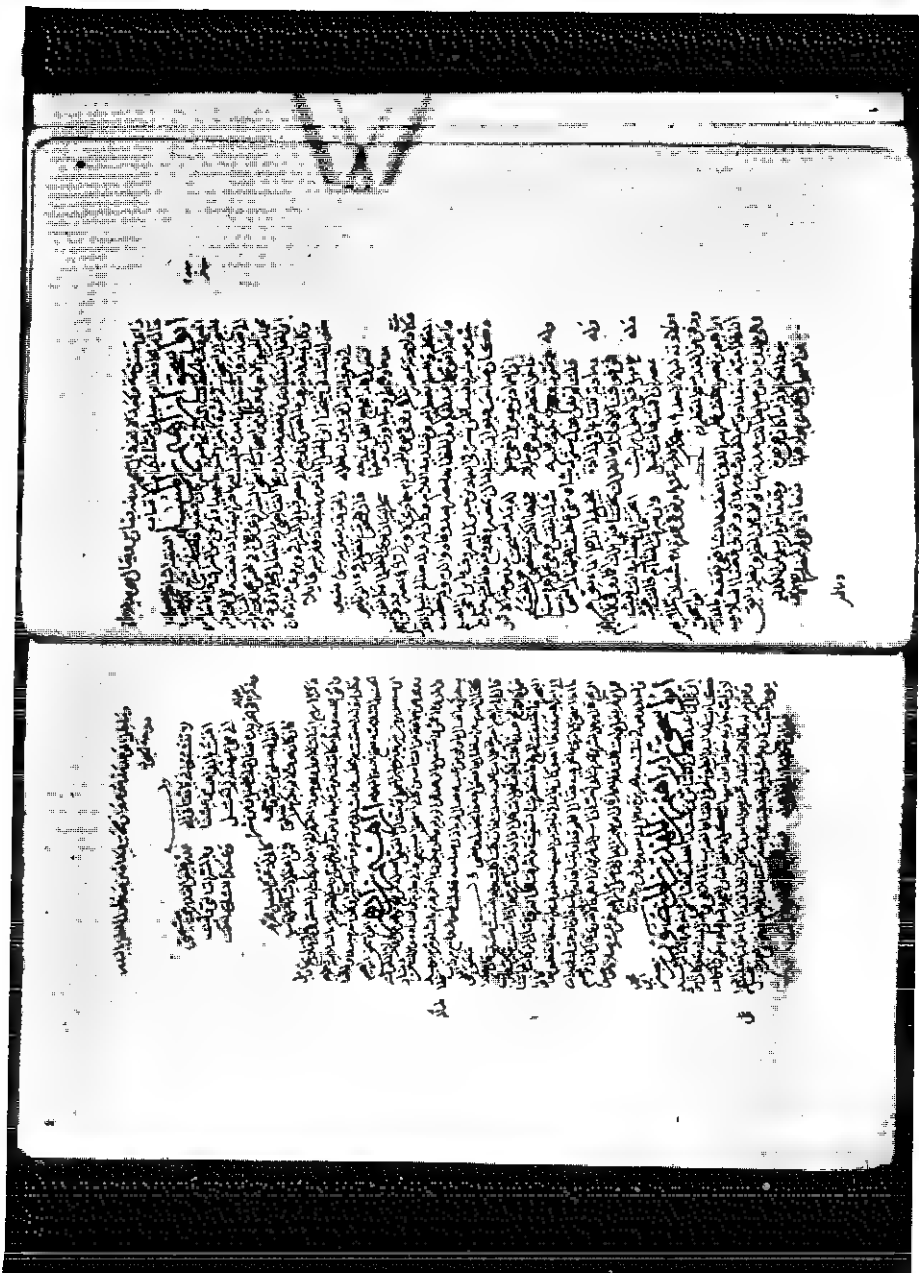
الورقة ٤ من نسخة المجمع العلمي العراقي (مجم)

انما كانا نلتزم على حقبة فليست به وفساد لا ينفق
 الصبر وعلية ففعلنا به وناقصنا ذلك التفتان
 خذها ففعلنا لا ففعلنا انما ففعلنا لا ففعلنا
 داره ففعلنا عليه ففعلنا داره الدار الى ان ففعلنا
 ففعلنا كذا ففعلنا وفعله الى اهله وفعله بانهم
 فيها ففعلنا ففعلنا ففعلنا الى ففعلنا ففعلنا ففعلنا
 الدار كذا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا
 را ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا
 وفعله ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا
 الففلة ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا

لما كانا نلتزم على حقبة ففعلنا به وفساد لا ينفق
 الصبر وعلية ففعلنا به وناقصنا ذلك التفتان
 خذها ففعلنا لا ففعلنا انما ففعلنا لا ففعلنا
 داره ففعلنا عليه ففعلنا داره الدار الى ان ففعلنا
 ففعلنا كذا ففعلنا وفعله الى اهله وفعله بانهم
 فيها ففعلنا ففعلنا ففعلنا الى ففعلنا ففعلنا ففعلنا
 الدار كذا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا
 را ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا
 وفعله ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا
 الففلة ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا ففعلنا



نموذج من النسخة (ت)



نموذج من نسخة المتحف البريطاني (م) ، رقم : ١٥٠٥ التكملة ٦٠٧

ملحقاً

...

١ - مزيد بيان في تخريج التراجم الأصلية

- ٢ - أبو ثور صاحب الشافعي : الفهرست : ٢٩٧ . الانتقاء : ١٠٧ طبقات الشيرازي : ٧٥ ، تهذيب التهذيب ١ : ١١٨ ، طبقات العبادي : ٢٢ ، العبر ١ : ٤٣١ . الشذرات ٢ : ٩٣ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٣٠١ ، الاسنوي ١ : ٢٥ ، ابن قاضي شهبة : ٤١ .
- ٣ - أبو اسحاق المروزي : الفهرست : ٢١٢ ، طبقات الشيرازي : ١١٢ . طبقات العبادي : ٦٨ ، الاسنوي ٢ : ٣٧٥ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٣١ ، ابن قاضي شهبة : ٥٦ .
- ٤ - أبو اسحاق الاسفرائيني : تبين كذب المفتري : ٢٤٣ ، طبقات الشيرازي : ١٠٦ طبقات العبادي : ١٠٤ ، الاسنوي ١ : ٥٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٤ ، الشذرات ٣ : ٢٠٩ . مرآة الجنان ٣ : ٣١ ، ابن قاضي شهبة : ٧٨ .
- ٥ - أبو اسحاق الشيرازي : مختصر ذيل السمعاني ، الورقة : ١٢٥ ، اللباب (الفيروزابادي) تبين كذب المفتري : ٢٧٦ ، ٣١٣ ، ٣٣٢ ، المنتظم (ج ٨ ، ٩) ، الكامل لابن الأثير (ج ١٠) ، عبر الذهبي ٣ : ٢٨٣ ، الشذرات ٣ : ٣٤٩ ، الاسنوي ٢ : ٨٣ ، مرآة الجنان ٣ : ١١٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٥ ، وانظر مقدمتي على طبقات الفقهاء (ط . بيروت ١٩٧٠) .
- ٦ - ابراهيم بن أدهم : الفوات ١ : ٤ (ووفاته سنة ١٦١) .
- ٧ - أبو اسحاق العراقي الخطيب : تكملة اكمال الاكمال : ٢٩٦ . عبر الذهبي ٤ : ٢٩١ ، تكملة المنذري ٢ : ٢١٧ . الاسنوي ٢ : ٢٢١ . السلوك ١ : ١٥٣ . حسن المحاضرة ١ : ٤٠٧ (تحقيق أبو الفضل ابراهيم) .
- ٨ - أبو اسحاق ابن عسكر الموصل : الاسنوي ٢ : ٦١ . وابن الشعار ١ : ٢٢ وقد ذكر أن السلامية قرية من قرى الموصل شرقها ، وتبعد عنها بخمسة فراسخ وأورد له الأبيات الثمانية (٢٤) والأبيات « الاقل لمكي قول النصوح » والبيتين

« أقول له صلي » (٢٥) .

- ١٧ — ابن خفاجة الأندلسي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٦٢٥ .
- ١٨ — إبراهيم الغزي : مختصر ذيل السمعاني ، الورقة : ١٣٣ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٣٠ .
- ٢٠ — أحمد بن حنبل : ابن قاضي شهبة : ٤١ .
- ٢١ — أبو العباس ابن سريج : طبقات الشيرازي : ١٠٨ ، طبقات العبادي : ٧٢ ،
الاسنوي ٢ : ٢٠ ، النجوم الزاهرة ١ : ١٩٤ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٤٦ ، ابن
قاضي شهبة : ٥١ .
- ٢٢ — أبو العباس ابن القاص : طبقات الشيرازي : ١١١ ، طبقات العبادي : ٧٣ ،
الاسنوي ٢ : ٢٩٧ ، الشذرات ٢ : ٣٣٥ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٢٩٤ ، ابن
قاضي شهبة : ٥٧ ، ابن العديم ٢ : ١٨ ورجح أن تكون وفاته سنة ٣٣٦ لأنه
وجد بخط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي قاضي المعرة في مواضع متعددة
من مصنفاته قوله : حدثنا أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري املاءً بطرسوس
في المسجد الجامع سنة ست وثلاثين وثلاثمائة .
- ٢٣ — أبو حامد المروروذي : الفهرست : ٢١٤ ، الوافي ٧ : ١٠ ، طبقات الشيرازي :
١١٤ ، الاسنوي ٢ : ٣٧٧ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٧٥ ، ابن قاضي شهبة : ٦٧ ،
الحسيبي : ٢٧ .
- ٢٤ — أبو الحسين ابن القطان : طبقات الشيرازي : ١١٣ ، الاسنوي ٢ : ٢٩٨ ، البداية
والنهاية ١١ : ٢٦٩ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٧١ .
- ٢٦ — أبو حامد الاسفرايني : طبقات الشيرازي : ١٠٣ ، طبقات العبادي : ١٠٧
المنتظم ٧ : ٢٧٧ ، الاسنوي ١ : ٥٧ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢ ، مرآة الجنان
٣ : ١٥ . ابن قاضي شهبة : ٧٩ ، الحسيبي : ٤٢ .
- ٢٧ — أبو الحسن المحاملي : ابن قاضي شهبة : ٨٠ .
- ٢٨ — أبو بكر البيهقي : الأنساب واللباب (البيهقي) ، تبين كذب المفتري : ٢٦٥
المنتظم ٨ : ٢٤٢ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٤٢ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩٤ ، ابن قاضي
شهبة : ٩٨ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٧٧ ، الشذرات ٣ : ٢٠٤ ، الاسنوي ١ : ١٩٨ ،
مرآة الجنان ٣ : ٨١ ، الحسيبي : ٥٥ ، الرسالة المستطرفة : ٣٣ .
- ٢٩ — النسائي أبو عبد الرحمن : طبقات العبادي : ٥١ ، الاسنوي ٢ : ٤٨٠ ، ابن
قاضي شهبة : ٥٠ ، غاية النهاية ١ : ٦١ ، تهذيب التهذيب ١ : ٣٦ ، النجوم
الزاهرة ٣ : ١٨٨ ، حسن المحاضرة ١ : ١٩٧ ، ابن العديم ١ : ١٠٣ وسماء :

أحمد بن شعيب بن عليّ .

٣١ - أبو اسحاق الثعلبي المفسر : الاسنوي ١ : ٣٢٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٤٠ ، ابن قاضي شهبة : ٩١ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٦ .

٣٣ - أبو نعيم الأصفهاني : المنتظم ٨ : ١٠٠ ، تبين كذب المفتري : ٢٤٦ ، الاسنوي ٢ : ٤٧٤ ، البداية والنهاية ١٢ : ٤٥ ، ابن قاضي شهبة : ٩١ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٣٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٥٢ .

٣٤ - الخطيب البغدادي : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة ٦٣ - ٦٥ ، تبين كذب المفتري : ٢٦٨ ، الاسنوي ١ : ٢٠١ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٦ ، وللأستاذ يوسف العيش كتاب عنه بعنوان « الخطيب البغدادي ، مؤرخ بغداد ومحدثها » (دمشق ١٩٤٥) .

٣٦ - أبو عبيد الهروي : معجم الأدباء ٤ : ٢٦٠ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٢٨ ، الاسنوي ٢ : ٥١٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٣ .

٣٧ - الخوافي ، أحمد بن محمد : تبين كذب المفتري : ٢٨٨ ، الاسنوي ١ : ٤٨٠ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٦٨ ، ابن قاضي شهبة : ١١٤ .

٣٨ - أبو الفتوح أحمد الغزالي : الاسنوي ٢ : ٢٤٥ ، لسان الميزان ١ : ٢٩٣ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩٦ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٢ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٤ ، وله ترجمة مفصلة في تاريخ اربل ، وتقع في أول القطعة المتبقية من هذا التاريخ .

٣٩ - ابن برهان الشافعي : البداية والنهاية ١٢ : ١٩٦ ، الاسنوي ١ : ٢٠٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٥ ، الحسيني : ٧٤ ، وقد ذكر السبكي في ترجمته أن وفاته كانت سنة ٥١٨ ، وأن مولده في شوال سنة ٤٧٩ .

٤٤ - الحافظ السلفي : الاسنوي ٢ : ٥٨ ، ابن قاضي شهبة : ١٤١ ، مختصر ذيل ابن السمعاني ، الورقة : ٩٩ ، وانظر مقدمتي على كتاب « أخبار وتراجم أندلسية » (بيروت ١٩٦٣) .

٤٥ - شرف الدين أحمد بن منعة : ابن قاضي شهبة : ١٦٩ ، مرآة الجنان ٤ : ٥٠ .

٤٧ - أبو العلاء المعري : ابن العديم ١ : ١٩٥ ، وقد أورد رواية السلفي التي ذكرت على الصفحة نفسها (١ : ١٩٨) .

٤٨ - أبو عامر ابن شهيد : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٦٣٥ .

٥٠ - أبو الطيب المتنبي : ابن العديم ١ : ٢٦ وهي من أجود الترجمات التي قرأتها للمتنبي ، ومما جاء فيها (الورقة ٢٦) : وكان نزوله بحلب في محلتنا المعروفة

بآدر بني كسرى ، قال لي والدي : وكانت داره داراً هي الآن خانكاه سعد الدين كشتكين ، ملاصقة لداري . وورد أيضاً فيها (الورقة : ٢٧) قال الربيعي ، قال لي المتنبي : كنت أحب البطالة وصحبة البادية ، وكان يذم أهل الكوفة لأنهم يضيقون على أنفسهم في كل شيء ، حتى في الأسماء ، فيتداعون بالألقاب ، ولما لقيت بالمتنبي ثقل ذلك عليّ زماناً ثم ألفت . وفي الورقة : ٧٣ وذكر ابن الصابي في كتاب الوزراء أن ابن العميد كان يجلس المتنبي في دسسته ويقعد بين يديه فيقرأ عليه الجهمرة لابن دريد ، لأن المتنبي كان يحفظها عن ظهر قلب . قلت : وهي ترجمة نفيسة جداً ، وعلى ضوءها يمكن أن يعاد النظر في ما كتب عن المتنبي .

٥١ - أبو العباس الثامي : ابن العديم ٢ : ٣٤ ، ومما جاء هنالك : كان بكيء الخاطر شديد القول ، إذا أراد أن يعمل شعراً خلا خلوة طويلة أياماً وليالي ، فان نطق في داره جارية أو غلام كاد أن يقتله وانقطع خاطره ، وإذا أراد أن يعمل قصيدة جمع جميع ما للعرب والمحدثين من الشعر على وزن تلك القصيدة ، وجعله حواليه ، ونظر فيه ، حتى يقدح به خاطره ويتحلب (ويحتلب) معانيه ؛ اهـ . ثم أورد نوادر تتصل بهذه الحالة لديه .

٥٤ - أبو الرقعمق : ابن العديم ٢ : ٥١ .

٥٦ - ابن دراج القسطلي : مرآة الجنان ٣ : ٣٨ .

٥٩ - أبو نصر المنازي : ابن العديم ٢ : ١٥٤ ، وقد أورد ابن العديم رواية اجتماعه بالمعري ١ : ٢٠٩ وناقشها وناقش ما كان على مثالا ، واستبعد أن تصدر عن المعري .

٦٠ - ابن الخياط الدمشقي : ذيل مرآة الزمان ٢ : ١٠ .

٦١ - أبو الفضل الميداني : مرآة الجنان ٣ : ٢٢٣ .

٦٢ - ابن الخازن الكاتب : مرآة الجنان ٣ : ٢٢٢ .

٦٣ - ناصح الدين الارجاني : ذيل مرآة الزمان ١ : ٢٤٠ ، الاسنوي ١ : ١١٠ ، المنتظم ١٠ : ١٣٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٢٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٨١ .

٦٤ - ابن منير الطرابلسي : ابن العديم ٢ : ٧٥ .

٦٥ - القاضي الرشيد ابن الزبير : الاسنوي ١ : ١١٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٦٧ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٣٧٣ ، بغية الوعاة : ١٤٦ .

٦٦ - أبو العباس أحمد القطرسي : ابن العديم ١ : ٢٣٤ ، ابن الشعار ١ : ١٥٠ ، وأورد نصّ العماد في الحريدة : « النفيس بن القطرسي شاب مصري فقيه في المدرسة

المالكية بمصر . له خاطر حسن ، ودراية ولسن ، ويدٌ في علوم الأوائل قوية ، وروية من منابع الأدب ومشارعه روية . وقد أورد ابن الشعار وابن العديم بيتيه « يا راحلاً وجميل الصبر يتبعه » وبيتيه « يسر بالعيد أقوام لهم سعة » .
 ٦٧ - أبو العباس أحمد بن هارون الرشيد : التاج (سبت) نقلاً عن خط ابن خلكان ، وذكر أن وفاته كانت سنة ٢٨٣ .

٦٩ - ابن الخطيئة اللخمي : إنباه الرواة ١ : ٣٩ ، وحسن المحاضرة ١ : ١٩٢ .
 ٧٠ - الشيخ أحمد الرفاعي : الاسنوي ١ : ٥٨٩ . البداية والنهاية ١٢ : ٣١٢ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٩٢ . ابن قاضي شهبة : ١٤١ .

٧١ - أحمد بن طولون : ابن العديم ١ : ١٧١ .
 ٧٣ - أبو نصر ابن مروان الكردي : مرآة الجنان ٣ : ٧٤ .
 ٧٥ - عماد الدين ابن المشطوب : ذيل مرآة الزمان ٢ : ٢٢٤ . مرآة الجنان ٣ : ٤٣ .
 ٧٦ - صلاح الدين الاربلي : ابن الشعار ١ : ١٧٣ . خدام جندياً للملك المعظم . وحاجباً بين يديه ثم أبعدته مخدومه وصار إلى الأمير شهاب الدين قراطايا . ورحل في صحبته عن اربل إلى الديار الشامية سنة ٦٠٤ هـ . وابن العديم ١ : ١٦٦ كان صائغاً باربيل . واتصل بخدمة الملك المغيـث بن الملك العادل حين كان باربيل . وكان يغني له . وخدمه وصار حاجباً له . ووصل معه إلى مصر . فلما توفي اتصل بالملك الكامل فنفق عليه وتقدم عنده .

٨١ - أرسلان البساسيري : ابن العديم ٢ : ١٩٦ .
 ٨٢ - نور الدين صاحب الموصل : ابن العديم ٢ : ١٩٦ . مرآة الجنان ٤ : ١٣ .
 ٨٤ - أسامة بن منقذ : مختصر ذيل تاريخ بغداد . الورقة : ١٥٢ . تكملة المنذري ١ : ١٥٨ . ابن العديم ٢ : ٢٠٥ . مرآة الجنان ٤ : ١٤ ، الدارس ١ : ٣٨٤ .
 ٨٥ - اسحاق بن راهويه : ابن العديم ٢ : ٢٢٠ .
 ٨٧ - اسحاق النديم الموصلـي : ابن العديم ٢ : ٢٣٨ .
 ٨٩ - أسعد الميـهني : معجم البلدان (ميهنة) ، عبر الذهبي ٤ : ٧١ . الاسنوي ٢ : ٤٢٤ . ابن قاضي شهبة : ١٣٠ .

٩١ - الأسعد ابن مـماتي : ابن العديم ٣ : ٢٨ . مرآة الجنان ٤ : ١٣ . ابن الشعار ١ : ٤٩ وقال فيه : أصله من نصارى أسيوط . بليد بصعيد مصر . وهو من أهل بيت عريق في الكتابة يتوارثونه . وكان جده أبو المـليـح مماتي كاتباً لبدر الجمالي . وهو كالمستولي على الديار المصرية . ليس على يده يد . وترجم له الصفدي في الوافي

ج ٩ (رقم ٣٦٨٤) وذكر من تصانيفه : تلقين اليقين في الفقه ، وكتاب سرّ الشعر ، وكتاب علم النثر ، وكتاب الشيء بالشيء يذكر ، وعرضه على القاضي فسماه «سلاسل الذهب» وذكر له مؤلفات أخرى .

٩٢ - البهاء السنجاري : السبكي ٥ : ٥٠ ، الاسنوي ٢ : ٦٦ ، الوافي (ج ٩) نقلاً عن ابن خلكان . وابن الشعار ١ : ٥٠٧ قال : وكنيته أبو المعالي ، تفقه ببغداد على أبي القاسم ابن فضلان والمجير أبي القاسم البغداديين ، وبالموصل على القاضي تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الجهنّي ثم على الشيخ القاضي أبي سعد ابن أبي عصرون ، والقاضي أبي الرضى سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الموصلّي ، وولي القضاء بدليس سنين ، وبغيرها من البلاد . اشتهر شعره وغنى به المغنون ، كان شيخاً ظريفاً مفاكهاً متنادراً ، استوزره صاحب حماة وميزه على نظرائه ، وكان ينفذه إلى البلاد رسولاً . ذكره ابن المستوفي في تاريخ اربل ، إذ قدم اربل عدة مرات آخرها سنة ٦٠٤ . قلت : وأبياته التي أولها «وهواك ما خطر السلوبباله» وردت في ابن الشعار : ٥٠٩ وكذلك قوله (ص : ٢١٦) «بنفسي حبيب جار» ، وأكثر مقطعاته وردت في الصفدي أيضاً . ذكر ابن الشعار أن وفاته كانت سنة أربع وعشرين وستمئة (وهذا يخالف ما ذكره المؤلف ص : ٢١٧) .

٩٣ - أبو ابراهيم المزني : طبقات الشيرازي : ٧٩ ، طبقات العبادي : ٩ ، الفهرست : ٢٩٨ ، اللباب (المزني) ، الاسنوي ١ : ٣٤ ، النجوم الزاهرة ٧ : ٣٩ ، الشذرات ٢ : ١٤٨ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٨٥ ، ابن قاضي شهبة : ٤٢ ، الحسيني : ٥ .

٩٤ - أبو العتاهية : ابن العديم ٣ : ١٤٥ .

٩٦ - صاحب ابن عباد : انباء الأمراء : ٣٢ .

٩٩ - الظافر العبيدي : مرآة الجنان ٣ : ٢٩٥ .

١٠٢ - قسيم الدولة آق سنقر : ابن العديم ٣ : ٢٦٨ .

١٠٣ - آق سنقر البرسقي : ابن العديم ٣ : ٢٧٥ .

١٠٤ - أبو الصلت الأندلسي : مرآة الجنان ٣ : ٢٥٣ .

١٠٧ - نجم الدين أيوب : الدارس ٢ : ١٧٤ .

١٢٦ - تميم بن المعز : مرآة الجنان ٣ : ١٦٩ .

١٢٨ - ثابت بن قرة : المنتخب من صوان الحكمة : ١٤٠ .

١٣٢ - جعفر البرمكي : انباء الأمراء : ٢٩ ، وبعض حكايات عنه : ٤٦ .

- ١٣٥ — أبو محمد ابن السراج : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ١٦٦ ، المنتظم ٩ : ١٥١ ، عبر الذهبي ٣ : ٣٥٥ ، الاسنوي ٢ : ٤٥ ، مرآة الجنان ٣ : ١٦٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٩٤ .
- ١٤٤ — الجنيد الصوفي : الرسالة القشيرية ١ : ١٠٥ ، المنتظم ٦ : ١٠٥ ، الاسنوي ١ : ٣٣٤ ، البداية والنهاية ١١ : ١١٣ ، عبر الذهبي ٢ : ١١٠ ، النجوم الزاهرة ٣ : ١٧٧ ، ابن قاضي شعبة : ٤٧ ، الحسيني : ١٠ .
- ١٤٩ — الحجاج بن يوسف : ابن العديم ٤ : ٣ — ٤٣ .
- ١٥٢ — الحارث المحاسبي : الرسالة القشيرية ١ : ٧٢ ، اللباب (القشيري) ، طبقات العبادي : ٢٧ ، عبر الذهبي ١ : ٤٤٠ ، الاسنوي ١ : ٢٦ ، البداية والنهاية ١٠ : ٧٣ ، الشذرات ٢ : ١٠٢ ، ولأستاذ يوسف فان إس دراسة عنه بالألمانية (يون : ١٩٦١) .
- ١٥٤ — حرملة بن يحيى التجيبي : طبقات العبادي : ١٧ ، الانتقاء : ١٠٩ ، الاسنوي ١ : ٢٨ ، مرآة الجنان ٢ : ١٤٣ ، تذكرة الحفاظ : ٤٨٦ ، ابن قاضي شعبة : ٤٣ ، الحسيني : ٥ .
- ١٥٧ — أبو علي الزعفراني : طبقات الحنابلة ١ : ١٣٨ ، طبقات العبادي : ٢٣ ، اللباب (الزعفراني) ، مرآة الجنان ٢ : ١٧١ ، الشذرات ٢ : ١٤٠ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٢٣ ، ابن قاضي شعبة : ٤٣ ، الحسيني : ٧ .
- ١٥٨ — أبو سعيد الاصطخري : تاريخ بغداد ٧ : ٢٦٨ ، طبقات العبادي : ٦٦ ، اللباب (الاصطخري) ، البداية والنهاية ١١ : ١٩٣ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٩٠ ، ابن قاضي شعبة : ٥٧ .
- ١٥٩ — أبو علي ابن أبي هريرة : طبقات العبادي : ٧٧ ، الاسنوي ٢ : ٥١٨ ، عبر الذهبي ٢ : ٢٦٧ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٠٤ ، طبقات الشيرازي : ١١٢ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٦٧ ، ابن قاضي شعبة : ٩٤ ، الحسيني : ٢١ .
- ١٦٠ — أبو علي الطبري : طبقات العبادي : ٨٤ ، المنتظم ٧ : ٥ ، عبر الذهبي ٢ : ٢٨٦ ، الاسنوي ٢ : ١٥٤ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٣٢٨ .
- ١٦١ — أبو علي الفارقي : الاسنوي ٢ : ٢٥٦ .
- ١٦٢ — السيرافي : ابن العديم ٤ : ٢٦٦ .
- ١٦٣ — أبو علي الفارسي : ابن العديم ٤ : ١٤٥ .
- ١٦٥ — ابن رشيق القيرواني : مرآة الجنان ٣ : ٧٨ .
- ١٦٨ — الحسن بن صافي ملك النحاة : ابن العديم ٤ : ٢٢٩ ، الاسنوي ٢ : ٤٩٦ ،

- ابن قاضي شهبة : ١٤٢ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٨٦ ، عبر الذهبي ٤ : ٢٠٤ ،
الشذرات ٤ : ٢٢٧ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٦٨ .
- ١٧١ - ابن وكيع التنيسي : ابن العديم ٤ : ٢٨٣ قال : بعضهم سماه الحسن بن محمد بن
وكيع ، وبعضهم سماه علي بن الحسن بن وكيع وكناه أبا الحسن ، ووقع إليّ
نسخة من شعره صحيحة ابتداءً في أول الديوان : قال قال أبو محمد الحسن بن
علي بن أحمد بن وكيع ، وختمه بقوله : آخر شعر أبي محمد الحسن بن علي بن
وكيع ، قدم حلب ومدح بها سيف الدولة ... الخ . وفي تاريخ وفاته قال :
قرأت في تاريخ مختار الملك المسيحي في حوادث ٣٩٣ ، وفيه - يعني شهر ربيع
الأول - توفي أبو محمد ابن وكيع يوم الثلاثاء لسبع بقين منه ؛ قلت : وهو مخالف
لما أورده ابن خلكان .
- ١٧٣ - أبو الجواهر الواسطي : الفوات ١ : ٢٥٣ وقد وردت فيه الترجمة وكأنها ملخصة
عن وفيات الأعيان .
- ١٧٤ - العلم الشاتاني : ابن العديم ٤ : ٢٠٠ . الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٦١ ، تلخيص
مجمع الآداب ١ : ٥٧٥ ، الاسنوي ٢ : ١١١ .
- ١٧٦ - ركن الدولة ابن بويه : مرآة الجنان ٣ : ٩٣ .
- ١٧٧ - الحسن بن سهل : ابن العديم ٤ : ٢٢٢ ، انباء الأمراء : ٣٠ .
- ١٧٨ - الوزير المهلب : انباء الأمراء : ٣٢ .
- ١٧٩ - نظام الملك : ابن العديم ٤ : ٢٨٦ ، ابن مأكولا : (بزرک) ، مختصر ذيل
تاريخ بغداد . الورقة : ١٨٨ . مرآة الجنان ٣ : ١٣٥ ، وقد أورد ابن العديم
البيتين « بعد الثمانين ليس قوة » نقلاً عن زينة الدهر للحظيري ، وأورد أيضاً
البيتين في رثائه (٤ : ٣٠١) .
- ١٨١ - الكرابيسي صاحب الشافعي : الانتقاء : ١٠٦ . طبقات العبادي : ٢٣ . الاسنوي
١ : ٢٩ ، عبر الذهبي ١ : ٤٥٠ ، الشذرات ٢ : ٣٥٠ ، ابن قاضي شهبة :
٤٣ . النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٩ ، الحسيني : ٦ .
- ١٨٢ - ابن خيران : طبقات العبادي : ٦٧ ، الاسنوي ١ : ٤٦٣ ، عبر الذهبي ٢ : ١٨٤
النجوم الزاهرة ٣ : ٣٣٥ . ابن قاضي شهبة : ٥٢ الحسيني : ١٥ .
- ١٨٣ - القاضي حسين المروروذي : طبقات العبادي : ١١٢ ، الاسنوي ١ : ٤٠٧ .
ابن قاضي شهبة : ١٠٧ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٤٩ ، الشذرات ٣ : ٣١٠ ، مرآة
الجنان ٣ : ٨٥ . الحسيني : ٥٧ .

- ١٨٤ - أبو علي السنجي : معجم البلدان (سنج) اللباب (السنجي) ، الاسنوي ٢ : ٢٠ .
- ١٨٥ - الفراء اليفوي : تذكرة الحفاظ : ١٢٥٧ ، الاسنوي ١ : ٢٠٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٢١٣ ، الشذرات ٤ : ٤٨ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩٣ ، طبقات المفسرين : ١٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٢٣ ، الحسيني : ٧٤ .
- ١٨٦ - أبو عبد الله الحلبي : طبقات العبادي : ١٠٥ ، المنتظم ٧ : ٢٦٤ ، الاسنوي ١ : ٤٠٤ ، تذكرة الحفاظ : ١٠٣٠ ، عبر الذهبي ٣ : ٨٤ ، الشذرات ٣ : ١٦٧ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٤٩ ، ابن قاضي شهبة : ٨١ ، الحسيني : ٤٠ .
- ١٨٧ - الوتبي الحاسب : المنتظم ٨ : ١٩٧ ، معجم البلدان (ون) ، الاسنوي ٢ : ٥٤٣ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٢٢ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٠ .
- ١٩٠ - ابن سينا : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٥٢ ، انباء الأمراء : ٤٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٧ .
- ١٩٣ - الوزير المغربي : مرآة الجنان ٣ : ٣٢ ، ابن العديم ٥ : ١٤ - ٣٠ ، وقد ذكر ابن العديم رسالة له تبين أن الاوارجي خال أبيه ، وأورد كذلك نص ما قاله أبوه فيه (ولد سلمه الله ... الخ) .
- ١٩٤ - ابن خالوية : غاية النهاية ١ : ٢٣٧ ، الاسنوي ١ : ٤٧٥ . النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٩ .
- ١٩٥ = أبو علي الحلياني : مرآة الجنان ٣ : ٤٦ .
- ١٩٦ - البارع الدباس : ابن العديم ٥ : ١٦١ وقد ورد فيه المنقول عن زينة الدهر (في ص ١٨٣) وتاريخ القصيدة ٤٧٣ ، وهي طويلة بأكثر مما ورد في الوفيات .
- ١٩٧ - الطغرائي : ابن العديم ٥ : ١١١ ، انباء الأمراء : ٣٤ .
- ٢٠٣ - الحكم بن عبدل : معجم الأدباء ١٠ : ٢٢٨ .
- ٢٠٧ - أبو سليمان الخطابي : طبقات العبادي : ٩٤ ، الاسنوي ١ : ٤٦٧ ، ابن قاضي شهبة : ٧٤ (تحت اسم : أحمد) ، البداية والنهاية ١١ : ٢٣٦ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٩٩ .
- ٢٠٩ - حنين بن اسحاق : ابن العديم ٥ : ٣١٨ .
- ٢١٢ - خالد بن يزيد بن معاوية : ابن العديم ٦ : ١١١ .
- ٢١٣ - خالد بن عبد الله القسري : ابن العديم ٦ : ٣٤ ، وقد أورد الحكاية المثبتة عن الأصمعي (ص : ٢٢٧) ، ووردت فيه الأبيات اللامية (ص ٢٣٠) .
- ٢١٤ - خالد المهلبي : الفوات ١ : ٢٩٦ .

- ٢١٥ — خالد التميمي : ابن العديم ٦ : ١٢١ .
- ٢١٦ — الخضر بن عقيل الاربلي : الاسنوي ١ : ١١٨ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٣ ،
الشذرات ٥ : ٨٦ .
- ٢٢١ — خمارويه بن طولون : ابن العديم ٧ : ١١ (والترجمة ناقصة من أولها) .
- ٢٢٣ — داود الظاهري : ابن قاضي شهبة : ٤٧ .
- ٢٢٤ — الملك الزاهر : ابن العديم ٦ : ٣٠١ .
- ٢٢٦ — دبيس بن صدقة : ابن العديم ٦ : ٣٠٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٥٦ ، وقد أورد
ابن العديم النص المنقول عن ابن المستوفي (ص ٢٦٤) نقلاً عن وشاح الدمية
(انظر ٦ : ٣١٤) .
- ٢٢٧ — دعلج الخزاعي : ابن العديم ٦ : ٣١٨ .
- ٢٣٠ — ذو القرنين ابن حمدان : مرآة الجنان ٣ : ٥١ .
- ٢٣٣ — الربيع بن سليمان المرادي : طبقات العبادي : ١٢ ، الاسنوي ١ : ٣٩ .
ابن قاضي شهبة : ٤٤ ، عبر الذهبي ٢ : ٤٥ ، الشذرات ٢ : ١٥٩ ، النجوم
الزاهرة ٣ : ٢٨ ، الحسيني : ٦ .
- ٢٣٤ — الربيع بن سليمان الجيزي : طبقات العبادي : ١٦ . الباب (الجيزي) .
الاسنوي ١ : ٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ٤٢ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٢٤٥ ، الشذرات
٢ : ١٠٩ ، الحسيني : ٦ .
- ٢٣٥ — الربيع بن يونس : ابن العديم ٧ : ٤٨ وقال : كان يونس بن محمد شارباً شاطراً
بالمدينة ، فعلق أمة لقوم بالمدينة غلبها على نفسها فجاءت بالربيع ، وأورد القصة
التي أولها « قال له يوماً يا ربيع : سل حاجتك » (ص ٢٩٤) والقصة التي أولها
« وكان أبو جعفر إذا أراد بانسان خيراً ... » الخ (ص ٢٩٥) .
- ٢٣٧ — رجاء بن حيوة : ابن العديم ٧ : ٦٠ .
- ٢٣٩ — روح بن حاتم : ابن العديم ٧ : ١٢٧ .
- ٢٤٠ — الزبير بن بكار : ابن العديم ٧ : ١٤٣ .
- ٢٤١ — أبو عبد الله الزبيري : طبقات الشيرازي : ١٠٨ ، تاريخ بغداد ٨ : ٤٧١ .
الاسنوي ١ : ٦٠٦ ، غاية النهاية ١ : ٢٩٢ .
- ٢٤٥ — عماد الدين زنكي : ابن العديم ٧ : ٢٠٦ ، الدارس ١ : ٦١٦ .
- ٢٤٦ — عماد الدين صاحب سنجار : ابن العديم ٧ : ٢١٦ .
- ٢٤٧ — بهاء الدين زهير : ذيل مرآة الزمان ١ : ١٨٧ — ١٩٧ ، مرآة الجنان ٤ : ١٣٨ ،

ابن العديم ٨: ١٢ وفي نسبه «المكي» ، غير أن «العتكي» ثابتة بخط المؤلف ابن خلكان ، وسياق النص يدل على أنه عاش فترة في مكة ؛ وأورد ابن العديم قصة المراسلة بينه وبين ابن مطروح (ص : ٣٣٦) .

٢٤٩ - التاج الكندي : ابن العديم ٨ : ٩٢ ، الدارس ١ : ٤٨٣ .

٢٥١ - زينب بنت الشعري : مرآة الجنان ٤ : ٣١ .

٢٥٢ - سالم بن عبد الله بن عمر : ابن العديم ٨ : ١٦٧ .

٢٥٦ - سري السقطي : ابن العديم ٨ : ٢٣٢ .

٢٥٧ - السري الرفاء : الفهرست : ١٦٩ ، ابن العديم ٨ : ٢٢٧ وأورد ابن العديم بيتيه «وكانت الابرّة فيما مضى ...» .

٢٥٨ - حيص بيص : الاسنوي ١ : ٤٤٣ ، عبر الذهبي ٤ : ٢١٩ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٨٣ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٠١ ، ابن العديم ٨ : ٢٧١ وأورد أبياته : لا تضع من عظيم قنر ... ، وأبياته : ملكنا فكان العفو ...

٢٥٩ - أبو المعالي الحظيري : ابن العديم ٨ : ٢٦٤ ، وقال : قرأ الأدب على ابن الشجري والحواليقي وأبي محمد ابن الخشاب ، وصحب العبادي الواعظ وكتب عنه شيئاً من محاسن كلامه في الوعظ ، واختار منها ما استحسنته وسمّاه «النور البادي من كلام العبادي» وصحب الشيخ محمد الفارقي الزاهد وجمع محاسن كلامه وسمّاه «الكلم الفارقة في الكلم الالهية» ؛ تفقه على مذهب أبي حنيفة ثم انه خرج من بغداد على قدم الزهد والانتقطاع والسياسة ، فقدم حلب والعواصم واجتمع بأبي نصر ابن القيسراني وسمع منه ببالس شيئاً من شعره ، وله ديوان شعر لطيف النظم صغير الحجم ، وله كتاب «حاطب ليل» ضمنه فوائد ونوادر . ثم قصّ ابن العديم كيف زار أبا المعالي الحظيري مجاهد الدين قايماز لما حجج وأودع عنده ذهباً ثمن كتب فسرقه ابن امرأته ، ثم استرده منه وقد نقص ١٥ ديناراً ؛ وحكى كيف وقف قايماز على باب دكانه ببغداد يسأل عنه ، فلما دلّ عليه قال : «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» وكان الشيخ الحظيري قصيراً طويلاً اللحية على آذانه شعر ، ونزل إليه قايماز وتحدث معه فعظم في عينه ، ولما عاد من الحج سأل أن يذكر له شيئاً من الألغاز فصنف له كتاب الألغاز ؛ وكان دكانه مجمعا لأهل العلم .

٢٦٥ - ابن الدهان النحوي : الاسنوي ١ : ٥٣٧ .

٢٦٩ - سليم الرازي : تبين كذب المقرّي : ٢٦٢ ، عبر الذهبي ٣ : ٢١٣ ، الاسنوي

- ١ : ٥٦٢ ابن قاضي شهبة : ١٠٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٦٤ .
- ٢٧٥ - أبو الوليد الباجي : الفوات ١ : ٣٥٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٠٨ .
- ٢٨٣ - أبو الفتح الأرميني : الاسنوي ١ : ٦٧ ، ابن قاضي شهبة : ١١٥ .
- ٢٨٤ - أبو الطيب الصعلوكي : تبين كذب المفترى : ٢١١ ، الاسنوي ٢ : ١٢٦ ، طبقات العبادي : ١٠٣ ، ابن قاضي شهبة : ٨٣ ، عبر الذهبي ٣ : ٨٨ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٤٧ .
- ٢٨٦ - الأفضل ابن أمير الجيوش : مرآة الجنان ٣ : ٢١١ .
- ٢٩٥ - شقيق البلخي : الفوات ١ : ٣٨٥ وذكر أن وفاته سنة ١٩٤ .
- ٣٠٥ - الأحنف بن قيس : ابن العديم ٢ : ١٦٧ .
- ٣٠٧ - أبو الطيب الطبري : طبقات العبادي : ١١٤ ، المنتظم ٨ : ١٩٨ . تاريخ بغداد ٩ : ٣٥٨ ، الاسنوي ٢ : ١٥٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٠ ، عبر الذهبي ٣ : ٢٢٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٦٣ ، البداية والنهاية ١٢ : ٧٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٧٠ .
- ٣٠٨ - ابن بابشاذ النحوي : مرآة الجنان ٣ : ٩٨ .
- ٣١٠ - سيف الإسلام طغتكين : تكملة المنذري ٢ : ٩٧ .
- ٣١٣ - أبو الأسود الدؤلي : ابن العديم ٩ : ٨ .
- ٣٣١ - القفال المروزي : طبقات العبادي : ١٠٥ ، الاسنوي ٢ : ٢٩٨ ، ابن قاضي شهبة : ٨٣ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٦٥ .
- ٣٣٢ - أبو محمد الجويني : طبقات العبادي : ١١٢ ، تبين كذب المفترى : ١٤٣ .
- دمية القصر : ١٩٦ ، المنتظم ٨ : ١٣٠ ، الاسنوي ١ : ٣٣٨ ، ابن قاضي شهبة : ٩٣ ، البداية والنهاية ١٢ : ٥٥ ، مرآة الجنان ٣ : ٥٨ ، الحسيني : ٤٨ .
- ٣٣٥ - ابن أبي عصرون : تكملة المنذري ١ : ٢٠٠ ، الاسنوي ٢ : ١٩٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٠ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩٣ ، الدارس ١ : ٣٩٩ .
- ٣٣٦ - ابن أسعد الموصلي : الاسنوي ٢ : ٤٤٠ ، مرآة الجنان ٤ : ٣٥ .
- ٣٣٧ - ابن شأس : مرآة الجنان ٤ : ٣٥ .
- ٣٤٦ - ابن صارة الشنبري : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢٥٦ .
- ٣٤٧ - ابن السيد البطليوسي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٥٠٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٨ .
- ٣٤٩ - الشيخ أبو البقاء العكبري : مرآة الجنان ٤ : ٣٢ .

- ٣٥٣ — ابن بري : السبكي ٤ : ٢٣٣ ، تكملة المنذري ١ : ٧٣ ، الاسنوي ١ : ٢٦٧ ،
الدارس ١ : ١٨٤ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٩ (وانظر حاشية انباه الرواة) .
- ٣٦٤ — أبو القاسم الفوراني : الاسنوي ٢ : ٢٥٥ ، اللباب (الفوراني) ، ابن قاضي
شهبة : ١٠٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٩٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٨٤ .
- ٣٦٥ — أبو سعد المتولي : الاسنوي ١ : ٣٠٥ ، ابن قاضي شهبة : ١٠٩ ، مرآة الجنان
٣ : ١٢٢ . الحسيني : ٦٢ .
- ٣٦٦ — فخر الدين ابن عساكر : ابن قاضي شهبة : ١٦١ .
- ٣٧٠ — أبو الفرج ابن الجوزي : تكملة المنذري ٢ : ٢٩١ .
- ٣٧٤ — القاضي الفاضل : تكملة المنذري ٢ : ٢٠٩ ، ذيل الروضتين : ١٧ ، الجامع
المختصر : ٢٨ ، الاسنوي ٢ : ٢٨٢ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٠ ، الدارس
١ : ٨٩ .
- ٣٧٨ — إمام الحرمين الجويني : دمية القصر : ١٩٦ ، العقد الثمين ٥ : ٥٠٧ ، الاسنوي
١ : ٤٠٩ ، الأنساب واللباب (الجويني) ، ابن قاضي شهبة : ١١٢ ، النجوم
الزاهرة ٥ : ١٢١ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٢٨ ، مرآة الجنان ٣ : ١٢٣ ،
الحسيني : ٦١ .
- ٣٨١ — أبو منصور الثعالبي : مرآة الجنان ٣ : ٥٣ .
- ٣٨٥ — أبو القاسم الداركي : الاسنوي ١ : ٥٠٨ ، ابن قاضي شهبة : ٦٩ ، البداية
والنهاية ١١ : ٣٠٤ .
- ٣٩٠ — أبو المحاسن الروباني : الاسنوي ١ : ٥٦٥ ، المنتظم ٩ : ١٦٠ ، ابن قاضي
شهبة : ١٢٤ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٩٧ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٧٠ ، مرآة
الجنان ٣ : ١٧١ .
- ٣٩٢ — أبو منصور البغدادي : الاسنوي ١ : ١٩٤ ، ابن قاضي شهبة : ٩٤ ، البداية
والنهاية ١٢ : ٤٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٥٢ ، الحسيني : ٤٧ .
- ٣٩٣ — أبو النجيب السهروردي : ابن قاضي شهبة : ١٤٣ .
- ٣٩٤ — أبو القاسم القشيري : الاسنوي ٢ : ٣١٣ ، ابن قاضي شهبة : ١١١ ، البداية
والنهاية ١٢ : ١٠٧ ، مرآة الجنان ٣ : ٩١ .
- ٣٩٥ — ابن السمعاني : المنتظم ١٠ : ٢٢٤ ، ابن قاضي شهبة : ١٤٣ ، الاسنوي ٢ : ٥٥٥ .
- ٣٩٩ — ابن الصباغ : الاسنوي ٢ : ١٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ١١٠ ، البداية والنهاية
١٢ : ١٢٦ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١١٩ ، مرآة الجنان ٣ : ١٢١ .

٤٥٦ - أبو الحسن علي بن محمد السخاوي : الاسنوي ٢ : ٦٨ ، ابن قاضي شهبة : ١٨٨ ، مرآة الجنان ٤ : ١١٠ وابن الشعار ٥ : ١٩ وقال في ترجمته : قرأ في بلده على أبي اسحاق ابراهيم بن جبارة السخاوي ، وكان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ، وسمع على أبي اليمن كتاب سيويه والايضاح واللمع وديوان المتنبي وشرحه وقرأ عليه أكثر مسموعاته ، وجع سنة ٥٩٨ ، ومن مصنفاته فتح الوحيد في شرح القصيد ، وهي قصيدة الشاطبي ، والوسيلة إلى كشف العقيلة شرح قصيدة الشاطبي في رسم المصحف ، وكتاب المفضل في شرح المفصل ، وكتاب جمال القراء وكمال الاقراء ، وكتاب تنوير الدياجي في تفسير الأحاجي ، وكتاب تحفة الناسك في معرفة المناسك ، وكتاب سفر السعادة وسفر الآفاده ، وكتاب ذات الحلل ومهارة الكلل فيما اتفق لفظه واختلف معناه .

٤٥٧ - ابن البواب الكاتب : مرآة الجنان ٣ : ٤٢ .

٤٥٩ - علي المروزي السائح : مرآة الجنان ٤ : ٢٢ ، وتاريخ اربل : ١٢٨ وأورد كل ما كتب على مقبرته التي أنشأها لنفسه : وابن الشعار ٥ : ٣٦ وقال في ترجمته : كان والده من أهل هراة خراطاً ، ويعرف بابن الخراط ، ومن مصنفاته : العجائب والآثار ، قال : ورأيت له خطباً من إنشائه وكلاماً منشوراً وشعراً ، وكانت ولادته سنة ٥٤٢ ، وقبره ظاهر المدينة قبليتها على الجادة الآخذة إلى دمشق بئر نسبت إلى ابراهيم الخليل عليه السلام . وكان صوفياً له معرفة بالسيما والتخيالات ، وكانت له بحلب وجاهة ومترلة عند صاحبها الملك الظاهر غياث الدين ، ثم أورد له مقطعات شعرية .

٤٦٠ - عز الدين ابن الأثير : الاسنوي ١ : ١٣٢ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٣ ، مرآة الجنان ٤ : ٧٠ ، البداية والنهاية ١٣ : ١٣٩ ، تاريخ ابن الدبيثي ، الورقة : ١٥٩ .

٤٧٠ - أبو الفتح البستي : الاسنوي ١ : ٢٢١ ، البداية والنهاية ١١ : ٢٧٨ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٠٦ .

٤٧١ - أبو الحسن التهامي : مرآة الجنان ٣ : ٢٩ .

٤٧٥ - أبو الحسن الباخري : معجم الأدباء ١٣ : ٣٣ ، الاسنوي ١ : ٢٣٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٩٥ ، البداية والنهاية ١٢ : ١١٢ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٩٩ .

٤٧٨ - ابن الساعاتي : الغصون اليانعة : ١١٨ وقال ان له ترجمة في تاريخ حلب وفي تاج المعاجم ، وقال : لم ينشأ بدمشق في زمانه أبرع منه صورة ، وبرع في صباه

خطاً وشعراً ولعباً بالشطرنج والنرد وفي الفروسية ، ومن المشهور أنه قرأ في أول أمره على البديع الاطرلابي بآمد؛ وترجم له ابن الشعار (٤: ٢٩٢) وسماه علي بن محمد بن رستم ، وذكر أنه ولد سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٤ .

٤٧٩ - أبو الفضائل الآمدي : الاسنوي ٢ : ٥٤٩ .

٤٨٤ - علي بن محمد الصليحي : مرآة الجنان ٣ : ١٠٣ .

٤٨٥ - العادل ابن السلار : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٨ .

٤٨٦ - الملك الأفضل ابن صلاح الدين : مرآة الجنان ٤ : ٥٢ ، وابن الشعار ٤ : ٤٧٦ وأورد له شعراً كثيراً ، وذكر أن وفاته كانت في الخامس والعشرين من صفر سنة ٦٢٢ .

٤٨٩ - عمارة اليميني : الاسنوي ٢ : ٥٦٥ .

٤٩٥ - ابن البزري : الاسنوي ١ : ٢٥٧ .

٤٩٦ - شهاب الدين السهروردي : تاريخ ابن الدبشي ، الورقة : ١١٧ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٤ ، مرآة الجنان ٤ : ٧٩ ، تاريخ اربل : ١٧٤ وقال في كنيته : أبو نصر وقيل أبو عبدالله وقيل أبو حفص ، وله كتاب حلية الناسك؛ وترجم له ابن الشعار ٥ : ٣١٢ وقال : قدم بغداد شاباً بعد وفاة أبي الوقت السجزي فسمع بها من جماعة منهم أبو المظفر ابن الشبلي وأبو الفتح ابن البطي وأبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي ، تولى ببغداد عدة ربط للصوفية ، وأنفذ للديوان العزيز رسولاً إلى عدة جهات ، ومن مؤلفاته بغية البيان في تفسير القرآن ، وكتاب رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية (منه نسخة بمكتبة برلين : 2078 Spr. 769) صنفه رداً على أصحاب البدع والحكماء والمنجمين ؛ قلت : وأورد ابن الشعار وابن المستوفي أبياته التي أولها «تصرمت وحشة الليالي ...» .

٤٩٧ - أبو الخطاب ابن دحية : تاريخ ابن الدبشي ، الورقة : ١٠٩ ، ذيل مرآة الزمان ٢ : ٤٢١ ، مرآة الجنان ٤ : ٨٤ ، ابن الشعار ٥ : ٣١٥ وفي نسبه ملال بن أحمد ابن بدر ؛ وتحدث عن كتابة التنوير فقال : وهذا كتاب التنوير كنت أحد من سمعه على الملك المعظم مظفر الدين نور الله ضريحه في جمادى الآخرة سنة ٦٢٥ برباط الصوفية المعروف برباط المناظرة قريباً من القلعة المنصورة ؛ وأورد قصيدته «لولا الوشاة وهم ...» التي وجدها ابن خلكان في ديوان ابن ممتاي ، وذكر ابن الشعار أن ابن دحية ولد باغمات ونشأ بسبته وولي القضاء ببر الأندلس بمدينة دانية ؛ قال (٥ : ٣٢١) وأخبرني أبو الروح الحميري الأندلسي قال :

هذا ابن دحية ليس بصحيح النسب وأصله يهودي وكان يلقب باللوة، وأبوه حسن كان يلقب بالزعبطور ، وهو المشوة الخلق العظيم الحلقة بلغة الأندلس المقطع السرموزا وتكون ثيابه مقطعة وسخة ، ابن عليّ ويلقب بالقنوط لفراغه وقلة عقله يريد القصبة الفارغة ، ابن يوسف و لقبه الجميل تصغير الجمل بلغة العامة .

٤٩٨ - أبو علي الشلوبيّ : مرآة الجنان ٤ : ١١٣ .

٤٩٩ - ابن طبرزد : تاريخ اربل : ١٣٧ ، تاريخ ابن الدبّيثي ، الورقة : ١١٦ .

٥٠٠ - ابن الفارض : مرآة الجنان ٤ : ٧٥ .

٥٠١ - تقي الدين صاحب حماة : تكملة المنذري ١ : ٢٩٢ ، الدارس ١ : ٢١٦ .

٥١١ - القاضي عياض : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٥٥٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٨٢ .

٥١٣ - أبو موسى الجزولي : مرآة الجنان ٤ : ١٩ ، ابن الشعار ٥ : ٤٦٠ وقال : قرأ على أبي المنصور ظافر بن الحسين الملكي المصري كتاباً في أصول الدين فنال عندهم حظوة وقبلوه وحسن موقعه عندهم . وقاسى مدة اقامته بمصر ضراً من الفقر والفاقة ، ولم يدخل مدرسة ، وكان يخرج إلى الضياع فيحصل ما يقوم بتفقتة وهو غاية من القلة وضيق المعيشة ، ولما عاد إلى المغرب وصل إلى المرية ونال حظوة عند بني عبد المؤمن ، وتمشت أحواله واكتسب رزقاً ، وندبه الأمير أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن عبد المؤمن لكشف أحوال القضاة والولاة على البلاد ثقة بعدائه وأمانته ، فتوفي في تلك السفارة في دولة الأمير محمد بن يعقوب قبل السنة العاشرة والستمائة . ثم قال ابن الشعار : وكانت وفاته في حدود سنة خمس وستمائة بهسكورة من بلد مراکش .

٥١٥ - الملك المعظم شرف الدين عيسى : الدارس ١ : ٥٧٩ ، مرآة الجنان ٤ : ٥٧ ، ابن الشعار ٥ : ٤٧٢ وقال في ترجمته : حدثته نفسه بتملك البلاد فعات في بعضها وسلط عليها العرب فقطعوا الطرق وأخافوا السبيل ، وذهب بسببه الأموال والأنفس فتقلدها في عنقه ولقي الله تعالى بها ، وامتدت يده في الظلم والمصادرات وظلم جماعة ووصل جورهم وظلمهم إلى خلق كثير ؛ وقال في شعره : ونظم شعراً كثيراً ودون شعره ومعظمه في الافتخار ووصف نفسه بالفروسية والاقدام والحروب والوغي .

٥١٦ - عيسى بن محمد الهكاري : تكملة المنذري ١ : ٢١٣ .

٥٢٠ - غازي بن زنكي : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٣ .

- ٥٢٢ — غازي ابن صلاح الدين : مرآة الجنان ٤ : ٢٧ ، الدارس ١ : ٤٣٢ ، ابن الشعار ٥ : ٤٩٨ قال : وكان موته بأمراض اجتمعت عليه ، ذوسنطاريا وحمى باطنة وحمى نوبة وعسر بول ، ثم نقل إلى المدرسة التي أنشأها مولاه ملول أبو سعيد الطاهري تحت القلعة المنصورة ، وقال أيضاً إن والده أعطاه مملكة حلب سنة ٥٨١ في جمادى الآخرة (وهو مختلف عما قاله ابن خلكان) .
- ٥٢٥ — الفتح بن خاقان : الحريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٦١٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٦٤ .
- ٥٢٦ — فتیان الشاغوري : ابن الشعار ٥ : ٥٣٣ قال : أخذ العلم بالعربية والنحو عن أبي نزار الحسن بن صافي البغدادي الملقب بملك النحاة ، وبعده على أبي اليمن الكندي ، وكان عارفاً بعلم اللغة والاعراب لبيباً عاقلاً أديباً كاملاً ذا سمع حسن وديانة ، وكان معلم الصبيان بدمشق فترك التعليم وقعد لاقراء النحو والآداب العربية ، واستفاد منه خلق كثير ، واشتهر شعره وشاع في الأقطار واستملحوا أولو العلم واستجادوه ؛ وأورد أبياته « قد أجمد الخمر كانون بكل قدح » ومعها بيت رابع . ونقل عن ابن النجار قوله : سألت فتیان بن علي الأسدي عن ولادته فقال : ولدت في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة (راجع الوفيات ص ٢٦ س ٤) .
- ٥٢٧ — الفضل بن يحيى البرمكي : انباء الأمراء : ٢٩ .
- ٥٣٤ — أبو عبيد القاسم بن سلام : ابن قاضي شهبة : ٤٤ .
- ٥٣٥ — القاسم بن علي الحريري : الاسنوي ١ : ٤٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٢٥ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٩١ مرآة الجنان ٣ : ٢١٣ خزنة الأدب ٣ : ٣٨ .
- روضات الجنات : ٥٢٧ .
- ٥٣٦ — القاسم بن الشهرزوري : الاسنوي ٢ : ٩٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٥٠ ، وأورد العماد في الحريدة (٢ : ٣٢٢) قسم الشام البيتين « همّي دونها السها والزباني » ونسبهما إلى ولده محمد بن القاسم .
- ٥٣٧ — ابن فيره الشاطبي : ذيل الروضتين : ٧ ، تكملة المنذري ١ : ٣٨٣ ، الاسنوي ٢ : ١١٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٧ .
- ٥٣٩ — قابوس بن وشمكير : مرآة الجنان ٣ : ١٠ .
- ٥٤٠ — قايماز بن عبد الله الزيني : تكملة المنذري ٢ : ١٥٨ .
- ٥٤٣ — بهاء الدين قراقوش : تكملة المنذري ٢ : ٢٨٠ .
- ٥٥٢ — مجد الدين ابن الأثير : الاسنوي ١ : ١٣٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٦٣ ، إنباء

الأمراء : ٤٥ ، مرآة الجنان ٤ : ١١ ، ابن الشعار ٦ : ٢٧ وقال في ترجمته :
تولى الخزائن لسيف الدين غازي بن مودود بن زنكي ثم ولاه ديوان الجزيرة
وأعمالها ، ثم عاد إلى الموصل فتاب في الديوان عن الوزير جلال الدين الاصمهاني
ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز . ولما عمل لنور الدين أرسلان شاه صار واحداً دولته
حقيقة بحيث أن السلطان نور الدين كان يقصد منزله في مهام نفسه ، ولا يرد
ولا يصدر إلا عن رأيه ويشاوره في الأمور ؛ ومن مؤلفاته الفروق في الأبنية ،
وكتاب المرصع في الأذواء والدوات والآباء والأمهات (مطبوع) وكتاب المختار
في مناقب الأخيار ، وكتاب منال الطالب في شرح الراغب (لدي مصورة منه) ؛
وجمع رسائل الوزير جلال الدين أبي الحسن وسماه الجواهر الآل من إنشاء
المولى الجلال ، وله رسائل غني يجمعها اسماعيل بن علي الكاتب الحظيري وترجمها
بالدر المنثور . وذكر ابن الشعار أن ولادته كانت في إحدى الجماديين (مخالفاً
لقول ابن خلكان) وأورد بيتيه « ان زلت البغلة من تحتة » .

٥٥٣ — المبارك بن منقذ : تكملة المنذري ١ : ٣٥٠ وأبياته الميمية (ص ١٤٦) وردت
في تاريخ اربل : ٢٠٧ .

٥٥٤ — ابن المستوفي : مرآة الجنان ٤ : ٩٥ ، ابن الشعار ٧ : ٣٤ وقد أظن في الثناء
عليه وقال : لما ملك العسكر المستنصري مدينة اربل عنوة واستقر بها وذلك بعد
وفاة مالکها مظفر الدين كوكبوري وتولى إمارتها الأمير أبو المكارم باتكين بن
عبد الله المستنصري ندب صاحب أبا البركات إلى خدمته وعرض عليه الوزارة
وأن يكون نائبه في الأشغال الديوانية وحكمه في الأمر والنهي وألقى إليه مقاليد
الأمر واعتمد عليه وقرر له جارياً سنياً يصل إليه في رأس كل شهر ، فاستغنى
من ذلك وامتنع امتناعاً شديداً واحتج بأنه شيخ كبير ... ولما سلم من التتر وخرج
من اربل سمع به لؤلؤ بن عبد الله البدري فانتدب إليه جمالاً وأبعالاً تحمل متاعه
الذي كان تخلف معه ، فدخل الموصل ، فاستقبله الأمير المذكور بالاكرام
الوافر والتبجيل والحرمة التامة ، وأنزله في دار هُيئت له برسمه ؛ ومن مؤلفاته
كتاب في صناعة البديع . كتاب الممتع المزمع . كتاب الخليل . كتاب جامع
الأوراق . كتاب قناعة الناظر وكفاية المحاضر فيه ملح الاشعار ومختارها . كتاب
مشارك الأنوار ومطالع العذار ؛ أما كتابه في تاريخ اربل فقد سماه « نباهة البلد
الحامل ومن ورد عليه من الأمثال » .

٥٥٥ — الوجيه ابن الدهان : الاسنوي ١ : ٥٣٥ ، مرآة الجنان ٤ : ٢٤ .

- ٥٥٦ - مجلي بن جميع : الاسنوي ١ : ٥١١ ، ابن قاضي شهبة : ١٣٧ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٣٣ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٩٧ ، وكتابه « الذخائر » أورده الاسنوي بالدال المهملة ، وكتب ترجمته تحت ذلك الحرف .
- ٥٥٨ - محمد بن ادريس الشافعي : الاسنوي ١ : ١١ ، والقصيدة المنسوبة لابن دريد في مدحه (ص ١٦٨) منها في الاسنوي (١ : ٥١٧) أبيات ، وانظر ديوان ابن دريد : ٧٧ .
- ٥٦٩ - محمد بن اسماعيل البخاري : ابن قاضي شهبة : ٤٩ .
- ٥٧٠ - ابن جرير الطبري : ابن قاضي شهبة : ٥٥ .
- ٥٧١ - محمد بن عبد الحكم : تذكرة الحفاظ : ٥٤٦ ، غاية النهاية ٢ : ١٧٩ ، الديباج المذهب : ٢٣١ ، تهذيب التهذيب ٩ : ٢٦٠ ، الاسنوي ١ : ٣٦ .
- ٥٧٢ - أبو جعفر الترمذي : الاسنوي ١ : ٢٩٨ ، ابن قاضي شهبة : ٤٩ .
- ٥٧٣ - ابن الحداد المصري : تذكرة الحفاظ : ٨٩٩ ، الاسنوي ١ : ٣٩٨ ، ابن قاضي شهبة : ٦٥ .
- ٥٧٥ - القفال الشافعي : تبين كذب المفتري : ١٨٢ ، ابن قاضي شهبة : ٧٢ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١١١ ، الاسنوي ٢ : ٧٩ ، وانظر الاسنوي ١ : ٣٠٤ في الحديث عن كتاب التقريب وأهميته .
- ٥٧٦ - أبو الحسن الماسرجسي : الاسنوي ٢ : ٣٨٠ ، ابن قاضي شهبة : ٧٧ .
- ٥٧٧ - أبو عبد الله الحنفي : الاسنوي ١ : ٤٦٥ ، ابن قاضي شهبة : ٧٦ .
- ٥٧٨ - أبو سهل الصعلوكي : الانساب (الصعلوكي) ، الاسنوي ٢ : ١٢٤ ، ابن قاضي شهبة : ٧٢ ، النجوم الزاهرة ٤ : ١٣٦ .
- ٥٧٩ - أبو الطيب ابن سلمة : ابن قاضي شهبة : ٥٥ .
- ٥٨٠ - أبو بكر النيسابوري : الاسنوي ٢ : ٣٧٤ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٦١ .
- ٥٨١ - أبو زيد المروزي : تبين كذب المفتري : ١٨٩ ، العقد الثمين ١ : ٢٩٧ ، الاسنوي ٢ : ٢٣٤ .
- ٥٨٢ - أبو بكر الأودني : تبين كذب المفتري : ١٢٩ ، الاسنوي ١ : ٥٤ ، وقد جاء في نسبه بصير (بدل نصر) ونصّ على أنه بالباء الموحدة . وضبط الأودني بفتح الهمزة ، كما نقله ابن الصلاح عن الاكمال لابن ماكولا ، وعن خط ابن السمعاني في الأنساب .

- ٥٨٤ — أبو عبد الله القضاعي : عبر الذهبي ٣ : ٢٣٣ ، الاسنوي ١ : ٣١ ، ٢ : ٣١٢
مرآة الجنان ٣ : ٧٥ .
- ٥٨٥ — أبو عبد الله المسعودي : الوافي ٣ : ٣٢١ ، الاسنوي ٢ : ٣٨٥ ، ابن قاضي
شعبة : ١٥٤ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٠ .
- ٥٨٦ — أبو عاصم العبادي : الاسنوي ٢ : ١٩٠ ، ابن قاضي شعبة : ١٠٣ ، اللباب
(العبادي) ، مرآة الجنان ٣ : ٨٢ ، السبكي ٣ : ٤٢ .
- ٥٨٧ — أبو عبد الله الخضري : الاسنوي ١ : ٤٦٩ .
- ٥٨٨ — أبو حامد الغزالي : مرآة الجنان ٣ : ١٧٧ ، ابن قاضي شعبة : ١٢٧ .
- ٥٨٩ — أبو بكر المستظهري : الاسنوي ٢ : ٨٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٩٤ .
- ٥٩٠ — أبو نصر الارغواني : الاسنوي ١ : ٦٧ ، الشذرات ٤ : ٨٩ ، وقد وهم الاسنوي
فنسب البيتين (على ص ٢٢٢) له ، وهما من قديم الشعر وينسبان للمجنون .
- ٥٩١ — محمد بن يحيى النيسابوري : الاسنوي ٢ : ٥٥٩ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٩٠ ،
الحسيبي : ٧٧ .
- ٥٩٢ — أبو منصور البروي : مختصر ابن اللببتي ، ١ : ١١٦ ، مرآة الزمان : ٢٩٢
البداية والنهاية ١٢ : ٢٦٩ ، الاسنوي ١ : ٢٦٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٨٢ وقال
سبط ابن الجوزي : نصر مذهب الاشعري وبالنسبة في ذم الخنابلة ، وقال : لو
كان لي أمر لوضعت عليهم الجزية ، وكان شاباً مليح الصورة حسن العبارة فصيحاً ،
فيقال إن الخنابلة دسوا عليه من سمه .
- ٥٩٣ — أبو الحسن ابن الخليل : الاسنوي ١ : ٤٨٦ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٠٢ ، البداية
والنهاية ١٢ : ٢٣٧ ، الدرر السافر ، الورقة : ١٤٩ .
- ٥٩٤ — محيي الدين بن زكي الدين : تكملة المنذري ٢ : ٣٥٥ ، الاسنوي ٢ : ٩ ،
الدارس ١ : ٢١٩ .
- ٥٩٥ — السيد السلمي : الاسنوي ٢ : ٥٦ ، ابن قاضي شعبة : ١٤٦ .
- ٥٩٦ — عمدة الدين حفدة : الاسنوي ١ : ٤٤١ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٩٩ .
- ٥٩٧ — نجم الدين الخبوشاني : تكملة المنذري ١ : ٢٩٦ ، الاسنوي ١ : ٤٩٣ ، ابن
قاضي شعبة : ١٥٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٣٣ .
- ٥٩٨ — كمال الدين الشهرزوري : الاسنوي ٢ : ٩٦ ، ابن قاضي شعبة : ١٤٥ .
- ٥٩٩ — محيي الدين الشهرزوري : تكملة المنذري ١ : ٢٤١ ، الاسنوي ٢ : ١٠١ ،
ابن قاضي شعبة : ١٥٦ .

- ٦٠٠ - فخر الدين الرازي : ابن قاضي شهبة : ١٦٥ ، مرآة الجنان ٤ : ٧ ، ابن الشعار ٦ : ١٠٧ قال : كان جده الحسين خطيب الري ، وجده الحسن ولد بمكة ، وكان تاجراً ثرياً سكن الكعبة الحرام أربعين سنة ، كنيته أبو الفضل قرأ العلوم الأولية على مجد الدين الجيلي في أذربيجان ، أقام في الباميان سنين كثيرة عند صاحبها بهاء الدين سام بن محمد بن الحسين بن سام وكسب من جهته أموالاً كثيرة ، وأورد ابن الشعار ثبوتاً بمؤلفاته . وترجم له في البدر السافر ، الورقة : ١٤٠ وقال : صنف ما يزيد على مائتي مصنف ، وكان زيادة على خمسين مملوكاً يقفون على رأسه بمناطق الذهب والفضة وعليهم ثياب الوشي ، واختص بعلاء الدين خوارزمشاه صاحب خوارزم وخراسان ، وكان يجلس إلى جانبه ، ثم انفصل عنه واجتمع بشهاب الدين سام صاحب غزنة وأقام عنده ، وجرت عليه محنة عندما هجم الحشيشية على السلطان فخلصه الله تعالى ، فانصرف إلى مدينة هراة فلزم بها التدريس والعبادة . وقد أورد في البدر السافر الأبيات (نهاية إقدام العقول عقال) ، وحكايته مع ابن عنين .
- ٦٠١ - عماد الدين ابن يونس : الاسنوي ٢ : ٥٦٩ ، ابن قاضي شهبة : ١٦٧ ، مرآة الجنان ٤ : ١٦ ، البداية والنهاية ١٣ : ٦٢ .
- ٦٠٢ - معين الدين الجاجرمي : الوافي ٢ : ٨ ، الاسنوي ١ : ٣٧٤ ، مرآة الجنان ٤ : ٢٧ .
- ٦٠٥ - أبو بكر الطرطوشي ، الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢١١ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٢٥ .
- ٦٠٨ - أبو بكر الباقلاني : مرآة الجنان ٣ : ٦ .
- ٦١٠ - أبو بكر ابن فورك : انباه الرواة ٢ : ١١٠ ، الاسنوي ٢ : ٢٦٦ ، ابن قاضي شهبة : ٨٦ ، مرآة الجنان ٤ : ١٧ .
- ٦١١ - أبو الفتح الشهرستاني : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ١٤١ ، الاسنوي ٢ : ١٠٦ ، ابن قاضي شهبة : ١٣٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٨٩ ، لسان الميزان ٥ : ٢٦٣ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٣٠٣ ، وقد ورد البيتان «يا راحلين بمهجة» (ص : ٢٧٥) في الاسنوي ونسبهما للشهرستاني نفسه .
- ٦١٥ - الحاكم النيسابوري : الاسنوي ١ : ٤٠٥ ، ابن قاضي شهبة : ٨٧ ، مرآة الجنان ٣ : ١٤ ، البداية والنهاية ١١ : ٣٥٥ ، النجوم الزاهرة ٤ : ٢٣٨ ، الحسيني : ٤١ .

٦١٦ — أبو عبد الله الحميدي : البدر السافر ، الورقة : ١٤٦ ، مرآة الجنان ٣ : ١٤٩ ،
مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة : ٢٩ .

٦١٧ — أبو عبد الله المازري : مرآة الجنان ٣ : ٢٦٧ .

٦١٨ — أبو موسى الاصبهاني : البدر السافر ، الورقة : ١٤٤ قال : قرأ القراءات وتفقه
على مذهب الشافعي على أبي عبد الله الحسن بن العباس الرستمي ، وقرأ النحو
واللغة حتى تميز فيها ، وله التصانيف المفيدة منها أسماء الصحابة ، والأُمالي
الكبير ، وكتاب اللطائف ، وعوالي التابعين ، وكان ثقة ديناً صالحاً ، وكان
مواضعاً يقرء كل من أراد ، والمديني نسبة إلى المدينة العتيقة بشهرستان المتصلة
باصبهان ، وهي مدينة جي .

٦١٩ — محمد بن طاهر المقدسي : مرآة الجنان ٣ : ١٩٥ ، البدر السافر ، الورقة : ١٠٨
قال : كان متقناً حادّ القريحة ، روى عنه الكبار والأئمة الحفاظ ، وله نظم جيد
منه برواية السلفي :

أشارت إليّ بعنّابة مخضبة من دم الأفئدة
وقالت على العهد يا سيدي فقلت إلى الحشر يا سيده

ووثقه غير واحد ، وقال ابن منده : ابن طاهر أحد الحفاظ ، حسن الاعتقاد
جميل الطريقة صدوق عالم بالصحيح والسقيم ، وقال السلفي : سمعته يقول ،
كتبت صحيح البخاري ومسلم وأبي داود سبع مرات بالوراقة ، وسنن ابن
ماجه عشر مرات . وكان يمشي على الدوام في اليوم واللييلة عشرين فرسخاً .
وقال عنه بعضهم : كان صوفياً ملامتياً . وقال ابن ناصر : صنف ابن طاهر
كتاباً في جواز النظر إلى المرد . وقال ابن عساكر : جمع الحفاظ ابن طاهر
أطراف الكتب وأخطأ في مواضع خطأ فاحشاً .

٦٢٢ — أبو عبد الله الفراوي : تبين كذب المفترّي : ٣٢٢ ، الاسنوي ٢ : ٢٧٦ ،
السبكي ٤ : ٩٢ ، مرآة الزمان : ١٦٠ .

٦٢٣ — أبو بكر الآجري : طبقات أبي يعلى : ٣٣٢ ، الاسنوي ١ : ٧٩ ، مرآة الجنان
٢ : ٣٧٣ .

٦٢٤ — محمد بن ناصر السلمي : البدر السافر ، الورقة : ١٦٩ قال : كان والده من
أولاد الأتراك ، فتوفي وابنه هذا صغير فتكفله جده وشغله بالقرآن ، وأسمعه
الحديث والفقه على مذهب الشافعي ، ثم صحب الخطيب التبريزي وقرأ عليه
الأدب وشرحه لديوان المتنبي . وكان كثير الحفظ متقناً نحوياً لغوياً

- أصوله في غاية الصحة والاتقان ، بصيراً بهذا الشأن، ثقة نبيلًا حسن الطريقة متدينًا متعففًا ، وقال المنذري : توفي سنة احدى وخمسين وخمسمائة .
- ٦٢٥ - أبو بكر الحازمي : تاريخ اربل : ٩٦ ، الروضتين ٢ : ١٣٧ ، تكملة المنذري ١ : ١٤٥ ، الاسنوي ١ : ٤١٣ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٧ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٢٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ٣٣٢ ، الحسيني : ٨٠ .
- ٦٢٦ - أبو بكر ابن العربي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢٢٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٧٩ .
- ٦٢٧ - أبو بكر النقاش : المنتظم ٧ : ١٤ ، الاسنوي ٢ : ٤٨٣ ، لسان الميزان ٥ : ١٣٢ طبقات المفسرين : ٢٩ .
- ٦٣٧ - ابن دريد : الاسنوي ١ : ٥١٦ ، ابن قاضي شهبة : ٦٠ .
- ٦٣٩ - أبو منصور الأزهري : اللباب (الأزهري) ، عبر الذهبي ٢ : ٣٥٦ ، الاسنوي ١ : ٤٩ ، الحسيني : ٣٠ .
- ٦٥١ - أبو بكر الزبيدي : المحمدون : ٢٠٧ .
- ٦٥٣ - الأمير المختار المسيحي : مرآة الجنان ٣ : ٣٦ .
- ٦٥٩ - المسعودي البندمي : معجم الأدباء ١٨ : ٢١٠ ، معجم البلدان (بنج ديه) ، تكملة المنذري ١ : ١٣٧ ، مرآة الجنان ٣ : ٤٢٨ ، ميزان الاعتدال ٣ : ٦٢٨ ، بغية الوعاة : ٦٦ ، الاسنوي ١ : ٤٣١ ، ٢ : ٤٥٨ ، البدر السافر ، الورقة : ١١١ وقال في ترجمته : وذكره المنذري في تاريخ مصر وقال : قدم مصر قديماً ، ثم قدمها ثانياً رسولاً وحدث بها وكتب عنه الحافظ السلفي أناشيد ، وكان واسع الرواية كثير الدراية ؛ وقال المنذري : نقلت من خط المسعودي ولدت ... الخ (وهو ما أورده ابن خلكان ص ٣٩٠ - ٣٩١) ، وقال ابن النجار : توفي ليلة السبت سابع عشرين الشهر ... وكان من الفضلاء في كل فن من الفقه والحديث والأدب ؛ وأورد له صاحب البدر السافر أبياته التي أولها « قالت عهدتك تبكي ... » .
- ٦٦٠ - ابن نقطة : مرآة الجنان ٤ : ٦٨ .
- ٦٦١ - ابن الديبشي : تاريخ اربل : ١٧٧ ، البدر السافر ، الورقة : ١٠٥ ، الاسنوي ١ : ٥٤١ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٥ ، مرآة الجنان ٤ : ٩٥ ، التاج الزاهرة ٦ : ٣١٧ وقال ابن المستوفي في ترجمته : سمع عليه الحديث باربل وسمع من مشايخها ولم يكن قديم الرواية ، وفي ذكر بلده قال : وكانت تدعى ذو بيتا فعربت ، وكتبها في البدر السافر ديبتا - بآثاء المثناة - وكذلك وردت نسبته

« الدبتي » . وأورد له صاحب البدر السافر أبياته التي أولها « خبرت بني الأيام
طراً ... » (ص ٣٩٤) .

- ٦٦٧ - الشريف الرضي : مرآة الجنان ٤ : ١٨ .
٦٦٩ - ابن عمار الأندلسي : مرآة الجنان ٣ : ١٢٠ .
٦٧٠ - ابن ماجه : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٢٨٣ .
٦٧٢ - أبو بكر ابن زهر : مرآة الجنان ٣ : ٢٤٥ .
٦٧٣ - ابن حيوس : المحدثون : ٣٦٣ ، مرآة الجنان ٣ : ١٠١ .
٦٧٤ - أبو المظفر الابيوردي : مرآة الجنان ٣ : ١٩٦ .
٦٧٥ - ابن أبي الصقر الواسطي : الاسنوي ٢ : ١٤٠ .
٦٧٦ - ابن الهبارية : مرآة الجنان ٣ : ١٩٨ ، البدر السافر ، الورقة : ١٥٦ وقال في
ترجمته : والهبارية أم أحد آبائه من ولد هبار بن الأسود بن المطلب . كان فاضلاً
أديباً بارعاً شاعراً بليغاً عارفاً بالأنساب ونقد الشعر ، سمع الحديث من مالك
ابن أحمد البائلي وغيره ، ونشأ ببغداد وقرأ بها الأدب ، واعتذر عن مجونه
في ديباجة ديوانه فقال : ان المهم قد قصرت ، وصار الناس لا يجيزون إلا على
ردء الشعر وسخيفه فسلكت ذلك فصار لي طبعاً . بالغ حتى هجا أباه وأمه
وأكابر الدولة ، فأطبع دمه فاخفى ورحل إلى اصبهان فاشتهر بها ومشى حاله ،
ثم عاد له طبعه فهجا الوزير نظام الملك فأهدر دمه ، فاخفى ، وشفع فيه أبو بكر
ابن ثابت الجعفي ، ورحل إلى كرمان . وله من الكتب : كتاب المجدي
صنفه لمجد الملك القمي ، وكتاب ردّ فيه على أبي محمد الغندجاني ، وكتاب سماه
زجر التايح انتصر فيه لأبي العلاء المعري على من ردّ عليه مواضع في سقط الزند ،
وكتاب ذكر الذكر وفضل الشعر ، وكتاب مجانين العقلاء ، وله أرجوزة ذمّ
فيها الخوانق والمدارس . وأورد له صاحب البدر السافر بيتيه « خذ جملة البلوى ... »
(ص ٤٥٥) وأورد قول العماد في وفاته ، ثم ذكر تاريخاً آخر لوفاة هو سنة ٥٠٩
٦٧٧ - ابن القيسراني : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٧ ، البدر السافر ، الورقة : ١٧١ .
٦٧٨ - محمد بن ابراهيم الكيزاني : المحدثون : ١١١ ، البدر السافر ، الورقة : ٦٨
وفي نسبه « فرج » - بالجم المنقوطة - وقال : قرأ القراءات على أبي الخير وسمع
من أبي الحسن القراء الموصلي وأبي الحسن علي بن ابراهيم البغدادي وأبي طاهر
محمد بن محمد ، وروى عنه كثيرون ، وكان ينسب إلى بدعة ويقول يقدم الأعمال
وبشيء من التنجيم .

٦٧٩ — الأبله الشاعر : البدر السافر ، الورقة : ٨٣ وقال في ترجمته : من شعراء الديوان ببغداد ، وله حكايات في التغفل أوردها ابن النجار الحافظ ، منها أن أمه أعطته شيئاً وقالت له اجعله في الشمس واجلس عنده ، ولا تتركه تأكله العصافير ، فتركه ونزل ، وقال : تركته في موضع عال ورفعت السلم فما يصل إليه العصفور فلهذا قيل له الأبله ؛ وقيل كان غاية في الذكاء فقيل أبله ، من أسماء الأضداد ؛ سئل عن مولده فقال : سنة عشرين وخمسمائة ، وأورد له البيت « لا يعرف الشوق إلا من يكابده » (ص ٤٦٤) والبيتين « دارك يا بدر الدجى جنة » (ص ٤٦٥) .

٦٨٠ — سبط ابن التعاويذي : تكملة المنذري ١ : ١٨٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٣٠٥ .
٦٨١ — ابن المعلم الشاعر : تكملة ابن المنذري ٢ : ٤٠ ؛ قلت : وديوانه مخطوط ، بمكتبة جامعة استانبول رقم : ٩٥٠ وهو في ٨٠ ورقة ، وبنار الكتب المصرية نسخة أخرى برقم ٩٦٠٣ أدب .

٦٨٣ — أبو شجاع الفرضي : البدر السافر ، الورقة : ١٣٢ ، انباه الرواة ٣ : ١٩١ الاسنوي ١ : ٥٣٨ ، تكملة المنذري ١ : ٣٩٧ — ٣٩٨ ، وذكر القفطي رحلته إلى مصر ثم قال : ودخل الناس إليه للأخذ ، وكنت فيمن دخل عليه فرأيت شيخاً دمهم الخلقة مسنون الوجه مسترسل اللحية خفيفها ، أبيض تعلوه صفرة ... ولم ترتفع له بمصر درجة ، فانه حضر إليه جماعة من أهل العلوم التي يدعيها وحاضروه فيها فقصر فلم ينفق وهجره الناس ، فخرج من مصر بغير طائل ، وعاد إلى دمشق .

٦٨٤ — ابن عنين الشاعر : مرآة الجنان ٤ : ٧١ ، الحوادث الجامعة : ٥١ ، ابن الشعار ٦ : ٢٠٠ ونسبه فيه محمد بن نصر بن مكارم بن الحسين بن علي بن محمد بن غالب ابن عنين الأنصاري ، وقد ذكر أن ابن عنين رتب ديوانه ، فابتدأ بمدائح الملوك ومن يليهم من الوزراء وغيرهم ، ثم أتى بالمرائي ثم بالأهاجي ثم ما نظمته من الوقائع التي اتفقت له ، ثم بما سنع له من الأغاز المعجزة والأجوبة عنها ، ثم ختم الديوان بما ورد في شعره من الأبيات النحوية ؛ قلت : وهذا مخالف لقول ابن خلكان (ص : ١٧) ولم يكن له غرض في جمع شعره فلذلك لم يدونه .

٦٨٦ — المعتمد بن عباد : لمرآة الجنان ٣ : ١٤٧ .

٦٨٨ — ابن تومرت : مرآة الجنان ٣ : ٢٣٢ .

٦٩٠ — ركن الدين طغرل بك السلجوقي : مرآة الجنان ٣ : ٧٦ .

٦٩٢ — محمد بن ملكشاه : مرآة الجنان ٣ : ٢٠٠ .

- ٦٩٣ - الملك العادل ابن أيوب : الدارس ١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٢٦٢ .
- ٦٩٤ - الملك الكامل الأيوبي : مرآة الجنان ٤ : ٩٠ ، الدارس ٢ : ٢٧٧ .
- ٦٩٧ - أبو الفضل ابن العميد : المنتخب سن صوان الحكمة ، الورقة : ١٥٧ .
- ٦٩٨ - ابن مقلة : إنباء الأمراء : ٣١ .
- ٦٩٩ - ابن بقية : إنباء الأمراء : ٣١ .
- ٧٠٠ - فخر الملك الوزير : مرآة الجنان ٣ : ٢٠ .
- ٧٠٥ - العماد الأصفهاني : تكملة المنذري ٢ : ٢٨٦ ، الاسنوي ٢ : ٣٥٤ ، البدر السافر الورقة : ١٥٥ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٥ ، الدارس ١ : ٤٠٨ .
- ٧٠٦ - أبو نصر الفارابي : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٣٠ .
- ٧٠٧ - أبو بكر الرازي : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٢١ .
- ٧٠٩ - أبو عبد الله البتاني : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٢٩ .
- ٧١٠ - أبو الوفاء المهندس : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٨٤ .
- ٧١١ - أبو القاسم الرنخسري : مرآة الجنان ٣ : ٢٦٩ .
- ٧١٢ - أبو طالب محمود بن علي الأصبهاني : الاسنوي ٢ : ٧٥ ، ابن قاضي شهبة : ١٥٨ مرآة الجنان ٣ : ٤٣١ .
- ٧١٥ - نور الدين ابن عماد الدين زنكي : الدارس ١ : ٣٣١ ، ٦٠٧ .
- ٧١٨ - مسعود بن محمد الطريثي : الاسنوي ٢ : ٤٩٨ ، مرآة الجنان ٣ : ٤١٣ ، الدارس ١ : ٨٣ .
- ٧٢٠ - غياث الدين مسعود السلجوقي : مرآة الجنان ٣ : ٢٨٥ .
- ٧٢٤ - مظفر بن ابراهيم العيلاني : مرآة الجنان ٤ : ٥٤ .
- ٧٢٨ - المستنصر العبيدي : مرآة الجنان ٣ : ١٤٥ .
- ٧٣٠ - المعز بن باديس : مرآة الجنان ٣ : ٧٥ .
- ٧٣٨ - أبو الحرم مكى الماكسني : مرآة الجنان ٤ : ٤ ، الغصون اليانة : ٨٣ وذكر أنه وقف على ترجمته في تاريخ اربل وتاريخ ابن الساعي ، وأبياته التي أولها « سئمت من الحياة » وردت في البدر السافر ، كما أن بيتيه « إذا احتاج النوال إلى شفيع » وردا في البدر السافر والغصون اليانة وكذلك بيتاه « على الباب عبد يسأل الاذن طالباً » وتاريخ وفاته الذي أورده المؤلف هو ما ذكره المنذري ، وقال ابن سعيد : توفي سنة اثنتين وسثمائة .
- ٧٤٠ - ملكشاه السلجوقي : مرآة الجنان ٣ : ١٣٩ .

- ٧٤٠ - منصور بن اسماعيل الفقيه : طبقات العبادي : ٦٤ ، طبقات الشيرازي : ٨٨ ،
الاسنوي ١ : ٢٩٩ ، ابن قاضي شهبة : ٥٦ ، الحسيني : ١٢ .
- ٧٤٧ - كمال الدين ابن يونس : ابن أبي أصيبعة ١ : ٣٠٦ ، الاسنوي ٢ : ٥٧٠ ،
مرآة الجنان ٤ : ١٠١ ، ابن قاضي شهبة : ١٧٩ .
- ٧٤٩ - الملك الأشرف موسى : الدارس ٢ : ٢٩٢ .
- ٧٥٣ - المؤيد الألوسي : الفوات ٢ : ٧٦ ، معجم الأدباء ١٩ : ٢٠٧ ، الشذرات
٤ : ١٨٥ ، الخريدة (قسم العراق) ٢ : ١٧٢ .
- ٧٥٥ - مهيار الديلمي : مرآة الجنان ٤ : ٤٧ .
- ٧٦١ - أبو المرهف النميري : تكملة المنذري ١ : ٣٠٩ .
- ٧٦٣ - ضياء الدين ابن الأثير : الاسنوي ١ : ١٣٣ ، ذيل مرآة الزمان ١ : ٦٥ ، بنية
الوعاة : ٤٠٤ . ابن الشعار ٩ : ٥١ وقال في ترجمته : أخذ معرفة الحساب
على الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان الأنصاري الجزري .
وجالس الشيخ أبا الحرم مكّي بن زيان النحوي المقرئ الماكسي بالموصل ، أقام
في الموصل مدة في خدمة قايمآز الزيني وربما كان يكتب له الانشاء ، ثم اتصل
بعد ذلك بصلاح الدين ، ولما اتصل ببدر الدين لؤلؤ كان مدة مقامه بالموصل
مشتغلاً بالتصنيف وجماعة من الناس يختلفون إليه ويقتبسون من فوائده ،
إلا أنه كان كثير الحماقة متناقض الأحوال متهوراً في أموره سفيه اللسان جهاً
لمن يخاطبه ، ولو كان ملكاً أو سلطاناً ، ممقوتاً إلى الناس شرس الأخلاق سريع
الغضب متكبراً في نفسه ذا عجب عظيم وصلف زائد ، وكان بطيء القريحة
جامد الخاطر . بل انه كان جيد الروية صحيح الفكرة ، إذا رام كتابة كتاب
أغلق باب داره ، وأدام الفكر ويكتب ويخرق ما يكتبه ويعاود النظر فيه زماناً
طويلاً .
- ٧٧٤ - ابن الشجري : الفوات ٢ : ٦١٠ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٧٥ .
- ٧٧٧ - ابن سناء الملك : مرآة الجنان ٤ : ١٧ .
- ٧٧٨ - هبة الله البوصيري : تكملة المنذري ٢ : ٣٢٦ .
- ٧٧٩ - أمين الدولة ابن التلميذ : تاريخ الحكماء للبيهقي : ١٤٤ .
- ٧٨٩ - ياقوت الرومي أبو الدر : ترجم له ابن الشعار ٣ : ٣٧٠ تحت اسم « عبد الرحمن بن
عبد الله ابن أبي المحاسن » . قال : وكان تالياً للقرآن مشغوفاً بمذهب الامامية
والتعصب لهم . كثير الميل إلى أهل البيت صلوات الله عليهم . وذكر أنه مولى

منصور (لا أبي منصور) الجيلي ، وأورد القصيدة التي منها البيت « خليلي لا والله
ما جن غاسق ... » وبعده في ابن الشعار :

أحب سواد الليل حباً لشادن يواصلني ليلاً وصباحاً يفارق
إذا سمعت قلبي الصبر زاد تشوقاً فقلبي مشوق واصطباري شائق
بروحي من روحي تساق إذا حدا مطايا حادي الين أو ساق سائق

وهي في ثمانية أبيات . وأورد له قصيدته التي مطلعها « ان غاض دمعك والأحباب
قد بانوا ... » وكذلك أبياته التي أولها « جسدي لبعذك يا مثير بلابي » وهي
هناك طويلة .

٧٩٠ - ياقوت الحموي : ابن الشعار ٩ : ٣٣٧ وقال : ضنين بما يجمع وربما سئل عما
يعرفه فلا يجيب ، شاهدته بالموصل وهو كهل أشقر أحمر اللون أزرق العينين
وكانت بينه وبين أخي صداقة وأنس تام ، وذكر من مؤلفاته : ضرورات
الشعر . مختصر تاريخ بغداد . كتاب الأبنية . وأبياته الواردة ص ١٣٨ وأولها
« ومولد للترك تحسب وجهه » وردت عند ابن الشعار (٩ : ٣٤٢) .

٧٩٣ - يحيى بن أمّك : جمهرة الاسلام ، الورقة : ٤٠ .
٨٠٣ - ابن بقي القرطبي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٣٠ .
٨٠٤ - الخطيب الحصكفي : الاسنوي ١ : ٤٣٨ ، امرأة الجنان ٣ : ٢٩٨ .
٨٠٦ - يحيى بن خالد البرمكي : انباء الأمراء : ٢٩ .
٨٠٧ - عون الدين ابن هبيرة : انباء الأمراء : ٣٣ ، وورد في ابن الشعار ١ : ٢١٧
في نسب أحمد بن ظفر بن محمد بن هبيرة اسم « سعيد » بدلاً من سعد ، وعمر
بدلاً من عمرو ، ومرة بن ذهل ، وسقط « همام » .

٨١١ - ابن مطروح : ذيل مرآة الزمان ١ : ١٩٧ .

٨١٣ - أبو الفتوح السهروردي : الاسنوي ٢ : ٤٤٢ .

٨٢٦ - أبو عوانة الحافظ : الاسنوي ٢ : ٢٠٣ .

٨٣٢ - يعقوب المنجنيقي : انباء الأمراء : ١١٨ .

٧٣٣ - ابن يعيش : مرآة الجنان ٤ : ١٠٦ .

٨٤٤ - يوسف بن تاشفين : مرآة الجنان ٣ : ١٦٣ .

٢ - مزيد بيان في تخريج التراجم العارضة والتعريف ببعض الاعلام

- 3 - رضي الدين الجيلي الشافعي : البداية والنهاية ١٢ : ١٤١ ، الاسنوي ١ : ٣٧٦ ؛
وكتابه في الفقه اسمه الإكمال .
- ج: ١ ص: ١٨٩ س: ١ : أبو محمد الحسن بن جكيننا : مختصر ذيل تاريخ بغداد ، الورقة :
٩٢ ، القوات ١ : ٢٢٨ ، مختصر ابن الدبئي : ٢٧٥ ، مرآة الزمان ٥٤٢ ، الخريدة
(قسم العراق) ٢ : ٢٣٠ ، الشذرات ٤ : ٨٨ ، واسمه في هذا الموضع من
المسودة مطموس ، ولكنه ورد بالخط بخط المؤلف (ج ٧ : ٢٢٤) وفي بعض
المصادر بالحاء المهملة ، وضبطه صاحب التاج (٩ : ١٨٣) بالحاء المهملة المكسورة
والكاف المكسورة المشددة .
- 7 - جلدك التقوي : القوات ١ : ٢٠٩ ، الشذرات ٥ : ١٢٧ وراجع الجزء الأول
من السلوك للمقريري .
- ج: ١ ، ص : ١٩٧ ، س : ٢ : نشوء الدولة أبو الحسن ابن المنجم : البدر السافر ، الورقة :
٢٠٥ ، وسمّاه نشوء الدولة ابن علي ، ونقل ما أورده ابن خلكان في تسميته ،
ثم أورد أبياته التي أولها « أقول وقد عاينت دار ابن صورة ... » .
- ج: ١ ص: ٢٠٣ س: ١٦ : ابن باطيش : ذيل مرآة الزمان ١ : ٥٤ ، ابن قاضي شعبة :
١٨٢ ، ابن العديم ٣ : ١٩٨ .
- II - عبد الرحمن بن السنينيرة : القوات ١ : ٥٥١ ، ابن الشعار ٣ : ٤٦٧ ، وقال :
شاهدته بمدينة الموصل سنة ٦٢٢ وهو شيخ كبير ، وسألته عن ولادته فذكر
أنه ولد بواسط سنة ٥٤٧ أو ٥٤٩ ، وبلغني أنه توفي بواسط سنة ٦٢٦ . وكان
ينتجع الناس باشعاره ويطوف البلاد ، وكان من عوام الشعراء ، قليل الآلة
في صناعة القريض ، ذا بضاعة في الأدب مزجاة ، إلا أن له طبعاً يعينه في إنشاء
الشعر لا غير . سأله ابن الشعار : هل يروي شعراً لابن المعلم وللأبله ، فقال :
أنا أسحب ذيلي عليهما فضلاً ، وذكر أنه لم ير أعسر منه أخلاقاً ، ولا أجفى
في إنشاد الأشعار . أقام في إربل مدة وقصد صنها ابن المستوفي .

ج: ٢، ص: ١٠٦، س: ٩ - ١٠ شهاب الدين ابن الخيمي: القوات ٢: ٤٨٣،
البدر السافر، الورقة: ١٢٩.

ج: ٢، ص: ١٧٤، س: ١٥ حسّان بن المفرّج الطائي: ابن العديم ٤: ١٢٩.

29 - زيادة الله بن الأغلب: ابن العديم ٨: ١٢٦.

31 - عز الدين ابن عقيل الاربلي: مرآة الجنان ٤: ٤٥.

32 - شرف الدين محمد بن نصر الاربلي: ابن الشعار ٦: ٢٨٦، قال: من بيت مشهور
بفقه وعلم، كان فقيهاً شافعي المذهب، قرأ الأصول والخلاف وتميّز في
ذلك، درّس الفقه باربيل في المدرسة العقلية نيابة عن والده، ثم خرج عن إربيل
ونزل آمد ودرّس بها الفقه مستقلاً، ثم سافر عنها إلى عدة بلاد وشخص إلى
مصر ممّتحاً، ثم عاد وهو على حاله، يقصد الملوك بالشعر، ويتردد إلى الموصل،
وشغل نفسه بقول الشعر من صباه، واستقر بدمشق بخدمة الملك الأشرف،
وترك ما كان عليه من الاشتغال بالفقه وتزيّناً بزّيّ الجند.

44 - يحيى بن سعيد: ابن الشعار ٩: ٤٣٨، وقال: ولد قبل وفاة أبيه بشمانية أيام
بالموصل، ونشأ، وأحبّ الاشتغال بالعلم والأدب، ولم يزل راغباً في تحصيله،
ماتلاً إليه بكلّيته، وصحب أبا الكرم مكي بن زيّان، تلميذ والده، ولازمه
إلى أن توفي، ودرس عليه أدباً كثيراً حتى تميّز وبرع، ونسخ بخطه كتباً
أدبية كثيرة، وكان فقيراً مملقاً، اتصل بالأتابك عز الدين أبي الفتح مسعود بن
أرسلان شاه، فولّاه التقدم في الرباط، وصار شيخ الشيوخ به، وحظي لديه،
واكتسب منه رزقاً صالحاً. وولّاه بدر الدين لؤلؤ خازناً بخزانة كتب المدرسة
المدرسة أنشأها على دجلة، وألّف عدّة مجاميع باسم الملك القاهر عز الدين مسعود
ابن أرسلان شاه تحتوي على أشعار رقيقة غزلية. ومن كتبه «نوائج القرائع».

53 - عنذرا بنت شاهنشاه بن أيوب: الدارس ١: ٣٧٣.

56 - أحمد بن الفرّج، والد شهدة: مختصر ذيل تاريخ بغداد، الورقة: ٧٨.

73 - زين الدين ابن نجا الواعظ: تكملة المنذري ٢: ٤١٧، الدارس ٢: ٦٧.

97 - القاضي الأشرف ابن القاضي الفاضل: ابن العديم ١: ١٦٤، وأورد الأبيات
القافية المذكورة في ترجمته.

101 - محمد بن المنصور السمعاني: الاسنوي ٢: ٣١، عبر الذهبي ٣: ٢٣. الشذرات

٤: ٢٩، ابن قاضي شهبة: ١٢٨، مرآة الجنان ٣: ٢٠٠.

102 - المنصور بن محمد السمعاني: اللباب (السمعاني)، الاسنوي ٢: ٢٩، عبر

- الذهبي ٣ : ٣٣٦ ، ابن قاضي شهبة : ١١٩ ، البداية والنهاية ١٢ : ١٥٣ ،
مرآة الجنان ٣ : ١٥١ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٦٠ .
- 108 - الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري : الاسنوي ٢ : ١٣٤ ، السبكي
٥ : ٦٥ .
- 110 - ست الشام بنت أيوب : الدارس ١ : ٢٧٧ .
- 115 - بهاء الدين ابن الحافظ أبي القاسم ابن عساكر : عبر الذهبي ٤ : ٣١٤ ، البداية
والنهاية ١٣ : ٣٨ ، الدارس ١ : ١٠١ ، السبكي ٥ : ١٤٨ .
- 116 - هبة الدين ابن عساكر : الاسنوي ٢ : ٢١٥ ، عبر الذهبي ٤ : ١٨٤ ، الدارس
١ : ٤١٦ ، السبكي ٤ : ٣٢٠ .
- 141 - الملك الناصر صلاح الدين داود : ذيل مرآة الزمان ١ : ١٢٦ .
- 144 - باتكين الرومي : الحوادث الجامعة : ١٨٠ .
- 145 - غياث الدين مظفر بن غازي : الحوادث الجامعة : ٩٦ ، ذيل مرآة الزمان ١ : ٤٣٠ .
- 148 - راجح بن اسماعيل الحلبي : ابن العديم ٧ : ٢ .
- ج : ٤ . ص : ٢٥ ، س : ٨ المجد الاسعدي : ابن العديم ٨ : ٢٥٩ ، وفيه الأبيات
السينية وهي :

رأيت بجمامكم سنةً يظلّ لها كل طلق عبوساً
هواءٌ تجمد منه الرؤوس وماءٌ يذيب الكلى والنفوس
وسقفٌ يدرّ كفيض الغمام وأرضٌ تمنع عنها الجلوس
وطينٌ تفرغر منه الخلق وعشواء تمنح روحاً خسيساً
وقد كان في العرف سمط الجداء فلم صرتمُ تسمطون التيوساً

- 152 - قاضي الخافقين : الاسنوي ٢ : ٩٨ .
- 157 - ربيعة خاتون بنت أيوب : الدارس ٢ : ٨٠ .
- 158 - عز الدين ابن رواحة الأنصاري : تاريخ اربل : ١٩٦ ، وقال : نزل باربل
بدرج المنارة في زاوية الشيخ محمد بن محمد بن الحسين الكريدي ، وأكرمه
الفقيه أبو سعيد كوكبوري ؛ دخل ثغر الاسكندرية وهو صبي مع والده ،
ثم أورد له مقطعات . ابن الشعار ٣ : ٣١٦ وقال : قدم اربل سنة ٦٢٥ مجتدياً
نوال سلطانها مظفر الدين ؛ وكان عمر الأخلاق ، ضيق العطن ، شرساً في
الاملاء ، تافه النفس ، لم يجب أن يسمع عليه أحد إلا بعوض وفائدة تصل إليه ؛
وانظر القوات ١ : ٢٧٥ .

- ج ٤ ، ص : ١٥٠ ، س : ٢-٣ الشرف البوازيجي : ابن الشعار ٣ : ٤٩٦ ، قال :
رأيت باربل سنة ٦٣٠ ، شاباً طويلاً أشقر ، ذا هوج وطيش ، كثير الدعاوى
في فن النظم والنثر ، ثم أورد له قصيدة في مدح ابن المستوفي .
- 160 - أبو العزّ الاربلي شيطان الشام : ابن الشعار ١٠ : ٥٢٥ ، قال : ولد باربل وكان
بها منشأه ، وما برح حامل الذكر نازل القلر ، يعبث تارةً بالأبيات ، يسلك
فيها مسلك ابن الحجاج في السخف والهزل ، وتارةً بالزكالكش العامية ، وتارةً
بغير هذين النوعين ، حتى صارت له ملكة قوية في بديه الشعر ومرتبلة ... كان
شيعياً مغالياً ، أسمر اللون ، يتزيّياً بزيّ الأكراد ، رحل إلى البلاد وامتدح الملوك
ثم انتقل إلى الموصل وأقام بها ، وأورد له عدة مقطّعات ومختارات .
- 164 - علي بن المحسن التنوخي : الفوات ٢ : ١٣٨ .
- 172 - ابن برّجان : الفوات ١ : ٥٦٩ .
- 176 - تاج الدين أبو القاسم ابن منعة : عبر الذهبي ٥ : ٢٩ ، الاسنوي ٢ : ٥٧٤ ،
الحوادث الجامعة : ٣٧٤ ، السبكي ٥ : ٧٢ ، الشذرات ٥ : ٣٣٢ ، مرآة الجنان
٤ : ١٧١ ، البداية والنهاية ٣ : ٢٦٥ .
- 177 - شمس الدين الخويّمي : ابن العديم ١ : ٨٠ ، ابن قاضي شهبة : ١٦٨ ، ابن الشعار
١ : ٢٩٧ ، الفوات ٢ : ٣٦٨ ، وترجم في البدر السافر ، الورقة : ٧٦ ، لابنه
الشهاب محمد .
- 191 - عبد الغني ابن نقطة : تكملة المنذري ١ : ٩٧ .
- 192 - أبو علي ابن أبي الشبل : المنتظم ٨ : ٣٢٨ ، ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٤٧ ، الوافي
٣ : ١١ (محمد بن الحسين) ، الفوات ٢ : ٣٩٣ ، معجم الأدباء ١٠ : ٢٣
تكملة المنذري ١ : ٧١ ، المحمدون : ٢٦٨ ، البدر السافر ، الورقة : ٩١ باسم
« ابن الشبل » ، وقال : ذكره ابن النجار ، ومولده سنة ٤٠١ ، وهو من أهل
الحريم الطاهري ، وله ديوان شعر ورسائل ، وعلّق شيئاً من رسائله الحافظ
أبو بكر ابن الخطيب .
- 205 - المعتضد بن عباد : الفوات ١ : ٤٢٤ .
- ج : ٥ ص : ٤١ س : ٧ : ابن الحداد القيسي : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٧٧
والمحمدون : ٩٩ .
- ج : ٥ ص : ٢٤ س : ١١ : الاسعد بن بليطة : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٦٦ ، ١٧٦ .
- 218 - الملك المسعود بن الملك الكامل : مرآة الجنان ٤ : ٩٣ ، الحوادث الجامعة : ١٢ .

- 224 - أبو حيان التوحيدي : الاسنوي ١ : ٣٠١ ، ابن قاضي شهبة : ٨٤ .
- 227 - زيد بن علي : القوات ١ : ٣٣٣ ، وترجم لابنه ؛ ابن العديم ٨ : ١٠٨ ، وقد أخذ رقماً ثانياً هو (312) من الجزء السادس : ١١٠ .
- 260 - معتمد الدولة قرواش : القوات ٢ : ٢٦٤ .
- 262 - الطاهر الجزري : ابن العديم ٨ : ٢٢١ وهو « الظاهر » عنده - بالطاء - وكذلك هو بضبط ابن ماكولا (٢٤٠:٥) وبالطاء المهملة في تمة اليتيمة (٤٦:١) ؛ واسمه سداد بن ابراهيم بن محمد أبو النجيب ، وقيل أبو السداد الجزري ، وقيل في اسمه شداد - بالشين المعجمة - (وكذلك ضبطه السلفي) ، من أهل جزيرة ابني عمر ، كان شاعراً مطبوعاً حلو الألفاظ سهلها لطيف المعاني ، ومدح سيف الدولة الحمداني وعضد الدولة البويهبي ، وأبياته « انظر إلى حظ ابن شبل .. » (ص ٢٦٦) وردت في ابن العديم ٨ : ٢٢٣ وقال : قيل أنها للوزير أبي نصر ابن النحاس الحلبي ، والصحيح أنها للطاهر .
- 263 - مدلوليه الشاعر : ابن الشعار ٣:٣٧٧ وقال : كثير الشعر نبهه الذكر ، ذو نظم مستجاد أحسن في إنشائه وأجاد ، يجمع السهولة والمتانة والعدوبة والرصانة ، امتدح الملوك من بني أيوب ملوك الشام ، وأكرمواه لفضل أدبه غاية الاكرام ، ثم غيرهم من الأمراء والقضاة والوزراء والولاة . تأدب على أبي اليمن الكندي وقرأ عليه كثيراً من مسموعاته ، واشتغل في صباه على فتیان الشاغوري ، ورحل إلى بغداد ، وقرأ المقامات الحريرية على أبي الفضل منو جهر البغدادي الكاتب ، واتصل بأخرة بالملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل صاحب دمشق ، ولم يزل منقطعاً إليه إلى أن توفي ، يوم الجمعة العشر الأول من ذي الحجة سنة ٦١٩ عن ست وستين سنة . وكان مشغولاً بالخمير إلى حين مماته ، وكان نزقاً مرّ المذاق شرس الأخلاق جافي الطباع ، وديوان شعره يدخل في مجلدين .
- 270 - عبد المنعم بن غلبون : عبر الذهبي ٣: ٤٤ ، الاسنوي ٢ : ٤٠٠ . مرآة الجنان ٢ : ٤٤٢ ، حسن المحاضرة ١ : ٢٨٠ .
- ج: ٥ ص: ٣٣٥ س: ١ ابن الزويتينة الرحي : القوات ١ : ٥٦٦ .
- 277 - ابن النبه : ابن الشعار ٤ : ٣٠٦ وقال : علي بن محمد بن يوسف أبو الحسن المصري الربيعي ، كان يتولى بمصر ديوان الخراج والحساب ومدح الملوك من بني أيوب ووزراء تلك الدولة وأكابرها ، ثم اتصل آخرّاً بخدمة الملك الأشرف مظفر الدين أبي الفتح موسى بن محمد بن أيوب فانتظم في سلك شعراء دولته ، وسكن نصيبين ومات بها سنة ٦١٩ ، فقال الملك الأشرف : مات رب القريض . وانظر النجوم

الزاهرة ٦ : ٢٤٣ والشنرات ٥ : ٨٥ والقوات ٢ : ١٤٣ وحسن المحاضرة
١ : ٥٦٦ ومقدمة ديوانه تحقيق عمر محمد الأسعد (دار الفكر ، بيروت ١٩٦٩) .

278 - ابن الأردنخل : القوات ٢ : ٣٨٠ ، وتوجد من ديوانه نسخة بدار الكتب المصرية
رقم ٥٢١ أدب ، وأخرى بأحمد الثالث رقم ٢٢٨٨ .

283 - عز الدين ابن أبي الحديد : القوات ١ : ٥١٩ ، ذيل مرآة الزمان ١ : ٦٢ ، ابن
الشعار ٤ : ٢١٣ وقال : عبد الحميد بن أبي الحديد كاتب فاضل أديب ذو فضل
غزير وأدب وافر وذكاء باهر ، خدم في عدة أعمال سواداً وحضرة ، آخرها
كتابة ديوان الزمام . تأدب على الشيخ أبي البقاء العكبري ثم على أبي الخير مصدق
ابن شبيب الواسطي ، واشتغل بفقهِ الإمام الشافعي وقرأ علم الأصول ، وكان
أبوه يتقلد قضاء المدائن ، وله كتاب العبري الحسان في علم الكلام والمنطق
والطبيعي والأصول والتاريخ والشعر ؛ وراجع صفحات متفرقة من الحوادث
الجامعة .

284 - موفق الدين ابن أبي الحديد : القوات ١ : ١٠ ، ذيل مرآة الزمان ١ : ١٠٤ .
ج: ٦ ص: ٨ س: ٢٠ أبو محمد الخازن: هو عبد الله بن أحمد الخازن ، أصبهاني ، كان من
خواص الصاحب بن عباد ، وكان على خزانة كتبه في ريعان شبابه ، هرب من
حضرته مدة ثم عاد إليه (اليتيمة ٣ : ٣٢٥ - ٣٣٩) .

ج: ٦ ص: ٢٠ س: ١١ - ١٢ ابن المجاور الدمشقي: سمع الحديث بلمشق من الحافظ
ابن عساكر والملك العادل محمود بن زنكي والوزير ابن المظفر ، وكان أديباً فاضلاً
شاعراً نخبياً ، نشأ تلاء للقرآن مواظباً على اقراءه ، ثم صار يقرئ النحو والأدب
واشتهر بتعليم أولاد الكبراء إلى أن وصف لصلاح الدين فألزمه إقراء ابنه العزيز ،
فلما صارت السلطنة للعزيز استوزره ، ولد سنة ٥٤٩ هـ وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٠
وقال ابن سعيد سنة ٦٠١ . ترجم له في البدر السافر ، الورقة : ٢٤٠ والغصون
اليانعة : ١٩ وأشار إلى أن له ترجمة في تاريخ حلب لابن العديم وفي تاج المعاجم
للشهاب القوصي ، وكذلك ذكره المنذري .

ج: ٦ ص: ٥٢ س: ٧ كوشيار بن لبنان: تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي: ٩١ وفيه أنه
ابن لبنان أو ابن ليان أبي الأسد - بلغة الجبل ، وزيجه اسمه الجامع .

302 - أوحّد الزمان ابن ملكان : تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ١٥٢ وكتابه «المعتبر»
مطبوع بجيدر آباد الدكن .

307 - سحيم بن وثيل الرياحي : القوات ١ : ٣٣٨ ، وطبقات ابن سلام : ٤٨٩ والا صابة

٣ : ١٦٤ ، والخزانة ١ : ١٢٣ .
 308 - نصيب الشاعر : طبقات ابن سلام : ٥٤٤ ، الأغاني ١ : ٣٠٥ معجم الأدباء
 ١٩ : ٢٢٨ ، العيني ١ : ٥٣٧ ، السمط : ٢٩١ الموشح : ٢٩٨ ، الشعر والشعراء :
 ٣٢٢ .

314 - تاج الدولة بن ثقة الدولة : الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ١٢٧ .
 326 - خالد بن برمك : ابن العديم ٥ : ٣٣٦ .
 ج: ٦ ص: ٢٤٧ س: ٦ الوجيه ابن سويد التكريتي : ذيل مرآة الزمان ٢ : ٤٨٧ وقال :
 لم يبلغ أحد من أمثاله من الحرمة ونفاذ الكلمة ما بلغ بحيث كان النجاين (كذا)
 ترد عليه من بغداد إلى دمشق في مهمات تتعلق بالخلافة ، وكانت متاجره لا يتعرض
 لها متعرض وكتبه عند سائر ملوك الأطراف وملوك الفرنج بالساحل نافذة ،
 توفي سنة ٦٧٠ والقصة التي أوردها ابن خلكان وردت في ذيل المرأة ١ : ٣٣٧ .
 ج: ٦ ص: ٢٥١ س: ٢٢ - ٢٣ عون الدين ابن العجمي : ذيل مرآة الزمان ١ : ٢٤٠ .
 329 - العماد المحلي : ابن العديم ٤ : ١٢٢ وقال أبو المناقب الشافعي المصري : رجل فاضل
 أديب كيس دمث الأخلاق كثير المروءة مطبوع النادرة خفيف الروح جيد الشعر
 حسن المحاضرة ، وكان له وجاهة بدمشق ، وسيره الملك العادل إلى الملك الظاهر
 غازي بحلب ، واجتمعت به في مجلس شيخنا قاضي القضاة أبي المحاسن يوسف
 ابن تميم بمدينة حلب .

ج: ٦ ص: ٢٥٤ س: ٥ : أبو نصر الحاسب : ذيل مرآة الزمان ١ : ٧٩ .

330 - بدر الدين السنجاري : ذيل مرآة الزمان ٢ : ٣٣٢ .

ج: ٦ ص: ٢٧٤ س: ١٤ : زين الدين ابن جهيل : هو عبد الملك بن نصر بن عبد الله بن جهيل
 فقيه فاضل درس بحلب بالمدرسة النورية وتوفي بحلب سنة ٥٩٠ (السبكي ٤ :
 ٢٦٢ والاسنوي ١ : ٣٧١) ؛ وأخوه مجد الدين طاهر كان اماماً زاهداً فاضلاً
 في الفقه والحساب والفرائض ، درس أيضاً بالنورية وبالصلاحية في القدس
 وتوفي سنة ٥٩٦ (عبر الذهبي ٤ : ٢٩٢ والاسنوي ١ : ٣٧١ والدارس ١ :
 ٢٣٠) .

378 - محمد ابن عبد البر : بغية الملتبس : ٣٤١ ، الصلة : ٢٧٠ ، المغرب ٢ : ٤٠٢ .

القلائد : ١٨٠ ، الخريدة (قسم المغرب والأندلس) ٢ : ٤٧٨ .

ج: ٧ ص: ٧٥ س: ١٤ ابن هلال السعيد : البدر السافر ، الورقة : ٨٥ .

٣ - زيادات من النسخ وتعليقات وتخریجات لبعض النصوص

ج ١

- ص ٢٥ ما بين معقنين على هذه الصفحة لم يرد في المسودة والنسخ س ر بر ، ومثل ذلك يقال فيما جاء على الصفحات التالية : ٢٩ ، ٣٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ٢١٣ ، ١٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ .
- ٣٠ الترجمة رقم (٦) لم ترد في النسخ س ر بر والمسودة ، ووردت في ص .
- ٤٢ بعد قوله : وأخباره ومجاليسه مشهورة (السطر : ١٨) وردت في النسخة ر زيادة أثبتناها نقلاً عن (ص) في هذا الجزء ، الصفحة : ٤٤٤ .
- ٩٢ في هامش بر عند ترجمة الخطيب البغدادي تعليق منقول عن طبقات السبكي (٣ : ١٤ - ١٥) حول منام رآه أبو القاسم مكى المقدسي ورأى فيه جمعاً يستمعون تاريخ الخطيب وفيهم رجل لا يعرفه فلما سئل عنه أنبأ أنه النبي (ص) ، وفي الختام بيتان من الشعر للخطيب ؛ ومن الواضح أنها زيادة متأخرة ، قلت : وانظر تبين كذب المفترى : ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- ٩٧ بهامش بر عند ترجمة أحمد الغزالي تعليقه هذا نصّها : «سئل في مجلس وعظه عن قول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً والخليل عليه السلام يقول : «أرني كيف تحيي الموتى» الآية ، فقال : اليقين يتصور عليه الجحود ، والطمأنينة لا يتصور عليها الجحود ، قال تعالى «واستيقنن أنفسهم» . وكان يدخل البلاد والقرى والضياع ويعظ لأهل البوادي تقريباً لله تعالى ؛ وحكى يوماً في بعض وعظه أن بعض العشاق كان مشغولاً بحسن الصورة ، وكان ذلك موافقاً له ، فاتفق أنه جاءه في يوم بكرة وقال له : انظر إلى وجهي فأنا اليوم أحسن من كل يوم ، فقال : وكيف ذلك . قال : نظرت في المرأة فرأيت وجهي فاستحسنته فأردت أن تنظر إليه ، فقال : بعد أن نظرت إلى

وجهك ، مثلي لا يصلح أن (ينظره) . وحكى يوماً على رأس منبره عن أخيه حجة الإسلام أماً غريباً فقال: سمعت أخي يقول ان الميت من حين يوضع على النعش يوقف في أربعين موقفاً يسأله ربه عز وجل. ومن شعره:

إذا صحبت الملوك فالبس من التوقي أعزّ ملبس
وادخل إذا ما دخلت أعمى وأخرج إذا ما خرجت أخرس

١١٢ بعد السطر ٩ زاد أبياتاً لابن عبدربه في النسخة ر أولها : يا لولؤاً يسبي العقول أنيقاً ، وقد وردت في زيادات ص (الصفحة : ٤٤٩) كما أثبتت في هامش النسخة س .

١٢٥ س ٧ : وما جراياته : علّق بهامش س : « قوله وما جراياته لفظة عامية هكذا رأيتها بخط أبي حيان » .

١٢٩ بعد البيتين (السطر ١٧) جاء بهامش س ، وله (أي ابن طباطبا) :

تأمل نحولي والهلل إذا بدا ليلته في أفقه أينما أضنى
على أنه يزدد في كل ليلة نمواً وجسمي بالضنا دائماً يفنى

١٤٠ بعد السطر ١٩ جاءت زيادة في ر هذا نصها : ومن شعره :

يا قمرأ أطلعه المغرب قد ضاق بي في حبك المذهب
ألزمتني الذنب الذي جثته صدقت ، فاصفح ايها المذنب
وان أغرب ما مرّ بي أن عذابي فيك مستعذب

(وقد وردت هذه الأبيات في هامش س، وانظر ص ٤٥٧ من هذا الجزء)
وبعد ذلك في النسخة ر : ومن جيد شعره : ما للدمام تديرها عيناك (الأبيات الثلاثة الواردة على الصفحة المذكورة) ثم جاء في ر بعد ذلك : وله في ولادة وأبي عامر ابن عبدوس وكان يلقب بالفار :

قالوا أبو عامر أضحى يلم بها قلت الفراشة قد تدنو من النار
غيرتمونا به إذ صار يخلفنا في من نحب وما في ذاك من عار
أكل شهى أصبنا من أطايبه بعضاً وبعضاً صفحتنا عنه للفار

ومن شعره :

قل للأمير وقد قطعت بمدحه عمري وكان السجن منه ثوابي
لا تخش لا تمي بما أمضيته من ذاك في ولا توقّ عتابي

- لم تخط في أمري الصواب موقفاً هذا جزاء الشاعر الكذاب
- ١٤٢ العبارة الموجودة بين معقفين [وله أبيات ثابتة ... الخ] ثابتة بهامش المسودة ، ولكنها لم ترد في النسخ ر م بر .
- ١٤٧ بعد السطر ١٠ وردت في ر الزيادة الآتية :
وله أيضاً من قصيدة :
- فعدراً إن عجزت لطول همي عن الاسهاب والنفس الطويل
فان وجى الجياد إذا تمادى بها شغل الجياد عن الصهيل
- ١٥٣ زاد في ر بعد البيت « تأمل تحت ذاك الصدغ خالاً ... » :
- ورب قطيعة جلبت وصالاً وكم في الحب من نكت خفايا
- ١٥٥ السطر ٨ وما بعده : نسب مكرم أخو مطرف ... الخ : أكثر هذا النسب مطموس في المسودة وقد راجعته على جداول كاسكل فلم أجد أكثر الأسماء ، غير أن « حاوة » في النسب تقرأ « جاوة » أو جياوة ، وبخط المؤلف بقي من النسب لفظة « الجاأوي » - بهذه الصورة - ونقطة الجيم واضحة . أما « عيلان » فانها في جداول كاسكل « غيلان » بالغين المعجمة ، وليس في أولاد غيلان من اسمه « الخرزق » عنده ، ولعله لقب ، ولم يورده صاحب التاج أو صاحب الاشتقاق . أما قول المؤلف : وليس في نسبه باهلة ، فان باهلة هو مالك بن أعصر .
- ١٥٨ م ٨ وردت قصة ابن منير وابن القيسراني في الغيث للصفدي ٢ : ١٣٢ منقولة عن ابن خلكان .
- ١٥٨ بعد السطر ١٥ زاد في ر على البيتين :
- مقصر الصدغ ممدود ذوائبه في منه وجدان ممدود ومقصور
فيه محاسن شتى قد فتنت بها وكل مفتن بالحسن معذور
مهفهف في هواه ما استجرت به إلا وجدت غرامي وهو منصور
- ١٦٣ الأبيات التي أولها « ثروة المكرمات بعدك فقر » وقعت بعد الأبيات الفائتة الواقعة على الصفحة السابقة ، وذلك في النسختين : م بر .
- ١٦٧ الأبيات « وذي هيئة يزهر ... » أوردها ابن العديم (٩ : ٢٣٧) ونسبها لابن المثلث ولد الوزير عز الدين المثلث وزير الملك الأفضل ، وأوردها ابن الشاعر

(١ : ١٥٢) للقطرسي .

- ١٧٢ الأبيات « إذا جن لي لي هام قلبي ... » وردت في تاريخ لإربل : ١٨٢ .
- ١٧٣ ضبط المؤلف بالشكل بعض الأسماء في نسب معز الدولة ابن بويه وهي كما يلي :
شِيرَزِيل الأصغر بن شِيرَكَنْدَه بن شِيرَزِيل الأكبر بن شِيرَآن شاه بن شِيرَفَنْتَه
ابن شَسْتَان بن سَسَن* فرو بن شَرَوَزِيل بن سَسْنَاد ...
- ١٨٤ عند ابن الشعار في نسب صلاح الدين الأربلي : ابن محمد بن مروان بن جابر ،
وبخط ابن العديم : ابن محمد بن بزوان .
- ١٨٧ الترجمة رقم ٧٧ « ابن عبد الحميد الجرجاني » : وردت هذه الترجمة في
النسخ ر س ص ونسخة برلين (رقم 660 Peterm) وقد أدرجناها اعتماداً
على ورودها عند وستفيلد ، ولم تكن لدينا حينئذ مسودة المؤلف ، فلما حصلنا
عليها وجدنا أن المؤلف قد رمّج على الترجمة بكاملها ، وكتب في الحاشية :
هذه الترجمة غلط وليس المذكور ولد الخصيب ممدوح أبي نواس ، وكنت
رأيت في بعض المجاميع أنه ابن الخصيب المذكور ، ثم ظهر لي بعد ذلك أنه
ليس الأمر كذلك ، ولم أظفر بالصواب إلا بعد أن كتبت هذا التاريخ بسنين
عديدة فرحم الله امرءاً وقف على الصواب وكان عنده نسخة ، فأصلحها
و[ذلك أن] الإنسان لا يعصمه من الخطأ والزلل [سوى] الله .
- قلت : فاسقاط هذه الترجمة ضروري ، ولكن النسخ التي أثبتتها نقلت عن
أصل من أصول ابن خلكان قبل أن يكتشف ذلك الخطأ ، وعلى هذا ينبغي
حذف ما ينتمي إليها وهو الزيادة الثانية الواردة على الصفحة ٦٠٤ منقولة عن ص .
- ١٨٨ رغم حذف المؤلف للترجمة السابقة ، فإن ضبطه للفظة أفريطش ينبغي أن
يذكر هنا وهو : بفتح الهمزة وسكون القاف وكسر الراء وسكون الياء المثناة
من تحتها وكسر الطاء المهملة وبعدها شين مثناة .
- ١٩٠ الترجمة ٧٩ لم ترد في المسودة والنسختين بر س ووردت في ر قبل ترجمة
العزیز الاصبهاني ، وليست هي من شرط المؤلف لأنه لم يرد فيها تاريخ الوفاة .
- ١٩١ السطر ١٩ بهامش المسودة : وتفسير أكسك : الناقص والله أعلم .
- ١٩٧ بعد السطر ١٥ وردت في ر هذه الزيادة : ذكر الخطيري في كتاب « زينة
الدهر في محاسن أهل العصر » لأبي الفرج ابن التلميذ في دار جديدة بناها سيف
الدولة ابن صدقة وقعت فيها نار يوم الفراغ منها :
- يا بانيّاً دار العلى مليتها لتزيدها شرفاً على كيوان

علمت بأنك إنما شيدتها للمجد والأفضال والاحسان
قففت عوائدك الكرام فسابت مستقبل الاضياف بالنيران

وانظر هامش ج ٢ : ٤٩٠ .

٢٠٤ بعد السطر ٥ وردت في زيادات تشترك فيها مع ما نقل عن د ص (انظر
الصفحة ٤١٠ ، ٤١١) ولكن أضافت ر إلى تلك الزيادات ما يلي : ومما يجري
هذا المجري ما أخبر به ابن أحمد الجلودي يرفعه إلى الحسين بن فهم عن عمه ،
قال ، انتهى صديق لي فروجاً أطبخه له ، فأكلت بنت لنا لحمه ، إلا لحم الصدر ،
ونحن لا نعلم ، فكتبت إليه :

طبخنا لك فروجاً فطاف الأهل بالقدر
ولم تقدر على المنع لقبح المنع في الذكر
فآثرناك بالصدر لأن الصدر للصدر

وهذا باب متسع .

اختلف اسحاق النديم وابراهيم الموصلي في صوت فقال اسحاق : إلى من
نتحاكم والناس ما عدانا بهائم ...

٢١٠ بعد السطر ١٥ زيادة في ر ، هذا نصّها :
وله أيضاً :

مررت بدار الملك والنيل آخذ
فكان لنا ذاك القتال مسرة
شرقت بغرب الدمع فيها تذكراً
وناديت من شوقي إليه وهفتي

ومن شعره :

وكم ليلة بات الهلال سوارها
وللحسن بل لله بسر دجته
إذا بعته قلبي بشرط وصاله
فخيل لي أن الثريا لها قرط
يحمر واو العطف في خده الخط
يصبح له يبعي وينفسخ الشرط

٢١٥ البيت : فكناه عين كماله في نفسه وكفى كمال الدين عين كماله

هذا هو بيت التخلص وحقه أن يجيء آخر الأبيات ، كما ورد في النسخة س
وعند ابن الشعار ، ولكنه ورد حيث أثبتناه ، في النسختين ر بر ، وهو ثابت

بهاشم المسودة إلى جانب البيت الواقع قبله ، وذلك هو سبب الاختلاف في موضعه في النسخ .

٢١٦ قوله « وذكره عماد الدين الاصبهاني ... العجائب » : قد رمّج المؤلف في المسودة على هذا النصّ ، وهو ثابت في ر ، والبيتان بهامش س .

٢٢٣ بعد السطر ١٠ جاءت هذه الزيادة في ر : ومن شعره :

وقد يهلك الإنسان من باب أنسه وينجو باذن الله من حيث يحذر

٢٢٤ بعد السطر ١٠ وردت هذه الزيادة في ر : ومن شعر أبي العتاهية :

يا عجباً للناس لو فكروا	وحاسبوا أنفسهم أبصروا
واعتبروا الدنيا إلى غيرها	فانما الدنيا لهم معبر
عجبت للإنسان في فخره	وهو غداً في قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة	وجيفة آخره ، يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما	يرجو ، ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره	في كل ما يقضي وما يصدر

٢٣٦ بهامش بر (عند ترجمة اسماعيل الملقب بالمنصور العبيدي) ترجمة لاسماعيل ابن حماد بن أبي حنيفة . ومن الواضح أنها ليست من صنع المؤلف ، فقد ترجم له ترجمة عارضة عند ذكر أبيه (ج ٢ : ٢٠٥) وهذا ما جاء في هامش النسخة (بر) :

اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة النعمان الإمام بلا مدافعة ، ذو الفضائل الشريفة والخصال المنيفة ، تفقه على أبيه حماد والحسن بن زياد ولم يدرك جده ، وله « الرد على القلرية » ورسالته إلى البستي . ذكر الخطيب باسناده إلى العباس ابن ميمون ، سمعت محمد بن عبد الله الأنصاري يقول : ما ولي القضاء من لدن عمر بن الخطاب إلى اليوم أعلم من اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ، فقليل : يا أبا عبد الله ولا الحسن بن أبي الحسن قال : لا والله ولا الحسن ؛ قال قال أبو العيناء محمد بن القاسم ، قال اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : ما ورد عليّ مثل امرأة تقدّمت إليّ فقالت : أيها القاضي : ابن عمي زوجي من هذا ولم أعلم ، فلما علمت رددت ، قال ، فقلت : ومتى رددت ؟ قالت : وقت علمت ، قلت : ومتى علمت ؟ قالت : وقت رددت ، قال : فما رأيت مثلها ؛ قال أبو العيناء : دسّ الأنصاري انساناً يسأل اسماعيل لما ولي

قضاء البصرة ، فقال : أبقي الله القاضي ، رجل قال لامرأته ، فقطع عليه فقال : أبقي الله القاضي ، رجل قال لامرأته ، فقطع عليه اسماعيل وقال : قل للذي دسك إن القضاة لا تفني ، ذكره الذهبي . قال الخصاص في « أدب القاضي » قال الحلواني : اسماعيل بن حماد ناقله أبي حنيفة ، وكان يختلف إلى أبي يوسف يتفق عليه ثم صار يزاحمه ، ومات شاباً سنة اثنتي عشرة ومائتين ، ولو عاش حتى صار شيخاً لكان له نبأ عظيم بين الناس ، رحمه الله تعالى .

٢٤٩ بعد السطر ١٥ وردت هذه الزيادة في ر : وروي عن اباس أنه قال : ما غلبي أحد قط سوى رجل واحد ، وذلك أني كنت في مجلس القضاء بالبصرة ، فدخل عليّ رجل شهد عندي أن البستان الفلاني ، وذكر حدوده ، هو لفلان ملك ، فقلت له : كم عدد شجره ؟ فسكت ثم قال لي : منذ كم يحكم سيدنا القاضي في هذا المجلس ؟ فقلت : منذ كذا ، فقال ، كم عدد خشب سقفه ؟ فقلت له : الحق معك ، وأجزت شهادته .

٢٥٥ الترجمة رقم ١٠٧ : هذه الترجمة بكاملها في المسودة والنسختين ر بر وهي فيما يظهره خط المؤلف ملحقة من بعد (إذ اختلفت قطة القلم) ويبدو أن الصورة الثانية من هذه الترجمة (١٠٧ ب) هي التي وضعت أولاً ثم رأى المؤلف تغييرها ، وقد وردت كذلك في س مع اختلافات يسيرة .

٢٧٢ السطر ٦ بعد قوله « من الشعراء المجيدين فيه » تجمي في ر الزيادة التي أثبتت في الملحقات على هذا الجزء رقم ٣١ .

٢٧٩ الترجمة رقم ١١٦ : هذه الترجمة هي الثابتة في المسودة وهي كذلك في ر س أما الصورة الثانية (١١٦ ب) فإنها من زيادات د عند وستفيلد .

٢٩٦ السطر : ٥ « ودفن في مسجد بحكر الفهادين » كان قد كتب في المسودة أولاً : ودفن في خانقاه الطواويس ، ثم رجع عليه ووضع بدله كما أثبت ، ولكن جاء في النسخة س : « ودفن في مسجد بحكر الفهادين بظاهر دمشق التي على نهر بردى ، خانقاه الطواويس » .

٢٩٧ السطر ١٤ - ١٥ عند الحديث عن أرمناز ، جاء في هامش س : الأصح أنها من أعمال أنطاكية ، ومن قال دمشق خطأ .

٣٠٥ هكذا ضبط المؤلف نسب تميم : ابن مَنقُوش بن زَنَّاك بن زَير الأصغر بن واَشَقَّال بن وَزَعَقَى ابن سَرَيِّ بن وَتَلَكِّي ...

- ٣٥٥ البيتان « وخمر قد شربت على وجوه » وقعا متقدمين على البيتين السابقين في المسودة و س ر ومتأخرين عن البيتين التاليين في بر .
- ٣٢٨ الترجمة رقم ١٣٢ هكذا ثبتت هذه الترجمة في ر بر وأوردها كذلك وستفيلد أما الصورة الثانية (١٣٢ ب) فهي من زيادات د عند وستفيلد ، وقد جاءت الترجمة في المسودة و س موجزة نسبياً ، وفيها نصوص من الصورتين معاً .
- ٣٥٠ الترجمة رقم ١٣٤ لم ترد في النسخ ر س بر والمسودة ، ولكنها ثابتة عند وستفيلد ونسخة آيا صوفيا (ص) .
- ٣٦٠ بعد السطر ٨ زاد في ر : أخذه من قول البحري :
- ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر
- ٣٦٨ بعد السطر ١٧ زيادة في ر وقد أثبتناها نقلاً عن نسخة ص ٤٨١ ابتداءً من قوله : « وحدث الزبير بن بكار ... مشمراً » أما سائر الزيادة عن ص فلم يرد في ر .
- ٣٧٣ السطر ١٢ « وحضر الجنيد قوماً يتواجدون ... صنع الله » لم يرد في ر س بر والمسودة ، ولم يوضح بين معقفين .
- ٣٨٦ الزيادة رقم ٢ ثابتة في ر ، وكذلك الزيادة رقم ٣ (٣٨٩) والزيادة رقم ٨ ؛ أما الزيادة : ٩ فقد وردت من الأبيات الثمانية البيتان الرابع والخامس وجاء بعدهما البيت الذي أوله « تسمى بأسماء الشهور » ، ووردت الفقرة الأولى من الزيادة ١٠ بهامش س وجاء هنالك أنها منقولة من النسخة الثالثة ؛ وفي الزيادة ١٢ وردت أبيات أبي العلاء الكافية بهامش س ، ووردت الزيادتان ٢٤ ، ٢٥ في ر مع تقدم الثانية على الأولى .
- ٤١٦ السطر ٥ : وقال الصاحب بن عباد ... فأخرجني : ورد هذا النص في ر .
- ٤١٦ السطر ١٢ : ودخل أبو بكر الخوارزمي ... وقربه : ورد هذا النص بهامش س .
- ٤١٦ السطر ١٨ : وضع الصاحب لأصحابه دعوة ... من الناس : « : إذا كان سديد الدولة ابن الأنباري (المتوفى سنة ٥٥٨ هـ) كما في خريدة العراق ١ : ١٤١) قال هذين البيتين فليس المعنى بذلك الصاحب بن عباد ، وهذا وهم ربما تورط فيه أحد من أضاف هذه المادة إلى النسخة د ونستبعد تورط المؤلف فيه لدقته ، وقد نبه إلى هذا الأستاذ الدكتور علي جواد الطاهر . والبيتان الواردان هنا مذكوران في الخريدة في ترجمة السديد ١ : ١٤٣ .
- ٤٢٠ الزيادة رقم ٣١ وردت في ر مع اختلاف في الترتيب ، وكذلك الزيادة ٣٣

- (ص ٤٢٩) وردت في ر .
- ٤٣٠ بعد السطر ١٩ وردت هذه الزيادة في ر : وكان أشعب من أحسن الناس صوتاً قيل جاء جرير إلى باب سكة بنت الحسين رضي الله عنه يستأذن عليها ، فلم تأذن له وخرجت له جارية لها فقالت له : تقول سيدتي ، أنت القاتل :
 طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام
- قال ، فقلت : نعم ، قالت : فهلا أخذت بيدها ورحبت بها وأدريت مجلسها وقلت لها ما يقال لثلها ، أنت عنيف وفيك ضعف ، خذ هذه ألفي درهم وارجع إلى أهلك .
- ٤٣٤ الزيادة رقم ٣٤ ، ورد جانب من وصية جعفر الصادق في هذه الزيادة على هامش النسخة س .
- ٤٥١ أبيات ابن فارس على هذه الصفحة وردت في ترجمته ، فائباتها هنا من قبيل السهو ، وحققها أن تحذف .
- ٤٥٢ الزيادة المتعلقة بالمتنبي على هذه الصفحة أصيلة في المسودة .
- ٤٥٢ الزيادة المتعلقة بالنامي الشاعر حتى قوله « في عارضي » وردت في ر .
- ٤٥٨ البيتان « فرشت خدي للعشاق » وردا في هامش س .
- ٤٥٨ الزيادة المتعلقة بناصح الدين الأرجاني وردت في ر ما عدا البيتين « أنتم فرازين هذا اللست » .
- ٤٦١ الزيادة المتعلقة بأسامة بن منقذ وردت جميعها في ر ، وآخر بيتين فيها وردا في هامش س .
- ٤٦٥ الزيادة المتعلقة بالصاحب ، والأخرى المتعلقة بالمنصور العبيدي وردتا في ر .
- ٤٦٦ البيتان « تجري الأمور على قدر القضاء » وردا بهامش س .
- ٤٦٧ الزيادة المتعلقة ببيشار بن برد وردت في ر .
- ٤٦٩ الزيادة المتعلقة بتقية الصورية وردت في ر .
- ٤٧٠ الزيادة المتعلقة بتميم بن المعز وردت في ر .

ج ٢

- ٣٥ الأبيات البائية المنسوبة إلى عبد الملك ذكرها ابن العديم في ترجمة الحاجج (٤ : ٣ - ٤٣) ورواية البيت الثاني :

وتخشى الذي يخشاه مثلك هارباً إلى الله منه ضيع الدرّ حاليه

ورواية البيت السادس :

ولا تعد ما يأتيك مسني وإن تعد تقم فاعلمن يوما عليك نوابه
٣٦ وهذه أبيات الحجاج برواية ابن العديم :

إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقي أذاك فيومي لا توارى كواكبه
وما لامرئ يعصي الخليفة جنة تقيه من الأمر الذي هو راهبه
أسالم من سألت من ذي قرابة ومن لم تسأله فاني محاربه
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة فقامت عليه في الصباح نوابه
إذا أنا لم أذن الشفيق لنصحته وأقصّ الذي تسري إليّ عقابه
وأعطي المواسي في البلاء عطية تردّ الذي ضاقت عليه مذاهيه
فمن يتقي يومي ويرعى مودتي ويخشى غدي والدهر جم عجائبه

وبعد ذلك البيتان الأخيران .

- ٣٧ وردت القصة المنقولة عن أبي الفرج المعافى في ابن العديم ٤ : ١٠ .
٧٨ اسكن إلى سكن تسرّ به : الشعر لبشار ، انظر ديوانه : ٦٦ (جمع العلوي) .
٩٥ الترجمة رقم ١٧٠ : بهامش بر طرف من المساجلات بين أبي نواس وعنان
وشيء من شعر ابن الأبار الخولاني منقولاً عن الذخيرة لابن بسام ، وهو
نصّ كثير الاحماض ، ليس من أصل المؤلف .
١٠١ الزيادة الأولى على هذه الصفحة بين معقنين لم ترد في بر .
١٠٣ الزيادة المستمرة حتى هذه الصفحة لم ترد في بر ، وكذلك هي أكثر الزيادات
الواردة في النسخ الأخرى ، وسنكتفي بهذين المثالين في الإشارة إلى ذلك .
وكذلك سقطت من بر التراجم التي انفردت بها ر أو ص .
١٨١ - ١٨٢ أبيات ابن الدباس وردّ ابن المبارك في جمهرة الاسلام ، الورقة : ١٣١
١٨٥ أثبتت النسخة بر جميع لامية العجم للطغرائي .
٢١٤ بهامش بر بيتان للخطابي منقولان عن طبقات السبكي ، واذن فأنهما من الزيادات
المتأخرة .

٢٤٨ بعد ترجمة الخليل أوردت النسخة بر على الهامش هذه الترجمة : أبو سعيد
الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل بن موسى بن عبد الله السجزي القاضي
الحنفي . قال الحاكم أبو عبد الله : شيخ أهل الرأي في عصره في الفقه . له
كتاب الدعوات والآداب والمواعظ ، توفي بسمرقند في جمادى الآخرة [
سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، له رحلة واسعة جمع فيها بين بلاد فارس وخراسان

والعراق والحجاز والشام وبلاد الجزيرة ، روى عن أبي القاسم البغوي وابن خزيمة في خلق ، وله ترجمة واسعة في التواريخ وكتب الأنساب ، ومن شعره :

سأجعل لي النعمان في الفقه قدوة	وسفيان في نقل الأحاديث سيدا
وفي ترك ما لم يغني عن عقيدتي	سأتبع يعقوب العلا ومحمدا
وأجعل درسي من قراءة عاصم	وحمزة بالتحقيق درسا مؤكدا
وأجعل في النحو الكسائي قدوة	ومن بعده الفراء ما عشت سرمدًا
وان عدت للحج المبارك مرة	جعلت لنفسي كوفة الخير مشهدًا
فهذا اعتقادي وهو ديني ومذهبي	فمن شاء فليبرز ويلق موحدًا

ومن شعره أيضاً :

رضيت من الدنيا بقوت يقيمني ولا أبتغي من بعده أبداً فضلاً
ولست أروم القوت إلا لأنسه يعين على علم أرد به جهلاً

رحمه الله تعالى. قلت : وهذه الترجمة هي رقم ٥٩٥ في الجواهر المضية ١ : ٢٣٤.

٢٨٦ السطر ٢٢ انظر البيتين في عوارف المعارف : ١٧١ .

٣٢٦ بهامش بر حكاية عن حبس أبي دلالة مع الدجاج وأبياته التي أولها هي :

أمر المؤمنين فدتك نفسي علام حبستي وخرقت ساجي
وبعدها تحية حكاية خروج المهدي للصيد في الهامش أيضاً .

٣٤١ الأبيات « يا زيد زادك ربي من مواهبه ... » وردت في البدر السافر ، الورقة ١٣٣ في ترجمة أبي شجاع ابن الدهان .

٣٨٦ بهامش بر عند ترجمة سفيان الثوري هذه الزيادة ؛ : قال عبد الرزاق : بعث

أبو جعفر الخشابين حين خرج إلى مكة فقال : ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه ، فجاء النجارون ونصبوا الخشب ، ونودي بسفيان ، فاذا رأسه في حجر الفضيل ابن عياض ورجليه في حجر ابن عيينة قال : فقالوا يا أبا عبد الله ، اتق الله ولا تشمت بنا الأعداء ، قال : فتقدم إلى الاستار فأخذها ثم قال : برئت منه إن دخلها [أبو جعفر] ، قال : فمات قبل أن يدخل مكة (وانظر تاريخ بغداد ٩ : ١٥٩) وقال قبيصة : رأيته الثوري في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لي : هنيئاً رضي عليك يا ابن سعيد :

لقد كنت قواماً إذا أظلم الدجى بعيرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أيّ قصر أردته وزرني فاني منك غير بعيد

- ٣٩٢ السطر ٢٠ : قيل انه في آخر ... القابل : ورد بهامش بر .
٤٣٦ السطر الأول : زاد بهامش بر بعد قوله : ما رمدتا : كما قال يزيد بن معاوية :
فمن ملا مقلتيه من محاسنها كان الأمان لعينيه من الرمد
٤٨٩ أخبار صاعد التي لم نثبتها وهي منقولة عن ابن بسام ، ورد قسم منها بهامش بر .
٥١٤ الزيادة الطويلة التي تنتهي على هذه الصفحة وردت في بر ، وورد إزاءها في
الهامش ما يلي : وكتب إليه استفتاء ما صورته :

يا أيها العالم ماذا ترى في عاشق ذاب من الوجد
من حب ظبي أهيف أغيد سهل المحيا حسن القد
فهل ترى تقبيله جائزاً في النحر والعينين والحد
من غير ما فحش ولا ريبة بل بعناق جائر الحد
إن أنت لم تفت فاني إذا أصبح من وجدي واستعلي

فأجاب بقوله :

يا أيها السائل إني أرى تقبيلك المعشوق في الحد
يفضي إلى ما بعده فاحتسب قبلته بالحد والجهد
فان من يرتع حول الحمى لا بد أن يجني من الورد
يغنيك عنه كاعب ناهد تحضر [ها] بالملك والعقد
تنال منها كل ما تشتهي من غير ما فحش ولا صد
هذا جوابي لتقبيل الهوى فلا تكن في ذلك مستعدي

ج ٣

- ٣٢ بهامش بر : كان عبد الله بن المبارك كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر :
وإذا تصحب فاصحب صاحباً ذا حياء وعفاف وكرم
قوله للشيء لا إن قلت لا وإذا قلت نعم قال نعم
وقد ذكرنا في طبقات الحنفية (انظر الجواهر المضية ١ : ٢٨١) .
١٦٧ بهامش بر إزاء ترجمة أمام الحرمين هذه الزيادة : ومن شعره :

أخي لن تنال العلم إلا بسنة سأتيك عن تأويلها ببيان
ذكاء وحرص وافتقار وغربة وتلقين أستاذ وطول زمان

٢٠٣ أورد بهامش بر بيتين من الشعر لعبد القاهر البغدادي نقلاً عن طبقات السبكي ،
وهذا من الزيادات التي ليست من الأصل .

٢٥٤ السطر ٣ « سار ذكره في الآفاق ... يعولون عليها » وارد نصاً في تاريخ
إربل ، ولم يشر المؤلف إلى ذلك ؛ قلت : وانظر عن القتال بين أتباع عدي بن
مسافر وأصحاب بدر الدين لؤلؤ في الحوادث الجامعة : ٢٧١ وراجع القول
في عقيدة أتباعه في شرفنامه للبديسي : ١٤ .

٢٥٦ السطر ٢ : وذكر أبو العباس المبرد انظر التعازي ، الورقة : ٣٠ .
٢٦٠ السطر ٤ : ومن كلامه إنما قيل لموسى ... علق اليافعي ٣ : ١٥٧ على ذلك
بقوله : وعجبت من ابن خلكان كيف يحكي مثل هذا في حق موسى عليه
السلام ولا ينكره على قائله .

٣٦٢ السطر ٩ القصة المنقولة عن السمعاني وردت في ابن العديم ٢ : ١٥٠ ومعها
الأبيات .

٣٩٦ السطر ٨ « ولقد نزلت بروضة حزنية ... » الأبيات ، وردت في ابن الشعار
٤ : ٢٩٧ .

٤٣٦ عند آخر ترجمة عمارة بهامش بر زيادة منقولة عن ابن حجة الحموي من كتابه
« ثمرات الأوراق » وهي من غير الأصل .

٤٤٢ السطر ٩ « ولما حضرته الوفاة دخل عليه أبوه ... » انظر التعازي . الورقة
٢٥ .

٤٥٥ البيتان « يقول أبو سعيد إذ رأيته » وردا في الغصون الياينة : ٢٥ منسوبين لابن
المجاور الدمشقي . ورواية الأول :

صديق قال لي لما رأيته وقد صليت زهداً ثم صمت

ملحوظة : ابتداءً من الجزء الرابع تشترك النسخة « بر » مع سائر النسخ . فلا يرد
ذكرها في هذه التعليقات .

ج ٤

١٢ ما بين معقفين لم يرد أيضاً في مخطوطات برلين DE 47, MF 135, Pt 66١ ،
وكذلك ما ورد بين معقفين على الصفحة : ١٧ .

٣٥ الأبيات في أول هذه الصفحة وردت في اللزوميات ١ : ٢٧ (ط . هندية)
ورواية البيت الثالث :

إذا ما أتانا زائر متفقد فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

قال أبو العلاء : وهذا الشعر لرجل في السجن كان على عهد ملوك بني العباس .
ويقال إنه لرجل من ولد صالح بن عبد القدوس .

٣٦ ما بين معقنين على هذه الصفحة ورد في مخطوطة برلين Ldg. 543

٣٩ البيتان « تعزّ أبا العباس ... » في ابن العديم ٢ : ١٥٠ .

٤٠ الأبيات « أنت تبقى ونحن طراً فداك » في ابن العديم ٢ : ١٥٠ .

٤١ السطر ٥ بعد قوله والله أعلم ورد في مخطوطة برلين DF 47 الورقة ١٠٢ ما يلي :
« وذكر الجهشيارى في كتاب أخبار الوزراء في أنباء أخبار البرامكة أن الفضل
ابن سهل بن زاذان فروخ من قرية من السيب الأعلى . وكان له عم يدعى يزيد .
فتوكل بحارية لعاصم بن صبيح . فاتهمه عاصم بها فضره بالسيف وهو سكران
ضربة مات منها ، فصار سهل والد الفضل المذكور إلى باب يحيى بن خالد
البرمكي طالباً دم أخيه وهو محبوس بعد . فاتصل بسلام بن الفرج مولى يحيى
مستغيثاً به ، فحماه وأعانه . فأسلم سهل على يد سلام المذكور ، ونوصل به
حتى اتصل بالبرامكة ، وأحضر ولديه الفضل المذكور والحسن ، فاتصل الفضل
بالفضل بن جعفر بن يحيى . واتصل أخوه الحسن بالعباس بن الفضل بن يحيى
وخدماهما . وعرفهما يحيى فرعاهما ، فقتل الفضل بن سهل ليحوى كتاباً من
الفارسية إلى العربية ، فأعجبه فهمه وجودة عبارته . وقال له : إني أراك
ذكياً وستبلغ مبلغاً رفيعاً . فأسلم حتى أصلك بولد أمير المؤمنين ، فقال :
نعم . فبعثه إلى ولده جعفر ، فأدخله على المأمون .

٤٧ ما بين معقنين ورد في Ldg. 543

٦٩ البيتان : « همّي دونها السها ... » وردا في الخريدة (قسم الشام) ٢ : ٣٢٢
ونسبهما لمحمد بن القاسم ولد المترجم به .

١١٠ ما بين معقنين ثابت أيضاً في DF 47 . أما ما جاء على الصفحة ١١١ بين
معقنين فانه ساقط منها .

١٢٢ ترجمة العتالي لم ترد في DF 47 .

١٢٧ الليث بن سعد : هذه هي الترجمة التي وردت في Pt. 661, 662 .

- ١٤٧ ترجمة ابن المستوفي لم ترد في النسخة 543 Ldg. .
- ١٥٢ الترجمة رقم ٥٥٥ لم ترد في 543 Ldg. .
- ١٥٤ الترجمة رقم ٥٥٦ لم ترد في 544 Ldg. ووردت في 562 Pt. وتنتهي فيها عند قوله « خذلهم الله تعالى » .
- ٢٢٢ البيتان : « أيا جبلي النعمان » : وهم الاسوي فنسبهما إلى الارغياني ، وهما من قديم الشعر ، وينسبان للمجنون .
- ٢٢٨ ما بين معقنين ثبت في 47 DF أيضاً .
- ٢٢٩ الترجمة رقم ٥٩٤ لم ترد في 135 MF .
- ٢٤١ الترجمة موجزة في 135 MF .
- ٢٧٥ البيتان « يا راحلين بمهجة ... » نسبهما في الاسوي ٢ : ١٠٧ للشهرستاني نفسه .
- ٢٩٥ السطر ٤ : ذكر ابن المستوفي بعض مؤلفات الحازمي وفي التسمية بعض اختلاف عما أورده المؤلف ، فمن كتبه الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الأخبار ، ومشتبه النسب وسماه « اصطلاح النسب في علم الأنساب » ، وكتاب التفصيل في مشتبه النسبة .
- ٤٣٤ ترجمة ابن أزره جاءت كاملة في 661 Pt. .
- ٤٥٣ قصة هجو ابن الهبارية لنظام الملك وردت بشكل آخر في ابن العديم ٤ : ٢٩٥ وذكر أنه أوردها أيضاً في ترجمة ابن الهبارية .

ج ٥

- ص ١١ خطبة واصل التي أسقط منها الرءاء في جمهرة الاسلام ، الورقة : ٨٨
- ص ٤٧ السطر ١٧ كتاب المغرب ، ضبطه المؤلف بخطه بالعين المهملة في ترجمة يوسف بن تاشفين .
- ٣٤٦ السطر ١٦ : « وذكره العماد الكاتب في كتاب الخريدة ... » . قارن بما ورد في الخريدة ٢ : ١٧٢ (قسم العراق) .
- ٣٥٤ الأبيات « قل للقوافل والغزاة إذا غزوا... » ورد بعضها في ابن العديم ٨ : ٣٨ .

ج ٦

- ٧٠ السطر : ٩ ذكر ابن العديم كتاباً اسمه « أتمودج الأعيان » ٢ : ٢٠٨ وقال انه من تأليف عبد السلام بن يوسف الدمشقي .

- ٧٦ القصة التي أوردها ابن المؤلف (الحاشية : ٢) أوردها المؤلف نفسه (ج ٢ : ٢٩٦ - ٢٩٧) .
- ١٣٧ البيتان « تنكر لي دهري » للأبيوردي وقد وردا في ترجمته ٤ : ٤٤٦ .
- ١٥٢ الأبيات « يا زائرنا من الحيام ... » لمنصور النمري من قصيدة يمدح بها الرشيد . طبقات ابن المعتز : ٢٤٧ .
- ٢٣٥ الأبيات « يا باذل المال في عدم وفي سعة ... » وردت في ابن العديم ٨ : ٢٧٥ والرواية فيه « مواهبه » موضع « فواضله » ؛ و « مفعمة » موضع « متعمة » ؛ « بأحداثي » موضع « بأحداث » ؛ « فالجلود بالعرض » موضع « فالجلود بالعز » .
- ٢٨٥ الأبيات « سألتاه الجزيل فما تلكا ... » نسيها ابن العديم ٨ : ٣٧ لزياد الأعجم يقولها في مدح عبد الله بن جعفر .
- ٣١٠ قصة يزيد بن أبي مسلم مع سليمان بن عبد الملك وردت في ج ٢ : ٤٢٥ في ترجمة سليمان ، ومعلوم أن هذه الترجمة لم ترد إلا في نسخة ص .
- ٣٢٤ قصة أشعب مع يزيد بن حاتم وردت في ترجمة أشعب ٢ : ٤٧٣ وهي ترجمة انفردت بها ص أيضاً .

ج ٧

- ٤١ الأشعار الواردة ابتداءً من « ألقني في لظى ... » ورد معظمها في انباء الأمراء . الورقة : ٢٧ في ترجمة أبي المواهب القمي .
- ١٣٩ س ٨ « اتفق أهل التاريخ ... » انظر هذا النص في ذيل مرآة الزمان ١ : ٣٧ .
- ٢٠٨ البيتان « وما خضب الناس ... » وردا في البدر السافر . الورقة : ٢٠٥

٤ - معارضة الجزء الاول بمسودة المؤلف والنسخ س ر بر

ص ٢٥	السطر : ١	س : ربيعة بن ذهل بن ربيعة بن حارثة بن ذهل بن سعد .
	٩	س بر : أنا أتوقع .
	١٥	المسودة : جلد ؛ س : جالد ؛ ربر : خالد .
٢٦	١	س بر : وهذا هو الصحيح .
٢٧	٣	س : ونجب .
	٧	المسودة س ر بر : عتمة .
٢٨	٣	المسودة س بر : الملقب ركن الدين .
	٦	س : خمس مجلدات .
	١٦	المسودة : دَعَلَج (مضبوط بخط المؤلف) .
٢٩	١٢	س بر : فيطلب منه .
	٢٠	المسودة س ر بر : بودّ حرّ .
٣٠	١٤	المسودة ر بر : لا تألف ؛ س : لا يؤلف .
٣١	١	بر : الخوزي ؛ س : الخوري (دون اعجام) .
٣٣	١٦	ر : تغيير .
٣٤	٦	ر : أخوا علم .
٣٥	٩	س ر : إذ تفحا .
٣٧	١٠	المسودة س ر بر : وكان أصله من العراق من السندية ، فقيهاً فاضلاً .
	١٢	المسودة س ر بر : ونظمه رائق فمته .
٣٨	٧	المسودة : فلو كان .
٤٠	٩	س : فلما قدم المأمون بغداد .
	١٥	المسودة : حتى يكون .
٤٢	١١	س : عثمان (موضع بهم) .

ص ٤٢	السطر : ١٢	المسودة : يسك ؛ ر : يشك .
«	١٥	المسودة ر : وهم من بيت .
٤٣	«	٨ بر : وكان هارون الرشيد .
٤٤	«	٤ المسودة ر س بر : ومن رقيق شعره قوله .
٤٦	«	١٤ بر : مخرج .
٤٨	«	٧ بر : قلبي أرق عليك .
«	١٠	المسودة ر بر : صاحب كتاب الامامة .
٥٢	«	١٣ المسودة ر بر س : وهاجت حقه .
٥٤	«	٥ المسودة بر ر س : بهمز آخره .
«	١٣	المسودة ر بر س : له ديوان .
«	١٥	س : وأدب .
٥٦	«	١١ المسودة ر بر س : ما للعذار وكان .
٥٧	«	٤ المسودة ر بر س : كأني غيلان .
«	١٦	المسودة بر س : افرنجة .
٥٨	«	٢٠ س ر : ومن العجائب أن تراه كاسداً .
٥٩	«	٩ المسودة بر : ما تبلى .
«	١٢	بر : يستملحه الأدباء ويستظرفونه
٦٠	«	١ بر : طالعي الميمون .
٦٤	«	١٩ المسودة ر : شعيرات سود .
«	٢٢	المسودة ر س بر : وتوفي .
٦٦	«	٤ المسودة س بر : في كتاب الطبقات في حقه .
«	٥	المسودة س ر بر : وولي القضاء .
«	١٩	المسودة س ر بر : إن الله تعالى بعث .
٦٧	«	١ المسودة س ر بر : فأظهر كل سنة .
«	٢	المسودة س ر بر : ومن الله تعالى على رأس الثلاثمائة بك .
«	٦	المسودة : في حجرة ؛ بر : بحجرته .
«	١٨	المسودة ر بر : عجمياً .
٦٨	«	٩ المسودة ر بر : تولى القضاء بها .
«	١٠	المسودة ر بر : وأدركته خشية ورقة .

ص ٦٨	السطر : ١٧	المسودة س بر : بالحصون والأودية .
٧٢	« ١٥	المسودة ر بر س : وهي قبيلة كبيرة مشهورة .
٧٣	« ٦	المسودة ر بر س : بن عبدك الاسفرايني .
	« ١٢	المسودة س : علي بن الحسن .
	« ١٦	المسودة س : هو أقدم منه وأعلم .
٧٤	« ١٤	المسودة : ما لم أفعل ، وقال بهامش س : كذا هي بخط المصنف ، قلت : ولعله خطأ ، وفي بر : ما لم يفعل .
٧٥	« ١٧	المسودة ر س بر : الحافظ المشهور .
٧٧	« ٥	المسودة س : وانتشر .
٧٩	« ١١	المسودة س : في كتابه الأنساب .
٨٠	« ٥	المسودة س ر : فاذا أحمد الثعلبي .
	« ١٥	المسودة س ر بر : وهي أحسن مدن ...
٨١	« ٨	ر : وتجر أبوه .
٨٧	« ٦	ر : فقال أحمد : ما بلغ مني ... الخ .
٨٨	« ٤	المسودة س : بقضاء حاجاته .
	« ٩	المسودة س : وكانت فيه ...
	« ٢٢	المسودة : ولم تكن طريقه .
٨٩	« ٣	المسودة : واضحة .
	« ٤	المسودة : آباء .
٩٠	« ٢٠	بر : تجي إليه .
٩٢	« ٦	المسودة ر س : وسباه العسكر .
	« ٧	المسودة : وآن الجمع .
	« ١٣	المسودة ر س بر : من المصنفات المفيدة .
	« ١٦	المسودة س بر : عن أبي الحسين المحاملي (وورد من قبل : الحسن) .
٩٣	« ٤	المسودة ر س : حافظ الشرق .
٩٦	« ٣	المسودة بر س : وما أقصر .
٩٨	« ٧	ر : الأولى طابرا .
	« ٨	المسودة س : باء موحدة مفتوحة .
	« ١٤	المسودة : لكن هكذا .

ص ٩٩	السطر : ٨	المسودة : وبعد الهاء والألف نون .
١٠٠	« ٢	المسودة : المعلقة التسع .
١٠٣	« ٢	المسودة : اقرأ ؛ ر بر س : اقر .
« ٩		المسودة : كبير الفائدة .
« ١٣		بر : يعيش لدى ديمومة البيت حوتها .
١٠٤	« ١٥	المسودة س بر ر : وكتاب اختلاف النحويين وكتاب... الخ. (أدرجت كلمة كتاب في كل هذه الفقرة) .
١٠٥	« ٣	المسودة ر س : الحافظ أبو الطاهر .
١٠٦	« ١١	وهي بفتح الواو ... الخ (في ضبط وعلة) .
١٠٨	« ٥	المسودة : عائد ؛ ر بر : عابد .
« ١٧		المسودة ر س بر : وكنت أحضر درسه .
١١٠	« ٨	المسودة س بر : خط الجمال .
١١١	« ١	المسودة س : من جملة قصيد .
١١٢	« ٥	المسودة : وله (في موضع : ولا بن عبد ربه ، وهو وموهم) .
١١٤	« ١٥	المسودة ر بر س : رهن المجسين .
« ١٨		المسودة ر بر : بالايلام مطلقاً ؛ س : بالايلام مطلقاً .
« ١٩		لفظة « قوله » لم ترد في المسودة س ر بر .
« ٢٢		« يوم » فوقها في المسودة « ليلة » .
١١٥	« ١	المسودة س : هذا البيت ، رحمه الله تعالى .
١١٦	« ٤	المسودة : ولم تزل المعرة بأيدي ...
« ٥		المسودة : في سنة تسع .
« ١٢		المسودة ر س : في كتابه اللخيرة .
١١٧	« ٢	المسودة س : من جملة قصيد .
« ٨		المسودة ر بر : فنام ونامت .
١١٨	« ١٦	يعاني : هي كذلك في النسخ ما عدا س فقد وردت وتعاني ، وقد استشكل عليها الأستاذ جواد الطاهر ، والمقصود ما كان مثل كتابه « فتيا فقيه العرب » فقيه مسائل من قبيل الأحاجي .
١١٩	« ٥	المسودة س : بطرف فاتن فاطر .
١٢٠	« ١٥	المسودة س : التكملة والايضاح .

ص ١٢١	السطر : ٢	المسودة : القَبَج .
١٢٢	« ٥	المسودة س : فالتحق بالأمير .
١٢٣	« ٥	المسودة س ر بر : وأجزل جائزته .
	« ٢١	المسودة ر س : وبعدها الفاء .
١٢٦	« ٢	المسودة : ومن محاسن شعره فيه قوله :
	« ٣	المسودة ر : علاك وفي الدنيا .
	« ٦	سقطت « أيضاً » من المسودة ر .
	« ٩	المسودة ر بر س : وشكت .
١٢٧	« ١٢	لفظة « ساحل » واردة في النسخ .
	« ١٢	المسودة ر س بر : طرسوس .
١٢٩	« ١٨، ١٥	سقطت كلمة « قوله » من المسودة س ر .
١٣٠	« ١	المسودة بر : وقلت قف لا ترد للماء .
	« ٤	المسودة ر بر : قالت صدقت وفاء الحب .
١٣١	« ٣	لفظة « بطون » لم ترد في النسخ .
	« ٨	المسودة : قصب الخصل ؛ ر س بر : قصب الفضل .
١٣٢	« ٣	المسودة : ومن مدحها .
١٣٣	« ٧	س : نول الناس .
	« ١٣	المسودة س : وتقبلوا الأخلاق (وهي الصواب) .
١٣٤	« ١٠	المسودة ر س : وتوفي في سنة .
	« ١٣	المسودة ر س : لقبه عبد الله بن المعتز .
١٣٥	« ٥	المسودة : والعلماء المقدمين .
	« ١٠	س : قصيد أبي نواس .
١٣٦	« ١	خ بهامش س : ذريني (أرد ماء ...) .
	« ٦	المسودة س ر : غبي بمرجوع (وهي قراءة ضعيفة) .
١٣٨	« ١٣	المسودة : وله من جملة أبيات .
	« ١٦	في المسودة بعد لفظة « الوشاة » : والله أعلم .
١٣٩	« ١١	المسودة ر س بر : أحد من جر الأيام جرا .
١٤٠	« ٩	المسودة ر س : ومن شعره (وسقطت : أيضاً) .
	« ١٥	المسودة ر س بر : ومن بديع قلائده القصيدة .

ص ١٤٢	السطر : ٢	المسودة ر س : المحسنين في فنونه .
١٤٣	« ١٠	المسودة بر س : والآخرة أيضاً والآخرة أيضاً .
	« ١١	المسودة : وأطرق ولم .
	« ١٤	المسودة : وقاه فوقها كلمة « غذاه » .
	« ١٥	المسودة : المرضعات فوقها كلمة « الوالدات » .
١٤٤	« ٢	المسودة س بر : يروع .
	« ٤	المسودة س بر : وأورد شيئاً .
	« ٦	المسودة س : اوقليدس .
	« ٧	المسودة : وقد تناهى عقله قلة .
	« ٨	المسودة ر : وتوجد له .
١٤٥	« ٧	المسودة س : الخياط الدمشقي الشاعر .
	« ٨	المسودة س : ومدح بها .
١٤٨	« ١٠	س : ألا هل .
	« ١٦	المسودة بر : الأسمى في الأسماء .
١٤٩	« ٤	المسودة : الكاتب الشاعر الملقب كامل الدولة .
	« ٤	المسودة : نادر الخط .
	« ٦	المسودة س ر : كتب بالمقامات نسخاً .
١٥٠	« ٣	المسودة ر : فتطوى .
١٥٢	« ١٩	المسودة ر : دونه (كذا ثبت بخط المؤلف) .
	« ٢٣	المسودة ر بر : فالعين تنظر منها ما دنا ونأى (وهي رواية موافقة لرواية الديوان) .
١٥٣	« ٤	المسودة ر س بر : لكم (باتفاق النسخ) .
	« ٨	س ر بر : لم ؛ وبهامش س : كم ، ولم ترد الأبيات في المسودة ، وهي من أصل المؤلف .
١٥٨	« ٢	هامش س : وعلا وجنته (وهي أصوب) .
١٦٢	« ١	المسودة : والرياضيات .
	« ٢	المسودة ر : عضد الدين .
١٦٣	« ٩	بر : فلست أبالي (وهي قراءة ضعيفة) .
١٦٤	« ٦	المسودة ر بر : ابن المسلم اللخمي .

ص ١٦٤	السطر : ٩	المسودة س : وكذلك .
«	١٤	المسودة س : وشهدت .
١٦٧	«	٢٣ المسودة : أوقليدساً .
١٦٨	«	٤ المسودة ر : مع المقدرة .
«	٦	المسودة ر بر س : يكتسب .
١٦٨	«	١٠ المسودة ر : وفي صفة الصفوة (وهو الصواب) .
١٦٩	«	٤ المسودة س : طيباً وقد قربوا للوفد .
«	٩	المسودة ر بر س : في أشياء من العلم .
١٧٠	«	٦ المسودة ر بر س : لفظة « كان » لم ترد فيها .
١٧١	«	١٥ بر : بن أبي الحسين .
١٧٢	«	٢ المسودة س : إلى التناير .
«	١٠	س : للأسمى ؛ خ : بهامش س : للهوى ؛ بر : بالحوى .
«	١٣	المسودة : فمطلق ؛ س : فمعتق ؛ خ : بهامش س : فيطلق .
١٧٣	«	١٢ المسودة ر س بر : فقال : من مدّ ... الخ .
١٧٥	«	٤ المسودة بر س : : وبقية النسب معروف .
«	٦	المسودة بر س : كان صاحب العراق .
١٧٦	«	٤ المسودة س بر : ملكه للعراق .
١٧٨	«	٢ المسودة ر بر س : صاحب الديوان الشعر .
١٧٩	«	١ المسودة ر بر س : وسيأتي تنمة ...
«	١٧	المسودة : فلم تكن .
«	١٨	المسودة بر : استولى الافرنج .
١٨١	«	٧ المسودة ر بر س : والقضية مشهورة .
١٨٢	«	٢ المسودة بر : لا تيأس إذ ؛ س : لا تيأس إن .
١٨٣	«	٥ المسودة بر : المذكورة بالقدس (لم ترد لفظة : الشريف) .
١٨٥	«	٩ المسودة : أفنيت (بفتح التاء) .
«	١٨	المسودة ر بر س : وشرطُ صاحب مصر .
١٨٦	«	٣ س : زعم العين .
«	١٥	المسودة : فقد حصّت .
١٨٧	«	٤ المسودة ر : في تربة بالقرافة ؛ س بر : في تربته بالقرافة .

ص ١٨٧	السطر : ١٧	المسودة : وزج المتظلم .
١٨٩	« ٦	المسودة بر : فميلوا ؛ س : ميلوا .
١٩١	« ٨	المسودة ر بر : وليل غازي .
	« ١٣	ر بر : الفراء (وهو مشكل في تحديده) .
١٩٢	« ١٣	المسودة س ر : قتلته عسكر .
١٩٣	« ٤	المسودة س : ابن السمعاني .
	« ٥	المسودة بر : القابسي ؛ س ر : الفاسي .
	« ٧	ر : شغب ؛ بر : سعد .
	« ١٧	المسودة ر س بر : قلّ أن يوجد .
١٩٤	« ١٤	المسودة ر س : فترصد له في يوم .
	« ١٩	المسودة ر بر : ألف دينار وقد قضيت ... الخ .
١٩٥	« ١٢	المسودة س : على يدي عتبة .
	« ١٣	المسودة ر س بر : أدب الكتاب .
	« ١٤	المسودة س بر : باب ما يغير .
١٩٦	« ١٤	المسودة : سنة احدى وأربعين وخمسمائة ، والحافظ مات سنة أربع وأربعين .
	« ١٩	المسودة ر س بر : تضعف عن .
١٩٧	« ١	س : الوقعة .
١٩٩	« ١٦	المسودة : ابن مطر وتحتها لفظة « بكر » ؛ بر : مظفر ، وفي بر : كعب بن همام بن بكر بن أسد (فوقعت لفظة بكر في النسب) .
٢٠٢	« ٤	المسودة ر بر : فكان كلما عمل .
	« ٥	المسودة ر بر : وجعله في مسجل .
	« ٩	المسودة : السعائين (دون اعجام السين) .
	« ١٢	ر : يسك ؛ س : نسك ؛ بر : سبك ، وغير معجمة في المسودة .
٢٠٣	« ٢٥	س : وله نظم حسن فمن شعره .
٢٠٤	« ٢٣	المسودة : ومحت (بالخاء المهملة) .
٢٠٧	« ٧	المسودة س : محيي الدين .
	« ١٣	المسودة س : في المذيل .
٢٠٨	« ١١	بر : أحمد بن الحسين ، ولفظة « الحسين » غير واضحة في المسودة .

ص ٢٠٩	السطر : ٢	المسودة ر س : فمن ذلك كتاب شرح ... الخ .
٢١٠	« ١٦	المسودة ر بر : وله من جملة مديح قصيدة طويلة .
٢١٣	« ١	المسودة س : التنوير في مولد .
٢١٤	« ٤	المسودة : رُقَيْع (بضبط المؤلف) .
«	١٧	المسودة ر : لا يتقى بالدرع حدّ (وكذلك ابن الشعار) .
٢١٧	« ٨	المسودة : عمرو بن اسحاق ثم رمج على « اسحاق » وكتب فوقها « مسلم » .
«	١٦	المسودة ر : أبو العباس ابن سريج .
«	١٦	المسودة ر س : لم تُفْتَضَّ .
٢٢٦	« ١١	المسودة : دَرَسْتَوِيَه (بضبط المؤلف) .
«	١٧	المسودة بر : سافر إلى بغداد .
٢٢٧	« ٥	المسودة س بر : وأكثر كتبه بها وضعها .
«	٧	المسودة بر : فلتطلب منه .
«	٢٢	المسودة بر : وكانوا كملوك الطوائف .
٢٢٩	« ١٢	المسودة س : ومن جملتها .
٢٣٠	« ١	المسودة س ر بر : لفظة « سريعا » لم ترد فيها .
«	٢٠	المسودة س : وذلك رزء في الأنام ؛ وكتب في المسودة فوقها « وذلك مرزوء عليّ » .
٢٣١	« ١٠	المسودة : دزيه (بخط المؤلف) بر : دريه .
٢٣٣	« ٨	المسودة : كتاب الحجة للشيخ أبي علي الفارسي .
٢٣٤	« ٤	المسودة ر بر س : وسياقي بقية .
٢٣٦	« ١	بر س : أراد دخول .
«	٤	بر س : يخلصني من هذا (ولم ترد لفظة « الداء ») .
٢٣٧	« ٩	المسودة س بر ر : هي المدرسة الحنفية المعروفة بالسيوفية الآن .
٢٣٩	« ٣	المسودة ر : ما ناظرت أحداً .
٢٤٣	« ١٢	س : المعدودين من أعيانها .
«	١٦	بر : في علوم الأدب .
٢٤٧	« ١٤	المسودة : سواة بن سارية .
٢٤٨	« ١	المسودة ر س بر : عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

ص ٢٤٨	السطر : ١٠	المسودة : ثدييها .
٢٥١	« ١	المسودة : خماعة .
٢٥٢	« ١٥	المسودة ر س : وريف كثير .
	« ٢٤	المسودة س بر : وأضر بها تحت الرايات .
٢٥٣	« ٣	المسودة : ويشعرون (؟) .
	« ٣	المسودة س بر : الأعداء .
٢٥٥	« ٣	المسودة : خماعة .
٢٥٦	« ٦	المسودة ر : وهو السلطان مسعود بن غياث الدين .
	« ١٧	المسودة : رأى أن يسيّر .
٢٥٧	« ٦	المسودة ر بر : الاسبهسلار .
	« ٢٦	المسودة ر بر : لولده صلاح الدين (سقطت كلمة « يوسف ») .
٢٥٩	« ٩	المسودة ر بر : ورثاه الفقيه (الفقيه : خطأ مطبعي) .
	« ١٢	المسودة ر بر : ابن أبي طي .
	« ١٣	المسودة ر : ببلد شبختان .
٢٦٥	« ١٣	المسودة ر بر : المذكورة .
	« ١٤	المسودة بر : التاسع والعشرين ؛ س : تاسع عشرين .
٢٦٦	« ١	المسودة ر بر : ركوب .
	« ٧-٨	المسودة بر س : قصد طرابلس ونزل على قرب ...
	« ٨	المسودة ر س : لا يرحل عنها إلى أن ؛ بر : إلا أن .
	« ٩	المسودة : فتركت شرحه .
٢٦٧	« ٥	ر : مكان أبيه .
	« ٦	المسودة س ر : شاه زنان .
	« ١٤	المسودة س ر : منأ في كل شهر .
٢٦٨	« ١	س ر : طشت .
٢٦٩	« ١٥	المسودة : صفر، وفوقها « رجب » ؛ ر : رجب ؛ برس : صفر .
٢٧٠	« ٨	المسودة س : الذي تنسب إليه .
٢٧١	« ٦	المسودة : وكان المباشر لقتله مسعوداً .
٢٧٢	« ١٩	المسودة ر س بر : جملة قصيد عدد أبياته .
٢٧٤	« ١٢	المسودة س : وفتح الخاء الموحدة .

ص ٢٧٥	السطر : ١١	المسودة ر بر س : لأخذ نعليه .
٢٧٧	« ١٢	المسودة : أخذ الفقه على .
٢٨٣	« ٤	المسودة س : فمنهم عبيد الله ، خ في س : فخذهم ؛ س/خ : سعيد أبو بكر سليمان (وهي قراءة بر) .
٢٨٣	« ١٤	المسودة ر بر س : في النحو والآداب .
٢٨٤	« ١	المسودة س : حيان بن هلال .
	« ٦	المسودة س ر بر : وكذا كذا آية .
٢٨٥	« ٩	المسودة س ر بر : نُجِفَى .
٢٨٦	« ١٤	المسودة ر : أن ترفع الخناية ؛ المسودة س : ولا ترفع السيف .
٢٨٧	« ٩	المسودة س ر : وأما واركلان فانه .
	« ١٣	س : وسيأتي ذكر .
٢٨٩	« ٤	س : في الحسن .
	« ١٩	س : كاد أن يلدي .
٢٩٠	« ١	المسودة س ر بر : فعرض .
	« ٢١	المسودة س بر : كانت فيه فضيلة .
٢٩١	« ٢	المسودة بر : جهة الغرب .
٢٩٥	« ١١	المسودة س ر بر : ثم تملك .
٢٩٦	« ٥	المسودة س ر بر : بظاهر دمشق التي .
	« ٢١	المسودة : ألبُغش ، س : التعش ؛ بر : البقش .
٢٩٧	« ١٤	المسودة ر بر : ابنة أبي القرج .
٢٩٨	« ٤	المسودة س بر : لم ترد فيها لفظة « تقول » .
	« ١١	المسودة س : الحافظ العلامة زكي الدين .
	« ١٦	المسودة س ر بر : وما يتعلق به .
٣٠١	« ١٢	المسودة س : عذرا (وما ثبت خطأ مطبعي) .
	« ١٦	المسودة س : وله (وسقطت « أيضاً ») .
٣٠٣	« ١١	س : هكذا قاله .
	« ١٦	المسودة ر : الهمداني (بالذال المعجمة) .
٣٠٤	« ٤	المسودة س ر بر : بن زير الأصغر .
٣٠٨	« ١٤	بر : مما أثبت (وهي قراءة جيدة) .

ص ٣١٣	السطر : ٣	س : بن قرة بن مروان .
«	٤	المسودة : بن مكارينئوس بن مالا جريئوس (بضبط المؤلف) .
٣١٥	«	٦ المسودة س بر : عليه السلام .
«	٦	المسودة ر بر : وقيل هاران .
«	٨	المسودة س : عليه السلام .
٣١٦	«	٤ المسودة ر س بر : فخرج منها سكرجتان .
«	١٠	المسودة : فَحَيَّ هَلا (وما أثبت خطأ مطبعي) .
«	١٣	المسودة ر بر : سمعت ذا النون يقول .
٣١٨	«	٧ المسودة س : ومحاسنه كثيرة .
«	٩	المسودة س ر : ودفن في القرافة .
٣٢٧	«	٥ المسودة ر س بر : « والله أعلم » لم ترد فيها .
«	١١	المسودة : صناعة الكيمياء .
٣٣٦	«	٣ المسودة : أضمر له السوء وأوقع به .
٣٤١	«	٩ المسودة س : وحدث محمد بن عبد الرحمن الهاشمي صاحب صلاة الكوفة قال (هذا بدلاً من « ومن أعجب ما يؤرخ » ... الخ)
٣٤٨	«	٦ المسودة ر س : وسيأتي ذكرهما .
٣٥٧	«	٧ المسودة س : أبو الطاهر السلفي .
٣٥٨	«	٢ المسودة س بر : وأشهر هجره كالمحتوم صدق .
«	٥	بر : يخضب بالوسمة .
«	١٠	المسودة س ر : وتوفي بها في ليلة .
٣٥٩	«	١ المسودة ر س بر : يستخرج بها الخفايا .
«	٢	المسودة ر س بر : حدسه .
«	٣	س : طشتا .
«	٦	المسودة ر س بر : يستخرج بها (سقطت لفظة « الخبايا ») .
«	٩	المسودة ر س بر : ولا أعلم في العالم موضعاً على هذه الصفة .
٣٦٠	«	٤ المسودة ر : سخياً ؛ س : شيخاً .
«	١٥	المسودة : وهذا القدر خلاصتها .
٣٦١	«	١٤ المسودة ر : فأبادهم بتشتت .
٣٦٢	«	٣ المسودة : تخبرني عن أحمد بن دواد .

ص ٣٦٢	السطر : ٤	المسودة : ولو قال كذا .
٣٦٤	« ١	المسودة س : انتزعها منه السلطان .
	« ٨	المسودة : فوجدت أن ملك شاه .
	« ١٨	المسودة ر س بر : صاحب الموصل والجزيرة والشام .
٣٦٥	« ٣	المسودة ر س بر : ولم ينل منها مقصوداً .
	« ٤	المسودة س : فرُخ شاه ، وفوقها تضبيب في المسودة .
	« ٦	المسودة : ليربيه .
	« ٧	اللالا : سقطت من النسخ .
	« ٧	س بر : فأتا .
	« ٨	المسودة ر س : وكان جقر المذكور .
	« ١٢	المسودة : وثلاثين وخمسمائة ، وقيل تاسع ذي الحجة رحمه الله تعالى .
	« ١٢	المسودة س : ووضع جقر الأمير زين الدين .
٣٦٦	« ٧	المسودة ر : بن كبير بن عنبرة .
	« ١٣	المسودة : إن من الشعر حكمة .
٣٧٢	« ٥	المسودة : أبي علي الحسن بن سليمان .
	« ٨	المسودة : قتل الحاكم صاحب مصر لأبي أسامة جنادة وأبي الحسن المقرئ (وهكذا اضطرب المؤلف فهو يدعوه تارة أبا علي الحسن ، وتارة أبا الحسن علي بن سليمان) .
٣٧٣	« ٦	المسودة س : رضي الله عنه .
	« ٨	المسودة س : لم يرد فيهما « رضي الله عنهم » .
	« ١٥	المسودة ر : ورثي في يده يوماً ؛ بر س : ورثي يوماً في يده .
٣٧٤	« ١٢	المسودة بر : فبينما أنا كذلك .
٣٧٥	« ١٣	س : القائد أبو الحسين .
٣٧٨	« ١٢	بر : وخرج حريمهم .
٣٨٠	« ٣	المسودة : وهو الذي بنى القاهرة وسيأتي طرف منها في ترجمة (ثم طمس النص) ؛ وهو غير وارد في النسخ وورد بدله « وشرع في عمارة الجامع » ... الخ .

محتويات الكتاب

١٥٧ - ٥

مقدمة التحقيق

تراجم الجزء السابع

٣	يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن - أبو يوسف المنصور الموحد	٨٢٩
١٩	يعقوب بن داود بن عمر ، أبو عمر	٨٣٠
٢٧	يعقوب بن يوسف بن إبراهيم ، أبو الفرج ابن كلثوم الوزير	٨٣١
٣٥	يعقوب بن صابر بن بركات ، أبو يوسف المنجنيقي	٨٣٢
٤٦	يعيش بن علي بن يعيش ، أبو البقاء موفق الدين ابن يعيش	٨٣٣
٥٣	يموت بن المزرع بن يموت ، أبو بكر	٨٣٤
٦١	يوسف بن يحيى ، أبو يعقوب المصري البويطي	٨٣٥
٦٥	يوسف بن أحمد بن يوسف - أبو القاسم ابن كج القاضي	٨٣٦
٦٦	يوسف بن عبد الله بن محمد ، أبو عمر ابن عبد البر	٨٣٧
٧٢	يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله ، أبو محمد السيرافي	٨٣٨
٧٥	يوسف بن يعقوب بن اسماعيل ، أبو يعقوب النجيري	٨٣٩
٧٨	يوسف بن أيوب بن يوسف ، أبو يعقوب ابن وهرة الحمذاني	٨٤٠
٨١	يوسف بن سليمان بن عيسى ، أبو الحجاج الاعلم الشنتمري	٨٤١
٨٤	يوسف بن رافع بن تميم ، أبو المحاسن بهاء الدين ابن شداد	٨٤٢
١٠١	يوسف بن عمر بن محمد - الثقفي ، أبو عبد الله	٨٤٣
١١٢	يوسف بن تاشفين اللمتوني - أبو يعقوب	٨٤٤

١٣٠	يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، أبو يعقوب صاحب المغرب	٨٤٥
١٣٩	يوسف بن أيوب بن شاذي ، أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدين	٨٤٦
٢١٩	يوسف بن محمد ، أبو الحجاج الموفق ابن الخلال	٨٤٧
٢٢٥	يوسف بن هارون الكندي ، أبو عمر الرمادي	٨٤٨
٢٣٠	يوسف بن درة المعروف بابن الدرّي	٨٤٩
٢٣١	يوسف بن اسماعيل بن علي ، أبو المحاسن شهاب الدين الشوّاء	٨٥٠
٢٣٨	يوسف بن محمد بن ابراهيم ، أبو الحجاج البياسي صاحب الحماسة	٨٥١
٢٤٤	يونس بن حبيب النحوي ، أبو عبد الرحمن	٨٥٢
٢٤٩	يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدي ، أبو موسى	٨٥٣
٢٥٤	يونس بن محمد بن منعة ، أبو الفضل رضي الدين الاربلي	٨٥٤
٢٥٦	يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني ثم المخارقي	٨٥٥

التراجم العارضية

١٢	شمس الدولة أبو الحارث عبد الرحمن بن نجم الدولة ابن شداد	355
١٣	أبو بكر يحيى بن عبد الجليل ابن مجير الأندلسي المرسي	356
١٥	أبو عبد الله محمد بن يعقوب الملقب بالناصر المرابطي	357
١٦	أبو يعقوب يوسف بن محمد الملقب بالمستنصر المرابطي	358
١٦	أبو محمد عبد الله بن الأمير يعقوب الملقب بالعاقل المرابطي	359
١٦	أبو زكريا يحيى بن الناصر محمد بن يعقوب	360
١٦	أبو العلاء ادريس المأمون	361
١٧	أبو محمد عبد الواحد بن أبي العلا ادريس الرشيد	362
١٧	أبو الحسن علي بن ادريس المعروف بالسعيد	363
١٨	أبو حفص عمر بن أبي ابراهيم بن يوسف الملقب بالمرتضى	364
١٨	الواثق أبو العلا ادريس بن أبي عبد الله يوسف بن عبد المؤمن المعروف	365
١٨	بأبي دبوس	
١٨	علي بن اسحاق الميورقي المعروف بابن غانية	366

١٩	أبو محمد عبد الله ابن غانية	367
٢٦	أبو جعفر الفيض بن أبي صالح	368
٢٦	أبو عبيد الله معاوية الأشعري	369
٢٦	أبو حنشل الهلالي النميري (واسمه حضير بن قيس البصري)	370
٣٤	القائد فضل	371
٣٥	أبو القاسم عبيد الغفار شاعر دولة الحاكم	372
٥٦	أحمد بن المدبر	373
٥٧	أبو نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع	374
٥٩	حكيم بن جبلة	475
٧٠	الختّامز : أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد	376
٧١	أبو محمد عبد الله بن يوسف النميري	377
٨٢	أبو يزيد سهيل بن عمرو القرشي العامري	378
٨٥	الشيخ أبو البركات عبد الله بن الخضر بن الحسين المعروف بابن الشيرجي	379
٨٥	الشيخ محب الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي الخطيب بالموصل	380
٨٦	الحافظ مجد الدين أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري الصنهاجي	381
١٠٠	الشيخ نجم الدين ابن الحياز	382
١٠٠	الانابك شهاب الدين طغرل	383
١٠٠	أبو الحسن ابن خروف الاديب	384
١٢٥	علي بن يوسف بن تاشفين	385
١٣١	الأمير أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد المعروف بابن مردنيس	386
١٣٢	أبو جعفر أحمد بن صمادح البنيّ اليعمري الأبتدي الشاعر	387
١٣٤	أبو بكر محمد بن الطفيل	388
١٣٦	الأديب أبو العباس أحمد بن عبد السلام الكوراني (الجراوي)	389
١٤١	مجاهد الدين الخادم	390
٢٠٣	ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي	391
٢٠٥	الملك الظافر المشهور بالمشمر	392
٢١٢	عمرو بن العاصي	393
٢١٦	خارجة بن حذافة بن غانم	394
٢٣٧	ابن الجبراني	395

٢٥٣	عبد الأعلى الصديقي	396
٢٥٣	أبو الحسن أحمد بن يونس الصديقي	397

٢٦٠ نماذج من صور المخطوطات

٣٠٥ ملحقات

- ٣٠٧ ١ - مزيد بيان في تخريج التراجم الأصلية
- ٣٣٧ ٢ - مزيد بيان في تخريج التراجم العارضة والتعريف ببعض الأعلام
- ٣٤٤ ٣ - زيادات من النسخ وتعليقات وتخريجات لبعض النصوص
- ٣٦٠ ٤ - معارضة الجزء الأول بمسودة المؤلف والنسخ س ر ير

تصويبات واستدراكات^(١)

ج ١

٢٩ ص	س ٥	ابن أمين	اقرأ : ابن رامين
٣٣ ص	س ١٦	تعبير	اقرأ : تعبیر
٤٦ ص	س ١	العقر	اقرأ : العقر
٦١ ص	س ٢٠	شعور	اقرأ : شقور
٨٧ ص	س ١٣	مزید	اقرأ : مزید (عج)
١١٤ ص	س ١	لبد	اقرأ : لبد
١٣٦ ص	س ٧	ومهدت	اقرأ : ومهدت
١٥٠ ص		(الحاشية)	هذا التعريف وهم كله لتشابه الاسمين فيحذف (عج)
١٦٨ ص	س ١٥، ١٠	وصفة	اقرأ : وصفة (عج)
١٧٩ ص	س ١٧	وولي	اقرأ : وولي
١٨٥ ص	س ٢١	صقلية	اقرأ : صقلية
٢١٣ ص	س ٢٢	والفوات ١ : ٢١	اقرأ : والفوات ١ : ٣٦
٢٤٤ ص	س ٤	البظرنى	اقرأ : البظرنى

(١) كان الدكتور علي جواد الطاهر قد راجع الجزء الاول في مقال نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (الجزء الاول، المجلد السادس والاربعون : ٤٥ - ٦٥) وقد أطنب في ذكر مأخذ شكلية ، على أنه ، بعد كل ذلك ، يستحق الشكر لاهتمامه بهذا العمل ، وسأقيد ما أفدته من ملاحظته في هذا الباب ، وأشير إلى ذلك مقترنا باسمه الكريم (برمز : عج) .

جودوري	س ١٢	ص ٢٦١
أَنْزَ	س ٦	ص ٢٩٧
قُصْرُ	س ٣	ص ٣٠٢
(الحاشية ١)		ص ٣٠٣

اقرأ : جور ، وربّي
اقرأ : أنز
اقرأ : قَصْرُ
للعقبي تاريخ المغاربة (المشتبه للذهبي: ٤٤٦) وهذا هو الذي يمكن أن ينقل عنه المؤلف .
وقد نه دي سلان إلى ذلك (الترجمة الانجليزية ١ : ٢٨٠)
اقرأ : وافى (هذا ما أرجحه وقد وردت وافق في النسخة بر أيضاً)
اقرأ : هذا (عج)
اقرأ : سبيبة
اقرأ : متيقظ
اقرأ : يقدم
اقرأ : ونجب
اقرأ : أطرفه
اقرأ : حمدون
اقرأ : أجرّ
اقرأ : للتفخيم
اقرأ : دمعي
اقرأ : وحمله
اقرأ : صبحه
اقرأ : دواد (عج) وكذلك حيث ورد
اقرأ : كدّه
اقرأ : حينه (هذا ما أرجحه)
اقرأ : والخانات
اقرأ : سوى
اقرأ : التجار
اقرأ : الكينجي (؟) وكذلك هي في ر) .

وافق	س ١٨	ص ٣٣٦
هدأ	س ١٠	ص ٣٤٠
سلبية	س ٩	ص ٣٥٢
مسقط	س ٦	ص ٣٥٣
تقدم	س ١١	ص ٣٥٣
ونجب	س ١٦	ص ٣٥٥
أطرفه	س ١٧	ص ٣٥٥
حمدان	س ٣	ص ٣٦٠
أجرّ	س ٥	ص ٣٧١
للتفخيم	س ١٢	ص ٣٨٩
الدمع	س ٥	ص ٣٩٠
وجمله	س ٧	ص ٣٩١
صبحه	س ١٦	ص ٣٩٤
دواد	س ٩	ص ٣٩٧
كيدّه	س ١٦	ص ٣٩٧
خيفته	س ١٧	ص ٤٠٨
والخانات	س ١١	ص ٤٠٩
ينوي	س ٩	ص ٤١٠
التجارة	س ١٤	ص ٤١٠
الكينجي	س ١٥	ص ٤١٠

ص ٤١١ س ١١	دنانير وتطوع	اقرأ : دنانير وأن تلتقط وتطرح
ص ٤١١ س ١٤	أدبك	« : أذنبك
ص ٤١١ س ١٥	تسمع مثل	« : نسمع منك
ص ٤١١ س ٢٢	أردت	« : أردتك
ص ٤١٢ س ١	لثقود	« : لتفسد
ص ٤١٢ س ٧	يقتصد	« : يستقصه
ص ٤١٣ س ٨	قدمك	« : قدماك
ص ٤٢٠ س ١١	وضح من بناتكم	« : وضح من نياتكم
ص ٤٢٠ س ١٤	يرضاه	« : نرضاه
ص ٤٢٠ س ٢٠	شرفهما	« : شهر فيهما
ص ٤٢٥ س ١٣	رفضاً	« : رافضياً
ص ٤٢٥ س ٢٣	بطشت	« : بطست
ص ٤٢٦ س ٢	بالطشت	« : بالطشت
ص ٤٢٩ س ١٦	عن حجناء بن جرير	قراءة ر : بلال بن جرير (وهي أصوب) .
ص ٤٣٠ س ٨	بثمر وفاكهة	قراءة ر : بثمر وفاكهة (وهي أصوب) .
ص ٤٣٤ س ١٠	رقي .. يستفزه	اقرأ : رقي .. تستفزه
ص ٤٣٥ س ١١	خيري	« : ختري
ص ٤٣٦ س ٤	ليبقى أكله	« : ليبقى أمله
ص ٤٤٣ س ١١	حشف	« : خشف
ص ٤٤٤ س ٤	ونغم	« : ونعم
ص ٤٤٦ س ١١	أمر به	« : أمر به
ص ٤٤٦ س ١٥	أجردا	« : أجربا
ص ٤٤٦ س ٢٠	تسود من	« : تسود إلا من
ص ٤٤٨ س ١٢	المبقري	« : المنقري
ص ٤٥٠ س ٣	مصيدة	« : قصيدة
ص ٤٥٨ س ١٣	وقد راح للتوديع مني يرانيا	« : وقد لاح للتوديع مني دانيا (قراءة ر) .
ص ٤٥٨ س ٢٠	يفرن	« : تفرزن (عج)

ص ٤٦٢	س ١١	واجتلبت	اقرأ : واحتلبت
ص ٤٦٢	س ١٢	بخله	« : بخل
ص ٤٦٢	س ١٧	ذرى	« : درر
ص ٤٦٢	س ٢١	للعاصم ... وسور	« : العاصم ... وسوار
ص ٤٦٢	س ٢١	إذخر	« : أذخر
ص ٤٦٢	س ٢٢	وسور	« : وسوار
ص ٤٦٣	س ١	يداه	« : يدي
ص ٤٦٥	س ٤	بلى كل من ولدت	« : بلى كل الذي ولدت (قراءة ر ونبه إليها عج) وأشار إلى قراءة اليتيمة : ما مت وحدك لكن مات من ولدت) .
ص ٤٦٥	س ٧	لا تعجبوا ان هم فيهم [قد] انتشروا	اقرأ : لا يعجب الناس منهم ان هم انتشروا كما في اليتيمة (عج) ، وقد ورد الشطر في ر ناقصاً بعد كلمة الناس .
ص ٤٦٩	س ١١	بروض	اقرأ : بنور (قراءة ر)
ص ٤٧٥	س ٥	ان العدد ان اوبعه	« : ان العدوان أوقعه (قراءة ر)

ج ٢

ص ٣٦	س ٨	رقيق	اقرأ : رفيق
ص ٣٧	س ٢٠	ارجئه	« : أرجه
ص ٨٧	س ٥	العلم	« : العمر
ص ١٢١	س ٨	جعفر بن سهل	« : الفضل بن سهل
ص ١٤٢	س ٣	إلى عيسى	« : إلى علي بن عيسى
ص ١٦٧	س ١٨	إلى	« : إلى
ص ١٧٣	س ١٥	الصبر	« : الصبر
ص ١٩٥	س ١٦	الخلل	« : الخلل
ص ١٨٦	س ١	وقيرى	« : وقرا
ص ١٩٧	س ١٤	عمرو	« : عمر
ص ١٩٨	س ١٧	عمرو	« : عمر
ص ٢١٤	س ١١	عبد الغفار	« : عبد الغافر

أقرأ : الخضر	ص ٢٣٧	س ٨٠٧	الخضر
« : يدي يدي	ص ٣١٦	س ١١	يدي
« : نظراء	ص ٤٢٣	س ١٨	نظر
« : ابن	ص ٤٧٢	س ١٢	بن

ج ٣

أقرأ : بُغضُ	ص ٣٣	س ١٩	بُغضُ
« : غبتَ	ص ٥٨	س ٣	غبتَ
« : الوليد بن عبد الملك بن مروان .	ص ٢٧٦	س ١٠	الوليد بن مروان
أقرأ : قاصداً أبا	ص ٢٩٨	س ١	قاصداً أبا
« : موت	ص ٣٢١	س ١٤	صوت
« : القادسي	ص ٤٢٥	س ١٩	الفارسي

ج ٤

٢١١٢	ص أ	س ٩	٢٢١٢
أقرأ : بن أبي السمط	ص ١٢٤	س ٢٣	بن السمط
« : ابن القراب (على الترجيح)	ص ١٣٧	س ١١	ابن القرات
« : ما عدا	ص ١٤٣	س ٢١	ما ادا
« : ابن الرومي	ص ٢٠٦	س ٩	ابن الرومي
« : الشاشي	ص ٢٢٥	س ١٥	للشاشي
« : عند	ص ٢٢٥	س ٢٢	عندي
« : نبا	ص ٢٣٠	س ١١	بنا
« : البانياسي	ص ٢٣٠	س ٢٦	البانياسي
« : بثعلب	ص ٣١٤	س ١٤	بثعلب
« : الله	ص ٣٩٣	س ٢٤	لله
« : في	ص ٤٦٥	س ٩	أفي

ج ٥

أقرأ : بخراسان	ص ٦٧	س ١٢	بخراسان
« : اليمين	ص ٨٧	س ٥	في اليمين

يستقص	ص ٨٧	س ٥	اقرأ : يستقص
عبد الله بن عبد الله	ص ٩٣	س ١٣	« : عبيد الله بن عبد الله
وأنفذهما	ص ١٢٨	س ٢٦	« : وأنفذها
وله ب	ص ١٥٣	س ١	« : وله أب
تعالى	ص ١٩١	س ١٣	« : تعالى
الذي	ص ٢٩٦	س ١٦	« : الذي
لقدّها	ص ٣٦٠	س ٢٠	« : لقدّها
الكثيب	ص ٣٦٠	س ٢١	« : الكثيب
حمّأوا	ص ٣٦١	س ١٩	« : حمّأوا
الجناب	ص ٣٩٧	س ٢٠	« : الجناب
يمنه	ص ٤٠٦	س ٢٠	« : يمينه
فتسبت	ص ٤١٥	س ٥	« : فتسبت

ج ٦

الفوات : ٦٤٢	ص ٧	س ١٣	اقرأ : الفوات : ٦٢٤
والفوات ٢ :	ص ٥٠	س ١٩	« : والفوات ٢ : ٦١٤
بركات هلال	ص ٦٧	س ١١	« : بركات بن هلال
تعزل	ص ٧٦	س ٢٢	« : أتعزل
هو ابن أحمد	ص ١٠٤	س ٦	« : هو أبو أحمد
ويلقى	ص ١٣٧	س ١٤	« : ويلقى
غن	ص ١٣٨	س ٢٢	« : عن
وبينه ؛ وبين	ص ١٥١	س ٤	« : ؛ وبينه وبين
وقيل	ص ١٨٧	س ٢٣	« : وقيل
المحلى	ص ٢٥٤	س ٩	« : المحلى
الخزرجي	ص ٢٦٨	س ١٧	« : الخزرجي
للمقصورة	ص ٣٥٥	س ٢٤	« : للمقصورة : ٥٨ - ٦٠
معاوية	ص ٣٥٨	س ٢٢	« : معاوية
حية	ص ٣٦٢	س ٩	« : سُمِيَّة
أبو عبد الله	ص ٣٧٠	س ١٤	« : أبو عبيد الله
ند	ص ٣٧٤	س ٢٥	« : قد

ص ٤٠٠	س ١٩	وأبيه	اقرأ : وابنيه
ص ٤١٨	س ١٠	الموفق بالله أحمد	« : الموفق بالله أبا أحمد

ج ٧

ص ١١	س ٢٥	ذات	اقرأ : ذات
ص ٥٣	س ١٦	المرزع ^٣	« المرزع ^٤
ص ٥٥	س ٢٠	وعبد الله	« وعبد الملك
ص ٦٦	س ٥	وسعيد نصر	« وسعيد بن نصر
ص ٨٨	س ٢	قأجابه	« قأجابه
ص ١٣٩	س ٥	أخيه	« وأخيه
ص ١٩٠	س ١٣	لمسلمون	« المسلمون
ص ١٩١	س ١٣	عدة أ	« عدة
ص ٢٢٩	س ٥	ابن سعيد	« ابن سعيد ^١
ص ٢٢٩	س ٦	الكفيف ^١	« الكفيف ^٢
ص ٢٢٩	س ١٦	١ (رقم الهامش)	« ٢
ص ٢٤٥	س ٧	وستين	« وستين